
د. أحمد كمال شعت
العراق المغبون .. وتداعيات حرب الخليج
الانفجار .. والهدف الأمريكى الثابت
تقييم الموقف العراقى - ضرب إسرائيل
الموقف السعودى .. تغيير الموقف الفقهى
الموقف الإيرانى - الشيعى - تباينه - مغزاه
الخطأ الأكبر .. الحصار الاقتصادى للعراق
مكتبة مدبولى

العراق المغبون .. وتداعيات حرب الخليج

د / أحمد كمال شعت



كان موقفنا المعارض لحرب الخليج الأخيرة واضحاً قبل إشتعال القتال – وكان الموقف غريباً.. فالإعلام كان شرساً قوياً وفى إتجاه حرب العراق.. كنت أشعر كأنى غريب وسط مجتمع كبير.. رغم أن موقفى كان على حسابات ودراسة بطبيعة المنطقة وخواصها.. الأمر الذى لا يحترمه الكثيرون.. والآن وبعد وضوح التداعيات الهائلة التى تعصف وتهدد بحق مستقبلنا المجهول.. هل يمكن فصلها عن تلك الحرب. ؟!

{ يدعوا لمن ضره أقرب من نفعة لبئس المولى ولبئس العشير }

سورة الحج (١٣)

مقدمـــة

فلسفة الصراع الإنسانى

خلق الله الإنسان .. وأسكنه فسيح أرضه .. ومع بداية التاريخ الإنسانى فقد كان من السهولة ملاحظة أن الصراع الإنسانى ظاهرة واضحة .. وكأنها بصمة ثابتة وحقيقة لازمة فى حياه وتاريخ بنى الإنسان .. تمثل الصراع منذ عهد آدم .. وكان الصراع بين أبنيه قابيل وهابيل صورة من صور تلك الظاهرة .. تلك التى لم تنقطع فى أية فترة زمنية طوال التاريخ الإنسانى .. وحتى يومنا .. وغداً أيضاً دون شك .

الملاحظة الأخرى أن أحداث وتسجيل الصراع الإنسانى كان يتم بصور متعددة.. ومن زوايا مختلفة .. وإتجاهات متقابلة .. فالتاريخ هو علم رصد الأحداث والمواقع المؤثرة فى حياة البشر على أن يكون لها شأن .. غير أن تسجيل مواقف الإضاد فى أى صراع تعارض بين المسجلين والمؤرخين تعارضاً يكاد يكون تاماً .. وذلك من طبيعة الأمور ولزوم المنطق .. حيث تعددت محاور المناولة .. وتباينت زوايا التقييم.. بل لقد أختلفت حتى حدود الرؤية للمؤرخين من موقع واحد .. ويرجع ذلك لتأثر التأريخ بالعامل الإنسانى .. وميول المؤرخ وأحاسيسه وأمانته وصدقه .. تلك علة الكلمة .. وخطورتها الهائلة فى تشكيل الحدث وإخراجه بالشكل المبتغى.. أما الفعل والحدث ذاته فيشهد على نفسه .. ويشير إلى ذاته .. وتثبته نتائجه الواضحة . .. وهكذا كانت أطراف الصراع تدعى الحق فى مسيرتها .. ومن فشل فى الصراع كانت إدانته التاريخية أمراً محتوماً "Right in might" .

إثبات الحق إذا فى أمر أو فى صراع ما أمر من الأمور الشاقة الصعبة .. وكما تحتاج لعلم وجهد فهى أيضاً تعتمد على الإيمان والشجاعة فى الحق من قبل المتصدين لمسؤلية الكلمة .. وتقييم الحدث .. بل وتستلزم أن يكون المثقفون على درجة من الوعى والشجاعة حتى لا تصبح عقولهم وأفلامهم أسيرة لأصحاب السلطة والمال .. الأمر الذى لم يتوفر بالقطع فى المتناولين لأحداث المرحلة الأخيرة فى عالمنا العربى على وجة العموم .. وحتى فى مصر على وجه الخصوص .

من زاوية أخرى ورغم ذلك كله فإن تقييم حدثاً ما من نواح متعددة أمر صعب المنال حتى لو أبتغى المتصدون لذلك وجه الحقيقة المجردة .. ويرجع ذلك أساساً لاختلاف مقاييس الإنصاف .. وتعدد موازين العدل .. والتعارض الحتمى للحقوق والمصالح بين بنى البشر .. ومن ثم فإن الخلاف حول تلك الأسس هو أكبر إمتحان للنفس .. وأقوى معيار للحق .. وأصدق ميران للمؤرخ والمؤلف .. وذلك كله ليس سوى وجه من أوجه المناولة .. أو صورة من صور الخلاف والتعارض فى التأريخ . فتلك المقايبس تتعارض ولا تتوافق حتى لو رفعنا الأسس والمعايير السياسة والأقتصادية والتاريخية وحتى الإنسانية وذلك لتعدد المدارس لكل العلوم الإنسانية .. وتفاوت تطورها .. وأتساع مناهجها .. ومن ثم عدم ثبوتها .. وهكذا يتأرج ميزان العدل ومؤشرة فى حال الأستناد على ذلك المنهج .

حتى لو رفعنا محور الدين لمحاولة تقييم مواقع الحق وإظهار الباطل فى أى صراع إنسانى فإن هذا المحور قد تعرض للتأويل .. وأختلف ولو جزئياً بتعدد المدارس الدينية والإتجاهات المذهبية الأمر الذى أدى إلى حتمية أختلاف النظرة والتقييم بين أنصار الدين الواحد وذلك لتعدد المذاهب .. وأختلاف المدارس وتنوع الفلسفات الدينية والعقائدية ..

وتبقى الحقيقة .. ويبقى العدل رغم كل ذلك الهدف الثابت .. والأمل المرجو رغم كل تلك المعوقات والمحاذير.. ويبقى الصراع الإنسانى بند ثابت للوجود الإنسانى.. ومن ثم .

وصدق المول عز وجل فى حكمه وتقريره.. ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ .

الصراع إذا هو محور الحياة الإنسانية ذاتها.. وهو لازمه من لوازم إستمرارها.. ولعل أصدق مثال لذلك هو حكمه الولى فى تصوير الحياة ذاتها وإخراجها فى أطوارها الأولى على صورة من صور الصراع نعنى بذلك حياه الجنين فى بطن أمه.. ولزوم المعانه الصعبة والمؤلمة لكل من الأم والطفل معاً لحظة الولادة . لحظة بدء الحياة الإنسانية . لحظة الحياة والنشاط .. وأيضاً السعادة الحقة .

كانت حرب العراق الأخيرة أدق مثال لكل تلك الأسس الإنسانية فى صراع الإنسان بين الخير والشر .. وهذا منظارنا للأمر كله .. فبرغم إيماننا بوجوب أن تكون سيرة بنى الإنسان إيمانيه .. لا ترمى إلا للخير .. ولا تستهدف سوى الحق.. ولا تنبذ سوى الباطل فإنه من الحق ولوازمه أن نعترف أن تصور ميزان الحق صعب إلى حد بعيد .. ومعناه المطلق عند الله .. الحق فى ذاته .. وما نحن بصدده لا يعدو سوى وجهة نظر رمت إلى الحق .. وأجتهدت سبيله .. وفقط .

وهكذا .. فرغم ما حدث فى المشرق العربى ورغم خطورته فإن ذلك كله ليس سوى نكبة وهزيمة للعراق العربى المسلم .. وللجانب العربى المسلم من ثم .. ورغم ذلك كله فليس ذلك نهاية التاريخ الإنسانى .. ولا هو آخر المطاف للأخوة العربية الإسلامية .. بل لقد مرت على المسلمين فترات أشد وأنكى خرج بعدها الإسلام أشد وأقوى .. والمسلمون أصح وأفتى .. وكل ما نرمى إليه ويستوجبه الواقع هو تحديد الحوادث بالعدل والحق قدر المستطاع .. وإثبات الحقيقة الضائعة بين الأخوة المتصارعين .. الأمر الذى يستلزم ويستوجب أسس محورية ثابتة .. متفق عليها إلى حد بعيد .. يجتمع عليها الجميع .. ويوافق عليها أغلبية الأطراف.. ويؤمن بها معظم الأضاد .. فهل هناك أمثل من كتاب المولى عز وجل .. وقوانينه الثابتة الخالدة ؟!.

لا يعنى ذلك وعلى الإطلاق أسقاط أيا من العلوم الإنسانية أو القوانين الدولية قدر ما يعنى تطويعها وتقييمها بالضرورة إيمانياً وأخلاقياً .. سياسياً وأقتصادياً.. لذلك المحور الثابت العادل.. والأساسى فى تقييم أى صراع .. وأى أختلاف .. وإذا كنا نعيش فى عالم متغير متطور .. عالم أمتلأ بالعديد من المذاهب والمدارس السياسية والأقتصادية والأدبية والإجتماعية فإن صورة العدل المرجوة لا تكتمل إلا بمعرفة كل تلك التيارات والمذاهب المتعارضة والمتشابكة .. وعلى أختلاف صورها .. وتعدد أسسها .. وذلك لمعرفتها وتقييم حجمها من ناحية .. ولمنازلتها ومقارعتها أيضاً خاصة لو أستغلها كاتب من هنا .. أو آخر من هناك .. بغية هدف معين . أو إتجاه خاص .. أو مصلحة ذاتيه .. وتلك من لوازم العدل والإنصاف وحتى لا يشعر

القارئ أن ذلك المؤرخ أو الكاتب يعيش غريباً عن عصره .. أسيراً لاتجاه معين .. من أنواع الإرهاب الفكرى ..؟ولا يجب أن يُقيم البعض ذلك المنهاج على أنه نوع فالإختلاف والصراع بين بنى البشر حكم الهى وتقرير ربانى وثابت إنسانى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمه واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾

سورة هود ص ١١٩ .

إن غاية ما نرمى إليه هو تقييم الحوادث إيمانياً وعقلانياً .. ملتزمين منهاج الحق أقصى الإلتزام .. وغاية الجهد .. وإذا ما التزمنا بأن دور المجتهد المثقف يعتمد على حرصه على محورى العدل والحق .. وعلى إطلاعة بالضرورة على كافة التيارات الفكرية والسياسية غاية الجهد ومنتهى القدر فإن ذلك كله ولا بد يدفعه إلى تفضيل الجوانب المعنوية ورفعها فوق أيه مكاسب مادية محسوسه .. الأمر الذى أفتقده المجتمع المصرى خاصة وبصورة عامة فى كتاب الحملة الأعلامية الشرسة والمركزة أثناءمشكلة الخليج الأخيرة .. وتعارضوا فيها جميعاً مع بعضهم.. ومع أبسط مبادئ الحق والعدل المتفق عليها .. هذا مع ثبات الهدف والمرمى عند الجميع وتقلص نظرتهم جميعاً إلى هدف النيل من العراق .. الأخ العربى المسلم الأبى .. وفقط .. وكأن ذلك كان غاية الغايات .. ومنتهى الآمال .. ولن نتدهش جميعاً لو سمعنا من أولئك الأشاوس رأيا مخالفاً بعد تدهور الأوضاع وترديات العمل العربى الذى شارك الجميع فيه .. فلكل موقف ثمنه عند البعض.. كما أن لكل كلمة مرمى وهدف ..

من خلال ذلك الواقع المرير .. والحاضر الملموس يمكن تقييم التاريخ .. ودوره الذى يلعبه بين الحق والشر .. ذلك العلم المداهن المكتوب بأقلام المنتصرين .. وبعقول تجيد التبرير والتعليل ..

ذلك كله جانب من جوانب مواجهة الحق للباطل ..

وذلك أيضاً يسلتزم القوة مع العدل والإنصاف وغنى النفس بين المؤرخين .. وهى أمور قد نتفق على إنها قد ندرت بين كتاب تلك الفترة التى نعيشها .. تلك الفترة التى أنكسرت فيها المبادئ .. وتهاوت فيها رموز العدل .. وتغيرت فيها موازين الحق .. وواقعنا العربى والإسلامى الذى نعيشه هو أكبر دليل وأقوى شاهد على ذلك كله .

لا يمنع ذلك كله من إقرارنا بأن التاريخ المكتوب - رغم أعتراضاتنا - كان ومازال أقوى من كل العلوم الإنسانية حيث يمتاز بأثره المؤكد على النفس والذات .. وقدرته على تشكيل المواقف .. هذا مع أن هذا التأريخ والكتابات لم تفترس سوى أطناناً من الورق .. وغفت فى إرهاق بليد .. رافضة الحق و الحقيقة .. متأرجحة تارة بين علوم إنسانية غير ثابتة .. ومتطورة يعتمد عليها العلماء .. ويثق فيها الأغبياء .. وتارة أخرى بين أختلاف المنظور حق بين أحزاب الدين الواحد .. وذلك كله أمر مقرر إيمانياً .. وثابت تاريخياً .. ومقبول إنسانياً .

ويتبقى فى الواقع موقف المثقف الواعى فى نظرته وتحليله لذلك التاريخ وواقعه.. فهذا واجبه من ناحية ومن أخرى فتلك شهادة إيمانه الحقه .. الأمر الذى يشكل مسئوليته ويحدد دوره فى الحياه .

نقطة أخرى يستلزم الإشارة إليها وهى أنه كثيراً ما تنجح الألفاظ الظاهرة فى أخفاء المعنى المناقض والهدف الخفى المطلوب من جهة الصراع مثل .. الشرعية الدولية .. وتحرير الأرض المغتصبة .. وهزيمة المعتدى .. إلخ .. خاصة فى عصر تميز بالإعلام المسيطر .. والبث المباشر إلى شعوب تعودت على ألا تصدق حكامها .. ومن ثم كان أعتمادها على اعلام الأعداء والذى بدا فى ظاهرة أكثر موضوعية .. وفى حقيقته أكثر عدوانية .

تلك الحقائق أستلزمت البحث والتمحيص عما بين ، السطور .. وما وراء الكلمات.. وبصورة أخرى عن دوافع الحرب الحقيقة عند أطرافها المتعددة والتى يخجل أصحابها عن الإفصاح عنها - كا يخشى ضحاياها مواجهة حقيقة الواقع ..

★★★

كان لتطورات الحرب العالمية الثانية فى مراحلها الأخيرة وأكتشاف القنبلة الذرية.. ومن ثم ضرب اليابان فى هيروشيما ونجازاكى أثارها فى حتمية إدارة الصراع فى الحقبة التى تلت تلك الحرب بشكل يتمشى ويحترم خطورة ذلك التطور.. وكان لاكتشاف سر القنبلة الذرية والهيدروچينية عند أطراف الصراع العظمى أثره فى تحديد صورة ذلك الصراع " بل وحتم صورته .. فهى محذورة بين الأقران والكبار.. ومفتوحه بين الكبار وصغار المنافسين .. مع إتفاق الكبار على حتميه غلق النادى الذرى لأية جماعة صاعدة .. أو دولة منطلقة - وهكذا تحدد الإطار العام والمدخل الأساسى للحرب الباردة . الأمر الذى شكل صورة وحدود ونوع ذلك الصراع فى فترة ما بعد الحرب .. وإلى وقتنا هذا ..

وبدراسة إحتمالات بسيطة لذالك الصراع حسب إحتمالاته ونتائجة المحتملة يبدو أنه كان عند الجميع قناعة أن الصراع بين الكبار نتيجتة خسارة متبادلة ومؤكده .. الأمر الذى حتم تحاشى أشتعال الحرب بين الكبار - وتحت أى ظرف من الظروف .

المدهش أن ذلك الصراع فى مرحلة الحرب الباردة تطور لتكييف هذا الصراع شريطة أن يعود بالمكسب المتبادل بين الأطراف الكبرى .. وعلى حساب خساره مريدى تلك الإطراف من ثم .

وفى أزمة الخليج الأخيرة زاد على تلك الروابط العالمية والتى تحكم نوعيه الصراع وحدوده سقوط الإتحاد السوفيتى وتفككه .. كما أن إتجاه العراق لطرق أبواب النادى الذرى جعل المواجهة أمراً لا مفر منه .. خاصة مع إمتلاك هذا البلد لمعظم إنتاج ومخزون البترول العالمى .. كل تلك العوامل مع فترة النشوة التى عايشتها أمريكا وشعورها بأنتصارها على غريمتها الأولى أجلت أستبصار أمريكا بإحتمالية المكسب المتبادل مع العراق .. خاصة لما تختص به منطقة الشرق العربى من تيارات متعارضة .. وإتجاهات متنافرة ترشح بتهديد مستقبل الأمن والسلم فى تلك المنطقة.. الأمر الذى حدا بأمريكا إلى إدارة الصراع أمريكيا [١]. «أى أن تسيطر

(١) كتب رئيس الولايات المتحدة السابق ريتشارد نيكسون كتابا عن النظرة الأمريكية تجاه الصراع الدولى فى ظل تلك المتغيرات وكان عنوانه « أنتهزوا الفرصة " Seize the moment " الأمر الذى يعكس الحالة النفسية الأمريكية تجاه الصراع فى تلك الفترة .

أمريكا ويخسر الجميع » - وعلى الفور بدأت بوادر الرفض فى الإتجاهات الإسلامية العربية والتى ثم تشوية صورتها لتبدو عنيفة إرهابية متخلفة .. وساعد على هذا التصوير الحكومات والقيادات من خلال إعلام قوى متمكن أدى دوره المطلوب بكل كفاءة !! .

لعل تلك الحقائق هى ما شكلت دور المثقفين المحدود والمتحفظ أثناء الأزمة الأمر الذى أشارت إليه قوى الإعلام وأشتكت منه .. هذا مع تحرج هذه العقول ونخبة المجتمع ومثقفيها فى الموافقة علي تيار الأحداث وكشف الصورة التى تظهر وتثبت أهداف الأعداء المتربصين .. غير أن ذلك كان من نتيجته خلو الساحة الإعلامية من تلك القوى إلى حد بعيد .

كان اللازم والمفروض على عقول ونخبة المثقفين أن يعملوا جاهدين لكشف الصورة التى شكلها الأعداء المتربصين .. ونفض عباءة الجهل حتى تتبوأ تلك الأمة مكانتها اللائقة لها .. ووضعها الذى تستحقه والتى وصفها المولى عز وجل فى كتابه العزيز بأنها خير أمة أخرجت للناس .. وإنها الأمة الوسط الشاهدة على العالمين .. وذلك بما أنعم الله عليها بالكثير من نعمة العديدة وكنوزة العظيمة وأولها نعمة الإيمان والإسلام .. كان الجدير بتلك الأمة أن تتجه فى تلك الأزمة من خلال ذاتها الإسلامية العربية وأن ترى قوتها فى توحيد صفوفها وكلمتها .. وأيضاً كتابها .. وأن ترفع المحور الأيمانى سبيلاً فى الحكم على خلافاتها .. وذلك حتى لا يطمع الطامعون.. وتضيع الحقوق .. فالأمة الإسلامية أرضا وروحا أمانة فى أعناق جميع المثقفين .. والله محاسبنا جميعاً لو فرطنا فى هذه الأمانة .

وأول القوم مسئولية أعلمهم ..

كانت تلك أمنية المثقفين المسلمين ..

أما الواقع فكان شيئاً مختلفاً تماماً ..

كان الواقع وجه مظلم بفيض لكل تلك الأمانى السامية .

الفصل الأول

ما قبل الإنـفجار

الفصل الأول

ما قبل الإنفجار

قد نوافق جميعاً على أساسية منطقية وهى أن الفعل أو الحدث لا يمكن تقييمه التقييم الأمثل دون النظر لدوافع أطرافه.. وتقييم أسبابه بين أعضائه .. وعليه فلا يمكن فى الحقيقة فصل حوادث حرب الخليج الأخيرة عن حرب العراق - إيران .. أو حرب الخليج الأولى .. ومع إيماننا أن تلك الحرب الأولى كانت مفصل الحوادث فإن أهم ما يجب الإشارة إليه أنها كانت فى الواقع حرب المنطقة بأسرها .. وأهم الشواهد على ذلك هو أشتراك جميع بلدان المنطقة فيها بصورة أو بأخرى .. فقد أيدت الأردن العراق سياسياً .. ووقفت السعودية والكويت والإمارات موقف المؤيد بالنسبة للعراق سياسياً وإعلامياً وأقتصادياً .. وحتى مصر ساعدت العراق فى فترة هامة من فترات تلك الحرب العصيبة .. وفى المقابل كانت سوريا مع الجانب الإيرانى وضد الجانب العراقى .. وبشكل مبدأى واضح.. ولا تزال .

كانت الحرب إذا حرب المنطقة بأسرها .. ولا يمكن تفسير تلك المواقف العربية المتباينة إلا على الأساس المذهبى العقائدى لسياسات تلك الدول .. ومواجهة بعثة إيران الخمينية الشيعية .. ومع ذلك فإن العراق كان الطرف الذى تحمل حرب المنطقة كلها .. وبكل شجاعة على المستوى الواقعى والفعلى .

دخل العراق تلك الدائرة المغلقة وهو يُعد بكل المقاييس من دول العالم الغنية .. فقد كان رصيده الأستراتيجى من الودائع فى بنوك العالم ما يربو على الثمانين مليار دولار .. وإنتهت تلك الحرب المريرة .. وبعد ما يقرب من التسعة أعوام .. وبعد شهداء زادوا عن النصف مليون .. وجرحى أكثر من ذلك .. وأيضاً مع مديونيه عراقية قاربت على المائة مليار من الدولارات .. الأمر الذى أدى إلى تدهور ملحوظ فى قيمة عملة العراق .. كانت ٦٠ ٪ من هذه المديونات ترجع إلى الجانب العربى المباشر لتلك الأزمة .. الكويت .. والسعودية .. هذا فى حين أن كل دول الخليج منذ بدأت حروب البترول سنة ١٩٧٣م ، ثم سنة ١٩٨٠ جنت فوائد خيالية من جراء تلك الأحداث ..

كان تولى الرئيس صدام قيادة العراق متزامناً إلى حد ما مع بدء حرب الخليج الأولى(١) .

تميزت سياسة صدام بأنها سياسة نشطة إلى أبعد حد وتميزت بخطوط متوازية رئيسية .. فسرعان ما جرى بناء العراق الحديث قدر الطاقة والمستطاع .. هذا مع تكلفه الحرب الضروس مع إيران الخمينى والتى أستمرت لفترة تسعة أعوام .. وأيضاً مع إنتهاج العراق سياسة ردع قوية تكون حصناً للعراق وللعرب ولآماد طويلة قادمة مادامت بعثة الشيعة ترفع راياتها فى قم وطهران شرقاً .. وأيضاً كاجراء لا بد منه لتجييد قوة الردع الإسرائيلية الذرية غرباً الأمر الذى يفسر سياسة إسرائيل تجاه بلدان الشرق العربى .. ولعل تلك السياسة الإيجابية العملية هى ما تفسر التكلفة العراقية العالية لحرب الخليج الأولى .. ومن الواضح أن العراق لم ينظر إلى الأمر إلا من خلال مسئوليته وتطلعاته كدولة رائدة فى المنطقة العربية خاصة بعد تنازل مصر عن موقع القيادة ومسئولية الريادة منذ إتفاقية كامب ديفيد .. وذلك نتيجة تكبيلها أقتصادياً .. ومن قبل سياسة عالمية أقتصادية واعية .. كانت بصمتها عربية سعودية وكويتية .. أيضاً !! .

كانت النتيجة الأقتصادية - المقصودة - لحرب الخليج الأولى بمثابة المنعطف الحاد لحوادث حرب الخليج الأخيرة . وبكل تأكيدوهكذا ومع لحظة إعلان الخمينى موافقته على وقف إطلاق النار مع العراق .. ومع تهليل الإقلام العربية فى الشرق والغرب العربيين وتعالى الضجيج تأييداً للعراق البطل حارس البوابة الشرقية للأمة العربية ولقائدها صدام العروبة وبطل القادسية الثانية كانت هناك بوادر أزمتان : -

الأولـــى : أزمة عالمية ضد العراق لعبورة الخط الأحمر وجهودة التكنولوچية النووية وإمكانياته الصاروخية البالسنيكية (٢) .

---

(١) تنازل الرئيس أحمد حسن البكر عن رئاسة العراق الصدام حسين فى يوليو ١٩٧٩م فى ذكرى ثورة ١٩٦٨ وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠م قامت حرب الخليج الأولى.

(٢) يذكر ريتشارد يتكون الرئيس السابق لأمريكا فى كتابة إنتهزوا الفرصة Seize The moment ما ترجمة : « إن الأولوية القصوى يجب أن تتركز حول تقييد إمكانية وجود تكنولوچية نووية أو صواريخ بالستيكيه إن ميثاقا وإتفاقاً لتحديد إنتشار تكنولوچيا الصواريخ يعتبر خطوة أولى جيدة. » ترجمة حاتم غانم
شركة قايتباى للطباعة والنشر والتوزيع ص ٥٧ .. الطبعة الأولى. .

الثانــية : أزمـة عـربيـة- عـربيـة.. تمثل رد الفـعـل العـراقى إزاء السـيـاسـة الأقـتـصـادية العربيـة البـترولية المستهـدفة تحجيمه .. سرعان ما أرتفع ضجيجها .. وسرعان ما تغيرت أيضاً أقلام الإعلام .. وآراء رجالاته .

.. فى نهاية شهر يوليو ١٩٩٠م وبينما العـراق يصارع على مستوى السـوق العالمى جهوداً عالمية ترمى لاجهاض تطلعاته وأبحاثه وصناعاته إذ بالعراق يتهم دولتى الكويت والإمارات لمحاولة تعويقه وتحجيمة بضرب أسعار البترول الأمر الذى يستهدف المستقبل السياسى والأقتصادى للعراق المنهك .. المديون .. وتزامن ذلك كله مع وضوح نيات دول الخليج حيث رفضت السعودية والكويت والإمارات التنازل عن ديونها ومستحقاتها لدى العراق .. الذى حارب حربهم وحربه .. وضحى بأبنائه وماله من أجل حماية الخليج كله من غزو إيرانى شيعى ملموس ومحسوس .

رفضت الكويت التنازل عن ديونها المستحقة لدى العراق بحجة أنه لو الفت مديونينة سوف يضغط عليه الآخرون ليقبضوا من العراق ديونهم .. ومن مصلحة العراق أن يبدو دينه كبيراً على الورق !! ..

ورد العراق على ذلك - المنطق - أنه كلما قلت مديونيه زادت فرصته فى الحصول على تسهيلات من الآخرين .. تلك عله السياسة والتلاعب بالمنطق - الأمر الذى يمثل ضغطاً على الطرف المنتقص لا شك فيه .

توازى ذلك مع ضغط أمريكى حيث أصدرت لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكى - فى تلك الفترة !! - قانوناً بفرض عقوبات تجارية وأقتصادية على العراق بسبب إنتهاكه لحقوق الإنسان فيه !! .. وكأن تلك القضية وليدة ساعتها ولم يتم الكشف عنها إلا فى ذلك الوقت !! .

فى نهاية شهر يوليو ١٩٩٠م بدأت تفاعلات ذلك كله تظهر فى صورة أزمة عراقية خليجية .. وأعلن العراق أتهامة الصريح لدولتى الكويت والإمارات لمحاولة ضرب أسعار البترول فى السوق العالمية الأمر الذى استهدف المستقبل السياسى والأقتصادى العراقى فى تلك الفترة الحرجة بالذات ..

فى إجتماع وزراء الخارجية العرب بتونس والذى عقد قبل عدة أسابيع من غزو العراق للكويت تقدم العراقيون بورقة عمل حدد فيها الطرف العراقى نقاط الخلاف بينه وبين أشقائه .. جيران خندق الأمس إجتر العراق فى مطالبه فى تلك الورقة كل مظاهر وأحاسيس غبن الأشقاء والجيران .. وكان لملابسات الموقف العالمى من العراق وفضل العراق الذى يشعر به على هؤلاء الجيران أثره النفسى الأكبر « الأمر الذى دفع العراق إلى أثاره فضية الحدود بين العراق والكويت .. وأيضاً إلى إثاره الهدف من جراء أغراق حكومتى الكويت والإمارات سوق النفط بمزيد من الإنتاج خارج حصتهما المقررة من قبل مجموعة الأوبك الأمر الذى أدى إلى تدهور كبير فى أسعار النفط حتى وصل سعر البرميل فى تلك الفترة إلى ما بين ١١ - ١٣ دولار للبرميل وكان السعر الأدنى الذى تم الإتفاق عليه فى الأوبك هو ١٨ دولار للبرميل (١). ثم أن العراق طالب فى تلك الورقة بخطة عمل عربية على غرار مشروع ما رشال الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية فى محاولة منه لموازنة ميزانيته المنهارة ولتعويضه عن خسارته فى هذه الحرب ..

ولم يجد العراق روحاً متفهمة لمطالبه .. ولا حتى آذاناً صاغية .

ولم يجد العراق بداً من مكاشفة الجميع باتهامه للكويت بإقامة منشآت عسكرية وبترولية على أرض العراق !! ثم إثارة موضوع حقل الرميلة المشترك بين العراق.- والكويت وسرقه الكويت لنصيب العراق من ذلك البئر خلال فترة الحرب.. ولم ينكر الطرف الكويتى تلك الشكاوى وإن كان قد فلسفها بمساعداته وديونه لدى العراق!!..

كان تطور الأمور يشير إلى معنى المواقف وقيمته الأقتصادية والسياسة عند أطرافه وأثره النفسى وتوقيته وتباين أطرافه ولم يكن نتاج كل ذلك بسيطاً .. فالمدهش أن الطرف الجانح المشتط فى كل تلك المشاكل لم يكن الطرف القوى الفقير.. بل كان الطرف الغنى الضعيف !! .. والحقيقة الملموسة أن المرء قد لا يحتاج لفطنة وبحث وتحليل إذا ما قرر أن الكويت كان مدفوعاً لكل تلك المواقف - فهو فى

(١) أجرت الرسالة العراقية عملية حسابية بسيطة ذكرت فيها أن خسائرها من جراء إنخفاض أسعار البترول فى الفترة من ١٩٨١م إلى ١٩٩٠م بلغت حوالى ٨٩ مليار دولار .

غنى عنها خاصة وأن سياسة الإنتاج البترولية أمريكية خالصة فى تلك البلد .. العربية !!

كان الرئيس صدام حسين - وبضرورة المنطق - أول من وازن أثر المتغيرات العالمية والمواقف الدولية تجاة العراق وأثرها .. وكان صدام قد أشار فى كل تحليلاته وحتى خطبة العامة إلى الفترة الحرجة التى تعيشها العلاقات الدولية وهى فترة أنتقلت فيها السيادة المطلقة للولايات المتحدة بمفردها .. وقد ذكر صدام فى عمان فى فبراير ١٩٩٠م أن الهيمنة الأمريكية سوف تفرض نفسها على الجميع .. وسوف تستمر هذه الهيمنة لخمس سنوات على الأقل تبدأ بعدها حركة الموازيين الدولية والتى يصعب التنبؤ بها فى حينه .

وسط تلك المتغيرات الدولية كان التناقص العربى واضحاً وخافياً فى أجزائه عن بعض الأطراف العربية .. ماعدا أطرافه الأساسيين .. أمريكا والعراق .

★★★

فى بداية الحرب العراقية - الإيرانية قامت إسرائيل بغارة جوية على العراق مفاجئة وغير مبررة دمرت فيه المفاعل الذرى والذى أقامته فرنسا .. ورغم صفاقه ذلك الهجوم فلم يسمع أحد مجرد صوت أستنكار لذلك الأعتداء السافر .. ومع ذلك فبمجرد وإنتهاء حرب الخليج الأولى تضافرت جميع الجهود الغربية - رغم المستجدات الدولية - على محاربة وإجهاض خطط وتطلعات العراق النووية .. وكانت أخبار ذلك الإتجاه منشورة يومياً وبصراحة لا تحتمل أى غموض .. وقامت وكالات الأستنحبارات الدولية والغربية باجهاض أيه إتفاقيات أو حقوق عراقية تخدم ذلك المجال والنشاط المحرم على الدول العربية .. والمسموح به وفقط لإسرائيل فى المنطقة

- ولم تنقطع تلك الحملة حتى بعد غزو العراق... وحتى لحظة كتابة تلك الكلمات!!

كان تصاعد الموقف الدولى سريعاً .. وفى إتجاه محدد.. وهكذا فلم تمض عدة أشهر من حرب الخليج الأولى حتى وجد العراق نفسه فى وضع حرج إلى أقصى حد.. تلك كانت نتيجة بطولته وشجاعته وتضحياته وزوده عن جيرانه!! وجد العراق

نفسه وسط حصار أقتصادى عالمى يتم بأيد عربية.. أوصلة إلى أزمة مالية خانقة أنهارت معها قيمة الدينار العراقى - مع أعتداء واضح سافر على أرضه وبتروله.. وتوازى ذلك كله مع حصار عالمى للعراق فى محاولة سافرة واضحة لتحجيمة وتقليص قدراته وتطلعاته..

كانت كل تلك السياسات تتم ببصمة جيرانه أشقاء خندق الأمس.. الكويت والإمارات.. وحتى السعودية .

كانت البدائل أمام العراق محدودة إلى أبعد حد وأقصى مدى.. فالتراجع عن تطلعات العراق الوطنية لم تكن تعنى فى حقيقتها سوى الفشل والهزيمة السياسية معنى وروحاً.. الأمر الذى سوف يزيد من تدهور وخطورة الموقف على الجبهة الإيرانية.. فالأمر بين الجارين اللدودين لم يكن سوى وقفاً لإطلاق النار.. لا أكثر.. هذا كما أنه لا قيمة لقوة العراق العسكرية الضخمة مع إنهيار أقتصادياته.. وذلك التلازم لا يعنى فى حقيقة الأمر سوى الفشل والهزيمة الحقيقية أستراتيجياً.. ولا يعنى ذلك سوى ضياع كل تلك الأموال وأرواح الشباب من صناديد العراق من أجل لا شئ..!!.. فقط من أجل الهزيمة روحاً ومعنى.

كان البديل المطروح لتلك الصورة المظلمة التفاعل الإيجابى مع كل تلك الضغوط.. مع من حارب من أجله وأجلهم فجاهدوا هم من أجل تحجيمة وتقليم أظافره.. غير أن ذلك كان يحمل فى طياته أخطاراً مؤكدة منها التصادم المؤكد مع أعتى القوى الدولية العالمية - أمريكا.. وذلك نظراً لما تمثله منطقة الخليج البترولية من خصوصية أمريكية وأهمية أقتصادية إستراتيجية - متفق على واقعيتها .

بصورة أخرى كان على القيادة العراقية أن تختار.. أما الموت البطئ المحقق.. وأما المخاطرة بكل شئ[1] .

★★★

---

(١) نفس السياسة أعدتها الإستراتيجية الأمريكية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م ..المعركة الوحيدة التى أنتصر فيها العرب فقد ضيق الأغنياء على المحاربين الفقراء فأختار السادات أسهل الطرق وباع قضية العرب رداً على خيانة الأغنياء.. فلم يجد حتى ثمناً من أمريكا.. ومن ثم تم تجييد الدور المصرى فى المنطقة.. ودخلت القضية الفلسطينية فى متاهات- وخسر العرب جميعاً ».

العراق المغبون.. وكلمة للتاريخ .. للكاتب.

من المبادئ الأساسية للسياسة أن الضغط على طرف يمكن مواجهته بضغط آخر.. وذلك بهدف أتفاق أطراف الصراع إلى حل وسط يحفظ أقص الحدود لمعظم أطراف النزاع.. غير أن ذلك المبدأ سليم وناجح فقط فى حالة أحترام أطراف النزاع والضغط لنوعية الضغوط المؤثرة عليهم.. وقيمتها بالنسبة اليهم.. من ذلك المنطلق كان خطأ العراق.

حسب العراق حساباته وهو المنهك أقتصادياً والمستنزف نفسياً وإجتماعياً.. ووجدت القيادة العراقية أن التفاعل الإيجابى لما يحاك ضده هو الأمل والمنفذ الوحيد لحل كل تلك المؤامرات الشائكة والمتشابكة.. ومع أهمية وخصوصية الخليج العربى البترولى أستراتيجياً لأمريكا خاصة والغرب عامة فقد رأت القيادة العراقية الضغط وغزو الكويت حتى تملك ورقة يكون من شأنها الوصول إلى حل وسط..

كانت حسابات العراق معتمدة أساساً على أهمية الكويت للغرب.. وعلى أن سلامتها أمر حيوى لأمريكا وكان ذلك الخطأ الأكبر.. فوجهة النظر الأمريكية لأهمية الكويت إنما تكمن فى كونها مصدراً أساسياً لإنتاج البترول.. ومخزناً رئيسياً له.. ومنبعاً لا توجد به أيه مشاكل إدارية حيث أن سياسة الإنتاج تحددها الشركات البترولية الأمريكية العملاقة.. غير أن ذلك كله يمكن أستبداله – ولو مرحليا – بزيارة الإنتاج من مناطق ومصادر خليجية أخرى .. كالسعودية والإمارت وغيرها.:

من ناحية أخرى فإن تحطيم هذا الهيكل الإنتاجى البترولى الضخم سوف ينعكس إيجابياً على أمريكا وبكل تأكيد فهى المؤهلة لإصلاح ذلك الخراب.. بل إن المكسب الأمريكى يتوازى مع مدى تعرض ذلك الهيكل للخراب وهذا الأمر هام للغاية بالنسبة لأمريكا والتى كانت تعانى من عجز متصاعد فى ميزان مدفوعاتها لعده سنين متواليه الأمر الذى بات مهدداً للأقتصادى الأمريكى وحيويته.. هذا مع تنامى الخطر الأوروبى المتحد الوشيك.. وتنامى القوة الأقتصادية اليابانية.. وهكذا.. فإن جميع الظروف العالمية من وجهة النظر الأمريكية كانت ترى فى خراب الكويت ومن ثم الهيمنة عليه ما قد يعادل من تنامى القويتين الأوروبية واليابانية

واللتان تعتمدان على أستيراد البترول.. وهكذا فإن الهيمنة الأمريكية على منابع البترول أمر أستراتيچى له أهميته على المستقبل المنظور..

من زاوية أخرى. نفسيه وإلى حدما.. فإن قرب نهاية السقوط السوڤيتى الهادئ والمتوازى مع الأحداث خلق أملاً أمريكيا فى تأكيد قفزة نفسيه وسياسية وأقتصادية من خلال حرب مع قوة أضعف تكون إشارة وإثبات لتلك الهيمنة..

أن أية دراسة تقوم على مفهوم التيار الأمريكى وفلسفته الغير أخلاقية فى السيطرة كانت توكد أن تصاعد الأزمة وقيام حرب سوف ينطبع إيجابياً على أمريكا على مختلف الأصعدة السياسية والأقتصادية والدولية.. وهو الأمر الذى يمثل نفسياً أمراً لا يمكن أغفاله مع التغيرات العالمية والتى كانف تشير إلى عصر تنفرد فيه القوة الأمريكية بالهيمنة.. ولو إلى حين.

هذا كما أن الخطأ العراقى يشيد فى معناه إلى النفسية العراقية ذاتها.

من ناحية التطلعات الذرية فإن ذلك المجال بذاته - وفقط - كان يحتم على أمريكا مواجهته بشكل أو بآخر بغرض القضاء عليه فى مهده..

كانت إحتمالات الصدام إذاً مؤكدة فى جميع الأحوال.

وكانت بوادر هذا الصدام ترجع إلى فترة وقف اطلاق النار بعد حرب الخليج الأولى.. وليست إلى أزمة الخليج الثانية بعد إحتلال العراق للكويت.

حسب صدام حساباته.. وفى الثانى من أغسطس ١٩٩٠م قامت العراق بغزوة خاطفة للكويت لم تستمر سوى سويعات قليلة.. سرعان ما سقطت بعدها الكويت.

كشفت حوادث حرب الخليج الثانية ضعف قدرة وتسليح قوات درع الجزيرة المنوطة بمواجهة كافة التحديات لتلك المنطقة الحساسة.. وأشارت تلك الحوادث بصورة مباشرة إلى أهمية دور القوات العراقية فى الحفاظ على عروبة تلك البقاع والتى تتوازن بدقة بالغة مع التركيبة الإيرانية والشيعية السكانية..

كان ضرب القوات العراقية يمثل خللاً لا يمكن ملؤه إلا بقوات مصرية وسورية..

وهو أمر لا تسمح به ولا تطمئن إليه واشنطن.. ولا حتى السعودية!! وعليه فإن ضرب القوات العراقية كان يمثل خللاً فى موازين القوى المتعارضة وطريقاً أساسياً لهيمنة سياسية وعسكرية للمنطقة.. بعد أن كان أقتصادياً فحسب.. ولهذا الموقف محاذيره المؤكده على أمن المنطقة فى القريب العاجل والمستقبل المنظور.

مع كل تلك الإحتمالات المنطقية فقد رمت السعودية والكويت بكل الأوراق إلى الجانب الأمريكى وتركت له أن يرى ما يرى [١].. الأمر الذى نقل كل الثقل الإسلامى المعارض إلى الساحة الإيرانية.. تلك التى لم يمضِ وقت يُذكر على هزيمتها أمام العراق.. والتى أحست منذ وقف إطلاق النار مع العراق أن إنتصارها الواقعى أصبح ملموساً على أكثر من ساحة.

على الجانب الأمريكى لم ترِ أمريكا من الأحداث إلا ما يساير مصلحتها.. ومن ثم كان لا بد من الإجهاز على قوات العراق.. والتى كانت على شفا الحصول على الأسلحة النووية والبيولوچية فى غضون عام أو أكثر على أكثر تقدير.. الأمر الذى يمثل أساسية أمريكية أستراتيچية أقتصادياً وسياسياً على الساحة الدولية..

ليست الحرب فسحة أو ترهة.. بل هى دون شك حدث هام ومنعطف له إيجابياته وسلبياته المحققة والخطيرة.. وعلية فإن التخلص العراقى من العائلة المالكة الكويتية كان هدفاً أساسياً وذلك حتى يخرج من المعادلة من يدعى الحقيقة فى تلك البقعة العربية.. غير أن أمير الكويت هرب مع أغلب أفراد أسرته وتم ذلك بمساعدة القوات الأمريكية.. الأمر الذى يشير ويؤكد أن الأحداث كانت تجرى بعلم أمريكا ورصدها وإلا لما كان هناك معنى لإجهزة المخابرات العسكرية والأقمار الصناعية والتى تجوب الفضاء ولديها القدرة الفنية والتكنولوچية على رصد أبسط الأشياء.. وليس تحركات الجيوش.

وهكذا وبينما الأحداث تتوالى بسرعة يصعب من أستيعابها وبشكل عصبى إلى

---

(١) لم يتعظ السياسيون بدروس التاريخ ومدى ما أشارت إليه من نتائج تحالف القوى المسلمة المتصارعة بالقوى المسيحية، خاصة مع نكبة الأندلس وأستيعاب دروسها ومعناها .

حد ما فقد أختفت مبرراته الحقيقية وأسبابه ودوافعه خلف أعلام عصبى تغلف بالعاطفة والنزعة القومية على أمن ومستقبل المنطقة ككل.. كانت كل المواقف يجرى ترتيبها بهدف واحد هو حصر العراق وخنقه إقتصادياً وسياسياً وعسكرياً بعد أن أضحى على شفا وحدود الخط الأحمر الذى يمكن بصورة أن تكون للأمة العربية قوة ردع يمكن أن توازن وتعادل قوة إسرائيل النووية الرهيبة.. وإرهاب وإجهاض أية تطلعات إيرانية أيديولوچية فى منطقة الخليج.. وتوازن الهيمنة الأمريكية والغربية على مقدرات تلك المنطقة الثرية.

كانت تجنب الحرب فى تلك المرحلة يتطلب حلاً لا يكون فيه غالب ولا مغلوب.. وبتعبير أدق حلاً لا يظهر فيه الغالب أو المغلوب إلا فى الأمد إلا بعد.. الأمر الذى يمكن فى إطارة إزالة فتيل الإشتعال وأيضاً تحاشى أفتضاح الطرف الأضعف وتجنيبه نفسياً صدمة الهزيمة خاصة وأنه مازال يملك بعض الأوراق.. كما يمكنه أن يلجأ إلى السلاح كآخر ملاذلا ثبات ذاته وما يراه حقاً له.. كانت تلك المعادلة أمراً بالغ الدقة والحساسية وتقتضى حرص كل طرف من الأطراف على إنقاذ ماء وجه الطرف الآخر.. كانت تلك الأساسيات مطروحة على الجانب العراقى والذى إنتهج نهجاً أبتغى من خلاله حل الأمور على منتصف الطريق.. بينما أشارت المواقف الأخرى على أن ذلك الإحتمال أمراً لا يمكن تصوره خاصة مع التطلعات الإستراتيچية التى أمسكت بزمام الموقف غربياً منذ اللحظة الأولى للصراع.

الأمر الغريب حقاً والذى يصعب حتى تفسيره فى فرض حل سلمى مقبول لمشكلة غزو الكويت فى مراحله الأولى كان مرجعه للأطراف العربية المؤثرة فى الأزمة الأمر الذى آثر تعقيد المشكلة على فرض حلها وأظهر الأمر سياسياً من خلال مواقفه.. وأعلامياً كذلك على أن إيجاد حل وسط للأزمة أمراً بعيد الإحتمال.. بل حلماً لا يكمن حتى تحقيقه!!.. وهكذا أصدرت مصر بياناً بإدانة العراق حتى قبل إجتماع وزراء الخارجية العرب على حد قول الملك حسين.. أما الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية فى الولايات المتحدة فقد أشار إلى إحتمالات لحل الموقف سلمياً .. وكان رد الفعل الأمريكى والسعودى الرسمى لا يمثل سوى إجهاض سريع بل وئداً لذلك

الإحتمال (١) من أى مسئول أيا كان. مع أسقاط الطرف الكويتى بلزوم المنطق.. أما باقى ملوك وأمراء المنطقة البترولية فسرعان ما تنكروا حتى للمبادئ الإسلامية الأساسية ورموا بجميع الأوراق لطرف غير مسلم.. ومهيمن.. ولم ترٍ تلك الأنظمة من تلك الأزمة إلا العرش والكرسى ولو على أية أنقاض..

« كتب السيد الأستاذ/ حليم أبو عز الدين سفير لبنان الأسبق لدى القاهرة.. ومندوبه الدائم لدى جامعة الدول العربية، ووزير التربية والتعليم فى صحيفة «الحياة» قال فيها ما نصه: « .. نحن العرب لا نزال نعيش عصر التخلف والحضارة الجاهلية - وفى العقد الأخير من القرن العشرين لا تزال نعيش عصر القبلية العشائرية!! التى حاربها نبى الإسلام- وقامت دولة العرب الأولى على إنقاض هذه القبلية العشائرية عادت اليوم عن طريق الأقليمية العمياء.. عن طريق التحاسد والتخاذل، عن طريق الخذلان والجهل » . صحيفة ؟! الحياه ١٥ ديسمبر .

كانت الحوادث التى توالت على المنطقة حتى قامت الحرب تشير إلى كل ذلك وتثبته.. وهو ليس هدفاً من أهداف ذلك الكتاب.. كما أنه قد تمت مناولته من قبل(٢).. على أن أهم ما يجب الإشارة إليه أن تلك الحوادث تشير إلى أهداف أبطالها ومحركيها.. وثبت ذلك ويؤكده أيضاً سياسات ما بعد الحرب.

★★★

تميزت أزمة الخليج الأخيرة بعالميتها فلم يكن ما يدور من نزاع بين العرب فى منطقة الخليج محصوراً بين أقطابها.. بل لمس وفى عمق كل مستويات القوى على إتساع المعمورة.. أما أهم سمات تلك الأزمة يمكن وصفها بأنها دوامة سريعة وقوية

---

(١) كتب جان بيير شيفينمان وزير الدفاع الفرنسى والذى أستقال أثناء الحرب عندما لمس غايتها من خلال تحليله لعمليات القتال- كتاباً عن أززمة الخليج أشار فيه إلى أن الحرب كان يمكن تجنبها.. «وأن الرئيس بوش أغلق من اليوم الأول كل أبواب الحل السلمى ولم يترك للأزمة مجالاً إلا فى ميدان القتال..»

وشهد شاهد منهم !!

(٢) فى كتاب العراق المغبون.. وكلمة للتاريخ.. للكاتب .

من دوامات المواقف الغير متوقعة.. والمتبدلة السرعة والإتجاهات.. والمتلاحقة دون إنقطاع وبمعدل سريع بدرجة مدهشة غير مسبوقة ولا مثيل لها فيما سبق من الأزمات الأقليمية أوحتى العالمية .. الأمر الذى يستدعى الإنتباه فهى تشير وبكل تأكيد إلى أن الحوادث كانت فى جانب من جوانبه سيناريو معد ومعروف مسبقاً لأطراف إيجابية مؤثرة.. نستطيع أن تخرج لإحداث كما تشاء - وعلى علم ودراسة مسبقه حتى بمواقف الأطراف الأخرى..

كانت أول مظاهر ذلك كله أن الأطراف الإيجابية المؤثرة على الأحداث سارت إلى منتهاها ودون أى تردد على أرض الواقع فحشدت أضخم قوة عسكرية عالمية للقضاء على قوة العراق الناشئة وكأنها أخطر بؤرة على وجه البسيطة.. وفى المقابل كان رد الفعل العربى- رغم نشاطه- دون الرد العالمى بمراحل حتى أن الأحداث أشارت منذ بدايتها إلى هامشية دول المنطقة فى أى دور لتحديد هويتها ومستقبلها.

رغم ذلك وضح منذ البداية تباين وتعارض الأهداف بين الأطراف العالمية فى تلك الأزمة.

★ **الدور الأمريكي**: كان واضحاً مهيمناً على الأحداث منذ بدايتها.. ولم تنتظر واشنطن حتى حضور جلسات جامعة الدول العربية وتوصياتها وهى صاحبة الأمر كله.. بل سارعت إلى تحريك قواتها العسكرية ثم بحثت بعد ذلك عن الوجه القانونى لإخراج الأحداث والمواقف.. وقد نجحت فى تحركاتها إيما نجاح لأسباب عديده.. حتى مع وضوح أن التحرك بدا أمريكا ومنفرداً و مهيمنا.. والمدهش حقاً أن تصريحات العديد من المسئولين الأمريكيين كان يؤكد أن التحرك الأمريكى لن تخضعه أية سلطة شرعية ولن تحكمه أية قوانين دولية أو حتى أقليمية..

★ **القوة الأوروبية** : لم تترك الساحة لأمريكا بل أثبتت وجودها ولكن بتؤدة وقوة..وشجعت الحل السياسى ورمت إليه بكل ثقلها-ما عدا بريطانيا(١)- والمدهش

---

(١) كان الجنرال ديمول يشير إلى ذلك الترابط بأنها علاقة خاصة بين « الإنجلو- ساكسونيين » أن هناك اجتهادات عديدة لتفسير تلك العلاقة الخاصة على أن أقواها يرجع بالدرجة الأولى إلى الشركة بين الأثنين فى بترول لعالم العربى وفوائضه .

فى الأمر حقاً أن الولايات المتحدة لم تضق بها بل شجعتها وساندتها فى الوقت الذى أجهضت فيه أية فرصة لنجاح المحاولات الأوروبية لحل المشكلة سلمياً يشير ذلك التعارض الأوروبى- الأمريكى الأساسى إلى هدف الولايات المتحدة الرئيسى والرامى لفرض هيمنتها وسيطرتها المؤكدة على تلك المنطقة الهامة والحساسة .. وهو الأمر الهام لها حتى على المستقبل المنظور فى مواجهة المارد الأوروبى المتحد الوشيك الولادة.. غير أن أوروبا أمسكت الأمور من الوسط فكما تمنت وعملت على حل المشكلة سياسياً.. فقد رمت بثقلها العسكرى حال بدء المعارك وحتى لا تترك الساحة كلها لأمريكا.

★ **الإتحاد السوفيتي :** كان فى موقف صعب ومأزق حرج - والأحوال الداخلية كانت مضطربة غير مستقره وكان على موسكو أن تختاربين دعم حليفها التقليدى العراق.. أو موالاة الغرب بهدف المساعدات المرجوة لمواجهة كارثته الأقتصادية.. وأختارت موسكو الغرب رغم محاولاتها السياسية - كان الهدف السوفيتى من موقفهم يرمى أساساً إلى ضمان المساعدة الأمريكية.. ولم يحترم السوفيت مدى رغبة الولايات المتحدة الجدية فى المساعدة الفعلية لإصلاح الأقتصاد السوفيتى كدولة متماسكة قوية رائدة.. الأمر الذى لم يطرأ على خاطر أى مسئول أمريكى (١) بالقطع .. ومع ذلك فقد بذل الإتحاد السوفيتى بعض الجهود الدبلوماسية لمحاولة تحديد الأهداف الأمريكية فطالبت مثلاً برفع أعلام مجلس الأمن لقوات الحصار البحرى كشرط لمشاركتها الفعلية فى حصار العراق.. وشاركت أيضاً بجهودها الدبلوماسية والتى مثلها بريماكوف مع الزعامة العراقية ببغداد.. وفى تلك الإجتماعات وضحت الأهداف الأمريكية غاية الوضوح فعندما . نجح بريماكوف فى الحصول على موافقه العراق بشأن سحب قواته من الكويت شريطه المحافظة على تلك القوات وسلامتها وطلب الرئيس العراقى تأمين ذلك المطلب من الحكومة الروسية..

(١) قال ريتشارد يتكون فى كتابه. « إنتهزوا الفرصة»: « يجب علينا أن نعرف متى مثل هذه المساعدة ستساعد ومتى ستضر - وتحت زعامة جوربا تشوف فإن المساعده الغربية للحكومة السابقة كان من شأنها أن تعرقل ولا تدعم عملية الإصلاح » .. ص ١٣٧ .

ترجمة حاتم غانم

ولم تتعهد روسيا لعملها بحقيقه الدوافع الأمريكية .. ورفضت أمريكا هذا الطلب جهازة.. وهكذا ركزت السياسة السوفيتية جهودها آخر الأمر في هدف أساس وهو وضع جدول زمني لضمان مغادرة ٥١٧٤ خبيراً سوفيتياً من العراق.

★ **القيادة العراقية** : لم تكن كل تلك الحقائق الملموسة بدون معنى للقيادة العراقية وحتى بفرض أسوأ الفروض قد يكون من الأسقاط عدم الإدراك للقيادة العراقية بمغزى وهدف كل هذه المواقف والتطورات السريعة.. فالمدهش أن المواقف على تطورها وتواليها كان يشير إلى نية أمريكا في ضرب العراق.. والقيادة العراقية كانت تشعر بذلك فهي المستهدفة أولاً وأخيراً.. وكل إنجازاتها ومستقبلها تراه معلقاً بخيوط مؤامرة مكتملة الأركان.. واضحة الأهداف.. لا ترم إلا ألى تحجيم العراق وتحديد تطلعاته.. والرئيس صدام كان ولا شك أول من يدرى ويدرك طبيعة الخطر المحيط به والمحيق ببلده وتاريخه وإنجازاته وهو أول من يعلم جيداً ويدرك بما.... يحيطه من اشواك ومستقبل غير مأمون لو تخلى عن أى من إنجازاته.. وصدام كان ايضاً أول فرد في ها العالم يتمنى أن تسير المسائل على طريق الحل الدبلوماسي وبما يحفظ عليه كل إنجازاته ومستقبله.. وهو أيضاً أول من يدرك خطورة قبوله بالأهداف الأمريكية الرامية إلى تحجيمة.. فالشيعة شرقاً.. واليهود غرباً.. هذا مع دقة الموقف الأقتصادي والعسكري الذي يعيشه العراق.

بل إن للموقف زاويته الأخرى والتي قد تفسر الأهداف عند أطرافها.

إذا كانت كل تلك الأزمة بسبب عدة مليارات طالب بها العراق بعد حرية مع إيران مع إسقاط عدة مليارات أخرى فهل توقع شيوخ البترول وأمرائه تكلفه الحرب المقبلة مع العراق مقارنة بمطالب الشقيق العربي الجار والذي ضحى بفلذات كبدة وأبنائه من أجل أمنهم وسلامتهم؟!.. كان العراق يرجو عشرة مليارات من الدولارات كمساعدة أقتصادية له بعد إنهيار أقتصادياته.. وهو البلد الثري الغني.. فإذا بتكلفه الكويت. فقط- في حرب الخليج الثانية تربو على ٢٢ ملياراً من الدولارات.. غير حصة السعودية والإمارات وغيرها- وغير ما أصابها من دمار الأمر الذي يحسب بعشرات المليارات الأخرى .

بل هل جرؤ أحد هؤلاء الشيوخ على دراسة إحتمالات تلك الحرب ونتيجتها وأثر ذلك كله على مستقبلهم وأمنهم فى ظل التطرف الشيعى الذى يجتاح المنطقة والذى لمسه السعوديون من الحجاج الإيرانيين أكثر من مره؟!.

أشار السفير السعودى لدى الولايات المتحدة إلى أمله فى حل المسألة دبلوماسياً.. وكان رد الفعل الأمريكى عنيفاً وعصبياً وسريعاً.. فعلى الفور وفى نفس اليوم إلتف مسئولون رفيعوا المستوى من إدارة بوش حول السفير السعودى الأمير / بندرين سلطان وأدانوا وبشدة أى إتجاه لحل عربى أقليمى لمشكلة الخليج يشير إليه لقاء جدة.. وبعث الرئيس بوش برسالة عنيفة إلى الملك فهد.. كان ذلك فى الثالث من أغسطس عام ١٩٩١م - وكان مؤتمر جدة على وشك الإنعقاد.

وفى اليوم التالى ٤ أغسطس.. وفى أستجابة واضحة للضغط لإبتزازى الأمريكى أمر الملك فهد القوات السعودية بالتقدم الفورى إلى الحدود الكويتية!!..

وفى نفس اليوم ألغى مؤتمر جدة.. بأوامر أمريكية « فيما يبدو » .. ولاجهاض أى جهد عملى عربى لحل الأزمة بطريقة سليمة .

كانت هذه الشواهد أمام القيادة العراقية تشير وبصورة مؤكدة إلى الهدف الأمريكى فى جميع الأحوال والذى رمى إلى تدمير القوة العراقية والقضاء على مستقبل العراق وأهدافه كدولة رائدة عربية سواء أنسحب العراق من الكويت ليحاصر ويعزل ويضرب.. أو بقى فى الكويت.

فى ذلك الوقت والذى اتضحت فيه مواقف وأهداف الأطراف المتباينة إلى حد بعيد كانت فرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى ترى مصلحتها فى مخرج دبلوماسى للأزمة يسمح للعراق بأن يعيد الكويت لحاكمه ويحفظ ماء وجه العراق إلى حدما.. ومن ثم فقد طالبت فرنسا بفكرة عقد مؤتمر دولى للشرق الأوسط كحل دبلوماسى يكسر الجمود ويحد من التطلعات الأمريكية تجاه المنطقة البترولية العربية و السيطرة الكاملة عليها.. وكان مشروع القرار يتخلص فى موافقة العراق على الإنسحاب دون قيد أوشرط.. مع تقديم ضمانات دولية بعدم تعرض العراق وقواته

لايه هجمات.. وعلى الفور .. قابلت أمريكا هذا الإتجاه الفرنسى بمعارضة عاتية.. فى حين قوبل بالصمت المطبق فى العالم العربى!!.. ولا يمكن تفسير ردود لأفعال تلك إلا من جهة محافظتها على قوات العراق.. الأمر الذى يوضح حقيقة نوايا الأطراف العربية المتباينة نعم.. هكذ صراخة.

وعندما تأكدت النوايا الأمريكية بطريقة لا تقبل الشك كان خبر صغيراً طيرته وكالات الأبناء فى العالم بمثابة نقطة تحول فى الموقف الفرنسى خاصة والأوروبى عامة.. كان هذا الخبر هو أعتداء الجنود العراقيين على مقر السفير الفرنسى فى الكويت- وعلى الفور أعلن ميتران دعم القوة العسكرية فى الخليج وطرد الملحق العسكرى العراقى فى باريس وبدأت الآلة الأوروبية فى تحرك نشط متوازى مع النشاط الفرنسى وإتجاهاته ومن ثم عقد وزراء خارجية الدول الأوروبية إجتماعات ببروكسل وإتخذوا قرارات متماثلة للقرار الفرنسى. وهكذا.. كانت القوات الأوروبية فى مقدمة جيوش التحالف الأمريكى العالمى لضرب العراق وذلك حتى لا تضيع غنائم الحرب بعد أن ضاعت جهودها لدبلوماسية.. وحتى لا تنفرد أمريكا بالمنطقة فيما لو تخلفت أوروبا .

★ **الموقف الإيرانى :** منذ إشتعال الأزمة والموقف الإيران كان يشير بما لا يدع مجالاً لأى شك إلى دراية سياسية ودبلوماسية تستحق الأحترام.. فكم تمنت أعلامياً ودبلوماسياً عدم قيام الحرب.. وكم تمنت على أرض الواقع إنفجار الموقف فهى فرصة العمر للنيل من عدوها اللدود..

كان هناك إتفاق قد تم التوصل إليه بين العراق وإيران أثناء الأزمة يحتم الحصول للشيعة الإيرانيين على تصديق من قبل العراق لزيارة العتبات المقدسة فى كربلاء والنجف وغيرها.. وذلك فى إطار موافقة العراق على كل شروط إيران لوقف النزاع المسلح بينهما فى ضوء تطورات الخليج الأخيرة بعد غزو الكويت..

وفى ذروة الأزمة سياسياً طلبت إيران السماح للشيعة بزيارة الأماكن المقدسة وبدون تصديق.. ولم يكن أمام العراق إلا أن يوافق ومن ثم أصدرت القيادة العراقية

قرارها قبل الحرب بحوالى أسبوع بالسماح للحجاج الشيعة بزيارة العتبات المقدسة دون إنتظار لأى موافقة أو تصديق.. وتمت على الفور زيارات شيعية واسعة فى ذلك الوقت العصيب.. ولم يعرف هدف ذلك التحرك إلا عند إشتعال الحرب!!.

★★★

مع مرور الوقت تمكنت الإدارة الأمريكية من حشد قوات هائلة تبلغ حوالى ٣٥٠ ألفا من العسكريين معظمهم من القوات الأمريكية.. ثم أرتفعت المؤشرات بدرجة حادة حين أصرت القيادة العسكرية على قرار بتعبئة جزئية للأحتياطى الأمريكى.. ومع ذلك كله طلب الجنرال شوارتزكوف أن تنتقل الى قيادته الجيش الأمريكى السابع والمتمركز فى أوروبا والذى كان مكلفاً بمواجهة حلف « وارسو » فى زمن الحرب الباردة.. وكانت القيادة أمريكية خالصة [١].. ومن ثم تحددت الإهداف .. أمريكية خالصة.

ذلك الحشد الذى لم يسبق له نظير فى التاريخ قديمه وحديثه - ناهبك عن التسليح الحديث والرهيب والذى لم يستخدمه معظمه من قبل فهو نتاج أبحاث الفضاء وأبحاث العالم المتقدم كان لضرب العراق العربى وفى حين تقوقع العالم العربى لمشاهدة النتائج.. شارك بعضهم فى تلك القوات!!

كان الدور العربى والاسلامى فى كل تلك الأحداث وتلك التطورات على خطورتها هامشياً وإلى حد بعيد خاصة فى مراحلة الأخيرة :- بل ومن الملاحظ أن المواقف العربية كما رفعت ضرورة إنسحاب العراق فقط أسقطت جميعاً أسبابه.. ولم تنظر إلا إلى الحدث ذاته.. هذا كما أن بعض الدول العربية أختار وقفته مع الجانب البترولى السعودى والكويتى من منطلق المصلحة الذاتية القطرية..

---

(١) الأمر المثير حقاً أن الامير خالد بن سلطان قائد القوات العسكرية السعودية طالب بالقيادة العليا للقوات حيث أنه القائد العسكرى للبلد المضيف وحدثت أزمة « قيادية » سرعان ما تم حلها تم بها تخصيص القيادة للجنرال شوار تزاكوف إذا كانت العمليات العسكرية خارج السعودية، وللأمير خالد إذا كانت العمليات العسكرية داخل السعودية.. هكذا !!!.

وبما لمسته من تطور المواقف العالمية بشكل لا يسمح لها بالتصدى لتلك الموجة لعاتية- أما الجانب العربى الذى عارض الإتجاه الأمريكى فقد رفع شعار الدين والعروبة كمحور لفض خلافات الأشقاء ومن ثم كان لفظ ذلك التدخل الأمريكى السافر أمراً إيمانياً وأساسياً.

.. يمكن أذا القول أن الأزمة كانت متداولة على محورين عربى - وعالمى .. إسلامى وأمريكى .

وبينما كانت معظم الدول العربية فى حالة تعارض حيث رأى بعضهم الأمر من منظار قطرى- وآخرون كانت نظرتهم فوق قطريه - كانت النظرة العالمية متوحدة النظرة إلى حد بعيد.. وواضحة الهدف خاصة بعد نجاح أخراج سيناريو الأحداث بشكل أعلامى أكثر من جيد.. بل أن الرئيس الأمريكى أعلنها واضحة وسافرة قبل شهرين ونصف من أندلاع المعارك حيث صرح فى مؤتمر صحفى فى ٢ نوفمبر ١٩٩٠م فقال إنه « يسعى إلى إزالة خطر القوة العراقية من المنطقة أساساً. وأنه فضلاً عن القوة العسكرية التقليدية فإنه يريد تصفية الإمكانيات الكيماوية والبيولوچية والنووية.. وأن هذا الهدف لن تتغير حتى إذا قرر صدام حسين أن يسحب قواته من الكويت ».

أهم ما فى الأمر حقاً أن الموقف الأمريكى رغم هيمنته الكامله على إخراج الأحداث منذ بداية الأزمة فقد أمتاز بدقة التخطيط والتى تستحق الإشادة دون شك.. فرغم الهدف الثابت الأمريكى من تدمير قوة العراق الناشئة فقد سارت السياسة الأمريكية فى خطين متوازين حيث رمت إلى تجميع قوى العالم تحت قيادتها لتزيد من شرعية أخراج الأحداث.. كما أنها لم تغفل عن الخط الدبلوماسى والذى نجح بشكل كامل فى تطويع مجلس الأمن ومن ثم كان إصدار القرارات تباعاً وبشكل غير مسبوق وبسرعة غير عاديه وبهدف إظهار العراق وكأنها بؤرة مفاسد من مصلحة العالم كله التخلص من حيويتها!!..

وللحقيقة فقد كان للإعلام العربى دوره الهام فى التشويش على هذا الهدف المعلن والواضح.. وهكذا أنقسم العرب فى تصورهم للأحداث المقبلة والتى سوف تؤثر

تأثيراً مباشراً على أمنهم وسلامتهم ومستقبلهم وذلك حين ترك الجميع القرار والفصل بيد غيرهم..

وهكذا.. وفى فجر يوم الخميس ١٧ من يناير ١٩٩١م أشتعلت السماء.. وأنفجرت الأرض.. وأخترقت سماء العرب آلاف الطائرات الأمريكية وإنهالت بالصواريخ على بغداد.. دار السلام.. .. .. وقامت الحرب.

★★★

عند حدوث أزمة قد تتشكل مواقف الأطراف المتباينة حسب الزمان والمكان والظروف.. غير أن الإطار الأساسى للمواقف يجب أن تحدده فى الحقيقة الإطار النفس والعقائدى للدول المتصارعة.

أن أول ما يجب أن يتحلى به المسلم فى صراعه أن يلتزم بقوانين الصراع فى إطار عقيدته والتى تلزمه بعدم التعاون مع أعداء الإسلام وألا يتخذ بطانة أو عوناً وسندا من دون المؤمنين.

فيقول عز من قائل : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ .

.. هذا.. وقد أخرج بن جرير من طريق سعيد أو عكرمة بن أبن عباس قال :

كاج الحجاج بن عمرو وكعب بن الأشرف وأبن أبى الحقيق وقيس بن زيد من اليهود قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم.. فأبوا.. فأنزل الله فيهم الآية الكريمة .

هذا.. وعندما حاول بعض شيوخ السعودية أعتراض دخول مشروبات روحية للقوات الغير مسلمة قبل أحتفالات عيد الشكر وعيد الميلاد وعيد رأس السنة راح الجنرال شوارتزاكوف يشكو لكل من قابله وتطاول حتى إلى درجة توجية الإنذارات للمسئولين.. وتكرر نفس الشئ حينما جرى حجز مائة ألف نسخة من الإنجيل بحجة أن دخولها إلى السعودية يمكن أن يؤثر على مشاعر المسلمين.. وقد أفرج عنها فيما بعد!!.

تلك مبادئ الإسلام وأساسياته .. وتلك مواقف المسلمين .

وكان لا بد من تأويل تلك الأساسيات.. الأمر الذى يفسر الحملة الإعلامية القوية آنذاك.

الشيئ المحزن أن توالى المواقف وتدهورها إلى ذلك الوقت من التهديد بضرب ليبيا من تلك القوات لم يقابله أى تحليل بعد. !!

الفصل الثانى

الإنفجــار... والهدف الأمـريكى الثابــت

الفصل الثانى

الإنفجار... والهدف الأمريكى الثابت

كان الأتدار العالمى للعراق للإنسحاب من الكويت قد تحدد باليوم ١٥ من يناير ١٩٩١م.. غير أن الحرب الحتمية كانت لها حدودها الإستراتيچية فى تلك المنطقة الهامة.. فالعراق القوى المتماسك حتمى لمواجهة المد الشيعى من إيران وما تمثله من خطر على الهيمنة الإستراتيچية الأقتصادية الأمريكية لمنطقة الخليج العربى.. غير أن ذلك لا يجب أن يعنى - من ناحية الإستراتيچية الأمريكية - أى أستغلال لتلك الميزة من القيادة العراقية وطرق أبواب النادى النووى من ثم.. مما زاد من مخاوف الغرب إحتمالية أن تحدد القوة والقدرة العراقية النووية الناشئة التطلعات الأساسية لإسرائيل فى المنطقة لو تم لها الإستمرار والنمو.

من ناحية أخرى- فإن قيام الحرب. سوف يبعث الحياة والنشاط فى الاقتصاد الأمريكى خاصة بعد أن لاح فى الأفق إنهيار الإتحاد السوفيتى وتسليم الجميع بالهيمنة الأمريكية.

من ناحية ثالثة فإن القوة الأوروبية الوشيكة الولادة والمرشحة لإعادة الإتزان العالمى فى مواجهة الهيمنة الأمريكية وهى وإن امتازت أقتصادياً على أمريكا .. فإن للولايات المتحدة الهيمنة عسكرياً.. هذا كما أن أمريكا يمكنها معادلة تلك القوة أقتصادياً بهيمنتها المطلقة على منابع البترول خاصة وأن أوروبا مستوردة للبترول الأمر الذى يحتم - من وجهة النظر الأمريكية - السيطرة السياسية والإنتاجية الفعلية على كنز البترول العربى.. الإستراتيچى.

.. كانت الحرب إذاً قدراً حتمياً .

لهذه الأسباب جميعها.. ولغيرها.. تعارضت المواقف الأساسية للأطراف المختلفة وقت مناولة الأزمة سياسياً .. واتحدت جميعها عندما أصبحت الحرب أمراً حتمياً ومقرراً أمريكيا وعلى حساب العراق .

غيب الإعلام المصرى كل تلك الثوابت والحقائق السياسية والعلمية.. ولكنها لم تغب على الجانب العراقى فهو فى مركز الصراع وهو المستهدف.. كما أن سياسته أثبتت منذ البداية إيجابية بغزوه الكويت فى محاولة إيجاد ورقه تفاوضية.. وعندما لمس العراق عدم فاعليتها سياسياً إراد أستغلال الموقف عسكرياً وهو أمر مفروض عليه بحكم الواقع..

عندما رمت القيادة العراقية بقوات ضخمة فى الكويت أرادت جرح الكبرياء الأمريكى وإجباره على خوض حرب برية بشكل أساسى لتحرير الأرض الأمر الذى لم يكن يعنى فى حقيقة الأمر إلا إلى محاوله تحييد التفوق التكنولوچى العالمى لقوات الطيران والصواريخ وأسلحة الإنذار والتكنولوچيا المتنوقة.. إلى آخره غير أن أمريكا لم تنزلق للمرمى العراق وحدث ما أثار مخاوف القيادة العراقية فقد أعلنها بوش واضحة أنه « لن ينزلق إلى ما يرمى إليه العراق.. وأنه هو الذى سوف يحدد ميعاد وطريقه النزال» .

لعل تلك المناورات الإستراتيچية هى ما تفسر تأخير قيام وحدوث أيه عمليات حربية على الرغم من سرعة وضخامة تعبئة القوات العالمية.. فقدا أستغرقت هذه العملية خمسة أشهر ونصف كاملة.

كان تكدس القوات الأمريكية العالمية فى السعودية مع ذلك السلاح الرهيب أمراً لا يرمى إلا إلى تأكد الطرف العالمى من نصر واضح على العراق الوحيد. كما أنه أشار واكد بمرور الوقت وتعاظم تلك القوى إلى حتمية وقوع الحرب ونشوب الصراع .. الهدف الأمريكى الثابت.

ثم كانت هناك حادثة يجدر الإشارة لأهميتها فرغم الجهود الدبلوماسية التى كانت تقوم بها أمريكا على مستوى المحافل الدولية، ورغم الإنضباط المشهور عن القادة العسكريين فقد خرج قائد سلاح الطيران الأمريكى على العالم كله بحديث خطير أدلى فيه بتصريحات خطيرة .. فبعد أن أستعرض القائد الأمريكى القوات الأمريكية فى منطقة الخليج أكد على قيام الحرب، ثم نشر على العالم الدور الأساسى لقوة الطيران فى القضاء على صدام فى الحرب المقبلة الحتمية!!..

كان حديث القائد العسكرى يتناقض بصورة تامة مع ما يردده السياسيون الأمريكيون على الساحة الدولة بدءً من الرئيس الأمريكى إلى وزير الدفاع .. إلى وزير الخارجية.. غير أن الأهم من ذلك كان رد الفعل الرسمى العصبى إلى الحد الذى أعلنت القيادة الأمريكية عزلها لذلك القائد « الباحث عن الشهرة » .. فى وقت دقيق حساس .. الأمر الذى يحمل أكثر من معنى هام عند تحليله.

الأمر الأعجب أن الجنرال شوارتزكوف قائد القوات الأمريكية والمكلف بتنفيذ عملية درع الصحراء كان يدلى بحديث فى التليفزيون الأمريكى أكد فيه المعنى العام للقائد المرفوت ولكن بأسلوب اخر وقبيل ساعات قليلة من التخلص منه دون أن يعلم طبعاً رد الفعل تجاه قائد السلاح للطيران الأمريكى .

وإذا ما تذكر الجميع الحديث الصريح للرئيس بوش فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٩٠م (١) والذى صرح فيه بحتمية ضرب العراق والتخلص من قوته الناشئة تحت أى ظرف لتأكد للجميع الإصرار المسبق الأمريكى لضرب العراق تحت أى ظرف - فالهدف إستراتيجى من وجهة النظر الأمريكية ولا بد من تحقيقه - والأمر من ثم لا يحتمل مناقشته أعلامياً حتى لا يستفيد العسكريون العراقيون.. والسياسة العراقية.

كان محور الحديث بين القادة والمحللين يتبلور فى أن أجبار القوات العراقية على الإنسحاب من الكويت لن يتأتى بمعركة برية على أرض الكويت الأمر الذى ربما كلف أمريكا وحلفاءها خسائر كبيرة.. وإذا فالخطة المثلى كانت تنحصر فى إستخدام قوات الطيران ذات التقنية العالية والصواريخ فى ضرب الأساسيات العسكرية من مراكز الدفاع الجوى العراقى.. والمطارات والطائرات الحربية لتحييد قوة الطيران العراقية.. وأيضاً مراكز الصواريخ المتوسطة المدى خاصة صواريخ سكود أرض - أرض.. وكذا مراكز الإتصالات والقيادة ومصانع الكيماويات والنوويات والذخيرة. وأيضاً مراكز الطاقة والطرق والسكك الحديدية والتسهيلات البترولية بإستثناء آبار البترول !!!.. هذا بالإضافة إلى أية أهداف أخرى ذات تأثير سيكولوچى عام.. هذا بالإضافة إلى القوات الرئيسية المؤثرة للجيش العراقى بالطبع.

(١) سبقت الإشارة إليه.

بداية فإن تلك الأحاديث لم تكن بأى حال خارج نطاق تحليل عميق للقيادة العراقية.. غير أن أهم وأظهر دلالات تلك الخطط العسكرية أنها عملية للغاية.. ومؤثرة لأبعد مدى على مسار ونتيجة العمليات الحربية ذاتها مع أنها لم تمس فى الصميم وبصورة أساسية القوات العراقية كأفراد ومعدات.. كان ما يجرى فى الحقيقة تحليل لصورة الحرب الحديثة فى مشارف القرن الحادى والعشرين.

كان الموقف العراقى القيادى مرناً للغاية عند وضوح الأهداف والتى أعلنها حتى الطرف الاخر بصورة أعلامية بل ومرنا ومنطقياً حتى مع شده الخطر المحيق وضيق الوقت.. ومن ثم فقبل أيام معدودة من إنتهاء مهلة الإنذار الأخير ١٥ يناير ١٩٩١م أمرت القيادة العراقية بسحب القوات العراقية الرئيسية ومعظم القوات المؤثرة من الكويت وبسرعة.

كانت الخطة العراقية المضادة ترمى إلى مواجهة مانما إلى علم القيادة المركزية العراقية من أن القوات الأمريكية والحليفة سوف تستثمر الآثار التدميرية الهائلة المفترضة لقواتها الجوية والصاروخية فى الدفع بقواتها المدرعة من عدة محاور وعبر عمليات إبرار جوى فى أختراق الأراض العراقية ومن ثم يمكن أحكام الحصار بالكامل على القوات العراقية فى الكويت والاجهاز عليها بعد إيقاعها بين فكى كماشه وحصارها.. ثم بعد ذلك يصبح الطريق إلى البصرة ثم بغداد مفتوحاً وممهداً للغزو الأمريكى العالمى.

إذا كان الأمر كذلك فلم لا تكون المواجهة على أرض البصرة.. المدينة العربية ذات الطبيعة الأستراتيچية والتى كانت منذ عهد الإسلام الأول مركز التجمع العربى الحربى.. وعليه فقد كان قرار القيادة العراقية بسرعة الإنسحاب.. وبدأت بالفعل عمليات إنسحاب واسعة وسريعة قبل الليلة الخامسة عشر من فبراير بأيام قليلة وتمت عملية سحب المعدات الإستراتيجية الثقيلة والفرق الرئيسية للجيش العراقى [1].

---

(١) كشف تقرير للجنة الخدمات المسلحة بمجلس النواب الأمريكى بعد الحرب بعام أن عدد القوات العراقية التى كانت فى الكويت وقت الهجوم لم يزد على ١٨٣ ألفاً.. وكانت وزارة الدفاع الأمريكية قد أصرت أثناء الأزمة وإلى أن وقعت الحرب البرية على أن عدد القوات العراقية فى الكويت يبلغ ٥٠٠ ألف جندى.

لم يتبق فى الكويت من قوات العراق عند وقوع الحرب سوى العناصر الشعبية التابعة للجيش العراقى وقوات الإستطلاع فى الخطوط الأمامية حيث صدرت الأوامر إلى قيادتها بتسليم أنفسهم إذا ما أضطروا إلى ذلك هذا عدا قوات لم يتم إنسحابها لضيق الوقت فقد فاقت قوى الجيش العراقى فى الكويت فى وقت ما ما يربو على الأربعمائة ألف مقاتل.. وكانت عملية الإنسحاب سريعة وفى مدة قصيرة الأمر الذى يشير إليها أمكانيات وتنظيم وقيادة الجيش العراقى الكفء.

لم تكن تلك العملية العراقية بعيدة عن أجهزة الأستطلاع والأقمار الصناعية التجسسية لقوات الحلفاء وطائراتهم والتى تسيدت الأجواء العراقية الكويتية.. لكن الأمر كان مثار دهشة ودراسة لقيادات الحلف الأمريكى ومن ثم راحت التفسيرات تذهب هنا وهناك .. وكان الرأى الغالب أن تلك التحركات ما هى إلا مناورات وتدريبات يقوم بها الجيش العراقى مع إعادة ترتيب القوات أستعداداً للمعركة المؤكدة..

★★★

فى تلك الأيام العصيبة ونظراً لتركيبة المجتمع العراقى الخاصة فإن القيادة العراقية أرسلت مندوبيها إلى أمام الشيعة الأكبر فى النجف المقدس آية الله الخوئى.. وطلبت القيادة من الإمام الأكبر الشيعى إصدار بيان فقهى يؤكد تلاحم الشيعة والسنة فى جيش العراق الواحد ويناشده تكتل القوى الوطنية العراقية على مختلفة إتجاهاتها وأحزابها فى مقابل قوى العالم المستهدفة سلامة العراق وأمنه وثروته ومستقبله.. والحت القيادة فى طلبها وبكل حرص.. وكان رد الإمام الخوئى هو الرفض القاطع.. وبدأت الهواجس.

وفجأة وبنهاية اليوم الخامس عشر من يناير كانت الفتاوى والندوات الدينية الشيعية تبث وتغطى كل انحاء العراق من إذاعات سرية فى العراق.. وخارجة وخاصة من إيران على وجه الخصوص تحض فيه أفراد الجيش من الشيعة على عدم الإلتزام بالأوامر العسكرية وتحثهم على الهرب من الجيش وعدم الإشتراك فى تلك

الحرب وبأى شكل.. كان لتلك الحوادث أثرها إلى حد ما فى تنظيم القوات المنسحبة وإنضباطها رغم كل الجهود.

كانت نهاية مدة الإنذار العالمى متوافقة أيضاً مع تعرض مصادر الإتصالات ومراكز السيطرة السلكية واللاسلكية لقيادة الجيش العراقى لشوشرة اليكترونية قوية أثرت كثيراً على تلك المراكز القيادية المركزية والميدانية للجيوش العراقية الأمر الذى أدى إلى أضطراب فى الأوامر والتحركات..

وفجأة.. وفى الثانية من صباح يوم الخميس الموافق ١٧ من يناير ١٩٩١م أندلعت حرب الخليجة الثانية لا يهم على الإطلاق تناول أحداث حرب الخليج الثانية تفصيلياً.. فليس ذلك من المستهدف.. فأهم ما يهمنا هو مناولة الأهداف الحقيقية لهذه الحرب- تلك الأهداف التى شكلت وطبعت تلك الحرب بطبيعة خاصة وشكل خاص.. ثم أن نتيجة الحرب كانت محسومة إلى حد ما فمقارنة بسيطة بين القوى المتصارعة وطبيعة الأسلحة عند الأطراف المتعارضة ونوعياتها توضح إحتمالات تلك الحرب وقدرة الأطراف إلى حد بعيد.

فى أول بيان أمريكى بعد بداية الحرب مباشرة أعلن الرئيس بوش : « أن القوات المتحالفة فى الخليج ستسحق الأسلحة النووية والكيماوية فى طريقها لتحرير الكويت.. كما أعلن أنه قد أمر القادة العسكريين بتحقيق النصر فى أسرع وقت ممكن.. وأعرب عن أمله فى ألا تستمر الحرب طويلاً؛ وأن يكون عدد الضحايا عند حدة الأدنى!!.. وقال الرئيس الأمريكى « النبيل جداً » :- إننا نتطلع إلى إقامة نظام عالمى جديد قائم على القانون.. وليس قانون الغاب!!.. وسوف ننجح فى ذلك.. وستكون لنا الفرصة فى العيش فى سلام!!.. كما أكد الرئيس أن الهدف هو تحرير الكويت.. وليس غزو العراق!! » ..

ومع ذلك التصريح الملزم من جانب الرئيس الأمريكى فإن إستراتيچية الحرب من قبل الحلفاء أستهدفت أول ما أستهدفت ضرب البنية الأساسية التحتية لذلك البطل الصامد.. وهم أمر أبعد ما يكون حتى من الناحية الإنسانية من القضاء على قواته

العسكرية.. بل والمدهش أن مجلس الأمن « الأمريكى » ما زال حتى وفتنا هذا فى فرض حصاره البرى والبحرى وحتى الجوى الأمر الذى يعد الأول من نوعه من الناحية الإنسانية وحتى القانونية..

***

بدأت الحرب بغارات مكثفة من قوات الحلفاء بلغت فى المتوسط أكثر من ٢٠٠٠ طلعة يومياً من أحدث وأقوى وأقدر طائرات العالم.. وأستمرت تلك الغارات على مدى أيام الحرب كلها.. وسقطت على القرى العراقية والمدن الآمنة ما قدر بقنبلة كل دقيقتين.. وأشترك فى هذه الغارات الفنية أحدث إنتاج حرب النجوم مثل طائرات ستيلت « الشبح ».. وطائرات أ ف ١٥٠ - لقاذفة المقاتلة وطائرات أ ف -١١١.. وأيضاً الطائرات القاذفة بعيد المدى ب ٥٢.. هذا كما غطت طائرات الأواكس كل الأجواء الكويتية العراقية - إضافة إلى طائرات الجاجوار الفرنسية.. والسكاى هوك.. وأيضاً طائرات البحرية الأمريكية.. هذا بالإضافة إلى طائرات السعودية والكويت وقطر[١].

كان أكثر هذا الأسطول الجوى المخيف مزوداً بالقنابل « سمارت » والقادرة على إصابة الهدف بدقة مهما كانت الأحوال الجوية [٢]- هذا كما شاركت الصواريخ الأمريكية من طراز توماهوك وصواريخ كروز من الغواصات فى ضرب المراكز الإستراتيجية وأماكن القيادة والتموين والمخازن وغيرها.. وكان للبوارج التى ملأت الخليج دورها الملحوظ والملموس فى كمية النيران التى صبتها قوى التحالف على العراق.. البطل الوحيد.. ومع ذلك أستمرت الحرب وكان مجمل الخسائر الدولية بعد أسبوع ٢٥ طائرة من الطائرات المغيرة[٣] .

---

(١) كانت طائرات الحلفاء حوالى ١٧٢٠ طائرة من مختلف الأنواع واحدتها وأقدرها مقابل ٨٠٠ طائرة للعراق وكانت طائرات الهليوكبتر حوالى ٤٠٠ طائرة مقابل ٣٠٠ للعراق.. وكان عدد طائرات الهليوكبتر المساندة لقوات التحالف يصل إلى ٨٠٠ طائرة مقابل ٢٥٠ للعراق.

(٢) أسقط على العراق ما بين ١٢٠ - ١٣٠ ألف طن من المتفجرات والقنابل فى ثلاثة وأربعين يوماً من القتال أى ما يعادل أكثرمن ٣ آلاف طن من المتفجرات الشديدة فى اليوم الواحد.

(٣) حسب أعتراف القيادة الأمريكية لقوات التحالف .

مع أن كمية النيران والمتفجرات التى ألقيت على العراق هائلة وبدرجة غير مسبوقة على مدى التأريخ الإنسانى كله فإن القوات العراقية كانت لا تزال فى أشتباك يستحق الإشادة.. وهللت الصواريخ العراقية سكودفضربت فى مختلف إتجاهات ميادين القتال.. حتى ناحية إسرائيل.. والتى لم تجرؤ على الدخول كطرف مباشر فى القتال لأسباب سياسية عديدة.

بعد أيام معدودة من الحرب الجوية أعلنت التقارير العسكرية الأمريكية « أن الأهداف العسكرية الإستراتيجية فى العراق قد جرى ضربها بطريقة مؤثرة. »!!.. وقد شملت تلك الأهداف- مطاردة القيادة السياسية .. شل تفكير القيادة العسكرية.. ضرب نظام القيادة والسيطرة والمواصلات.. والدفاع الجوى.. والمطارات والمنشآت النووية والبيولوجية والكيماوية.. والجزء الأكبر من منصات إطلاق صواريخ سكود ومواقع تخزينها.. هذا بالإضافة إلى الصناعات العسكرية.. هذا كله بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية الأساسية للعراق كمجتمع إنسانى.. كان الأمر كله عنيفاً وقاسياً وغير مسبوق حتى وصف أثنين من المؤرخين العسكريين والأمريكيين الحرب بأنها « عملية لا يمكن وصنعها إلا بأنها محاولة لتمزيق مجتمع بأسرة وليس مجرد قواته العسكرية »[1].

كان رد القيادة الأمريكية على ذلك الواقع الملموس من قبل المؤرخين العسكريين الأمريكيين أنفسهم يتخلص فى « أن أهداف ضرب العراق الجوى قد جرى توسيعها.. وهذا صحيح.. لكن التدمير لم يلحق بإبرياء.. فالشعب العراقى كله ليس بريئاً لسببين.. السبب الأول أن كثيرين من أفراده تحمسوا الغزو الكويت.. والسبب الثانى أن الشعب العراقى قابل بحكم صدام حسين.. ثم أضاف التقرير:. «إننا بحاجة إلى تعريف جيد لمعنى المدنيين الأبرياء».

ولا تعليق.. ولا لوم حتى على الجانب الأمريكى- بل اللوم كله على من سمح له بذلك كله لأخوة أشقاء ومسلمين مهما كانت الأسباب والدوافع.. يشير ذلك كله لمدى الإلتزام القانونى بالنسبة للجانب الأمريكى.

---

(١) وهما روبرت بيت وكارولين چيمكى.. ونشر هذا التقرير فى جريدة الواشطن بوست.

بينما الأمر على هذا المنوال.. ومع تحاشى الصدام البرى والحتمى واللازم لحسم المعركة فعلياً وإذا بالعالم كله يفاجأ بقوات عراقية مدرعة تقوم بهجوم خاطف على الخطوط الأمامية للقوات المتحالفة فى منطقة الخافجى.. وبشكل يرمى إلى سرعة إستعجال الحرب البرية الأمر الذى سوف يحد إلى حد ما من حرية الحركة للقوات الجوية الغربية المهيمنة.. ومع أن تلك القوة الخاصة قد تم القضاء عليها إلا أنها أشارت بصورة واضحة على قدرة القيادة العراقية والقوات الإسلامية وشده إيمانها ونظرتها العقائدية لتلك الحرب.. ومدى إستبسالها وأستخفافها بالموت.. وبصورة بطولية رائعة.

لم يجد العراق مفراً من إتخاذ خطوة مطروحة تقضى باشعال النار فى آبار البترول الكويتية وأيضاً سكب كميات كبيرة من البترول فى الخليج وأشعال النار فيه.. وذلك بهذف تعتيم الأهداف العراقية على القوات المهيمنة لقوى التحالف هذا من جهة.. ومن أخرى لهدف تحجيم أية محاولة لا تزال برى من القوات البحرية فى الكويت..

كانت أية دراسة لتطورات الحرب تشير إلى حزم قيادى عراقى وبطولة نادرة للجندى العراقى مع هذا الزخم العسكرى والتفوق المطلق لقوى التحالف الأمريكى.

قوبل ذلك التطرف - العسكرى- بإعلام موجه وطاغ هدف إلى إظهار الجانب العراقى كوحش بربرى لم يراع للحياه المائية ولا للصحة البيئية أى حق!!!.. وتناسى الأفاضل بربرية العالم أجمع ضد شعب واحد محاصر.. وخيانة الأخوة وضربهم الشقيق بأقوى تجمع عالمى تدميرى فى تاريخ البشرية!!!!

★★★

مع نهاية شهر يناير ١٩٩١م بدأ يتكشف الكثير من القيود لدى أطراف النزاع- فعلى الرغم من تمتع معسكر التحالف الغربى الدولى بتفوق كمى ونوعى فى معظم الأسلحة ومعدات القتال وكفاءة إصابة الأهداف إلا أنه لم يتمكن من ترجمة ذلك التفوق إلى إنتصار.. وفى المقابل فإن الطرف العربى الوحيد- العراق- واجه قيوداً وصعوبة فى مختلف المحاور كان له من المعانى والإشارات الشىء الكثير.. بصرف النظر عن نتيجة الحرب.. حتى وهى كل شئ.

من تلك القيود - على سبيل المثال - فإن العراق الذى هدف إلى إطالة فترة القتال لأكبر وقت مستطاع هدف إلى إحتمالية مواقف عربية وعالمية قد تكون مؤثرة علي المواقف عند بدء مباحثات السلام.. ومن ثم فقد أضطر إلى الأقتصاد المحسوب فى أستخدام الموارد المتاحة له.. حتى القتالية منها- هذا مع إستعداده الواضح لخوض غمار حرب برية قد يستطيع فيها أن يرد الكيل كيلين وأن يذيق العدو معنى الألم والجراح.. وذلك فى حد ذاته هدف إستراتيچى بالنسبة للعراق كان يرمى إليه فى محاولة يائسة لخلخلة الموقف السياسى الأمريكى والأوروبى وخلق قوة ضغط شعبية أمريكية لوقف القتال ومن ثم الوصول إلى إمكانية مالوقف القتال.. تلك الإستراتيچية التى فطن لها الجانب الأمريكى منذ البداية ومن ثم كانت الإستراتيچية العالمية متمركزة فى مقارعة القوات العراقية أساساً بقوات الطيران والصواريخ لأنهاكه وأستنزافه قدر المستطاع وتأجيل المعارك البرية إلى أقص حد.. وهكذا.. نجح العراق فى هدفه من إطالة الحرب.. وخاب أمله لتخلى أشقائه عنه العرب.. المسلمين!!

كذلك فقد كانت للجوانب الطبوغرافية لكل فريق أثره وبصمته على دبلوماسيته الحربية.. فقد كانت المناطق التى تمركزت فيها قوات التحالف فى مستوى منخفض عن تلك التى تمركزت فيها القوات العراقية.. علاوة على عدم خبرة الجانب الأمريكى بحرب الصحراء.. ومن ثم فقد آثرت القيادة الأمريكية لقوات الحلفاء تحاشى أية عمليات أرضية إلى أقص حد وأعتمادها الرئيسى على فعالية القذف الجوى- الأمر الذى إنهك القوات العراقية إلى حد ما نظراً لدقة التكنولوچيا وعلو كعبها هذا من ناحية.

ومن جهة أخرى فإن هذا التفوق الكمى والنسبى التكنولوچى والعسكرى لقوات التحالف لم تمثل ميزة على مختلف القطاعات والأزمنة ويرجع ذلك إلى أن عدداً لا بأس منه كان يختبر ولأول مرة عالمياً وفعلياً.. هذا كما أن هذا الكم الهائل لتلك الأسلحة وتعددها شكل عدداً من المشاكل بشأن تطويعها لأهدافها.. والتعاون فيما بينها.. خاصة من ناحية التعاون العملى وللصيانة فى جو الصحراء المترب..

كذلك فقد كان للتفوق الطيرانى العالمى وسيادته على أجواء المعركة منذ اللحظة

الأولى للقتال أثره فى خروج سلاح الجو العراقى من المعركة مبكراً.. ثم أن القيادة العراقية رأت تهريب اعداداً لا بأس منها إلى ايران.. غريم الأمس.. واليوم وغداً - الأمر الذى أثر على قدرة العراق فى الحرب إلى مدى أبعد.

كذلك.. فقد اتسع ميدان ومسرح العمليات العسكرية حتى أنه سرعان ما انتقل إلى جميع المناطق الاستراتيجية وكل شبر فى العراق والكويت الأمر الذى أجبر العراق على تقسيم قواته أساساً ما بين مسرح العمليات فى الكويت والمنطقة الجنوبية ما بين بغداد والبصرة وحول العاصمة بغداد ومناطق الحدود التركية العراقية.. وأيضاً حول المنطقة الشرقية الايرانية كل حسب الأهمية الاستراتيجية وتبعاً لتطورات الموقف.

كذلك فان إطالة فترة الحرب ورغمم آثارها الجانبية على قوات التحالف الجوى فقد كان تأثيرها على الميزان الاقتصادى العراقى أشد وأوضح دون شك الأمر الذى انطبع بالضرورة على المجهود الحربى.. هذا فى الوقت الذى كانت الموارد الاقتصادية لقوات الحلفاء وخسائرها هائلة ومتجددة ونشطة دائماً.. بعد عدة أسابيع من القتال أثر الأمر على الامداد والمواد التموينية ليس فقط على جبهات القتال بل ايضاً على المستوى الشعبى.

أهم ما فى الأمر حقاً استراتيجياً وعلى أرض الواقع فإن المنطلق العقائدى والسياسى لدى العراق كان قويا وموجهاً دونما اعتبار لمدى الخسائر الأمر الذى يشير إلى طبيعة المقاتل العراقى.. وهو الأمر ذاته الذى كانت تتحسبه وتخشاه قوات التحالف الأمريكى.. فتدمير العراق وهم تبينته والقضاء التام على قواته المسلمة كان يمثل على أرض الواقع إخلالاً للتوازن الدقيق فى المنطقة الأمر الذى يرفع يد الشيعة فى المنطقة ولابد وهو الخطر الأكبر فى المستقبل المنظور لو سقطت الهيمنة السنية الحاكمة.. وتزداد تلك الخطورة عند احترام الهيمنة والأغلبية الشيعية السكانية فى تلك المنطقة الغنية بالبترول.

رغم كل تلك الموازيين الدقيقة فإن قوة الطيران والصواريخ الأمريكية والدولية كانت من الضخامة والقوة والدقة فى اصابة أهدافها حتى أنه بدا أن الأمر لم يعد

سوى عامل وقت حتى تظهر نتائج تلك الهيمنة.. الأمر الذى تأخر كثيراً حيث أدى عنف القتال إلى وضع العراق كله - شعباً وجيشا وقيادة - فى ركن واحد ومستقبل واحد بحكم تأثير وضرورة البقاء والخوف.. رغم خصوصية العراق وتباينه عقائديا.. وحتى وطنيا وقوميا..

المثير للغضب حقاً هو تصوير تلك المأساة بكل فخر من جانب قوى التحالف الغربى.. الغير مسلم.. ودون أى أعتبار للمأساة الإنسانية الواقعة..(١).

رغم ذلك كله فإن القوات البرية العراقية الخاصة من فرق الحرس الجمهورى العراقى ورغم الغارات المكيفة عليها لم تزل متماسكة حتى قبل قيام الحرب البرية.. ومعنى ذلك أن الجيش العراقى كان قادراً على خوض معركة برية قد تكون مؤثرة إلى حدما..

★★★

منذ المنتصف من فبراير ١٩٩١م ضغط الجيش السوفيتى على القائد ورئيس الإتحاد السوڤيتى - آنذاك- جوربا تشوف لحل المسألة دبلوماسياً بغية المحافظة على الهيكل العام للقوى العراقية ومن ثم قام بريما كوف ببعثته المكوكية إلى بغداد.. وكانت الصورة العامة التى حددها المبعوث السوڤيتى تتخلص فى إنسحاب فورى من جانب العراق مقابل تعهد أمريكى بالإمتناع عن ضرب القوات العراقية أثناء إنساحبها من الكويت- ودارت المفاوضات أساساً حول مدى جدية التعهدات الإمريكية بعدم ضرب القوات العراقية بعد إنسحابها.

وفى اليوم ٢١ من فبراير أعلن بوش « أنه يعطى العراق مهلة ٤٨ ساعة ليبدأ إنسحابه من الكويت دون شروط..(٢) وقال الرئيس الامريكى أنه فى حالة عدم

---

(١) تحوطت القيادة الأمريكية لتلك النقطة الإنسانية ومن ثم كانت هيمنتها على وسائل الإعلام ولم تسمح لأى صحفى أن يتواجد فى ميادين القتال دون اذن.. وهكذا فإن وسائل الإعلام لم تجد مصادر للحوادث والمعارك إلا من خلال المؤتمرات الصحفية والرسمية من مركز القيادة فى الظهران فى المنطقة الشرقية السعودية. تناقص له معانيه .

(٢) ويعنى ذلك دون أى تعهد أمريكى بعدم التعرض للقوات العرقية المنسحبة.. الأمر الذى يوضح حقيقة النواية الأمريكية.

إنسحاب القوات العراقية بحلول ظهر اليوم ٢٣ من فبراير فإنه سوف يأمر ببدء الهجوم البرى».

فى ذلك الوقت العصيب ذكر مراسل شبكه التليفزيون الأمريكية. CNN فى الأمم المتحدة نقلاً عن مصادرة « أن الإتحاد السوڤيتى أبلغ مجلس الأمن رسمياً أثناء إجتماعه أن طارق عزيز وزير الخارجية العراقى قد أستجاب لدعوة الولايات المتحدة الأمريكية - أو إنذارها- وعليه فقد إجتمع مجلس الأمن قبل ٩٠ دقيقة من إنتهاء المهلة الأمريكية.. وبناء على طلب قدمه مندوب الإتحاد السوڤيتى بالمجلس.

وكان رد الرئيس بوش على كل تلك الإشارات أنه « لا يعتبر الرد العراقى كافياً - وأن المهلة التى أعطاها للإنسحاب قد إنتهت وأنه قد أصدر أمره فعلاً بالهجوم البرى!!».

توافق ذلك كله مع تعاظم الغارات الأمريكية على قوات العراق الخلفية خاصة فى منطقة البصرة ولمدة يومين قبل تلك الساعة الحاسمة فى مسار الحرب حتى أن ٦٠٪ من سكان تلك المدينة الباسلة التاريخية أثر الفرار وبصورة عامة فإن الغارات العنيفة المتتالية لمدة قاربت على الأربعين يوماً كانت قد إنهكت إلى حد ما قوات العراق ومن ثم فإن تقدم القوات الدولية فى الكويت كان سريعاً.. وكان هناك تقدماً أخطر داخل الأرض العراقية الصحراوية غرب الكويت فى محاولة لحصر القوات العراقية.. ولم يكن هناك بد من الإنسحاب العراقى.. وهكذا أمر صدام قواته بالإنسحاب الشامل من الكويت فى ٢٦ /٢ / ١٩٩١م.. ولتغطية تلك العملية أمرت القيادة العراقية بحرق ما يمكن من آبار الكويت الأمر الذى قد يتيح لتلك القوات غطاء جوياً بدخانها الهائل المتصاعد.. والمنطق يقر دون شك أن من جرؤ على التخطيط لكل ذلك فإن عليه أن يكون مستعداً لدفع الثمن.

كانت تلك الفترة أقصى مراحل الحرب حيث أشتدت ضربات القوات الجوية للحلفاء مع سرعة تقدم قوات التحالف الأمريكى حتى وصلت تلك القوات لنهر الفرات ثم إتجهت للبصرة.. وقامت بمحاولة تطويق قوات الحرس الجمهورى المتماسكة.. وفى تلك المنطقة الإستراتيچية والتى تمثل مفتاح الطريق إلى بغداد قامت قوات الحرس

الجمهورى رغم الصعوبات القيادية والإمدادية بحرب بطولية مشرفة رغم إنها غير متكافئة..

كانت تلك الفترة عصيبة على مستقبل العراق.

كانت تلك الحرب البرية قد أطلق عليها رمزاً « المجد للعذراء » - الأمر الذى تحاشته تماماً وسائل الإعلام العربية للبلدان التى آزرت دول الخليج وأمريكا ولم تكلف القيادة الأمريكية نفسها حتى بمشاعر مؤازريها من العرب والمسلمين.. وفى سبيل إتمام تلك العملية لم تتورع فرق المهندسين التابعة للتحالف الغربى فى طريق إندفاعها السريع عن ردم المواقع العراقية الأمامية بالكامل على من فيها من المسلمين المدافعين. .وهكذا روت بعض تقارير الحرب عن دفن مئات من العراقيين إحياء فى مواقع دفاعهم..

كانت التطورات العملية لسير القتال يشير عند تحليلها حتى على المستوى الأدنى إلى البون الشاسع لما أعلنته القيادة الأمريكية من أهدافه لحربها.. وبين النيات والأهداف الحقيقة لتلك الحرب الخبيثة.

مع تداعيات المواقف وتدهورة السريع رأت القيادة العراقية إدارة المعركة بطريقة أخرى.. ومن ثم فقد أسرعت بإعلانها عن موافقتها وقف إطلاق النار فى صباح الخميس الموافق ٢٨ / ٢ / ١٩٩١م..

رغم ذلك فقد أندلعت معارك حتمية وعنيفة نظراً لتداخل قوات الدول مع قوات العراق.. وكانت أشرس تلك المعارك غربى البصرة حيث أشتبكت قوات الحرس الجمهورى مع القوات الأمريكية المدرعة المتقدمة فى معركة شرسة عنيفة تكبدت فيها القوات الأمريكية خسائر ملموسة وأجبرت الطرف الأمريكى على الأعتراف بقوة وشراسة المقاتل العراقى البطل.. والوحيد [١].

عند مفصل الحوادث الحاد والصعب على القيادة العراقية حدث ما كانت تتخوف منه فقد فوجئ الجميع بعمليات تخريبية شاسعة فى قطاع البصرة.. وفى مدينتى

---

(١) عندما نشرت جريدة لوس إنجلوس تايمز نبأ فقد ٥٠ مدرعة أمريكية فى أحد المناوشات مع العراق قامت السلطات العسكرية بطرد دوجلاس چيل مراسل الصحيفة العسكرى فى الخليج .. رغم أن التقرير الذى أرسله كان مصدقاً عليه من الرقابة!!.

النجف وكربلاء المقدستين عند الشيعة وكانت هذك بعض من قوات الحرس الشعبى الإيرانى والتى وصلت إلى المنطقة وكذلك بعض الأقطاب من أحزاب الشيعة المعارضة ومليشياتها وإنفجرت المنطقة وسط جو إرهابى وتخريبى متعمد حتى أنها سيطرت بالفعل على بعض تلك المناطق.. وقامت بإعدامات عديدة علنية للمسئولين العراقيين من حزب البعث.. والأمر من ذلك أن تلك الإنتفاضة الشيعية تلازمت مع إنتفاضة كردية بشمال البلاد!!.

وصل الأمر فى وقت من الأوقات إلى عدم السيطرة القيادية فى بغداد إلا على منطقة بغداد.. ووسط البلاد.. والطريق البرى المؤدى بها الأردن.

عند تلك المرحلة أتصل الرئيس بوش بالجنرال شوارتزكوف يستفسر عن مدى خسارة وتدمير فعالية الجيش العراقى.. ورد شوارتزكوف بقوله إن الهدف قد تحقق بالكامل.. ومن ثم أصدر الرئيس الأمريكى قراره بوقف العمليات فى العراق يوم ٢٨ فبراير ١٩٩١م..

كانت العراق آنذاك ملحمة دموية وتخريبية وإنسانية فاقت حتى أسوأ الفروض وأقص الإحتمالات تأرجح معنى الطرف الأمريكى من قبوله بايقاف إطلاق النار بين عاملين.. نسبة ما نجح فيه من تدمير الآلية الحربية للعراق.. وبين ما كان ينتظره من خسائر محتملة فى حالة نقل الحرب إلى داخل العراق.. وحتى من الناحية السياسية بعد أن بدأ العالم يشعر أن أنسحاب العراق من الكويت قد أصبح أمراً واقعاً..

من زاوية أخرى فإن السياسة العالمية والأمريكية بوجه خاص كانت تعى تمام الوعى أن القضاء على القوات العراقية بشكل تمام يحمل فى مضمونه أشد المخاطر على أمن المنطقة وثرواتها.. وحتى الإطماع الأمريكية فيها.. وهو الهدف الأسمى والأستراتيجى لأمريكا..[1] وبمراعاة تلك الموازنات الدقيقة فإن غاية الهدف

---

(١) أكد تلك الحقيقة تصريح وزير الخارجية السوفيتية حيث صرح بأنه « لا يمكن الإعتماد على أى نظام أمنى فى المنطقة لا يكون للعراق فيه دور هام » .

الأمريكى فى تلك المرحلة كانت تنحصر فى ثورة على نظام صدام من داخل حرب البعث حتى تأتى قيادة عراقية يمكن تطويعها الأمر الذى يستدعى ويستلزم التخلص من رمز القيادة الحالية وهو صدام حسين[1]. غير أن ما استرعى الإنتباه.. ومنذ بداية المعارك تصريحات أخرى تخص المشكلة الفلسطينية !!!

★★★

تناسبت تلك الأحداث مع تصريحات متعددة من جانب أقطاب التجمع الدولى بأن المشكلة الفلسطينية هى المسألة الأساسية والتى يجب حلها وبأسرع ما يمكن عقب أستقرار الموقف على الجبهة العراقية..

كانت نظرة الأقطاب المهيمنة نظرة شاملة للمنطقة العربية.. ومع ذلك فالمدهش فى الأمر حقيقة هو كيفية نجاح ذلك الطرف وإذيالة من العرب فى ربط المشكلة الفلسطينية بنمو وتعاظم القوة والعراقية وإظهار الأمر إعلامياً وكأن المدخل لحل المشكلة الفلسطينية ينحصر ويبدأ فى القضاء على قوة العراق.. العربية!!

إن الحقيقة الواجب الإشارة إليه هو أن القوة العراقية كانت عملياً ونظرياً عاملاً مؤثراً ولا شك فى قضية العرب والإسلام الأولى، قضية القدس وفلسطين.. ولعل العالم الغربى رأى ضرورة ضرب العراق والقضاء على قوته حتى يتسنى لهم الحل كما يرونه.. هذا إذا سمحت إسرائيل بذلك.. فإذا لم تسمح فلها مطلق الحرية واليد الطولى فى المنطقة بعد ضرب العراق».

★★★

كانت الأحداث التي تلت وقف إطلاق النار مباشرة تشير إلي أهمية دور العراق الإستراتيجى فى منطقة الخليج والذى أثبت الموقف الأمريكى إحترامه لها.. بغض

(١) ولقد ذكرها الرئيس بوش صراحة فى ١٥ فبراير ١٩٩١م حيث قال ما نصه: « إن على العسكريين العراقيين وعلى الشعب العراقى أن يأخذوا الأمور فى أيديهم الآن وأن يرغموا صدام حسين على أن يختفى.. أننا لسنا طرفاً فى نزاع مع الشعب العراقى وإنما خلافنا مع الدكتاتور العراقى فقط !! .

النظر عن الإسقاط السعودى[1] وتخوفها منه.. رأت القيادة العراقية وفور وقف إطلاق النار ضرورة التصدى للثورة الشيعية فى الجنوب.. والكردية فى الشمال ومن ثم فقد سارعت القوات العراقية فى بغداد.. والقوات العراقية المبعثرة فى منطقة البصرة نحو منطقة الإضطرابات حيث فوجئت تلك القوى ببعض عناصر الميليشيات الإيرانية الشعبية من حراس الثورة الإيرانية وقد هيمنوا على مناطق الجنوب خاصة مناطق الزيارات المقدسة فى نجف وكربلاء والبصرة وما حولها من قرى.. وكانت نيران الفتنة على أشدها حيث استبيحت مخازن الجيش العراقى وجرى فى تلك المنطقة من الفظائع ما يصعب على الوصف خاصة ضد أى مسئول حكومى.. أو حتى شعبى سنى.. وكانت القوات العراقية تحارب فى الحقيقة معركه وجودها وذاتها الأمر الذى أشعل فى القيادة وأفراد الجيش كل جهد وروح وتضحية ودخلت حرباً خاصة تمتاز بشده خسائرها وخطورتها وأستطاع الجيش العراقى أن يهزم قوات الجيش الإيرانى الشعبى ويذيقه طعم الألم والموت وعاد الجنوب العراقى للسيادة المركزية فى العراق.. ليس هذا فحسب بل لم تلتقط تلك القوات العراقية الباسلة انفاسها بل سارعت مرة أخرى إلى الشمال العراقى وأجهضت الثورة الكردية القومية وكانت قد بسطت نفوذها على الشمال العراقى وهلل لها الإعلام الغربى.. وأيضاً العربى للأسف.. وعادت العراق رغم كل تلك الصعاب مكتمله الأوصال مرة أخرى.

المتأمل والمحلل لتلك الأحداث وتواليها وطبيعتها يجزم بقدره العراق العسكرية والتى تأثرت بقسوة الأحداث دون شك.. ويجزم أيضاً بقدرة القيادة حتى فى ذلك الوقت العصيب وهى الرأس المفكر والعمود المحرك وسط تلك المصائب الكالحة.. كما أنها تشير وبصورة ملموسة ومحسوسة إلى نوعية المقاتل العربى العراقى الفذ..

---

(١) حدد أحد كبار المسئولين السعوديين أهداف بلاده من الحرب فقال: « ترغب المملكة فى أن يتم إعاقة القدرة العسكرية للعراق بشكل عنيف ودائم، أما السلطة الخارجية فلا تزعج السعوديين ما دامت تركيا قد انكرت أى مزاعم بشأن العراق.. وسوريا منغمسة فى لبنان.. وإيران ما زالت فى مرحلة إستشفاء من حربها مع العراق »..
وقد تضيف إلى ذلك كله وما دامت مصر قد خرجت من اللعبة بصلح كامب ديفيد .

والذى لا يصيبه الكلل ولا ينحز فى عزيمتة المصائب والعوائق حيث تحركه بواعثه الإسلامية والعقائدية « السنيه » وهى دائماً قوية ومتفجرة.. وتلك من خصوصيات البوابة الشرقية للأمة العربية حيث يستشعر فيها المرء بخطورة التنافضات المذهبية ويعيش حياته كلها متحفزاً متأهباً.. ومن ثم قوياً ومؤمناً.

من الطبيعى أن تكون كل تلك الشواهد محل تحليل فى نظر قيادات الغرب.. وهكذا سرعان ما رفعت أمريكا إتهاماتها وأدعاءتها للعراق بمسئوليته عن عمليات تخريب وقتل وتشويه واسعة النطاق فى الكويت والمناطق المحررة فى محاولة لتشويه أيه صورة حسنة للجيش العراقى وقيادته..

نظراً لخصوصية المنطقة وتعدد أقطابها سرعان ما تضاربت السياسات العالمية تجاهها وسقطت من ثم مصدقياتها.. ففى حين لم تندد القوات الأمريكية بدور القوات العراقية فى التصدى للقوات الإيرانية والثورة الشيعية فى الجنوب فقد بادرت وأدانت العراق بصورة أعلامية واسعة لموقفه من الثورة الكردية فى الشمال وسارعت بإرسال قوات دولية من تركيا للفصل بين القوات المتحاربة لحين التوصل إلى حل سلمى بشأن تلك المنازعات.. وعندما قامت الثورة الكردية فى تركيا وسالت الدماء أنهاراً ولا تزال لم تتحرك أمريكا ولم يحتج الغرب..

الشئ المؤلم حقيقة أن كل تلك الأحداث يثبت ويشير إلى تقدير السياسة الأمريكية لتوازن القوى الدقيق فى تلك المنطقة.. الأمر الذى غاب حتى عن مسئولى الإعلام المصريين!! أو حتى كان محل أسقاط على أحسن، الفروض. فإذا كان المنطلق للموقف الأمريكى هو مصالحهم البترولية فى منطقة الخليج عامه.. فما هو عذر قادة الإعلام تجاه المستقبل العربى والإسلامى.. والذات العربية تجاه حقيقة الأحداث؟!.

الأمر المحير حقاً هو معنى ومغزى الأحداث والمواقف للأطراف المختلفة.. فالأمور تشير إلى أن الأغراب يتفاعلون وهم على علم تام وكامل بحقائق وخصوصيات العراق ومنطقة الخليج تلك المنطقة الهامة والحساسة لأمن العالم العربى كله.. فى حين يظهر أصحاب القضية العرب أنفسهم.. وكأنهم على جهل مطبق بأسرارها

والأدهى والأنكى أن يندفع البعض من العرب ويشاركوا فى تنفيذ المخطط الغربى تجاه المنطقة فقط لمجرد مصلحة ذاتية وقطرية الأمر الذى لا يمكن إلا أن يدل على قصر نظر وجهل يصل إلى مستوى الخيانة.

كشف دوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانى عن نظرة الغرب ومفهومه لمسألة الأمن القومى العربى فقال : « إن هذه المنطقة تسبح فوق بحيرة من النفط وهى تشكل أهمية فائقة للأقتصادى الغربى لأنها تمد العالم الصناعى بما يحتاجه من نفط كمادة خام لازمة لتوليد الطاقة.. وقد كانت ومازالت لنا مصالح حيوية فى المنطقة.. وكنا في الماضِ نحقق هذه المصالح عن طريق التدخل العسكرى المباشر.. وهذا ماضينا لا تخجل منه أما فى الحاضر فإننا نستطيع أن نعتمد بطريقة أو بأخرى على عدد من دول المنطقة فى سبيل تحقيق هذه الأهداف.. ومن هنا يجب علينا أن لا نسمح بقيام أيه قوة تهدد هذه المصالح بأى طريق وبأى شكل من الأشكال. »

إن أدنى تحليل للحوادث وذلك الإعلان الغربى يثبت حقيقة ونوايا الغرب تجاه المنطقة العربية الإسلامية.. كما يثبت الواقع أن الإحتمال العسكرى الغربى لم يسقطه أصحابه على طول الزمان فى سبيل تنفيذه لاهدافه ومطامعه فى المنطقة العربية.. هذا فى الوقت الذى أستعان بهم طرف عربى فى ضرب طرف عربى آخر!!.

الأمر الواجب الإشارة إليه أيضاً أن الأمة التى لا ترى الأحداث ولا توجهها ذاتياً من خلال محور دينى وسياسى واقتصادى ذاتى ومتفق عليه هى أمة منهزمة داخلياً.. ومن الصعب أن يكتب لمسيرتها النجاح.. وسوف نضرب لذلك مثلاً :-

كان الدور السورى ومشاركته للقوات الأمريكية والدولية بقوات ثم نقلها إلى الخليج أمر يستعصى على الفهم والتقدير إلا لو علمنا حقيقة البواعث السياسية السورية لأقطابها العلوية الشيعية.. هذا مع إحتلال إسرائيل لمرتفعات الجولان وإنغماس سوريا فى مستنقع لبنان..

نفس الأمور بالنسبة للمحامى الديمقراطى الوطنى!! السيد/ زياد برى الوزير اللبنانى حيث صرح سيادته حال إنفجار الأزمة ورغم نضالة ضد إسرائيل فى الجنوب

اللبنانى فقد أعلن بوضوح لا ليس فيه أنه قد حدد موقعه الطبيعى من الأحداث.. أى أنه فى صفوف التحالف الديمقراطى الأمريكى الصهيونى لتدمير أمتنا العربية « السنية ».. وبهذا التصريح فإن القائد الشيعى وبموقفة هذا يكون قد فوت على العقل العربى وجبة دسمة كان يستحقها لو أنه - قبل السقوط - لم يكن قد أعلن فى أكثر من موقف بمعاداة ذلك التحالف للأمة العربية والإسلامية..

أما الشهادة الدامغة فتأتى هذه المرة من الجانب اليهودى.. ففى زيارة من زيارات وزير الخارجية الأمريكى چيمس بيكر للمنطقة تحدث إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلى معلقاً على الأحداث وجهود نظيره الأمريكى فقال:

« إن هناك فرصة تاريخية لم تتح منذ ٢٢ عاماً لإحلال السلام فى هذه المنطقة وذلك بعد إنتهاء حرب الخليج حيث أبدت الدولة العربية التى قاتلت ضمن جبهة التحالف ضد العراق أستعدادا للأعتراف بإسرائيل » أن السلام الذى يتحدث عنه شامير لا يعبر إلا عن مضمون ومفهوم وجهة النظر الإسرائيلية اليهودية للسلام ومعناه ومغزاه خاصة بعد ضرب قوة العراق العربية.. الأمر الذى يقره ويشعر به كل مثقف واعٍ أمين لإسلامه وعروويته.. وهو الأمر الذى شعر به الجميع بعد إنتهاء الأحداث الحربية وإشتعال الأحداث السياسية.

حتى مناولة الأمور من الوجهة الأقتصادية وبصورة عامة تدل صراحة على مستوى العلم والمسئولية والتحليل عند المسئولين العرب.. فبعد إنتهاء العمليات الحربية أمتلأت نشرات الإعلام الغشيم بأشارات تدعى إسهام الشركات المصرية بدور ملموس فى إعادة تعمير الخليج وأثر ذلك على الوضع الأقتصادى المصرى.. و« أقسم » بعضهم على أن الأخوة العرب فى الخليج الشقيق سوف يتيحون للشركات المصرية فرصة فى المشاركة فى العطاءات الدولية .. انتشرت تلك الأحلام فى إطار المطالبة المصرية الرسمية بتوثيق العلاقات الأقتصادية بين الدول الفنية والفقيرة فى عالمنا الغربى فى فترة ما بعد الحرب.

كان هذا الحلم العربى صورة من صور السذاجة لو أحسنا التعبير وإحتطنا فيه.. فحتى الدول العربية صاحبة النفط ليست لها اليد ابطولى ولا حرية الحركة فى

أسلوب نهجها الأقتصادى أو بصورة أخرى أسلوب انفاق أموالها البترولية[1].. بل كانت الحرب ذاتها صورة من صور رد الفعل العربى تجاه تلك السياسة العالمية.

كانت العراق بعد إنتصارها فى حرب الخليج الأولى بين حدين.. فالدول الأوروبية تطالب وتلح فى حقوقها عند العراق- والدول البترولية العربية تسرق بترول العراق ولا تساعده وترفض إسقاط ديونه بعد أن حارب حربهم جميعاً وحمى حماهم.. وكان الخلاف العربى والذى أشعل فتيل الأزمة منصباً على حدود الرقم عشرة من المليارات يحتاجها العراق لموازنة أقتصادياته.

هذا كما أن نهب الودائع البترولية لدول الخليج وخاصة الكويت كانت من الأهداف الرئيسية للحرب ومن ثم كان الإصرار الأمريكى على الحرب تحت أى متغير ورغم أى تنازل أمراً ثابتاً.. وهدفاً لا يتغير.. كانت أمريكا هى الطرف الذى حدد الأنصبة لكل طرف شاركها حرب. الخليج - وقامت أمريكا بوضع الدراسات الأقتصادية للحرب وحددت الرقم الإجمالى لعمليات إعادة البناء فى الكويت وقدرته مبدئياً بمبلغ يصل إلى ٢٠٠ بليون دولار.. وقسمت أمريكا الأنصبة والأدوار فقررت أسناد الأعمال المدنية للشركات البريطانية « الطرق - الجسور- المبانى.. إلخ».. وقررت باقى العمل ومعظمه إلى الشركات الأمريكية الصناعية العملاقة» المصافى.. البتروكيماويات وغيرها..» وتم ذلك كله قبل الحرب[2]. وأثناء الحرب ركز كل طرف على تحطيم ما يخصه من مشروعات.. وهكذا كان الهدم والبناء يتم بأموال عربية.. بأيد غربية..

إن مختلف التحاليل من مختلف الزوايا ووجهات النظر أقسمت على الأطراف الخاسرة وإتفقت عليها جميعاً.. كانوا العرب جميعاً. ولم يختلف أحد على أن الطرف الفائز هو أعداء العرب أمريكا وإسرائيل.. وحتى إيران.. وهكذا مرة واحدة.

تلك هى الحقيقة الملموسة حالياً...

---

(١) يستثنى من ذلك العراق.. وأيضاً إيران.

(٢) قبل الحرب وقعت فعلاً عقود تبلغ قيمتها ٧٠ بليون دولار!!.

ويبقى أخطر ما فى الأمر كله واقص ما تحشاه وهو رد الفعل النفسى والإنسانى للعراق.. وهو أمر طبيعى.. إن إنعزال العراق عن قضايا المنطقة القومية تقوقعه الأقليمى أمر يجب حساب إحتمالاته وهو الأمر الذى يحمل أيضاً بين جنبانة ضعفاً للمجموعة العربية ككل فى مستقبلهم الغامض.

هذا هو السؤال الملح على خاطر المنصفين..

ولكن لوحدث.. فهل يمكن القاء اللوم على العراق؟!..

★★★

تقييم الحق والحقيقة فى مثل هذه المشاكل من المسائل الصعبة والشاقة حيث يجب على الباحث أن يتيقن من أهداف وأسباب كل طرف من الأطراف وهو الأمر الصعب ويحتاج إلى جهد ووقت مضنى.. غير أن هناك بعض المواقف الأساسية الثابتة من ناحية.. ومن أخرى فإنه ينبغى وعلى الدوام الإرتكان إلى قانون ثابت متفق عليه من معظم أطراف الصراع حتى يمكن أن يكون الحق ذو قوة مؤثرة فى تقييم الموقف أيضاً.. فيكفى مثلاً أن تختلف وجهات الأطراف العربية وتتعارض إذا ما رفعت بعض الأطراف نظرتها ومصلحتها القطرية.. ورفعت الأخرى الفوق قطريه.. ومن ثم فيجب الإرتكان دوماً على مصدر ثابت للحكم فيما يستعص من مشاكل.. وهل هناك من أثبت وأقوى من كتاب إليه؟!..

قالت تعالى فى معنى ذلك كله : ﴿وما إنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى أختلفوا فيه[1] ﴾.

أهم كوارث المنطقة كان نتيجة أعتماد طرف من المسلمين المتصارعين على قوى عالمية طاغية من غير الإسلام.. ضد طرف إسلامى آخر- وفى ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت

(١) النحل آية ٦٤.

البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ﴾[1].

ومن معانى الآية الكريمة الواضحة نداء ونصيحة المؤمنين بألا يتخذوا أصفياء وأخلاء يستعينون بهم من غير أهل دينهم.. يطلعونهم على أسرارهم- ويملكونهم زمام أمرهم.. فهم لا يقصرون فى أفساد أمور المؤمنين - فهم يودون أرهاقكم ويبتغون ضركم أشد الضرر.. وقد « ظهرت» إمارات البغضاء لكم من فلتات السنتهم وما تخفى صدورهم أكبر مما بدا.. وقد أظهرنا لكم العلامات التى يتميز بها الولى من العدو إن كنتم من أهل العقل والإدراك السليم.

نستطيع الآن أن نعلم عن قيمة ومعنى ومغزى إختيار القيادة الأمريكية للعملية البرية التى تم بها غزو الكويت وأرض العراق أسماً رمزياً له دلالاته وهو المجد للعذراء "Ave Maria" ... ثم إلا يذكرنا ذلك بالأصداء الصليبية التى تعرض لها المشرق العربى.. فحين دخل «الچنرال اللبنى » فاتحاً إلى القدس يوم ٩ ديسمبر ١٩١٧ قال قولته « الآن إنتهت الحروب الصليبية »..

.. وحين دخل الچنرال « چورو» دمشق يوم ٢١ يونيو ١٩٢٠ وقف على قبر صلاح الدين الأيوبى وقال هو الآخر قولته « ها قد عدنا يا صلاح الدين » [2] .

- وكان الوقت وقت شوارتزكوف حين أطلقها هو الآخر « المجد للعذراء» .

إن مسألة الخلاف بين المسلمين وبعضهم البعض أمر وارد.. غير أنه يجب أن يرتكن دون أدنى مواربه أو فلسفة على أخوة ومستقبل واحد يفرضه الإيمان السليم ووحدة واحدة ينص عليها القرآن الكريم ...

قال تعالى :﴿ إن هذه أمتكم أمه واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾.

أما عن فلسفة المتفلسفين وأن معاملة أمريكا والغرب أفضل وأضمن وآمن من معاملة الأخوة العرب فتوضحها الآية الكريمة .. ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن اتبع دينكم ﴾.

---

(١) آل عمران ١١٨ و ١١٩ .

(٢) حرب الخليج لهيكل.

وهكذا فإن الأمان لم ولن يتأتى بمعاضدة المشركين من أهل الكتاب فإن كان هذا المنهاج شاق وصعب على البعض فليعلموا أنه سبيل الإيمان وإمتحان السبيل السوى.

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .

بمثل هذا المنهج الثابت القويم نثبت الأحكام.. ونوضح الخبيث من الطيب..

وإلى الله المرجع.. وإليه الحساب

الفصل الثالث

تقييم الموقف العراقى.. ضرب إسرائيل

الفصل الثالث

تقييم الموقف العراقى.. ضرب إسرائيل

قد يكون من لزوم الحق والبحث عن العدل والصواب مناولة الدور العراقى فى الأحداث وذلك لمحوريته من جانب.. وأيضاً لأهميته من جانب آخر لمستقبل المشرق العربى والحكم الإسلامى السنى فى تلك المناطق. والحقيقة أنه لا يمكن فصل الأحداث والنظر إليها من منطلق زمنى محدد.. ذلك هو التبسيط المخل للفهم والذى لجأ إليه الطرف العربى الأمريكى العالمى مؤيداً بإعلام موجه شرس كان له أثره فى تشكيل الصورة المطلوبة ومن ثم الفهم لدى عامه الشعب العربى.

بعد حرب الإستنزاف الشاقة وحرب رمضان الخالدة وهى الحرب الوحيدة التى سجل فيها العرب إنتصاراً نظر المصريون فى أمرهم فإذا هموا قد خاضوا غمار خمسة حروب مريرة فى أقل من خمسة وعشرون عاماً.. وكانت مصر وحيدة فى معارك وحروب منفردة مثل حرب ١٩٥٦م.. وحرب الإستنزاف المريرة.. أما الحروب الأخرى فقد تحملت فيها مصر الأعباء الكبرى مثل حرب ١٩٤٨ وحرب ٦٧م.. وأيضاً حرب أكتوبر « رمضان» ١٩٧٣م وهى آخر الحروب وأهمها.. وفى حين كانت تلك الحرب هى الوحيدة الذى ذاق فيها العرب طعم الإنتصار والعز ولمس فيها المصريون طعم الكرامة والفخر فإن تلك الحرب كانت هى أيضاً مفصل الحوادث كلها فى مستقبل هذه الأمة الإسلامية الواحدة.. فماذا حدث؟!.

كانت مصر فى فترة تصدرها لقيادة العالم العربى ومنذ ثورة ١٩٥٢م الأخت الكبرى والحنون والتى لم تبخل بشئ عن إخواتها.. ثم كانت هناك عدة معارك هدفها الأساسى تحرير موارد وثروات الأمة العربية الواحدة.. بل وذهبت مصر إلى مساعدة تلك البلدان كلها قدر إمكانها .

لم تكن تلك السياسة المميزة لمصر قائمة على الأخلاقيات والمبادئ والمثل والدوافع النبيلة قدر ما كانت قدراً حتمياً سياسياً من منطلق تكامل المنطقة العربية

والإسلامية وتميزها وخصوصياتها ومن ثم مصالح المنطقة الحيوية المتكامل.. غير أن تلك الأحداث أثرت سلباً على أقتصاديات الدولة الرائدة الأم.. وعرفت مصر الفنية الحاجة وذاقت طعم الديون المتراكمة .. كانت تلك التغيرات السلبية الأقتصادية متزامنة ومتوازية مع الغنى الفاحش والثراء العاجل للدول الخليجية المصدرة للبترول.. وكان من الطبيعى أن تشارك تلك الدول والإمارات فى مساعدة الدول القائدة فى حركات التحرير ومناهضة الإستعمار المستعمره فى ذلك الوقت.. غير أن تلك المساعدات خضعت سياسياً لشركات البترول الغربية العملاقة الأمر الذى تطور حتى أصبح مثلاً تطبيقياً لسياسة تلك الدول الغربية تجاه منطقة الشرق الأوسط العربية والتى أعتمدت على تسهيل الديون ومن ثم تكبيل الدول العربية الرائدة بالديون التى تصل إلى مرحلة لا تستطيع فيها تلك الدول تسديد ديونها أو حتى أقساط فوائدها.. ومن ذلك المنطلق يمكن تسييس تلك الدول على المستوى الدولى السياسى والأقتصادى.. ويمكن تسمية تلك السياسة بالاحتلال الأقتصادى»- أو « الأستعمار الجديد».

وهكذا.. نظرت القيادة المصرية فى موقفها الأقتصادى بعد حرب أكتوبر المجيدة ١٩٧٣م فإذابها أسيرة لتلك السياسة.. وإذابها لاتملك لنفسها إستمراراً أو دفعاً ذاتياً فى خطها الجهادى أو حتى الأقتصادى ومن ثم فقد سارع الرئيس السادات بطلب المساعدة وتوجه بحساب المنطق ولوازمه لدول الخليج الثرية الفنية والتى يرجع السبب المباشر فى تنامى أقتصادياتها المضطرد بل والمذهل فى تلك السنين وإلى حد كبير لتلك الحروب ذاتها خاصة بعد خطر البترول فى حرب ١٩٧٣م.. وهو الأمر ذاته الذى أدى لفقر مصر وتكبيلها أقتصادياً.. كان رد فعل دول البترول الثرية أمراً مذهلاً.. بل كان صدمة قاسية أثرت ولا شك على الاتزان العصبى والنفسى لقادة مصر آنذاك.. كان العطاء على قدر كرم شيوخ البترول وأمراء تلك الدول.. وعبر شيوخ البترول عن وطنيتهم وقوميتهم وأيضاً عن إيمانهم.. ومن ثم خرجت صحف الكويت بما نشيتات « جاء الشحاذ » .. إلى أخرة.. بل الأدهى والأمر أن أمير الكويت – ولا غيره – كان بالمطار فى استقبال السادات..

كان رد فعل السادات عصبياً وتلقائياً - وأيضاً مسرحياً .. فعلى الفور وفقط نكاية فى من كبلوه وحجموه أقتصادياً أعلن الرجل عن إستعداداه للذهاب إلى القدس.. وعن نيته للصلح مع إسرائيل.. ولو على أيه انقاض.

لم يكن ما يحدث عبارة عن أفعال وردود أفعال ناقصة.. بل كان ما يحدث نتيجة لسياسة أقتصادية عالمية أثبتت نجاحها حتى وهى معلنة ومعروفة.

فى ظنى أن إنهاك مصر الدائم ودفعها إلى حروب ومشاكل متوالية كان بدافع غربى أيضاً وبهدف تثبيت السياسة الأمربالية العالمية الأقتصادية تجاه المشرق العرب كله وبفرض الهيمنة عليه ومن ثم ضمان منابع البترول فى الخليج تحت الهيمنة الأمريكية.. كانت تلك الحروب وتكاليفها الباهظة سبباً مباشراً فى تأثر الموازنة الأقتصادية لتلك الدول.. خاصة أن أسبابها وأسلحتها ينفرد بإنتاجها العالم الغربى.. كان هذا الخلل الأقتصادى مدخلاً للمعونات الأقتصادية لبلدان العالم العربى.. ومن ضمنهم مصر. ومن خلال التحكم فى نوعية تلك المعونة وصورتها الأستهلاكية لا يحتاج الأمر غالباً إلا إلى عامل الوقت حتى تصبح تلك الدول طفيلية.. وتهتز فيها القدرة على الإعتماد على الذات فى غذائها وإحتياجاتها الأساسية المعيشية.. أما الجانب المادى من تلك القروض الأجنبية فإنها غالباً ما توجه إلى أن تكون مصدراً كبيراً من مصادر الأرباح الإحتكارية.. وفى العادة ما تكون الدولة محظوظة إذا حصلت على تسعة أعشار مبلغ القرض المعلن والمتفق عليه رسمياً وذلك عن طريق شراء ذمم القمم الحاكمة والمسئولة فى تلك الدول الأمر الذى يهمش أمكانية الأستفادة من أى قرض رغم إقراره رسمياً.. ومن ثم لا يمكن تسديد الفوائد الأصلية المتراكمة إلا بقروض جديدة يضع لها الجانب الغربى ما يشاء من شروط سياسية وأقتصادية.. وهكذا يسير الأمر إلى فساد مطلق مع فقر وتضخم فى شكل دائرة مغلقة لافرار منها إلا بمحجزة أقتصادية.

من ناحية أخرى فإن تلك السياسة تضمن للدول العالمية المهينة سوقاً وأسعاراً ثابته على حساب أقتصاديات تلك الدول والتى تنحط فيها نزعات التقدم.. وتضمن الدول المهيمنة- سوقاً لمنتجاتها تتحكم فيه بتحديد الأسعار لتلك المنتجات..

وهكذا تجد الدول المستهدفة نفسها معتمدة إعتماداً كلياً على معونة تلك الدول المتقدمة.. فى حين أن حصيلة فوائد ديونها الرسمية أكبر من مقدار المعونة المقدمة لها[1].. أى أن الموازنة تصبح بعد مدة فى ميل لصالح الدول الفنية وعلى حساب لدولة الفقيره

يستدعى نجاح تلك الخطة المتكامله فى حال تطبيقها على الأمة العربية خلق التنافر والتباغض بين دولها حيث تشكل تلك الدول تكاملاً اقتصاديا غنياً ويحتوى على اغلب مقومات النجاح والاستقلال.. الأمر الذى بدا مع استقلال تلك الدول.. وهكذا فإن القليل من تلك الدول من نجح فى مرحله من المراحل بتحرير اقتصاديات بلاده من قبضة الدول الرأسمالية المتقدمة.. وتلك الدول كانت هدفاً دائما لسياسات تلك الدول كما حدث فى ايران على عهد مصدق .. وفى مصر بعد تأميم القناة.. وفى العراق.. وخارج المنطقة العربية كماحدث مع غانا.. وفى كوبا. وفى اندونيسيا وتشيلى. وكان اكبر مثال واضخمه على الاطلاق هو السقوط السوفيتى تجاه تلك السياسة الاقتصاديه والتى ادت الى تفكك الاتحاد السوفيتى وتحلله دون اطلاق رصاصه واحدة.. أما المثال العربى السابق فقد قام على حقيقه ان الوحدة بين الدول العربية الكبيره قد يصاحبه منطقاً فعاليه تطبق وحدته السياسيه ومن ثم الاقتصادية ضرورة.. فالوحدتان لاتنفصلان وكل منهما لازم وأساسى لمستقبل تلك البلدان ومن ثم حماية مواردها واستقلال واتزانها الاقتصادى.. ولعل ذلك كله يوضح مغزى الجهد العالمى لتحطيم محاوله الوحده بين مصر وسوريا.

كانت السيطرة على منابع البترول قد استقرت لصالح الشركات الامريكيه والبريطانيه أساساً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.. وهى الحقيقه التى تتضائل أمامها إيه حقوق شرعية على المستوى العالمى بالنسبه لأمريكا وضمان ذلك الكنز حتم التصدى لأيه حركات قومية أو بعثات ذات تطلعات استقلاليه.. ويعتمد نجاح

(١) يقول البروفسور بنهام فى كتابه « المعونة للدول المتخلفة » : « مما يبعث السرور فى النفس أن تشعر أنك تقدم المعونة لجيرانك ثم تزيد من أرباحك فى نفس الوقت . »

اقرار تلك السياسة على خلق كثير من التنافضات مثل قله من الأغنياء.. وسط جمع من الفقراء .. فقر وجوع وسط تخمه.. وتم ذلك عن طريق تقسيم ورسم خطوط العالم العربى فى مرحلة استقلاليه وأعظم مثال لذلك هو تحديد الحدود بين الكويت والعراق بعد استقطاع الكويت من البصره بشكل لايتيح للعراق منفذاً على الخليج.

تهدف تلك السياسة ايضا الى تحديد فكرة انتاج السلع والتقدم والاستقلال الاقتصادى للمنطقة بشكل عام غنية وفقيره.. من ثم يمكن التحكم فيها جميعاً.

من السهل فلسفة ذلك التناقض المخل بين بلدان العالم الاسلامى من خلال طرح قضيه المدنية العالمية.. والاستقلاليه السياسيه والدوليه ومن ثم الأقتصادية لأى من تلك الدول.. هذا الامتياز المحدد لبعض تلك الدول سط الجمع المطحون كفيل بخلق التناقض المستهدف بين البلدان العربية ومن ثم اجهاض ايه جهود لأى نوع من التكامل او الوحده بين البلدان العربية.

توازى كل ذلك بغزو فكرى عتيد.. واعلام موجه قوى استطاع أن يرسخ النظرة القطريه للشعوب العربية ويبرزها ويقدمها على النظرة الاسلامية الفوق قطريه.. والتى تمثل الاساس العقائدى النفسى للوحدة الاسلامية الأمر الذى يبرز فى الانفعالات والمواقف النفسيه.. ويمثل امل المسلمين.. ومطمح العرب أجمعين.

كان للفقر والتضخم الذى ساد معظم البلاد العربية - الغير بتروليه - نتيجة لهذه السياسة، نمو الاتجاهات الدينية على اختلاف مراميها الايديولوجيه والسياسيه.. ومن ثم ظهرت الجماعات والاتجاهات الصوفيه والتى تمثل اتجاهاً زاهداً فى الحياة لاخطر منه.. كما ظهر نوع آخر من الزهد فى الحياه اذا كانت تلك قوانينها غير أنها عامله نشطه تطمع فى السيطرة والنضال من أجل الحكم. وعليه فقد انتشرت اخيراً الجماعات الدينية السياسية والتى تمثل خطراً مباشراً يهدد أى نظام كما فى مصر وايران.. وحتى السعودية.

استغلت السياسة العالمية الصهيونية ذلك العامل فنمت وساعدت الفرق الاسلامية

ذات التميز العقائدى الأمر الذى ترك بصمته على وحده وتناسق المجتمعات العربية من الناحية السياسية وقد نتج عن ذلك تحكم العلويين الشيعه على سوريا التى يزيد السنه عن ٩٠٪ من سكانها.. ودانت لبنان ذات الاغلبيه السنيه لحكم الموازنة - ثم الشيعه من بعدهم.. بل وصل الأمر الى مؤازرة السياسة العالمية للنزعه الشيعية فى ايران ومؤازرتهم للخمينى حتى تمكن من الهيمنه على الحكم حتى على حساب الشاة عميل الغرب المخلص والوفى لمايحمله ذلك من احتمال صراع مع العراق السنى.. الخ.

كانت تلك السياسة المتعددة الأوجه تختمر فى المنطقة وتطبق بنجاح منذ اوائل الستينات ولم يمكن مواجهتها لتعدد المشاكل.. ومن ثم لم يكن يتبقى الا عامل الوقت حتى راحت تلك السياسة تستنزف وترهن الوجود العربى ذاته وتهدد مستقبله.. وظهر التعارض بين الدول العربية الفنيه والفقيوه وانفجرت المشاكل والحروب.

كانت القوات المصرية المؤثرة تساند ثورة اليمن وتخوض حربه حين وقعت كارثة ١٩٦٧م.. ومن تلك اللحظه توالت الكوارث بغرض الاستنزاف العربى حتى حرب ١٩٧٣ المجيدة.. وموقف اثرياء العرب من مصر المنهكه اقتصاديا.. خاصة الكويت.

لعل أهم ما يجب تحليله والاشاره اليه هو أثر ذلك كله على الشعب المصرى والذى لم يبخل طيله تاريخه والذى قدم عن رضا ماله ودمه مقابل حريه العرب واستقلالهم منذ ثورة ١٩٥٢ حتى حرب اكتوبر. فالأمر المدهش والمثير للعجب هو رد الفعل النفسى المصرى لتلك المبادرة.. تلك المبادرة التى كسرت وحطمت جميع لمبادىء والاسس القومية والاسلامية والوطنية تقبلها الشعب المصرى بترحاب وتهليل وقبول!!.. ذلك الشعب الذى قدم من روح ابنائه وامواله الكثير والكثير فداء لفلسطين والقدس والعروبة والاسلام تقبل مبادرة السادات !!!

لعل تحليل هذه الظاهرة واسبابها يكون له أهمية توضيح السياسة العالميه الموجهه للمنطقة العربية.. والمدهش حقيقة ان ذلك الرد فعل الانسانى والذى مثل

حقيقة انطبعت سياسيا لم يتم تحليلها وتقييمها وتفنيدها بالشكل المناسب مع انها تمثل حصيلة العديد من العوامل والمؤثرات على سلامه ومستقبل حركه الامة العربية ومستقبلها.. فالمفروض والمتفق عليه أن الصراع العربى - الاسرائيلى له اسبابه العقائديه والتاريخية الفائرة الجذور.. والتى يصعب ان تشكك فيها وتهزها ايه ظروف عارضه مثل تلك التى مر بها شعب مصر وقيادته.. الأمر كله رد فعل انسانى طبيعى عبر عن الشعور بالغبن والظلم.. فقد فوجئت مصر رغم كل آلامها ومتاعبها وطول جهادها أن تكبيله وتحديده يتم فى ذلك الظرف الصعب بأيد أخوه وجيران كان ثراؤهم الواضح وغنائهم الفاحش نتيجة مباشرة لحركه مصر القومية الأمر الذى أثر على الاتزان النفسى للقيادة كما ظهر فى الحس السياسى للشعب وإحساسه وتذكره بشماتة هؤلاء الاخوه لحاله التردى الأمر الذى بات حقيقه واضحه فى مدى نظرة العربى البترولى للشعب المصرى وتصرفه فى مصر.. الخ..

★★★

تركت اتفاقيه كامب ديفيد كرسى الزعامة العربيه لمن يجد فى نفسه الكفاءة والقدرة.. وكان العراق هو الوريث الشرعى والمؤهل لتلك التركة المثقلة.. ومن ثم كان يجب عليه أن يكون أول المعارضين لكامب ديفيد..

تمشت تلك التحولات الحادة مع بعثة شيعية عقائدية فى إيران لم يجد الشاة أمامه من مفر الا بطرد احد زعمائها وهو الامام الخمينى.. قضى الخمينى عاماً أو اكثر فى تركيا ثم إستضافته العراق لعدة سنوات.. وتسارعت الحوادث نحو الانفجار فى ايران الامر الذى اضطر الشاه إلى ان يترك امبراطوريته ويهرب بجلده وتبدأ فترة من فترات الصراع المذهبى الأمر الذى تصدت له العراق واشتعلت نيران حرب الخليج الاولى واستمرت لفتره قاربت على التسعة أعوام.. أهدرت فيها موارد البلدين واثقلتهما بالديون.

خرج العراق من هذه الحرب مثقلا بالديون والتى شارفت على المائه مليار من الدولارات.. كان ٦٠٪ من تلك الديون للكويت والسعدية.. اشقاء خندق الامس..

لم تترك اسرائيل الاحداث تجرى دون ان تترك هى الاخرى بصمتها ومن ثم فقد بادرت فى بداية تلك الحرب المريره فقامت بغاره تدميريه عنيفه حطمت فيها المفاعل النووى العراقى.. ولم يعترض العالم!!.

كانت سياسة العراق تدل على مدى الوعى وتحمل المسئولية والقيادة.. وهى لم تبخل على قضيتها الاساسيه وقضية الاسلام العروبة قدر بخلها على شعبها الكريم.. ومن فقد سارت السياسة العراقية منذ تصدى صدام للحكم فى ثلاثة مسارات متوازية.. تكوين جيش قوى.. تنميه اجتماعيه.. محاولة بناء قاعدة صناعيه مدنية وعسكرية.. لعل تلك السياسة الشاملة هى ما تفسر تلك التكلفة الهائله من المليارات التى انفقها العراق طوال فترة حرب ايران والتى انتهت بانتصار العراق.. ولكن مع مديونيه قاربت على المائة مليار دولار.

لكن تلك الحقائق لاتفسر الأمور بشكل كامل.. فالسياسة لها ايضا مجالها الاقتصادى ومن ثم فإن امريكا ودول الغرب كانت لهم بصمتهم فى اخراج الحوادث بهذا الشكل فهم مصادر السلاح والعتاد الذى يعتمد عليه ويحارب به كلا الطرفين.. ومن ثم يمكن التحكم الغير مباشر فى مسار وشكل تلك الحرب الى حدما.. ومن ثم يمكن تفسير حقيقة طول الصراع واستمرار القتال لمده قاربت على التسعة أعوام.. ولكل ذلك أثره الايجابى دون شك على دول الغرب.. والسلبى بالنسبة لأطراف الصراع..

وهكذا.. انتهت الحرب بكارثة اقتصادية لايران والعراق معا.. كانت كارثة العراق الاقتصادية مفصل الحوادث فى حرب الخليج الثانية.

بعد أن انتهت فرحة النصر للشعب العراقى البطل ووجهت القيادة العراقيه بمدى التدهور والخلل فى ميزانها الاقتصادى غير أنها فوجئت بمحاولة تحجيمها وتسييسها من منطلق واقعها الاقتصادى المتدنى والمؤلم..

هكذا تم تنفيذ نفس السيناريو والاستراتيجية الاستعمارية الاقتصادية على

العراق.. كما على مصر.. كما على الاتحاد السوفيتي.. وكان اخراج الحوادث على مستويات.

فعلى المستوى الدولى بدأت امريكا والدول الاوروبية بعد نهاية الحرب الفعلية واعلان وقف اطلاق فى مطالبة العراق بسرعة استرداد حقوقها.. كما توازى اعلان وقف اطلاق النار فى حرب الخليج الاولى بسياسة امريكية غربية استهدفت منع وصول التكنولوجيا واسبابها الى العراق بالذات لاجهاض خططه وطموحاته.. ونظر العراق لجيرانه العرب الجنوبيين فأحس بنفس المواقف السياسيه غير أن اخراج المواقف بالنسبه لشيوخ البترول كان امراً مستغزاً لاقصى حد.. ومثيراً للغضب لأبعد مدى.

فقد سرقت الكويت الدولة الصغيرة الثرية بترول حقل الرميلة المشترك بينها وبين العراق.. كما أن سياسة الانتاج البترولى للسعودية والكويت والامارات لم ترم فى ذلك الوقت بالذات الا لاجهاض أيه تطلعات عراقيه لموازنة ماليته المنهارة.. ولم تستهدف الا الى ضرب اسعار البترول وذلك عن طريق تجاوز الحصص المقدرة لاى منهما من قبل منظمة الاوبك البترولية.. والمدهش ان الكويت بالذات طالبت وجاهدت بزيادة حصتها فى الانتاج بهدف الرغبة فى خفض ميزانيتها العامة!! (١).. وكان التحدى الكويتى للعراق واضحاً وظاهراً ومثيراً ايضا للدهشة فى اجتماعات الأوبك فى نوفمبر ١٩٨٩م.. وايضا فى مارس ١٩٩٠م..

الأمر الواجب الاشارة اليه هو طبيعه الخلاف مع اخراج صورته فذلك الخلاف الذى اصبحت أخباره تحمل فى طياته اخطاراً لايمكن التكهن بها فى مثل ذلك الوقت كانت بشكل يحمل كل التنافر والتباغض مع أشكال اللامعقول فمن يرمى الى زيادة انتاجه لايرمى فى الواقع الا الى افساد السوق ولو على حساب مصلحته بغرض الاضرار العراقى.. تلك هى الحقيقة المجردة.. واختيار الحوادث بذلك الشكل وهذا

(١) رغم أن ميزانية الكويت سنة ١٩٨٩ قد حققت زيادة مقدارها ٣٧,٦٪ عن التقديرات الأولية ففى نفس عام الأزمة ١٩٨٩م أعلن الشيخ « على خليفة الصباح» وزير البترول الكويتى أن « إتفاقيات الأوبك يجب ألغاؤها - وكلما حدث ذلك أسرع كان ذلك أفضل ».. كما قال « إن الكويت لا تقبل ولا تلتزم بحصص الأوبك» هكذا صراحه وعلانية.

الوضـوح وفـى ذلك الوقت العـصـيب لـم يكن يرمى فى الـواقع الا الى هدف اسـاسى يحدده مدى الخلل فى القدرة لدى كل من العراق المغبون.. والكويت الثرى.

ثم تنفيـذ تلك السيـاسة بسـهـولة عن طريق الـتحكم فى سيـاسـة الانتـاج والتى تسيطر علهيا الشركات البتروليه الامريكيـه والبريطانيـه بشكل اساسى.. واستمرت تلك السياسة لمدة عـام او تزيد بعد انتهـا ء الحرب بين ايران والعراق الأمر الذى يعطى ولاشك للقيـادة العراقيـة الفرصة لفـهم واستيعاب المواقف رغم غـرابتها ومن ثم انتهاج المواقف تجاهها عن علم وفهم رغم كـونها تمس المستقبل والكرامة العـراقية فى الصميم .. والأمـر المثـير حقـا أن تلك الفتـره العـصيبـة تلازمت مع انتعـاش واضح وملمـوس وارتفاع هائل فى ودائع شيوخ البترول فى الخارج!!.

وكان لابد من مجابهة السياسة التى تأكد للعراق غايتها.. من ثـم ففى نهايه شهر يوليو ١٩٩٠م بدأت تظهر على الافق بوادر أزمة خليجية.. كانت الازمة من الشدة حتى ان رؤساء الدول الغـربية سرعان مالمسوا عـلى الفور خطورة الموقف.. ولايخفى دور مصر ورأيها فى الأحداث فى ذلك الوقت وبكل تدهور الامور حيث صرح الرئيس مبارك فى تلك الفتره بما معناه «أن للعراق حق فى بعض مايدعيه».

كان الموقف المصرى ورأيه وسرعة تحركة يحمل فى طياتـه احساس القيـادة المصرية بخطورة الموقف.. ولعل ذلك لخبرة القـيادة السياسية بنفس المعـاناة التى كان العـراق يعـايشـهـا.. فقد لمسوها بعـد حرب اكتوبر ١٩٧٣م.. وتـذكر القـاده مـدى رد الفـعل المصرى.. فماذا عن رد الفعل العراقى؟!

دارت المباحثات فى القاهرة والاسكندريه وجده.. ونشط الزعماء العرب..

كـانت الاحداث تتـوالى بسـرعـة غـريبـة.. وتنعطف بشـكل جاد غـير مـسبـوق.. وتسـارعت الانفـاس خـوفـاً وقلقـاً.. وبدأت لمسـات الاخراج الامـريكى فى التـمـيـز والحضـور.. فرغم ان الاحداث كانت تجرى على الساحة العربية بين اشقاء متناحرين فإن الثوابت والمواقف الحاده والتى تحدد المواقف وردود الافعال كانت تخطط فى مكان آخر تمامـاً .. كـان الامـر وكـان هناك من يـملك، ريمـوت كنتـرول.. يوجـه الحـوادث

بالسرعة التى يريدها.. وفجأه حدث ما فوجئ به حتى مخرج تلك الحوادث[1]- ولو الى حدما - فقد قام العراق بغزو الكويت فجأه.

من المنطق ان نقر أن العراق كان أول وأولى من لمس المواقف وتبين أهدافها.. فنفس المواقف عايشها العراق ولمسها - بل وشارك فيها - عندما تم تحجيم مصر ودورها السياسى بعد حرب ١٩٧٣م.. وعن طريق نفس السياسة الاقتصادية العالمية المهجنة - وببصمة واخراج شيوخ البترول.. وهى نفس الاستراتيجية التى كان يعايش العالم كله نتائجها وتبشر بانهيار الاتحاد السوفيتى.. كان الموقف العراقى فى منتهى الضيق والحساسية.. ولم يكن امام العراق سوى التفاعل مع تلك التيارات التى تستهدفه.

التفاعل السياسى لايختلف عن التفاعل المعملى فهو ينقسم الى قسمين اساسيين - سلبى وايجابى وكلا النوعين - بالنسبه للعراق - يحمل فى طياته اكبر الخطر على مسيرته وتستهدف تطلعاته القومية.. ومن ثم كان انتهاج الطريق الصعب والتفاعل الايجابى اشارة إلى ايجابيه وحيوية القيادة العراقيه.

★★★

حسب صدام حساباته وقام يوم لخميس ١٩٩٠/٨/٢م بغزو الكويت فى حرب سريعة خاطفه لم تستمر إلا لسويعات قليلة.. ولم يكن امام صدام سوى تلك المغامرة وإلا كان مصيره المذلة والتحجيم السياسى والاقتصادى ومن ثم انهياره.

كان الهجوم فجراً.. وفى الصباح الباكر تم الاستيلاء على الكويت.

وعلى الفور ابتدأت حسابات حرب الخليج الثانية.. والتى دفع لها العراق دفعاً..

كان الهدف الاستراتيجى للعراق يتمثل فى التفاوض مع القوى المهيمنة والتى تستهدفه منذ حوالى عام أو أكثر من موقف القوة.. مع عدم الوضوح من ناحيه المبدأ للهدف الامريكى الغربى والرامى لتحجيم العراق منذ نهاية حربه مع ايران..

(١) كثير من الدارسين فى أمريكا - وبعض العرب- تنبؤا بتلك الخطوة وهو ما يؤيد نظرتنا للحوادث ورغبة الطرف الأمريكى فى الهيمنة على المنطقة بأى شكل واى ثمن .

فقد ازداد العراق قوه واستراتيجية حيث اشرفت على الخليج من جهة.. ووضعت يديها على منابع النفط الغنية الكويتيه من جهة اخرى.

كان رد الفعل الامريكي يدل على تحفز أعلى وامضى من ردود الافعال العربية والتى تحركت وكأن الحوادث تهمها فى المقام الاول والاخير حيث انها بين عرب.. وعلى أرض عربيه.. وهكذا فقد وصلت طلائع القوى الامريكية الى المنطقة الشرقيه بالسعوديه حتى قبل انعقاد مؤتمر القمة للرؤساء العرب والذى انعقد بالقاهرة ومنذ تلك اللحظة توالى تدفق القوات الامريكية والدولية من دول شتى بلغت ٢٨ دولة اجنبية اضافة الى ثلاث دول عربية وهى مصر وسوريا والمغرب!!.. واشتملت تلك القوات على مختلف انواع الجيوش من قوات بريه وبحريه وجوية..

كان مايجرى منذ بداية الازمة الى اشتعال القتال يحمل دلالات على أهداف الجانب الغربى الامريكي كما اشارت المواقف المتعدده الى سياسة العراق من جراء موقفها واهدافها الحقيقية من تحركها العسكرى.

احقاقا للحق فإن كل من ذهب الى بغداد منذ الثانى من اغسطس ١٩٩٠م كان الانطباع لديه ان القيادة العراقية على استعداد للتباحث فى شأن انسحابها من الكويت.. وربطت ذلك بمشكله الشرق المزمنه والمتفجره على الدوام وهى المشكله الخاصة باحتلال اسرائيل للاراضى العربيه الجولان.. والضفه الغربية. – وغزه.. ولم يكن يعنى ذلك عند الساسة والمختصين الا أن مشكلة الكويت قابله للحل السلمى اذا ما ضمن العراق – وفقط – حرية حركته الانسانية والاقتصادية.. وفتح الطريق للتباحث حول المشكلات الاخرى والتى تتميز بعمقها وتحتاج لزمن لحل مشاكلها ولا شك..

كان الموقف يعنى من وجهة نظر العراق ان عنده ما يفاوض عليه فى سبيل ضمان سلامة حركته.. ومن ثم فقد يمكن ان يزداد موقف العراق التفاوضى قوة.

كان رد الفعل الامريكي سياسياً على مستوى أعلى وابعد مرة اخرى من مجرد احتلال الكويت فقد نجحت أمريكا فى إقرار قرارات عده من مجلس الأمن تتيح

لأمريكا اليد العليا وحرية الحركة فى المنطقة تحت غطاء تحرير الكويت.. وفى اثناء ذلك التحاور السياسى أعلن قادة التحالف الامريكى عن أن غاية املهم أن يرضى العراق ويعلن عن عزمة على الانسحاب من الكويت.. وعندما أعلن العراق - فى اللحظات التى سبقت قيام الحرب عن تخليه عن شرط حل المشكلات الاخرى مع مشكله الكويت وعن استعداده للانسحاب مقابل الضمانات الدولية الكفيله بأمنه وسلامة جيشه رفضت امريكا التعهد واظهرت علانيه رغبتها وتصميمها على الحرب.

وهكذا كان تسلسل الحوادث كفيلا بكشف النوايا الامريكيه وحقيقه نظرتها للمنطقه.. بل ولقد اعلنتها القيادة السياسيه الامريكيه العليا صراحة وبوضوح من أن هدفها هو القضاء على قوة العراق وقيادته وجيشه وطموحاته كى يكون عبرة لاى قوة - عربية - اخرى ترمى الى الأعتماد على سياسة مستقلة وخلق أوبناء قوة ذاتية عملية او تقنية أو عسكرية بما قد يؤثر على المخططات الامريكية ومصالحها الاستراتيجية فى تلك المنطقة البترولية الهامة لدى امريكا..

وهكذا.. رغم البيان العراقى يوم ١٥ فبراير وبدء عمليه المباحثات بين العراق والاتحاد السوفيتى والاعلان عن المشروع السوفيتى للانسحاب فى الامم المتحدة[١] قامت الحرب.

ليس هذا فقط.. بل ان مذكرة وزارة الخارجية الامريكية إلى القادة العرب فى مايو ١٩٩٠م أى قبل احتلال الكويت قد اوضحت الرؤية الامريكية التى اعلنت صراحة عن عدم موافقتها على الربط بين ازالة اسلحة التدمير الشامل الكيماوية العربية وبين التعهد بأزالة الاسلحة النووية الاسرائيلية - تلك الحقيقة التى تعنى

(١) أعلن فيتالى نشوركين المتحدث بأسم الخارجية السوفيتيه البيان الصادر عن الحكومة السوفيتية فى مؤتمر صحفى وحمل البيان واشطن المسئولية عن بدء العمليات البحرية ضد العراق مشيراً إلى أن: «غريزة الحل العسكرى تحركت على الرغم من موافقه العراق على سحب قواته من الكويت وفقاً لقرارات مجلس الأمن رقم ٦٦٠ التى خلقت وضعاً نوعياً جدياً وفتحت الطريق إلى نقل التراع فى الخليج الفارسى فى إتجاه حل سياسى.. » وأعرب البيان عن أسف الحكومة السوفيتيه من تفويت فرصة حقيقية أمام حل سلمى للنزاع من أجل الوصول إلى الأهداف المحدودة فى قرارات مجلس الأمن دون سقوط ضحايا.

الكثير.. التى اسقطتها جميع الاطراف العربية من ناحية.. واكتفى البعض بالحلم بها من ناحية اخرى.

أمام التطور الخطير فى مجريات الحرب رأت القيادة العراقية فتح جبهة اخرىٰ عليها تلمس الجرح الاسلامى المزمن وتعيد من ثم ترتيب الخط العربى الاسلامى الى جانبه.. ومن ثم انطلقت الصوريخ العراقيه تدك اسرائيل. أصابت تلك الصواريخ منطقة تل الملح «داخل حدود ١٩٤٨م » الامر الذى اسفر عن تحطيم عدداً من الطائرات والدبابات فى تلك القاعدة العسكرية.. كما انهالت الصوريخ على مطار اللد وحيفاء.. وطالت تلك الصواريخ منطقة المفاعل النووى الرئيسى فى ديمونة.. وكذا مدينة تل ابيب.. وغيرها.. كان الهدف العراقى ينصب أساساً فى النيل من هيبة اسرائيل عسى أن تدخل الحرب كطرف مباشر فى تلك الحرب الشرسة التى لم يرى العالم او يسمع مثلها من قبل. ومن ثم يمكن خلخلة الصف العربى الذى وقف بجانب ذلك التكتل الامريكى المشبوه.[١]. الأمر الذى يثبت وللأسف مدى ضغط القوة العربية المجاورة للعراق على مجريات الامور آنذاك ضد العراق ولصالح امريكا!!.

---

(١) فى باكستان والتى كان لها قوات إسلامية فى السعودية قدرت بحوالى ١١ ألفاً أجبر رئيس الوزراء فواز شريف على أن يتخذ موقفاً نتيجة للمظاهرات الضخمة من مختلف الأحزاب السياسية ليقاطع التحالف العالمى المضاد للعراق.. كما صدق الجنرال « ميرزا إسلام» القائد الأعلى للجيش على التعاطف مع معظم العناصر « المتطرفة!! وفى حديثه للضباط فى مركز القيادة للجيش فى روالبندى قال ميرزا: « إن حرب الخليج كانت جزءاً من خطة اللعب الأمريكية الإسرائيلية لتحيد القوى الإسلامية فى المنطقة تنبأ ميرزا بأن العراقيين سوف ينظر إليهم يوماً كشهداء قضية الإسلام».

وفى كوالا لا مبور صرح أحد المسئولين معلقاً على الأحداث فقال: « .. بالطبع إنها الجهاد..نحن لا نريد ملحدين فى أرضنا المقدسة بحجة رغبتهم فى تحرير أى أخ مسلم»

وفى مصر .. بلد الأزهر الشريف اختلف الوضع!!..

لم ترد اسرائيل على تلك الضربات الموجهه.. والمهينة وذلك نتيجة للضغط لامريكى.. ومن ثم كانت مكافئتها على هذا الصمت بتزويدها وتعويضها عن خسائرها بأكثر من عشرة مليارات من الدولارات والتى جمعتها من الدول الاسلامية الخليجية!! هذا بالإضافه الى تزويدها ببطاريات صواريخ باتريوت..

المدهش حقا أن امريكا عندما رفعت واعلنت عن هدفها الصريح بضرورة القضاء على التطلعات العراقية لبناء ذاتها من الاسلحة التدميرية الشاملة فقد قامت من جانبها ودون تردد باستخدام الاسلحة المحرمة دولياً الأمر الذى انهك القوات العراقية المتحصنة أو المنسحبة على السواء.. كما استعملت القوات البريطانية والامريكية اسلحة جديده تحت الاختبار ولأول مرة وهى شدية الفتك ولم يتم تصنيفها بعد(١).. اشارت الى ذلك جميع وكالات الانباء وتقلتها جميع الصحف المصرية.

تلك الاشارات المبسطة والمخلة لمجريات حرب الخليج المريرة التى واجهها العراق بمفرده وضد قوى العالم العظمى بمفرده وعلى جميع الجبهات لابد لها من تقييم عادل.. رغم هزيمة العراق.. تزيده ملابسات تلك الحرب قوة وفهما ورسوخاً.. الأمر الواضح الجلى رغم اسقاط معظم المحللين.. ولم ترى معظم الأقلام فى تلك الحوادث جميعها الا هزيمة العراق.. ان الأمر الواقعى الذى اسقطه الجميع هو منظار العراق للحوادث وتطوراتها وأهدافها فهو الطرف الاساسى فى النزاع ومن ثم فإن نظرته - ولاشك - تعبر عن حقائق لها قيمتها فى هذا الصراع وتمسه شخصيا.. واسراره فى ذلك الصراع لاتعنى سوى انها اسراره هو.. لاغيره.. وهكذا فإن نظرته هو للأطراف الأخرى أولى من أى طرف آخر بتفهمها وتحليل اهدافها.. وهو ذاته جزء من هذه الاهداف.

(١) أعترف المسئولون الأمريكيون بأستخدام قنابل النابالم إضافة إلى قنابل أخرى شديدة الفتك تحت التجربة لضرب المواقع العراقية فى محاولة لقتل أكبر عدد منهم- وقد أكد ذلك الإعتراق ضباط فى مشاه البحرية الأمريكية شبكه التليفزيون الأمريكية.N.B.C حيث قالوا أن الطيارين كانوا يلقون بقنابل نابا لم وقنابل أخرى شديقد الفتك.. وأكدوا أن هذه كانت إحدى مهمات مشاه البحرية.

★★★

من الثابت أنه وقبل حرب الخليج الأخيرة كانت هناك ملامح ظاهرة جديدة على ظاهرة القوى العالمية ففى الفترة الأخيره من الحرب البارده بين القطبين الامريكى والروسى ظهرت قوى جديده وجدت فى اللعب على ذلك التنافس المضنى الفرصة فى تطوير ذاتها وبناء كيانها بالقدر الذى اوصلها الى درجة الاعتماد على النفس وحتى اصبحت فى غير حاجة أساسيه الى حماية اى من القطبين.. وكان رد الفعل للقطبين على مستوى السياسة الدولية هو القبول وعلى مضض لتلك الظاهرة مع العمل المنفرد لكل منهما على تحديد القدرة الذاتية لتلك الدولة الجديدة والظاهرة المقلقه حتى تضمن سيطرتها لصالحها.. وكثيرا ما استعان الاقطاب بالعوامل الداخلية فى الدولة ذاتها بعد أن اختفت أو تحددت الصورة التقليدية لمناولة تلك الظاهرة. وهي استخدام القوة.. كانت ايران مثلا لذلك.. وكانت سياسة الغرب تجاه الشاة اوضح تطبيق لتلك السياسة.. وكان من الطبيعى ان تكون نظرة الدول الاقوى لتلك الظاهرة عدم الراحة لاحتمال ظهور اقطاب جدد على الساحة الدولية.. فهذه الظاهرة لاتمثل فى نظرهم الاستقرار المنشود فى العلاقات الدولية.

وكان للانهيار السوفيتى والذى اتضحت ملامحة بصورة مؤكدة قبل حرب الخليج بأكثر من عام اثره النفسى الأكيد على السياسة الامريكية الموجهة تجاه تلك القوى الناشئه والبازغة.

مازاد الأمر صعوبة طبيعة المرحلة الانسانية التى نعيشها والتى تتميز بصعوبة التفرد بالامكانيات التكنولوجية العالية والمؤثره.. والى تعددت مصادرها.. كما انتشرت صورها حتى غطت معظم العالم..

كان من الضرورى أن تعانى امريكاوبالذات من تلك الحقائق فى مواجهة عصر جديد ونظام عالمى فريد فهى المؤهلة لتحمل ابعاد كل تلك الحقائق الملموسة.. فهي الدولة الاقوى.. والاوحد فى ذلك العصر.

من المنطقى أن يزداد الأمر تعقيداً اذا اصبحت تلك القوة الجديدة قوة ذرية..

وخطورة طرق النادى الذرى تكمن فى صعوبه اخضاع ذلك الطارق الجديد للتناسب بطريقة معقولة مع الأهداف التى يحتمل أن تكون خلافاً أو نزاعاً خاصة من وجهة نظر الدول الاقوى.. فالواقع الذرى الجديد لتلك القوى الناشئه يخرجها من مجال التسييس والهيمنه لصالح اقطاب الصراع العالمى.. أو أمريكا فى ذلك العصر.

وهكذا.. فإن الصين قد اصبحت بأمتلاكها القوة النووية من الناحية العسكرية البحته اقوى بكثير مما لو قامت باحتلال كل جنوب شرق آسيا.. وهكذا.. وبتعبير آخر.. فإن التغييرات الاساسيه فى مجال توازن القوى يتمثل فى مدى التقدم الصناعى والتكنولوجى والحربى داخل الحدود المعروفة للدول المستقله..

يزيد الأمر صعوبة وخطورة أن التطور التكنولوجى الحربى اصبح سريعا الأمر الذى ادى الى خلق اجيال جديده من السلاح فائق التدمير كل خمسة اعوام تقريباً.. الأمر الذى ادى بدوره الى انقلاب شامل فى مفاهيم الاسلحة على تنوعها.

انطبعت كل تلك الاساسيات على ارض الواقع حيث اصبح الرعب الذى يحيط بالقوة مجردة او معنويه أو نفسية لاوزن لها على أرض الواقع العسكرى ولاتحتاج الى اعلان او صور لاظهار تلك القوة.

رغم كل تلك الموازيين الرادعة السيكولوجيه فإن السياسة مازالت ترتكز اساساً على القوة العكسرية بموازينها المختلفة والمتنوعة.. اضافة الى مقاييس اخرى سيكولوجيه بحته.. ولعل تلك الحقيقه هى الدافع الحقيقى للتقدم الكبير فى مجال الاسلحة العادية غير الذرية وإرتفاع قدراتها القتاليه بشكل كبير.

يتبقى أن الإحتمال الوحيد والمقبول شرعاً وقانوناً هو استعمال الدول الذريه للاسلحة الفوق تقليديه فى حاله الردع لتأمين بقائها والحفاظ على استقلالها.. الأمر الذى يضمن دوام تقدمها وابداعها بالضرورة.

لعل تلك الحقائق هى ما حتمت على الدور الامريكى المهيمن فى هذا العالم أن تحدد اعضاء ذلك النادى الذرى بعد أن اوصدت ابوابه فعلا منذ مدة.. وينطبق ذلك بالضرورة والخصوص على المنطقة العربية لما يمثله ذلك من اخطار على الهيمنة

الامريكية على منابع النفط كنز العصر.. ولما تمثله من تعادل ومن ثم تحييد للقوة الذرية الاسرائيلية من جانب آخر.. هكذا فإن طرق المنطقة العربية للنادى الذرى يهدد وبعمق وبطريقة مباشرة الاطماع البترولية الامريكية لمنطقة الخليج.. كما انها تهز الثوابت العقائديه لدى دول الغرب .

ذلك بإختصار مخل للهيكل السياسى العام والخط الاساسى للسياسة الامريكية العالمية.. والمعلنة.

وهكذا.. وعلى أثر شواهد انهيار الدب الروسى الذرى كان ولابد من سرعة التعامل مع السياسة العراقية[1] والتى انتهجت نهجاً جمع بين كل تلك المحظورات على مدى تاريخ صدام كله..

كانت سياسة صدام ولاشك وطنية قومية وبعيدة الى اقصى حد وأبعد مدى.. فلم ترمى الى الرفاهية والغنى للشعب العراقى «شأن الأخرين».. قدر ما نظرت الى المستقبل.. وحلمت ببناء قوه ردع عربية ذاتية تكن لها بصمتها فى معالجة المشاكل فى اقصى المناطق حساسية واستراتيجية وغنى فى هذا العالم.. ومن وجهة نظر عربية خالصة.. كانت الاهداف الاساسيه تتمثل فى العمل على الهيمنه العربية على تصورات الأمة من البترول.. سلاح القرن الحادى والعشرين.. ومواجهة الاخطار التى تهدد المشرق العربى من الشرق ايران.. ومن الغرب اسرائيل.. وهكذا سارت سياسة صدام منذ توليه القيادة العراقيه فى ثلاث مستويات متوازية.. تنميه العراق الداخليه.. مواجهة الاخطار الشيعية الايرانيه والصهيونيه.. وطرق ابواب النادى الذرى.

ولعل تلك السياسة هى ما تفسر المبالغ الرهيبة التى انفقها العراق من مدخراته ودخله البترولى المرتفع طوال تسعة اعوام من حربه مع ايران.. والتى انتهت ايضا بمديونية قاربت المائة مليار دولار.. ولعل تلك الحقائق الاقتصادية كانت هى هى المدخل والمنقذ للسياسة الامريكية لتكبيل العراق وتقييد احلامه.. وهى ايضا ما

---

(١) ظهرت بوادر تلك السياسة عقبة إنتهاء حرب الخليج الأولى مباشرة.

أثارت مخاوف جيرانه من شيوخ البترول والذين آثروا الهيمنه الامريكية على الذاتيه العربية الاسلاميه .

ومن ثم كانت التصرفات الافتزازيه التى ادت الى حوادث ومواقف انتهت بحرب الخليج الثانيه.

من ناحية طرق أبواب النادى الذرى فقد صدر فى يناير من عام ١٩٩١م تقريراً سربته المخابرات وتشرته صحيفه الصنداى تايمز البريطانيه أشارت فيه إلى قدرات العراق النووية والتكنولوجية خاصة فى مجال « إغناء اليورانيوم بطريقة الطرد المركزى » ومن ثم نحويله إلى يورانيوم مخصب يمكن إستعماله فى تصنيع القنابل الذرية.. بل والمدهش أن بعضعاً من مراكز الإختبار قام العراق بتصنيعها بنفسه وبمجهوده الذاتى(١).

ثم أن العراق كان قد أحرز تقدماً مدهشاً وأسرع بكثير مما كان يقدوره الكثيرون فى قدراته النووية حتى أنه كان قد أصبح على أعتاب القدره فى الإعتماد على الذات فى صنع القنبله الذوية دون الحاجة إلى إستيراد مواد مشعة.. ليس هذا فحسب بل أن جميع التقديرات والإستخبارات أشارت إلى أن العراق كان بإمكانه فى حدود عام ١٩٩٢م من تصنيع قنبله ذرية كاملة.

من المنطق أن تكون كل تلك الدقائق على أوراق النيتاجون الأمريكى منذ قرر صدام إنتهاج سياسته الذرية السريعة النشطة.. ومن المنطق أيضاً أن يكون التقدم الذرى العراقى وتقديره الحق عند أمريكا قبل أى بلد آخر ويرجع ذلك إلى العلاقة

---

(١) صرح عالم الذرة الشهير والألمانى الغربى البروفيسير « برنوستلمر» وهو أحد كبار الخبراء فى شركة المانية ذرية أنة « فى خريف ١٩٨٧م قام بزيارة بغداد بدعوة من الحكومة العراقى» .. ولدى هذا العالم خبره ٢٠ عاماً فى مجال « أخصاب البورانيوم بطريقة الطرد المركزى الفازى».. وإنه أثناء لقاء بفريق من العلماء العراقيين العاملين فى هذا المجال أطلعوه على تصميمات متطابقة مع التصميمات التى كان يستعملها هذا العالم فى شركة «مان MAN» التى تصنع وحدات الطرد المركزى.. كما أخبره العلماء أنهم قد قاموا ببناء وحدة تجريبية للطرد الفازى وهم فى حاجة إلى الإستفادة من خبراته فى حل بعض المشاكل المتعلقة بالضبط النهائى للوحدة ونظام التفريغ وبعض المسائل الفنية الأخرى».

الطيبة بين البلدين أثناء الحرب الخليجية الأولى.. وعليه فقد إنتهجت السياسة الأمريكية والبريطانية خطأً واضحاً من شأنه عرقله كافة المشاريع العراقية بعد الحرب الخليجية الأولى مباشرة.. وتمثل ذلك كله على الصعيد العلمى والصناعى العالمى.. كانت أجهزة المخابرات على علم باحتياجات العراق.. ومن ثم على معرفة بأماكن تصنيعها حيث تم إجهاض ذلك كله.

لم يتأثر العراق كثيراً بتلك السياسة ..وكان رد فعله هادئا- فقد كان قد قاب قوسين أو أدنى من هدفه ولم يعد هناك إلا عامل الوقت وفقط.. ومن ثم كان و لا بد من إشعال الموقف وتفجيره.

عندما يرفع المعترضون على سياسة صدام أنه كان من الأفضل للعراق وللعرب جميعاً الصبر قليلاً على سياسات شيوخ البترول والغرب بضعة أشهر حتى يتم الإنتهاء من تصنيع القنبلة الذرية فإنهم يتناسون أن الرعب الذى يحيط بتصنيع القنبلة النووية تقييمها مختلف عند الإطراف.. فهى معنوية إلى حد كبير عند العراق وذلك للمخاطير المنطقية عند إستخدامها.. غير أنها عند الأقطاب العالمية تشير إلى تخوف الأقطاب العالمية من تعدد أقطاب الساسة ومنطقية الرغبة فى إجهاض أى أعضاء جدد ثم أن مخاظير التدخل الفعلى أمام الأقطاب العالمية لفض أى ترعة نووية غير موجودة.. وحرية الحركة الأمريكية مكفولة تماماً.. خاصة فى عهد القوة الواحدة.

من ذلك المنطلق نستطيع أن نقيم الإستفزازات والعوامل النفسية التى شكلت الحوادث.. وسرعة الحوادث ومتغيراتها والتى تشير إلى تحفز الأطراف ومعرفة كل طرف بأهداف الطرف الآخر.

فإذا كانت تطلعات القيادة العراقية فى عبور الخط الأحمر لانتاج قنبلة ذرية عربية أمراً ثابتاً.. فإن أمريكا وبريطانيا لن تتوانى عن مواجهة ذلك بأى ثمن وتحت أى حجة.

لعل ذلك ما أظهر الحوادث على أن القضاء على قوة العراق كان أمراً مقرراً

ومحتماً ومن ثم كان إستعجال أمريكا وقوات الغرب فى المواجهة أمراً واضحاً[١].. حتى لو أظهر صدام غاية الإستكانة.

إحقاقاً للحق فإن الصراع الذى كان يدور خفية معماً بسيناريو معد ومخطط له لا غبار عليه من أطرافه من الجانبيين.. فعند تقييمه هو أولاً وأخيراً صراع بين قوة مهيمنة عالمية.. وقوة ناشئة عربية غير أن أقص ما فى الأمر حقاً وأكثر إيلاماً هو أن تنفيذ هذا السيناريو قد تم بيد أخوة وجيران مشتركون فى العقيدة واللغة والتاريخ.. وتجمعهم الأصول والروافد الثابتة.. ويشملهم مستقبل واحد ضرورة.. تلك هى قمة التواجيديا فى المشكلة كلها.. وكأن الدول العربية التى أشتركت فى ضرب العراق كانت ترى قوة العراق من منظار أمريكا وإسرائيل!!.. تلك قمة المأساة حقاً.. فهل فى إنهيار العراق وتحطيمه أمن دول البترول إذا ؟!.. المدهش أن تلك هى السياسة الثابتة لشيوخ البترول[٢].

كانت التطورات بعد الحرب تأكيداً لكل تلك الثوابت.. فلم ينته الحصار الدولى- العربى للعراق حتى وافق على تصفية قدراته النووية والتكنولوچية.. تحت ضغط الحصار العربى يحدث ذلك فى حين إنخرست حتى الألسنه العربية عن مشروعات بنى صهيون الفائقة القدرة والتقدم فى ذلك المجال.. والتى ابتدأت منذ أوائل الستينات.

فهل على العراق من لوم؟!

بل وعلى من اللوم إيها الفاهمون؟!

ثم نأتى لأهم نقطة وهى محاولة تقييم تفاعل العراق الإيجابى وموقفه ونتائجه.

(١) قال الرئيس بوش وهو يتفقد قواته بالسعودية: « إن الذين يقيسون الجدول الزمنى لبرنامج صدام حسين النووى بالسنوات يمكن أن يسيئوا تقدير الموقف ومدى جسامه التهديدات التى تميلها بدرجة خطيرة».. وقال أيضاً :« إن كل يوم يمر على العراق يقر بها من الحصول على قدرة نووية».. إنتهى.. أيها العرب.. قائل هذه الكلمات كان على أرض عربية.. بفرض القضاء على دولة عربية رائدة.. وسلاح عربى له شأنه- ومع ذلك كله رأينا علماء وائمة يفتون بإمكانية الإستعانة بمثل هؤلاء فى رد العدوان على دولة عربية فكيف يمكن لمسيرتنا العربية النجاح؟!.

(٢) الحقيقة المؤلمة إن تلك هى فعلاً سياسة دول الخليج والسعودية والخط العام لإستراتيچيتهم الأمنية.. والتى ترى أمنهم فى ضعف جيرانهم.. ومن ثم فقد القوا بكل أوراقهم إلى أمريكا نظراً لخصوصية العلاقة وتشابكها الوثيق..

★★★

تتباين وجهات النظر عاده عند القرارات المصيرية والمنعطفات الحادة فى حياه الأمم والشعوب.. وهو أمر منطقى يمكن إرجاعه إلى إنقسام الأمم إلى مجموعات متباينة المصالح.. متعددة الإهواء.. متفاوته الفهم.. وهى الحقيقة التى تكون الأمة وتكملها من جماعات متباينة..

تتفاوت النظرة التقديرية بين قائد الأمة وشعبة عند القرارات والمنعطفات الحادة التاريخية. فحين تفشل المسيرة سرعان ما تتهم الجماعة قائدها وتلقى عليه التبعية كاملة وقد تحاكمه وتنفذ فيه ما تراه.. وقد حدثت ظواهر تلك الحقيقة تاريخياً بدرجات متفاوته مع موسولينى وستالين وهتلر وغيرهم. وأحياناً بعد فترة وبعد نجاح المسيرة وتصحيح مسارها قد يذهب الشعب إلى تقديس قائدة المذبوح وقد يرفعونه حتى إلى مصاف الإنبياء!!.. وفى أحيان أخرى قد يحتفلون بحادثة قتلة ويقدسون ترابه ويعايشون وقت مقتله « الشيعة وقتلهم لسيدنا الحسين».. والأمر على إحتمالالته إنما يؤكد مكانه القائد عند الجماعة فهو قلبها وروحها النابض ومثلها.. .. وباختصار فإن العلاقة بين القائد وشعبة هى علاقة تفاعلية تعتمد نتائجها على نجاح سياسته وفشله.. حتى مع حقيقة إن الإجماع فى تلك الأمور أمر مستحيل لم ينجح حتى الأنبياء فى بلوغه ويرجع ذلك إلى تباين وتفاوت المجموعات التى تكون الأمة كما أشرنا سلفاً» لكنا نغنى بالإجماع الأغلبية المطلقة.

غير أن هناك خصوصيات لتلك القوانيين - المنطقية- فيما يختص بالمنطقة العربية فعلى الرغم من تقسيم المنطقة إلى دول عديدة.. وسلطنات وغيرها فإن الشعب العربى تجمع اللغة اللغه والدين والتاريخ وعوامل عديدة يشعربها المرء عند مخاطبته شقيقة فى أى دولة عربية.. ولا يمنع ذلك من رأى مخالف مع قيادته أو ملكه. وتلك حقيقة يقرها المولى فى محكم تنزيله.

قال تعالى { وإن هذه أمتكم أمة واحده.. }.

بعد معركة أكتوبر المجيدة ١٩٧٣م، والمواقف الأقتصادية لدول الخليج والكويت

خاصة، تقدم السادات بطرح فكره إدارة الصراع بالصورة التى شكلتها تجربته الذاتيه والحكومية ونظر الرجل لمصلحة بلده من منطلق ذاتى - غير أن تلك النظرة كانت على حساب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى.. وعلى حساب القدس ثالث الحرمين - كانت النتيجة المباشرة لذلك مزيد من التناحر والإنفصال العربى والذى تصاعد حتى طردت مصر من جامعة الدول العربية!!.. المدهش فى الأمر كان فى رد الفعل الشعبى المرحلى - المؤقت - والذى لم يكن فى حقيقته إلا رد فعل إنسانى تجاه مواقف الأخوة الأثرياء والمصمون على تركيع وتجويع الشعب المصرى.. والذى لم يروا ضماناً لوجودهم إلا فى ضعف أخوتهم وجيرانهم.. وكان لذلك كله أثره فى تداعيات الموقف فى المشرق العربى فيما بعد كان ذلك مثالاً لنوع من التفاعل السلبى مع أزمة حادة تهدد حقيقة ووجود ومستقبل أمه ما..

وفى حالة حرب الخليج الأولى كان رد الفعل العام مشاعر من الدهشة والأستغراب والتعجب بين مثقفى وجماهير المغرب العربى.. وفى المقابل مشاعر الرضا والتحفز عند جماهير المشرق العربى - وعكس ذلك التباين إختلاف الوعى لدى المشرق والمغرب العربى بخطورة البعثة الشيعية الخيمنية وما تمثله على أرض الحقيقة.. ويرجع ذلك أساساً إلى تباين الثقل الشيعى بين المشرق العربى.. وغربه- وعند وضوح- تلك الخطورة بمرور الأيام والأحداث تجمعت القوى وتضافرت وتفاعلت.. وعضدت مصر ودول الخليج والأردن العراق.. كما عضدت سوريا إيران.. وإتضح أثر المذهبية على السياسة وتوجهاتها- وإنتصر العراق.. وأرتفعت الإبتسامات وتعالت الأصوات بالعراق وقائده..

كان ذلك مثالاً آخراً لحالة التفاعل الإيجابى فى الأزمات التى تمس مستقبل وكيان الأمم.

أما أوضح وأظهر مثال عالمى فكان للتجربة السوفيتية حيث مثلت صراعاً عالمياً بين أقطاب العالم.. فقد أفرزت الأزمة الأقتصادية الروسية العنيفة سياسة وفلسفة البروسترويكا.. والتى مالت إلى التفاعل السلبى مع عوامل الأزمة أملا فى

المساعدة الأقتصادية من الغرب.. ومن هنا كان السقوط المذهل.. حيث أصبح الطرف الآخر!!! في التفاعل مهيمناً على ذلك التفاعل. وأصبح من حقه تحديد النتائج.. وكانت المصلحة الغربية فى سقوط وإنهيار الإتحاد السوفيتى الكامله[١].. هذا رغم الجيوش والقوة الذرية والأسلحة الفتاكة القادرة على تحطيم أعتى الجيوش.. كان السقوط السوفيتى كاملاً دون إطلاق دصاصه واحدة.. إلا بين جماعات الدولة الروسية ودولها التى تمزقت وتشرذمت وإنقسمت فى حروب طائفية وقومية كنتيجية مبارشة لذلك السقوط.

كان السقوط السوفيتي أوضح مثال يمكن الإستشهادبه فى التفاعل السلبى للأزمات المصيرية.

وفى حرب الخليج الثانية كانت ظروف العراق الأقتصادية فى غاية العنف والقسوة.. وكان الشعب العراقى والجيش فى حالة من الإرهاق لحربة التى أستمرت طيله تسعة أعوام- والخسائرة الباهظة فيها- حتى أن الرأى العام كله كان ينتظر سقوط العراق وإنهيار قيادته تحت الحصار المحكم وفقط.. وكانت الإحتمالات المطروحه لأى تحرك عسكرى عراقى محصورة فى مناطق محرمة على أية هيمنة عربية.. رغم عروبتها.. ورد الفعل العالمى كان أمراً مؤكداً.. مع تفاوت القوى والتفوق الأمريكى الغربى على العراق بشكل عام وخاص.

لعل تلك الحسابات كانت تميل إلى نوع من التفاعل السلبى والذى لن يؤدى إلا إلى تحجيم التطلعات والأمانى العراقية والعربية بشكل أساسى.. غير أن موقف القيادة العراقية كان مدهشاً إلى حد ما.. وشجاعاً إلى أقصى حد وأبعد مدى..

---

(١) يذكر ريتشارد نيكون فى كتابه « إنتهزوا الفرصة» فيقول صراحه ودون موارية: « .. ولا يجب علينا أن نساعد أولئك الذين يسعون لإعادة تركيبها « الإتحاد السوفيتى ».. وفى الوقت نفسه علينا الأعتراف بإنتصارتنا العظيمة للحرية ستبقى إذا نجحت الحرية.. وكدوله عظمى وحيده فيجب علينا أن لا نستمتع فقط بهزيمة الشيوعية ولكن نستعد للمساعده فس ضمان إنتصار الحرية».. أى للعمل لضمان تغطك الإتحاد السوفيتى .

ومن ثم كان غزوة للكويت رأس تنفيذ السياسة الأقتصادية الرامية لتحجيمة بهدف حل وسط..لكن الطرف الآخر رأى الحرب سبيلاً إلى حل الأزمة وبشكل جذرى[1].

رغم خصوصيات العراق وتركيبته المذهبية الفريدة وحصاره قبل الحرب لمدة قاربت على السنتين قبل الحرب وأكثر من عامين بعد الحرب وإلى الآن.. ورغم الإنتفاضات الشيعية فى الجنوب والكردية فى الشمال فإن ذلك التفاعل الإيجابى الفريد يشير إلى أن إحساس الفرد بحقه ودفاعه من أجله وتحمله مسئوليته التاريخية بكل إيمانه قادر على أن يبعث فى النفس طاقة تفوق ما يمكن حسابه تاريخياً وحتى طبيعياً.. فالعراق (البطل) ما زال زغم ذلك هو العراق المتكامل.. المرهوب الجانب.. الواضح المعالم.. الثابت القيم ولا يحتاج الأمر إلا إلى وقت حتى يشعر الجميع بمدى الغبن الذى أوقعوه على الجانب العراقى الشقيق.. هذا من جانب.

ومن جانب آخر فليست هناك حاجة فى فرض الإحترام العراقى اللاشعورى خاصة لدى معارضيه.. وأهم إشاره لذلك كان متمثلاً فى رد الفعل الكويتى تجاه القرارات الدولية التى تناولت تحديد الحدود الدولية بين العراق والكويت.. حيث ثم تخصيص مزيد ن الأراضى والموانئ وحتى آبار البترول وضمها للكويت من أراض العراق.. فقد كان أو من تخوف من ذلك التخصيص هو الكويت ذاته.. ولم يفعل العراق سوى أن رفض تلك القرارات.. ومن ثم كان على من يطمع فى شبر من العراق وضمه إليه أن يحسب حساب ذلك.. إن لم يكن الآن .. فغداً.

تلك مقارنة بسيطة بين التفاعل السلبى والإيجابى فى النزاعات.. والتى تكمن معظم نتائجها وظواهرها سيكولوچيا.. ويبقى وزنها وبصمتها العملية للمستقبل.. والتاريخ.

★★★

(١) يذكر ريتشارد نيكون رأيه بكل صراحه فيقول: «.. وحتى بدون مباركه الأمم المتحدة فإن الولايات المتحدة وحلفاءها كان لهم الحق فى إستخدام القوة وفق مبدأ حق الدولة المكتسب فى الدفاع عن الفرد أو الدفاع عن الذات الجماعى.. وحينما تتهدد مصالح الولايات المتحدة فإنه يتوجب عليها العمل مع الأمم المتحدة طالما أمكن ذلك.. ولكن بدونها إذا كان ذلك ضرورياً.».

كان رد الفعل الإنسانى لكارثة الخليج ونتائجها والتى مازالت تجرى كأحداث تمس كياناً فى الصميم يتمثل فى إحتياجه الواضح لسند وإستراتيجية تحدد المواقف وتلم الشمل.. وليس هناك أمثل من الدين الإسلامى وقانونه الأبدى.. وهو منهج مفروض على المسلمين .. سيحاسبون على الإيمان به.. وتطبيقه.. الخير كل الخير فى التمسك به.. كما أثبتت الخبرة الإنسانية والتاريخية فشل القوانين الأخرى من مذهبية وأقتصادية وسياسية فى تقليص أهمية القرآن الكريم كمنهج أبدى قويم.

فهل أخطأ العراق فى سياسته؟!

يذكر المولى عز وجل فى محكم تنزيله وأصدق قرآنه:

{ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوفٌ إليكم وإنتهم لا تظلمون } صدق الله العظيم .

والله الذى لا إله إلا هو. لقد جمعت الآية الكريمة فشملت كل أطراف النزاع. وحددت المواقف وفصلت بين الحق والباطل.. ولن نشرح بل سوف تترك للقارئ حسنة التحقق فى مضمون الاية وإشارته.. وفى الأحداث . وحكم المولى.. وإلى الله الأمر كله.

ويقول المولى عز وجل : { هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله.. }

سورة آل عمران ١١٩

والمعنى هأنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابه أو صداقه أو موده.. ولا يحبونكم لتعصبهم الدينى.. أنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزلة.»[١].

ولا عجب إذا من إطلاق القيادة الأمريكية على المرحلة الأخيرة من حرب العراق المجد للعذراء والذى يثبت بكل وضوح الصفة الصليبية والنظرة العقائدية لدى الطرف

---

(١) المنتخب فى تفسير القرآن، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، أغسطس ١٩٧٣. ص ٩٠.

الغربى.. هذا مع أن آيات المولى عديدة وكثيرة تحض وتنصح المسلمين فى إختيارهم للصاحب والمعين وتحذرهم من أعدائهم أعداء الدين مهما تجملوا فى منظرهم.. ومهما بدت صورتهم من خلال أجهزة الإعلام الموجه.

قالت تعالى : { إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها }.

سبحان المولى العلى العليم.. وياله من كتاب شامل جامع.. ضل من لم يتمسك بتعاليمة وينفذ أوامرة.. الآية الكريمة توضح قانون التفاعل النفسى فى النعمة والنقمة عند الطرف الإسلامى وغيره.. وهو تفاعل ثابت لا شك فيه.. فبعد ضرب العراق تحطيمه دفع سلاطين البترول مئات المليارات نتيجةللجهد الأمريكى فى ضربه للعراق وفى سبيل مشاريع إصلاح ما أفسدته طائراتهم عمداً فى الكويت.. ومن ثم.. وفى شهر واحد أو أكثر قليلاً تمت موازنة الأقتصاد الأمريكى المنهار قبل الحرب على حساب المسلمين وانهيارهم.. وأصبحت أمريكا الدوله الأولى فى العالم عسكرياً وأقتصادياً.. أما العرب اللذين دفعوا كل تلك المليارات فلم يحاسبهم أحد عن حق الله والفقراء فى تلك الأموال. من زكاة للمال أو ركاز.

إن أعظم من عبر بوضوح وبصورة لا ليس فيها عن الشعور الأمريكى ونظرته للعرب والمسلمين وحقهم وأرضهم ومالهم بصورة عامة وخاصة هو السفير الأمريكى الأسبق فى السعودية جيمس أكنيز حيث صرح سيادته!! فى مقال نشرته جديدة الواشنطن بوست فى ١٢/٩/١٩٩٠م فقال عن بترول العرب: «وهناك خطة يمكن تصورها أكثر وهى تدويل النفط العربى وبالتالى تصحيح أحد أخطاء القدر - الذى لا يمحكن تفسيره - والمتمثل فى وضع هذه الموارد القيمة فى مكان لا يستحقه!!»

... وصدق الله العظيم

{ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً }

ذلك منهاج الله الواضح الثابت.. هو الأساس لمن إبتغاه.. وعلينا القياس لنعلم الحق من الباطل.. ونحكم على مناهجنا وسياستنا.. قبل أن نحاكم على مواقفنا وأفعالنا.. اللهم بلغت.

الفصل الرابع

المـوقف السعودى .. تغير الموقف الفقـهى

الفصل الرابع

الموقف السعودى .. تغير الموقف الفقهى

ذكرنا أن الصراع الإنسانى أمر حتمى يعتبر من لوازم الحياة نفسها وضرورة من ضرورياته ومن ثم كانت السلامة فى مناولة الصراع إنما تتأتى من مناولته من الوجهة السليمة الصحيحة وليس فى تجنبه.. غير أن ما يزيد الأمر صعوبة حقاً تكمن فى أن الإتفاق على الحكم فى أى صراع أمر عسير وليس باليسير.. ويرجع ذلك لإختلاف زوايا المناولة والمدارس القانونية والأهداف وأهميته وتشابكها بالنسبة لأطراف النزاع.. إلخ.

ليس أدل على ذلك كله من حقائق المواقف التى أثبتها التاريخ لكبار الصحابه ومواقفهم المتباينة من الصراع الرامى الذى جرى بين الصحابه الأول الإمام علىّ ومعاوية بن أبى سفيان.. الأمر الذى أفرز حقيقة جماعة المعتزلة والتى رأت فى الكف عن مناصرة أى من أطراف النزاع طريق السلامة وذلك خوفاً من أن يقعوا فى خطأ سوف يتحملون دون شك وزرة وتبعاته.

مع إيماننا بحساسية الموقف الذى أفرز جماعة المعتزلة فإن معظم أعلام هذا المنهج لأموا أنفسهم بعد حين على عدم وقوفهم بجانب الطرف رأوه أحق من غيره بعد فتره.. حتى مع إختلافهم حول صاحب هذا الحق.. ومن ثم كان التباين والتعارض واضحاً فى مواقف أشرف الناس فى أقصى صراع شهدته الأمة الإسلامية الأولى..

تلك صورة تمثل وتثبت حتمية الصراع الإنسانى حتى بين أعلام خير أمة أخرجت للناس.

كان للإعلام دوره فى تلك الأزمة.. كما لعب الإعلام دورة القوى فى أزمة حرب الخليج الثانية مع ذلك كله فإن الدقة اللازمة أمر ثابت لا شك فيه ومفروض فى الحكم والإستشهاد على المواقف خاصة أن الأمر يهم المسلمين.. وذاتهم.. ويمس مستقبلهم وحياتهم..

كان الصراع بين الصحابة الأول بعضهم وبعض.. بين أطراف مسلمة مؤمنة.. ومن ثم لم تقبل بحال أى تدخل غير إسلامى.. وليس أدل على ذلك من تلك الواقعة.

عندما رأى ملك أوروبا والروم التناحر والتقاتل بين أقطاب المسلمين قام فجهز الجيوش ومنى نفسه بإنتهاز الفرصة والوثوب لإسترجاع عرشه الضائع فى الشام- وعندما علم معاوية بن أبى سفيان رض الله عنه بذلك أرسل إلى ملك أوروبا مهدداً ومحذراً وقال له فيما قال : أرجع وإلا صحبت معى أولاد عمومتى المتخاصمين لتأديبكم فى عقد داركم.. فانزوى ملك الروم فى جحرة فى وسط أوروبا.

مع وضوح تلك الحقائق وثبوتها فإن الموقف تجاه القوات الأمريكية غير المسلمة- والطرف الأقوى والأكثر سيطرة عدداً وعدة - كان واضحاً من كبار علماء المسلمين والكتاب والمثقفين.. وللأسف.

ولن نتناول الموقف من علماء ومفكرى المسلمين فقد أفضنا فية[١].

فى حديث للدكتور/ عبد الله نصيف.. الأمين العام لرابطة العالم الإسلام.. نشر على صفحات جريدة الأهرام القاهرية قبل الحرب أوضح سيادته فى حوار ومقال عن « مشروعية الإستعانة بقوات إجنبية» فقال : « .. إن الإسلام يبيح للدولة المسلمة فى حالة الضرورة كالدفاع عن النفس والعرض والمال من أى عدوان محتمل يقع عليها أن تستعين بمن يملك القوة الكافية لرد العدوان وإحقاق الحق وحفظ الأنفس والإعراض والأموال.. والدليل على ذلك أنه عندما دخل رسول الله ﷺ مكة عند نزولة من الطائف كان فى جوار المطعم من عدى «مشرك» فخرج إليه متقلداً السلاح ومعه أبناؤه لإجازة النبى ﷺ.. كما أستعان النبى ﷺ أثناء الهجرة من مكة بعبد الله بن أريقط وهو مشرك ليدله على الطريق إلى المدينة المنورة..كما تعاقد الرسول مع يهود المدنية للدفاع المشترك عنها ضد العدوان..

وعلى ذلك فإن ما قامت به حكومة المملكة العربة السعودية من الإستعانة بجنود

---

(١) يراجع الكتاب الأول.. العراق المعتبون.. وكلمة للتاريخ.. للكاتب.

الدولة المسلمة والمعاهدة بعد أن تحقق الخطر المتوقع أثر غزو الكويت فإن هذا أمر مقبول شرعاً خاصة وأن هذه الجيوش بعيدة كل البعد عن الحرمين الشريفيين.. وأن وجودها فى مناطق تواجدها الآن لا يختلف عن وجودها فى أى بقعة أخرى. »..

إن ظاهرة الخلط ليست بطارئة ولا جديدة.. ولطالما نبه شيوخ الإسلام وعلماؤهم أن لا نبدأ البحث فى أيه مسألة دون التعريف بحدها تعريفاً جامعاً لما يدخل فيها.. مانعاً لما لا يتعلق بها.. هذا مع تحديد دلالات الألفاظ فى مصطلح علماء الإختصاص وذلك بالرجوع إلى مصادرها فى الأصول..

تلك أصول العلم ومناهجة حتى مع إيماننا بحتمية التفاوت عند المناولة والبحث- وذلك لتعدد زوايا المناولة وطرق التناول وقدر الملابسة ومجالها.. وأيضاً لاختلاف مرامى القصد والوسائل والغايات.

هذا كما أن الأمر عند المفكر والباحث يحتاج لبصيرة وجدية ليست عند الإعلامى الذى يجرى ويلهث وراء الكلمات الرنانة الأمر الذى يشترك فيه رجال المجتمع وأيضاً رجالات السياسة وصانعى الأحداث..

الواضح أن كل إستشهادات السيد الدكتور أمين عام رابطة العالم الإسلامى أشارت إلى صراع وجهاد الرسول الكريم مع أقطاب الشرك غير المؤمنة.. الأمر الذى يتعارض كليه ولا يتمشى مع طبيعة الصراع فى حرب الخليج الأخيرة الذى دار فى مراحله الأولى بنى أطراف مسلمة.. وعلى أرض مؤمنة.. نفس الأمر وإلى حدما - مع الفارق- فى الصراع الذى دار بين صحابة رسول الله الكرام بعد وفاته فى حوادث الفتنة الكبرى.. وحتى تقطع الطريق عل أى إدعاء نقول أنه لم يقم على عهد الرسول الكريم ﷺ أى صراع بينه وبين جماعته وأى طرف آخر مسلم.. ومن ثم فلا أستشهاد مقبول يتعرض فيه المتفلسفون لسيرة النبى وصحابته يصلح للقياس علمياً ودينياً وحتى أخلاقياً على الصراع بين أطراف النزاع فى حرب الخليج الأخيرة - ولا يقبل القياس إلا فى حالة واحدة وهى أن يكفر أحد الأطراف الطرف الآخر ومن ثم فقد يجوز- حتى بتحفظ شديد- الإستعانة بطرف آخر غير إسلامى مع شروط فى ذلك النوع من الصراع..

إن القياس السليم من اساسيات العلم والفقه دون شك .

ومع ذلك كله فإن هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية وبرئاسة سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز قد أصدرت بياناً أيدت فيه: « .. أستخدام قوات مؤهلة بأجهزة قادرة على إخافة وإرهاب من إراد العدوان على هذه البلاد.. وهو أمر واجب عليها تمليه الضرورة فى الظروف الحالية وبحتمه الواقع المؤلم.. وقواعد الشريعة وادلتها توجب على ولى الأمر أن يستعين بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود. »

هكذا .. على وجه العموم – ودون تخصيص.

وقامت الحرب.. وهزم أعتى تجمع دولى فى التاريخ العراق المسلم الوحيد.. البطل المغبون– ودفع مئات الألوف من المسلمين المؤمنين ثمن تلك الفتاوى.. سألت دماؤهم وأزهقت أرواحهم فى حرب ضروس لم تشهد مثلها البشرية ولم تسمع عن شبيه لها الإنسانية .

بعد بضعة أشهر فقط لا تعد على أصابع اليد الواحدة تفاعلت الأحداث مع الأنفس المؤمنة ومن ثم فقد إجتمع المجلس الأعلى لهيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية.. وعلى رأسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.. وأعلنت هيئة العلماء الأفاضل فى وثيقة موجهة إلى خادم الحرمين الشريفين مايلى:

« ... وما زال العلماء وأهل النصح يسدون لولاتهم ما فرضة الله عليهم من النصيحة.. وأننا فى هذه الفترة العصيبة التى أدرك.. فيها الجميع الحاجة إلى التغيير نجد أن أوجب ما تتوجه إليه العزائم هو إصلاح ما نحن فيه مما جلب علينا هذه المحن.. ومن أجل ذلك فإننا نطالب ولى الأمر بتدارك الأوضاع التى تحتاج إلى الإصلاح فى النواح التالية :

- إنشاء مجلس للشورى للبث فى الشئون الداخلية والخارجية[1] يكون أعضاؤه

(١) أضاف سماحه الشيخ عبد العزيز بن عبد الهل بن باز هنا عبارة « على أساس الشريعة الإسلامية » عند تأييده لهذه المطالب.. كما أيدها فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثمين.. وقد تضمنت النسخة التى قدمت إلى خادم الحرمين الشريفين هذا التعديل.

من أهل الأختصاصات المتنوعة المشهود بالإستقامة والإخلاص مع الأستقلال التام دون أى ضغط يؤثر على مسئولية المجلس الفعلية.

ـ عرض وصياغة كل اللوائح والأنظمة السياسية والأقتصادية والإدارية وغيرها على أحكام الشريعة الإسلامية.. ومن ثم إلغاء كل ما يتعارض معها - ويتم ذلك من خلال لجان شرعية موثوقة ذات صلاحية.

ـ ....

ـ بناء السياسة الخارجية لحفظ الأمة بعيداً عن التحالفات المخالفة للشرع وتبنى قضايا المسلمين مع تصحيح وضع السفارات لتنقل الصيغة الإسلامية لهذه البلد».

كانت تلك الوثيقة الخطيرة والتى قدمها مئات العلماء والقضاه والدعاة وأساتذة الجامعات فى السعودية إلى خادم الحرمين تمثل قمة التفاعل النفسى بين ما حدث على أرض الواقع وبين ما يؤمن به المسلمون فى المملكة العربية السعودية خاصة أن نظرة الدين أوضح ما يمكن بالنسبة للإستعانة بغير المسلم فى نزاع المسلمين بعضهم والبعض فى المذهب الوهابى.

يقول إمام المذهب الشيخ / محمد بن عبد الوهاب : « نهى الله سبحانة وتعالى المؤمنين عن إتخاذ اليهود والنصارى أولياء.. وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم.. ولم يفرق الله تعالى بين الخائف وغيره!!.. بل أخبر أن الذين فى قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد.. فبادروا وسارعوا إلى الشرك خوفاً من أن تصيبهم الدائرة - إن مولاه الكفار موجبة لسخط الله والخلود فى العذاب بمجردها.. وإن كان الإنسان خائفاً. ».

والمعنى العام متفق عليه بين المذاهب السنيه الأربعة.. وحتى المذهب الشيعى.. وهو أشد وضوحاً فى المذهب الوهابى وأكثر صراحه وتقريراً من أى.

كانت قمة التراجيديا فى الأمر أن تلك الوثيقة الخطيرة عرفت طريقها إلى الصحف السعودية!!.. وفوجئ الشعب السعودى بها.. وتخاطفتها الأيدى.. وبسرعة تم جمع الصحف ومصادرتها.. وأصبحت للمواقف وللأمور أثمانها .

بعد أيام قليلة أعلن مجلس هيئة كبار العلماء فى السعودية بياناً آخراً نشر هذه المرة فى الجرائد السعودية- عن رضا- حيث إستنكر المجلس طريقه نشر وتوزيع بيانه السابق.. بل وحذر المجلس من تكرار مثل هذه المواقف!!.. ولم يفت المجلس أن يلمح إلى أن السكوت عن المحاسن والشكر عليها- من جانب أخر - أمر بعيد عن الأدب النبوى فى النصح.

جاء فى البيان ما نصه: « الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبة ومن أهتدى يهديه إلى يوم الدين .. أما بعد.

فإن مجلس هيئة كبار العلماء فى دورته الإستثنائية المنعقدة فى الرياض فى يومى ١٨ و ١٤١١/١١/١٩هـ . حرصاً منه على الأمة وسعادتها وسعياً منه لدرء الأخطار والكوارث ولرسولة ولائمة المسلمين وعامتهم » .. وبما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم.. عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت النبى ﷺ على إقامة الصلاة وأيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».. وبما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « إن الله يرضى لكم ثلاثاً - أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»[١]..

إن المجلس عملاً بهذه الأدلة وغيرها مما هو فى معناها ليؤكد على عظم أمر النصيحة والإهتمام بها والتواصى بالحق والدعوة للخير وبيانه والتحذير من الشر وبواعث الفتنة وسد أبوابها.. وأن الواجب على كل مسلم الأخذ بمبدأ النصيحة بشروطها وآدابها والبعد عن الخروج بها إلى الطريق الوعر والمركبة الصعبة الذى يخرجها عن النصح الخالص إلى التهيج وإستثاره المشاعر والسكوت عن المحاسن والشكر عليها وهذا بعيد عن الأدب النبوى فى النصح والإرشاد.. وإن من آداب النصح لله والرسول ولكتابة ولائمة المسلمين وعامتهم اتباع طريق الحكمة فى ذلك حتى تكون النصيحة خالصة غير خارجة عن منهج السلف الصالح مثمرة ثمراتها مؤكدة التعاون بين الأمة وقادتها.. موجدة محبة متبادلة وثقة بالناصحين وعملاً من الولاة.

ومن المعلوم أن مقتض النصح لعامة المسلمين أن يحب المرء ما يحب لنفسه وأن

---

(١) فما رأى العلماء فى معنى الحديث الشريف وتطبيقه على الأحداث.

يكره لهم ما يكرهه لها وأن يشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم وأن يحب ما يصلحهم ويديم النعم عليهم والنصر لهم على عدوهم ودفع كل أذى ومكروه عنهم.

كما أن النصح لائمة المسلمين يكمن فى إرشادهم سراً بينهم وبين ناصحيهم مع حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب إجتماع الأمة عليهم وكراهه أفتراق الأمة عنهم.. كما أن طاعتهم فى المعروف طاعة لله عز وجل والتعاون بينهم فى طاعة الله عز وجل للإسلام وأهله.

وإن المجلس ليذكر الجميع بوجوب شكر هذه النعمة التى نعيشها من الأمن والإستقرار وإجتماع الكلمة وما من الله به من رفع الشرور عن البلاد وذلك مما يحتم التعاون على البر والتقوى والإستقامة على الحق.. وبناء على ما تقدم.. وأخذا بمبدأ درء المفاسد وجلب المصالح وقياماً بالواجب الملقى على كل من ولاه الله مسئولية فى هذه الأمة وحفظا لحق الراعى والرعية- وبعد إطلاع المجلس على ما تناقلته بعض وسائل الإعلام المسموعة والمقرؤة - وما تداولته بعض الأيدى حول ما كتب لولى الأمر عن أمور يراد تحقيقها.. فإن مجلس هيئة كبار العلماء يستنكر الطريقه التى سلكت فى نشر وتوزيع ما كتب فى ذلك ويحذر من مغبة تكرار مثل ذلك مستقبلاً.. ويرى أن الطريقة التى أستخدمت فى نشر وتوزيع ذلك لا تخدم المصلحة ولا تحقق التعاون على البر والتقوى.

وإن المجلس يوصى الجميع بتقوى الله فى السر والعلن ومراقبته فى جميع الأقوال والأفعال ويسأل الله للجميع التوفيق والسداد فى القول والعمل إنه خير مسؤول.

وصل الله على نبينا محمد وآلة وصحبة

توقيع..

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة : عبد العزيز بن صالح

عبد العزيز عبد الله عبد الله بن باز

محمد إبراهيم بن جبير

راشد بن صالح بن خنين .. وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم
التاريخ
المرفقات
الموضوع

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين أمابعد :-

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الإستثنائية المنعقدة في الرياض في يومي ١٨ و١٤١١/١١/١٩هـ حرصاً منه على خير الإمه وسعادتها وسعياًمنه لدرء الأخطار والكوارث والمصائب عنها وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم :الدين النصيحه قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وبماورد في صحيحي البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على :إ قام ا لصلاة وإيتاء الزكاه والنصح لكل مسلم وبماثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولاتشركوابه شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله امركم) إن المجلس عملاً بهذه الأدلة وغيرها مماهو في معناهاليؤكد على عظم أمر النصيحة والإهتمام بها والتواصي بالحق والدعوة الى الخير وبيانه والتحذير من الشروبواعث الفتنة وسد أبوابهاوإن الواجب على كل مسلم الأخذ بمبدأ النصيحة بشروطها وآدابها والبعد عن الخروج بها الى الطريق الوعر والمركب الصعب الذي يخرجها عن النصح الخالص الى التهييج وإستثارة المشاعر والسكوت عن المحاسن والشكر عليهاوهذا بعيد عن الأدب النبوي في النصح والإ رشاد وإن من آداب النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم اتباع طريق الحكمة في ذلك حتى تكون النصيحة خالصة غير خارجة عن منهج السلف الصالح مثمرة ثمراتهامؤكدة التعاون بين الأمة وقادتها موجدة محبة متبادله وثقة بالناصحين وعملاً من الولاة .

ومن المعلوم أن مقتضى النصح لعامة المسلمين أن يحب المرء لهم مايحب لنفسه ويكره لهم مايكرهه لها وأن يشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم وأن يحب ما يصلحهم ويديم النعم عليهم والنصر لهم على عدوهم ودفع كل أذى ومكروه عنهم . كما أن ا لنصح لأئمة المسلمين يكمن في إر شادهم سراً بينهم وبين ناصحيهم مع حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب إجتماع ا لأمة عليهم وكراهة إفتراق الأمة عليهم كماأن طاعتهم في المعروف طاعة لله عز وجل والتعاون معهم في طاعة الله عز للإسلام وأهله .

وإن المجلس ليذكر ا لجميع بوجوب شكر هذه النعمة التي نعيشها من الأمن والإستقرار واجتماع الكلمه ومامن ا لله به من دفع الشرورعن هذه البلاد وذلك مما يحتم ا لتعاون على البر والتقوى والإستقامة على الحق .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم
التاريخ
المرفقات
الموضوع

وبناء على كل ماتقدم وأخذاً بمبدأ درء المفاسد وجلب المصالح وقياماً بالواجب الملقى على كل من ولاه الله مسؤلية في هذه الأمة وحفظاً لحق الراعي والرعيه . وبعد إطلاع المجلس على ماتناقلته بعض وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة وماتداولته بعض الأيدي حول ماكتب لولي الأمرعن أمور يراد تحقيقها. فإن مجلس هيئة كبار العلماء يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر وتوزيع ماكتب في ذلك ويحذر من مغبة تكرار مثل ذلك مستقبلاً ويرى أن الطريقة التي إستخدمت في نشر وتوزيع ذلك لاتخدم المصلحة ولاتحقق التعاون على البر والتقوى .وإن المجلس يوصي الجميع بتقوى الله في السر والعلن ومراقبته في جميع الأقوال والأفعال . ويسأل الله للجميع التوفيق والسداد في القول والعمل إنه خيرمسئول . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة
عبدالعزيز بن صالح

عبدالله خياط لم يحضر لظروفه الصحية	سليمان بن عبيد لم يحضر لظروفه الصحية	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
عبدالرزاق عفيفي	ابراهيم بن محمدآل الشيخ لم يحضر لظروفه الصحية	محمد بن ابراهيم بن جبير
صالح بن علي بن غصون	عبدالمجيد حسن لم يحضر لظروفه الصحية	راشد بن صالح بن خنين
عبدالله بن سليمان المنيع	صالح بن محمداللحيدان	عبدالله بن عبدالرحمن الغديان
صالح بن فوزان الفوزان	محمد بن صالح العثيمين	عبدالله بن عبد الرحمن البسام
حسن بن جعفر العتمي	عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ	

أخطر وثيقة سياسية في تاريخ المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين وفقه الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد تميّزت هذه الدولة باعلانها تبنّي الشريعة الاسلامية. وما زال العلماء وأهل النصح يسدون لولاتهم ما فرضه الله عليهم من النصيحة . واننا في هذه الفترة العصيبة التي أدرك فيها الجميع الحاجة الى التغيير نجد أن أوجب ما تتوجه اليه العزائم هو اصلاح ما نحن فيه مما جلب علينا هذه المحن. ومن أجل ذلك فاننا نطالب ولي الامر بتدارك الاوضاع التي تحتاج الى الاصلاح في النواحي التالية:

- انشاء مجلس للشورى للبت في الشؤون الداخلية والخارجية* يكون أعضاؤه من أهل الاختصاصات المتنوعة المشهود لهم بالاستقامة والاخلاص مع الاستقلال التام دون أي ضغط يؤثر على مسؤولية المجلس الفعلية .
- عرض وصياغة كل اللوائح والانظمة السياسية والاقتصادية والادارية وغيرها على أحكام الشريعة الاسلامية ومن ثم الغاء كل ما يتعارض معها . ويتم ذلك من خلال لجان شرعية موثوقة ذات صلاحية.
- أن تتوافر في مسؤولي الدولة وممثليها في الداخل والخارج استقامة السلوك مع الخبرة والتخصص ، والاخلاص والنزاهة ، وان الاخلال بأي شرط من هذه الشروط لأي اعتبار كان تضييع للامانة وسبب جوهري للاضرار بمصالح البلد وسمعته .
- تحقيق العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع في أخذ الحقوق وأداء الواجبات كاملة دون محاباة للشريف أو منّة على الضعيف . وان استغلال النفوذ أيّاً كان مصدره في التملص من الواجبات أو الاعتداء على حقوق الآخرين سبب لتمزّق المجتمع والهلاك الذي أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم.
- الجدية في متابعة ومحاسبة كل المسؤولين بلا استثناء ، لا سيما أصحاب المناصب الفعالة، وتطهير أجهزة الدولة من كل من تثبت ادانته بفساد أو تقصير بصرف النظر عن أي اعتبار.
- اقامة العدل في توزيع المال العام بين جميع طبقات المجتمع وفئاته ، والغاء الضرائب وتخفيف الرسوم التي أثقلت كواهل الناس وحفظ موارد الدولة من التضييع والاستغلال. ومراعاة الاولوية في الصرف على الاحتياجات الملحة. وازالة كافة أشكال الاحتكار والتملك غير المشروع. ورفع الحظر عن البنوك الاسلامية وتطهير المؤسسات المصرفية العامة والخاصة من الربا الذي هو محاربة لله ورسوله وسبب لمحق البركة.
- بناء جيش قوي متكامل مزود بأنواع الاسلحة من مصادر شتى مع الاهتمام بصناعة السلاح وتطويره. ويكون هدف الجيش حماية البلد ومقدساته.
- اعادة بناء الاعلام بكافة وسائله وفق السياسة الاعلامية المعتمدة للمملكة ليخدم الاسلام ، ويعبر عن أخلاقيات المجتمع ويرفع من ثقافته ، وتنقيته من كل ما يتعارض مع هذه الاهداف، مع ضمان حريته في نشر الوعي من خلال الخبر الصادق والنقد البناء بالضوابط الشرعية.
- بناء السياسة الخارجية لحفظ مصالح الامة بعيداً عن التحالفات المخالفة للشرع وتبني قضايا المسلمين مع تصحيح وضع السفارات لتمثل الصبغة الاسلامية لهذا البلد.
- تطوير المؤسسات الدينية والدعوية في البلاد ودعمها بكل الامكانات المادية والبشرية وازالة جميع العقبات التي تحول دون قيامها بمقاصدها على الوجه الاكمل.
- توحيد المؤسسات القضائية ومنحها الاستقلال الفعلي والتام. وبسط سلطة القضاء على الجميع وتكوين هيئة مستقلة مهمتها متابعة تنفيذ الاحكام القضائية.
- كفالة حقوق الفرد والمجتمع وازالة كل أثر من آثار التضييق على ارادات الناس وحقوقهم بما يضمن الكرامة الانسانية حسب الضوابط الشرعية المعتبرة.*

الموقعون

من الواضح .. والثابت من كل ما تقدم ومن غيرة أن الموقف الفقهى تجاه حرب الخليج واحداثه قد تذبذب إلى أقصى حد وأبعد مدى[1].. فمن تأييد مطلق وإدعاء بشرعية التحالفات لأجنبية الغير مسلمة قبل الحرب[2].. إلى الإعتراف والقبول بعد الحرب بمخالفة تلك التحالفات للشرع إقراراً وأعترافاً.. إلى موقف آخر بين هذا وذاك بمعنى أن النصيحة لما يطابق أو يخالف الشرع هو أمر محصور فقط بين الراعى ومجلس الشورى ولادخل لعامة المسلمين به..

من الواضح أن هناك جهوداً ترمى إلى التعتيم عن الحقيقة.. رغم وضوحها ورغم الأعتراف بها صراحة ونصاً.. وكان السبيل إلى ذلك سياسياً وإعلامياً ومداهنة..

والمولى عز وجل يحذر من ذلك السبيل الخاسر لمناصرة المولى.. وعزة دينه.. و صحة قوانينة.

يقول المولى عز وجل : { فلا تطع المكذبين ودوا لوتدهن فيدهنون } .

وقال عز وجل على لسان بنيه صالح : { فاتوا إليه واطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذى يفسدون فى الأرض ولا يصلحون } ..

والرسول الكريم قال لعمه: { والله يا عم.. لن أتركك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه}

فلا عزله إذا بين الدين والدنيا.. ولا بين العقيدة والإجتماع- ولابين الفقه الياسة كما كان الحال فى المسيحية مثلاً..

وعلى أقل تقدير فإن هؤلاء العلماء كانوا وفيما يختص بأمر المسلمين وأرواحهم مذبذبين .

---

(١) أكدت صحيفة الأند بندت البريطانية فى تعليق لها على بيان علماء السعودية أن البيان قد جاء كرد فعل على التحالف بين السعودية والغرب.. وإتجاه حكومات دول الخليج بقبول نظام أمنى غربى خاصة بعد إنساحب القوات المصرية.. وقالت الصحيفة أن البيان يؤكد إستمرا النفوذ الإسلامى فى المملكة العربية االسعودية.

(٢) يُراجع كتاب العراق المغبون وكلمة للتاريخ .. للكاتب.

والمولى عز وجل يقول : { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } .

نسى هؤلاء العلماء الأفاضل قوله عز وجل : { ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور} .

فما بالنا إن كان ذلك الأمر فى شأن أخوة لنا فى الدين والعقيدة واللسان وحتى الجيرة!!

هذا من ناحية.. وإذا كان تفسير موقف العلماء الأفاضل نوع من السياسة أو التقية فإن أعظم رد على ذلك هو التحذير الألهى لنبيه الكريم فى أن يميل لجانب المشركين .

قال تعالى : { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا }.

ومن جهة أخرى فإن الدين للشعب كما هو للراعى والعلماء ولا يجوز بحال أن يقبل الشعب الخطأ الشرعى إذا علمه وحتى إذا رفعه العلماء ونادوا به.. بل إن الدين الإسلامى الحنيف يعتبر المظلوم الذى يصبر على الضيم ظالماً يحمل من الأوزار مثلما يحمل ظالمه سواء بسواء.. ويبشر المستضعفين الذين يمالئون كبراءهم بمصير أليم وحساب عسير.. فإذا ما حدث فإن القرآن ينقل صورة للفريقين إذ يقوم بينهما حوار فاشل.. سوف يلقى كل منهما تبعة الحيف على الآخر.

يقول المولى عز وجل : على لسان المستضعفين : ﴿ ربنا أنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾ .

فيجيبهم الله فى حزم عادل: « لكل ضعف »

أى أن لكم عذاب ولهم عذاب

والرسول الكويم يوضح ذلك الأساس بشكل واضح وصريح فيقول ﷺ :

« إذا عجزت أمتى عن أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها »

إن الإسلام لا يعرف هيئة دينية مثل «هيئة الأكليروس» فى الكنيسة

المسيحية.. بها وعليها يقوم الحكم الشرعى.. والحكم الإسلامى ليس هو الذى تقوم به هيئة معينة.. ولكنه كل حكم تُنفذ فيه الشريعة الإسلامية.. والطاعة من المحكومين وعامة الشعب منوطه وموقوفة وفقط على تنفيذ الحاكم لشريعة الإسلام الأمر الذى يحتم معرفة الشعب بالقوانين الإسلامية وإعلانها ونشرها على الجميع .

من جهة أخرى- وإحقاقاً للحق - أيضاً - فإن ذلك الموقف المذبذب يحمل فى طياته لوماً للنفس[1].. وردة للحق من الموقف الفقهى الرسمى قبل بدء المعارك.. ومن ثم فقد رفع العصيان لأمر الكافرين وهيمنتهم.. غير أن تلك الردة الإيمانية غير كامله.. فلم يوضح لنا هؤلاء العلماء والشيوخ موقف الدين من حصار العراق المغبون والوحيد بعد حرية وضربة وأيضاً تحطيم منشآته ومصانعه ووقوفه وحيداً غريباً بعد حرب واجه فيها القوات الطاغية العالمية كلها!! الأدهى والأمر أن مسألة الحصار قبل ضرب العراق وبعده هى مسأل عربية إسلامية فى المقام الأول الأخير.. فالعراق يحيط بها ومن جميع جهاته أربع دول عربية إسلامية.. ودولتان أخريتان إسلاميتان وهو الأمر الفريد والذى يميز به العراق خاصة من دون أيه بلد إسلامية.. ومن ثم فإن حصار العراق عربى إسلامى فى المقام الأول والأخير.. وليس أمراً عالمياً كما يرفع المدعون.. وحتى بعد ضرب العراق!.. وكأن الأمر وصل إلى غايته حتى تقوم البينة وبصورة تامة وواضحة على المسلمين المتخاذلين قيادة وشعوب.. وأيضاً علماء متواكلين.

قال تعالى : { ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين } .

وقال الرسول الكريم ﷺ: { المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً }.

إن الحقيقة المجردة تؤكد أن ذلك هو موقف الدين وأوامره وشرعه بين المتخاصمين من المسلمين..ومن قانون المسلمين الأعلى وأيضاً الأوحد.. ولعل تلك

(١) المدهش أن ذلك التعارض الذى نشأ على الساحة الإسلامية فى السعودية لم يقابله أى تغيير أو مراجعه فى موقف الأزهر الفقهى.. ولم يتم مراجعه ذلك كله بعد وضوح الأهداف الأمريكية وإعلانها من الناحية الشرعية.

الحقيقة هى ما تفسر وجهة نظر الساسة والمتفلسفين والمعتمدة كليه على كلمات رنانة ضخمة غير ذات معنى ثابت محدد.. ولا قيمة معلومة مؤكدة وذلك مثل الشرعية الدولية.. والقانون الدولى.. ومجلس الأمن.. والإجماع العالمى.. إلخ.. تلك الشعارات التى يحتار المتخصصون فى السياسة فى تحديد معناها لفظاً.. وتوضيح حدودها تطبيقاً.. هذا وكتاب الله واضح وصريح.. ينطق بالحق.. ويقيم الحجة على المدعين..

قالت تعالى فى شأن المتخاصمين من المسلمين: { وإن طائفتان من المسلمين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين }.

فأين الإصلاح بعد ضرب العراق؟! – وهل من القسط محاصرته بعد ضربه ؟!

المدهش فى الأمر حقاً أن قراراً للجنة الأمم « الأمريكية » لترسيم الحدود بين العراق والكويت بعد الحرب بحوالى العام تضمن إستقطاع ٥٧٠ كليومتراً من العراق وضمها إلى الكويت.. وتضمن القرار أيضاً إستقطاع ستة آبار بترولية فى حقل الرميلة من العراق وضمها للكويت.. وأيضاً إجراء من جنوب ميناء أم قصر تقرر ضمها للكويت من العراق!! وهو الأمر الذى لا يمكن قبولة أو حتى تخيله.. فهو بعد المنفذ البحرى الوحيد للعراق على الخليج منذ غرق ممر شط العرب عام ١٩٨٠ وعلى أثر إندلاع الحرب بين إيران والعراق ورحب مجلس وزراء الكويت بقرار لجنة الأمم المتحدة « الأمريكية».،

يقول المولى عز وجل: { ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى }

هذا بفرض خطأ العراق!! وبعد هزيمته..

لم توافق العراق على ذلك القرار وأكتفت بإعلان رفضهالة..

كان رد الفعل الكويتى متبايناً حول تلك المكاسب الأقليمية والبترولية!!.. فقد أعرب بعض المسئولين عن أن ذلك الوضع سوف يزيد الأمر عداوه بين العراق والكويت على المستقبل المنظور. وأعرب آخرون أن إطماع العراق فى الكويت ستظل قائمة بصرف النظر عن قرار إعادة رسم الحدود بين البلدين..

وهكذا وضعت بذرة العداوة.. فى إنتظار نتيجة لها على المستقبل المنظور .. كل ذلك نتيجة ترك أمور المسلمين وخلافتهم لغير المسلمين.. ومولاه طرف منهم ليد عليا من غير المسلمين .

والمولى عز وجل يحذرنا من كل ذلك: { الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً }.

ويقول عز وجل: { هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون }.

تلك الأسس كلها معروفة ومتفق عليها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.. وسوف يحاسبنا عليها المولى عز وجل.. وأشدنا حساباً هم المعلماء العارفون المتفقهون لكل ذلك.

إن كان الإسقاط هو المنهاج لمفكرى وعلماء الدين فى العالم والإسلامى .. ومصر فإن الموقف ليس كذلك على الساحة الأخرى.. ساحة الفاتيكان.. وفيما يختص بأمر المسلمين أنفسهم.. أنفسهم وأرضهم ومالهم.. وحتى مستقبلهم.

نشرت صحيفة الأخبار المصرية فى ١٩٩١/٣/١م.. أى فى ذروة الصراع المسلح فى المنطقة خبراً تحت عنوان « مؤتمر قمة الإساقفة الفاتيكان يبحث تأثير أزمة الخليج على العلاقات بين الإسلام والمسيحية» ذكرت تحته أن: « بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثانى وجه الدعوة إلى مؤتمر قمة لأساقفه الدول المعينة بأزمة الخليج العربى والتى لها علاقات بها.. وجه البابا هذه الدعوة فى أعقاب إدلائه بتصريح أعرب فيه» عن تلقة الشديد بسبب الهاوية التى يمكن أن تحفرها أزمة الخليج بن الشعوب المعنية والتى يمكن أن تصبح أكثر عداء فيما بينها بدلاً من إتجاهها نحو التوافق والتضامن. »..

من ناحية أخرى صرح الناطق الرسمى باسم الفاتيكان چواكين نافرو فالس: «أن البابا يهدف بمبادرته للدعوة إلى إجتماع القمة إلى تشجيع تبادل المعلومات وطرح الآراء حول نتائج كارثة الخليج على سكان الشرق الأوسط وعلى الطوائف المسيحية فى هذه المنطقة وعلى الحوار بين الشرق والغرب وعلى العلاقات بين الإسلام والمسيحية.. وبين اليهودية والمسيحية.

وأضاف الناطق باسم الفاتيكان: «إن نتائج هذا اللقاء ستتيح لكنيسة الكاثوليسكية دراسة المبادرات الأكثر ملائمة للأسهام فى صنع السلام بالمنطقة بالتضامن والحوار الدينى.. ثم أضاف: إن البابا يأمل فى أن يتم ذلك فور إنتهاء حرب الخليج.. » إنتهى.

تلك كانت نظرة الفاتيكان لمنطقة الاسلام ومركزه.. لم تتأخر ولم تنتظر حتى نهاية الحرب الأمر الذى يثبت ويؤكد أن للغايتكان منظاره تجاه المنطقة وتجاه القوى والتيارات التى تسرى فيها.

.. بعد عد أشهر يسافر الرئيس الأمريكى ويدرس مع إلبابا الوضع حول القدس..

.. وبعد عدة أشهر أخرى يعلن البابا أن المسيحية لا تمانع فى الهيمنة اليهودية على القدس الشريف.

وهكذا أصبح مستقبل ثالث الحرمين الشريف يتحدد.. هناك..!!

أما على المستوى السياسى فبعد الحرب أصبح ما كان يتردد سراً يقال علناً وعلى رؤوس الأشهاد.. فها هو ميتران- يعلن- أن الهدف من الحرب المشتعلة هو قوة العراق التى تنامت بزعم أن ذلك يحول دون وقوع حرب عالمية ثالثة بعد ثلاث أو أربع سنوات!!.

أيد مثل تلك الأقوال كل من المستر بوش.. والسيد دوجلاس هيرد.. ومازالت تتردد حتى الآن.

أما على المستوى الأقتصادى فقد ذكر خبرء أقتصاديون فى تقرير نشرته «الأسوشيتد برس » أن « عائدات السعودية من النفط لن تتجاوز ١٢ ملياراً دولار خلال الربع الأول من عام ١٩٩١م « رغم زيادة الإنتاج زيادة كبيرة »!!

فى حين يتوقع أن يقل الإنفاق الحكومى إلى ٣ مليار دولار عن الفترة ذاتها من العام الذى يسبقه!!.. »

وأكد الخبراء أن السعودية باتت مهددة بمواجهة عجز ضخم فى ميزانيتها خلال

العام الحالى ١٩٩١.. وذلك بسبب تزايد النفقات من جراء أعباء خصوصاً المساهمة فى تمويل القوات الأمريكية الموجودة على أراضيها وتعويض الدول الأكثر تضرراً بالحرب - فضلاً عن فاتورة تنظيف الخليج من بقع البترول.. وأشارت إلى أن التزامات السعودية للإنفاق على أسكان.. إطعام.. وتوفير المياه.. والوقود لنصف مليون أمريكى بتكليف ١٣,٥ مليار دولار لربع العام الحالى ١٩٩١م!! »

... بعد عدة أشهر وفى يونيو من عام ١٩٩١م ذكر تقرير تقرير أقتصادى أعدة مركز أبحاث الكونجرس الأمريكى أن السعودية والكويت وبقية دول الخليج البترولية لن تزيد معونتها للدول العربية المتضررة من حرب الخليج ومنها مصر.. وأوضح التقرير أن السبب الأساسى لعدم الإستقرار فى منطقة الشرق الأوسط يرجع إلى أستياء الدول الفقيرة من ضعف المساعدات التى تقدمها الدول الغنية فى المنطقة حيث خفضت هذه المساعدات من ٩ مليارات دولار عام ١٩٨٠ إلى مليار ونصف عام ١٩٨٩م.

وأشار التقرير إلى أن حجم المساعدات التى قدمتها هذه الدول لا يزيد عن ٢٪ من إجمالى ناتجها!!.

وفى شهر إبريل من عام ١٩٩٢ أعلنت أمريكا أن عام ١٩٩١م شهد أول إنخفاض فى ميزانيتها لعدة سنوات مضت.. ولا يمكن إرجاع ذلك التحسين الملحوظ إلا إلى حرب الخليج وكارثة العرب الأقتصادية ضرورة.

من تلك الإشارات الواضحة تستطيع أن نظهر الفارق بين زعماء الدول العربية والإسلامية ورجالاتها وبين غيرهم من العالم الغربى المتربص بهم.. فالعجيب أن الأساس الذى يجمع بين العرب جميعاً ورغم وضوحة والإتفاق عليه ورغم تقله الدينى قد أختلف عليه وحوله الفرقاء جميعاً.. بعضهم أستمر على موقفه رغم كل تلك الإشارات.. والبعض لم يحتمل الخطأ بعد سقوطة فأعترف بخطئة.. والآخر أسقطه مرتكزاً على فضيلة النسيان بين الناس والغفران من المولى الرحمن الرحيم.. وكان العرب جميعاً ضحية ذلك كله. ودفع العرب جميعاً وسوف يدفعون ما إنهمك

حلفاء الشيطان فى تحديده ودراسته والمحاربة من أجله.. هذا مع إختلاف الأهداف النهائية والمقاصد الحقيقية لأطراف التحالف الغربى- ففى ساعة العمل توحدت كلمتهم تحت قيادة أمريكية لها سياستها الهادفة تجاه المنطقة والمتعارضة أساساً مع أهداف بعض الأطراف الأخرى خاصة الأوروبية.. واليابانية والسوفيتية.. وحتى العربية من حلفائهم.

أن العقلانية الإيمانية التى نرتكن عليها فى تقييمنا للمواقف المختلفة من أطراف النزاع تشير - دون شك - إلى خلل واضح وظاهر فى الجانب العربى ككل.. مع تفاعل مرن واثق وثابت الهدف واضح الرؤية على الجانب الآخر الغير عربى اللإسلامى حتى مع إختلافهم فى المرمى النهائى وتعارضهم فى أهدافهم..

فكيف تنتظر عون المولى مع التنصل من تعاليمه!!! .. والتمسك بنواهيه.. والإرتماء فى حضن أعدائه .. الجادين والفاهمين.. الدارسين والمحللين !!!

إن الشريعة الإسلامية تنظرإلى الحرب نظرة واقعية.. وهى أقدر على تفهم عواقبها وتحديد أخطارها.. وهى تؤثر السلم فى حالة القدرة وتهيئ للسلام [1] كل أسبابه وفرصة ليسود المسلم عزيزاً كريماً.. فإن الإسلام أيضاً لايريده سلماً تمتهن به الكرامة والسيادة والشخصية الإسلامية .

قال تعالى: { فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم }.

ومن ثم فقد دعا الإسلام إلى الإستعداد والقوة وحتى القتال فى سبيل عزة الإسلام.

قال تعالى : { وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا }.

ثم أنة ولحتمية الصراع وأهميته فى حياه البشرية فإن المولى عز وجل يقرر حقيقة الصراع وصورته الإيمانية من منطق العقلانية الإيمانية فيقول عز من قائل:

{ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون }.

---

(١) قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ﴾.

من حق القارئ العاقل المثقف والمحلل أن ينظر لكل تلك الحجج الإيمانية بالتحليل.. وله حتى أن يقيم عليه ما يراه من إشارات حيث أنها تؤيد الجانب العراقى- والذى يؤمن الكاتب بسلامته- وله أن يستخلص منها ما يراه من معان أخرى.. غير أن المفصل المحورى والأساس الإيمانى الذى لا يحق لأى مسلم أن يشكك فيه هو مسألة أقامة ما يراه حقاً عن طريق الإستعانة بقوات العالم المهيمنة والغير مسلمة مهما كانت سلامة النية وزاوية المناولة فى الأمر.. فالواقع الذى نعيشة حالياً يوضح أن الأمور كلها سوف يتم إخراجها على أرض الواقع بالصورة التى تتمشى أولاً وأخيراً مع مصلحة تلك القوى المهيمنة وعلى حساب حقوق الطرف المسلم العربى كقيمة وواقع .. وهذه النتيجة محتومة ومنطقية وعقلانية أشار إليه القرآن الكريم واثبتتها مئات من الآيات الكريمة.. نعم مئات.

يقول الفاروق عمر « لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلىّ من أن أقيمها بالشبهات »

ولا يمثل ذلك كله إلا أدنى مستويات الفهم والتى لم تتأثر بالإعلام الشرس الموجه والذى سيطر على الساحة الفكرية والإعلامية قبل الحرب وبعدها فما بالنا بأعلى مستويات الفهم والمسئولة عن التشريع والإجتهاد والتى يجب ضرورة أن تؤثر على السياسة والمستقبل والأقتصاد الإسلامى والعربى!!

تحديداً وبصورة عامة وخاصة فإن لب الخلاف فيما يختص بالنظرة الشرعية تجاه أحداث الخليج أثبتت نفسها فى الموقف المتأرجح السعودى للأحداث من الناحية الشرعية وما بعدها.. ومع إيماننا بأن النصوص الشرعية واسعة ومرنة وتتسع لأفهام عديدة خاصة مع تطور الحياه فإن قضية المشرق العربى كانت أخطر من أن نقيم عليها البينة بحديث من هنا وآخر من هناك يستطيع أى محلل أن يقيم عشرات العوائق على دقة القياس ومن ثم علة الحكم فى الحوادث ومجرياتها على أرض الواقع - والأمر جد خطير ويستحق أن يؤخذ بكل جدية خاصة لتأثيره على حياه وكرامه وحقوق وأموال المسلمين.

ثم أنه هناك وقبل كل شئ العشرات والعشرات من الآيات الكريمة الربانية والتى تنهى بشكل قاطع عن موالاه المسلمين لمن خالنوهم فى العقيدة ولو أستطاع أحد المتفلسفين أن يؤول اية فلن يستطيع قطعاً أن يوولها جميعاً.. بعض هذه الآيات نهى ونص لذلك صراحه- عن عدم موالاه أهل الكتاب.. والبعض نص عليهم كنصارى ويهود فماذا بعد ذلك كله يا عباد الله؟!

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين.﴾

إن القرآن الكريم حينما عرض منهجة الإيمانى والإخلاقى وأيضاً السياسى إنما عرضه مقترناً بآثاره طيبة كانت أو غير طيبةعلى شكل موقف تاريخى أو موقعة بين الحق الباطل أو قصة حافله بالاحداث ومن خلال تلك المشاهد جميعاً تم عرض الاسس والقواعد الدينيه فى صورة واقعية.. على أمل أن تتحدد سياسة المسلمين من خلال منهج محدد له قواعدة المعروفة وحدودة الثابتة.. اما ما حدث على ارض الواقع فى حرب الخليج الأخيرة ففيها لفظ لكل تلك الحقائق.. وكأن تلك الاسس والقوانيين مجرد بحوث نظرية تدرس ولا تغرس.. الأمر الذى نهى الله عنه.. وحذرنا منه.

قال تعالى: { وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }.

ويحدد رسول الله ﷺ قواعد الحق بين المسلمين. فيقول ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» فلا فضل بين السعودى والعراقى بخال.. ولابين المصرى والسورى إلا بالحق.

إن القضية الأساسية والحقيقية هى قوة الاسلام والمسلمين الأمر الذى يستلزم نظرة فوق قطريه شاملة وواعيه تقدر ظروف المرحلة التى نعيشها وطبيعتها.

قال تعالى: { إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون }.

وقيل للإمام احمد: إذا غزوت فمع من تغزو.. مع العادل الضعيف أو مع القوى الفاجر؟!.

قال : مع القوى الفاجر.. فالعادل الضعيف عدله لنفسه.. وضعفه لعامة المسلمين.. أما القوى الفاجر فإن فجره لنفسه وقوته لعامة المسلمين.

إن القضية فى حقيقتها يمكن تلخيصها فى أنه لاخلاف على أن الصراع من وجهة أحقيته وسلامته للدين ومستقبل وصالح المسلمين فى جانب العراق.. لكن استغلال هذا العلم الثابت فى مجالات العمل والدعوة والاعلام يتطلب معياراً إيمانيا خاصاً – وعمليا ينظر الى الآثار التى نجمت عن ظاهر هذا الاستغلال ويزنها بميزان الاسلام وصالح المسلمين كقيمة وهدف.. أما ميزان الخير والشر فى الصراع بين المسلمين فهو دائم وثابت فى قرآن رب العالمين والذى نهى فى عشرات وعشرات من آياته عن الاستعانة والركون الى أهل الكتاب بصورة قاطعة وحاسمة.. ومتكرره.

إن العلم – لأهميتة – لاينبغى لأحد أن يحد من نشاطه أو يعرقل منهاجه.. كما أن الوقوف على حقائق الاشياء ودوافع المواقف من ثم هدف انسانى هام طريقه العلم والدين.

ان الرحمة والرأفة والعدالة والاسلام ليست حقائق مادية تقع فى مجال الحس إنما هى قيم روحيه.. ومعنوية حددتها الاديان والكتب المساوية.. ومن ثم فهى النبع الصافى والمحرك المسيطر لطريق الحق والصواب فى اى صراع.

وفى مصر آثر رجال الدين والأعلاميون وحتى السياسيون ضرب العراق.. وهزم العراق فى معركة طاحنة أبدى فيها من ضروب الشجاعة ما هو مشهور عنهم.. وضد أعتى قوى العالم فى تاريخ البشرية كلها حتى الآن.. فهل انتهت الازمات وعادت الحقوق وسادت الرحمة والرأفة كما بشرت بذلك وسائل الاعلام؟!.. إن الواقع الذى يعيش مآسيه المسلمون يثبت دون جدال ان طريق الحق والعدل يجب ان يكون واضحاً وذو ثقل رغم الاعلام الموجه والمكثف والذى جسد مايهمه أن يراه الناس على حساب الحقائق ذاتها..

ويخطىء من يظن بعد ذلك كله أن المولى عز وجل سوف يكافىء المسىء على نيته.. اليس ما نراه ونلمسه ونقرأه على مختلف المحاور يعتبر نتيجة مباشرة لضرب العراق وانهيار قوة المسلمين؟!.

الم تنتقص السيادة العربية والاسلامية فى الاراضى المحتله وفى ليبيا.. وغداً فى غيرها ؟!.

ليس هذا فحسب.. بل إن المنهاج العقائدى لأزمة الخليج يطرح الواقعية المريحة للإيمان ويطرد دون شك هذا الزخر الاعلامى المكثف والذى تكلف مئات الملايين.. بل هى فى حقيقة الامر لم تدع شيئاً يخص صالح المسلمين لقوانين البشر ولا لسلطان اللوك.. أو حتى أوامر الكهنه فى امريكا والغرب.. فالامر كله لله وحده

قال تعالى: { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع اهواء الذين لايعلمون }.

وقـــال: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾.

وصدق المولى عز وجل: { إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم } .

الفصل الخامس

الموقف الاوروبى .. ابعاده بعد الحرب

الفصل الخامس

الموقف الاوروبى .. ابعاده بعد الحرب

لا يمكن فصل السياسة عن الحرب .. فكلاهما متمم للآخر.. لازم له. أو بتعبير آخرهما وجهان لعملة واحدة. مع نهاية الحرب العالمية الأخيرة ظهرت نغمة جديده ومميزه على الساحة السياسية والأعلامية.. وكانت الكلمة للمنتصرين.. ومن ثم فقد أعلن الرئيس الامريكى روزفيلت عن أمله فى قيام مؤسسة الامم المتحده. وكان يقصد أساساً مجموعة الدول التى تحالفت مع الغرب ضد المانيا الهتلرية.

من السهل ملاحظة حرص الطرف المنتصر على إطفاء قيم أخلاقية وشعارات مثاليه لتغطية أهدافه الحقيقة.. ومن ثم فقد كانت تلك الشعارات هى جواز المرور إلى النظام العالمى الذى استهدفه الحلفاء بعد إنتصارهم. من ناحية المنطق وحقائق الواقع فإن بزوغ نظام عالمى جديد بعد الحرب العالمية الأخيره كان ضرورة لابد منها كمجال لتنظيم هيمنة الاطراف المنتصرة.. وتحديد الخطوط الحمراء لأيه خلافات مقبله بين حلفاء الأمس.. ومن ثم سرعان ما ظهرت مؤسسات دولية ذات دور إقتصادى مهيمن ومؤثر مثل صندوق النقد الدولى.. والبنك الدولى للتعمير والتنمية.. وغيرها.. ولم تلبث دول العالم الإقليلا حتى شعرت أن هدف هذه التكتلات الاقتصادية العالمية لا يعدو إلا خدمة دول الحلفاء أو ما يسمى اليوم بتجمع الدول الصناعية المتقدمة.. وعليه.. سرعان ما تشكلت نظرة العالم الثالث تجاه تلك المؤسسات العالمية ووجدت تلك الدول فى التنافر الشرقى. الغربى المجال الذى افسح لها فرصة التعبير عن ذاتها.. ومن ثم كانت الحرب الباردة بين الماردين المتنازعين فرصة لاثبات وجود واستقلاليه دول العالم الثالث.

بعد فتره من التفاعلات كان رد فعل العالم الغربى فى صور التركيز الأشد لخلق مؤسسات اقتصادية أنشط واضيق تستطيع أن تحقق الاهداف والآمال المستقبليه للدول الغربية الكبرى مع فرصة أفضل لتضييق الخلافات والتناقضات فيما بينها..

وعليـه سرعـان مـا ظهـرت على السطح الحلف الاطلسى.. وايضـاً منظمـة التـعـاون الاقتصادى والتنمية.. وظهرت السوق الاوروبية المشتركه.. ومنطقة التجارة الحرة بين بقيه الدول الاوربية.

الأمر إذاً لايمكن فصله بين السياسة.. والحرب.. وحتى الاقتصاد.

من المنطق رغم كل ذلك أن تظهر المتناقضات حتى بين تلك التجمعات الخاصة- فهذه هى طبيعة الأمور.. وعليه ومنذ سنوات ظهرت الرغبة الاوروبية فى أثبات الذات فى الوقت الذى كانت فيه فترة الحرب الباردة وظروفها المتأرجحة من أهم العوامل التى حددت المواقف وحدودها وشكلت جبهات الصراع والتنافس من خلال ثبات توازن للقوى بين جبهتى الحرب البارده.. فالولايات المتحدة ظلت جاهدة ترمى إلى الزعامة والسيطرة مع قناعه بدور الاتحاد السوفيتى فى بناء البيت الاوروبى الشرقى من المحيط إلى الاورال.. فى حين أن اوروبا كانت منقسمة منذ نهاية الحرب الأخيرة إلى المعسكر الشرقى والغربى مناصفة.

وفى السنوات الأخيرة بدأت تتبلور نتائج هذا التنافس بين اعضاء المجموعة الدولية.. وبدأت التيارات السياسية واضحة جلية.. فحين يمكن القول أن الولايات المتحدة قد حققت تماسكا عن طريق سياسة ثابته ذات نفس طويل فإن الاتحاد السوفيتى ظهرت عليه أعراض أزمة حادة حقيقيه أثرت على تماسك وهيبة الدوله وثقلها الدولى خاصة بعد تدخله الفاشل فى افغانستان.. هذا فى حين ظهر العملاق الاقتصادى اليابانى مع نمور شرق آسيا كقوه اقتصادية لها وزنها..

كان ولابد أن تؤثر تلك القوى على الحصان الاسود الاوروبى والذى شهد حركة هدم وبناء.. ومن ثم بدأت تظهر على الساحة الاوروبية ظواهر نظام اوروبى جديد مع تيارات. عاصفة هزت أساس اوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية.. وهكذا اظهرت بوادر تحقيق الوحده بين الالمانيتين كما كانت ايام بسمارك.. واصبح التقارب الفرنسى الألماني صورة ملموسة سياسيا. وذات أثر محسوس وهيبة ملحوظة نظراً للثقل الاوروبى الاقتصادى حتى أصبح من المحتم ألا يعقد مؤتمر قمه بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة دون الحضور الاوروبى.. المؤثر.

من النطق أن يكون من أهم أهداف الولايات المتحدة فى تلك المرحلة تحديد علاقتها مع ذلك العملاق الكامن ومحاولة تأجيل بعثته وصحوته إلى اقصى حد..

اما الاتحاد السوفيتى فلم يكن أمامه إلا أن يعمل جاهداً لإستغلال ذلك الموقف لأقصى حد واللعب على تناقضات اطرافه بأى شكل.. ولو على أقل تقدير بتشجيع ومؤازرة فكرة قيام نظام شامل منفرد ومستقل للأمن الاوروبى ولو على حساب التحالف القائم منذ الحرب العالمية الأخيرة «الناتو».. هذا فى الوقت الذى آملت فيه الولايات المتحدة بانضمام المانيا الموحدة إلى حزب الناتو..

كانت شواهد هذا التضارب والتعارض ملموس ومحسوس على الساحة الدولية حتى قبيل نهاية حرب الخليج الاولى. وكان من الطبيعى ايضاً أن تكون لتلك التوازنات الجديدة والتيارات العاتيه المهيمنة بصمتها فى ازمة الخليج الأخيرة.

كانت الهيئة السياسية للدول الاوروبيه على علم ـ ولابد ـ بالاهداف الحقيقية الامريكية من جراء انفجار أزمة الخليج على هذا النمو الذى بدا واضحا أنه يستهدف الهيمنة الامريكية على تلك المنطقة.. وفى نفس الوقت لم تكن القيادة الاوروبية السياسية الموحدة تنظر بعين الارتياح إلى بزوغ قوه عسكريه ذريقوعسكريه واقتصادية بترولية ذات وزن فى العراق الأمر الذى سوف يفرض الحقوق العربية بعد حين.. غير أن معظم القلق كان تجاه النوايا الامريكية من اهدافها ومراميها من تطورات الاحداث واحتمال نشوب القتال فقد شعرت اوروبا.. ولها الحق ـ أنها المستهدفه إستراتيجياً[1] لو نشب القتال ـ الأمر الذى تشير إليه كل خطوات امريكا فى الأزمة.

ومع ذلك فقد كان من طبيعة الأمر أن تختلف ردود الأفعال بين أفراد العائلة الاوروبية تجاه الاسراتيجية الامريكية بين المؤيدين لسرعة هذه الوحدة..وبين هؤلاء

(١) قال الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون لسوء الحظ فإن أوروبا الموحدة بمالها من دخل قومى يزيد عن الدخل القومى للولايات المتحدة ستصبح أوروبا الفلسفة – كتاب أنتهزوا الفرصة ستصبح الفرص – ريتشارد نيكسون. ترجمة حام غانم، شركة قايتباى للنشر والتوزيع ، فبراير ٩٢ ص ١٦٧ ومن ثم كان ولا بد من الهيمنة الأمريكية الكاملة الإدارية على إنتاج البترول ومنابعه.

الذين يرون الطريق طويلا وشاقا امام ذلك الحلم الاوروبى لتعدد الايدلوچيات وكثرة القوميات وتضارب المصالح وغيرها.

أبرز أعضاء المجموعة الاوروبية المعارضة.. ومن ثم المؤيده لامريكا كانت بريطانية حيث أن لها وضعها وصفتها المميزة من ناحية كونها منتجة أساسيه للبترول وفى غنى عن بترول الشرق الأوسط كما أن موقفها المؤيد- على طول الخط- للاستراتيچية الامريكية له بعده وعمقه الدينى البروتستانتى ذلك العامل الذى شكل وبطريقه لاشعوريه النظرة البريطانيه للحوادث فى تلك المنطقة الحساسة.. كما شكلت ايضا والى حد ما نظرتها إلى مبدأ الوحدة الاوروبية ذاتها.

المدهش فى الأمر حقا أنه لكل تلك الاساسيات ورغم تفاوت الموازين الامريكية والبريطانية فإن الملاحظ أن الدور البريطاني- السياسي- كان اكثر جنوحاً حتى من الموقف الامريكى ذاته !!.. الأمر الذى يشير إلى مدى الحنكة السياسية البريطانية ولاشك.

أما زعماء اوروبا فى المانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها فقد تأرجحت الأولويات بالنسبه للأحداث تبعا لتطورها والمنظور الاستراتيچى لها.. فالظروف كانت متداخلة متشاربكة وسريعة.. وكانت مواقف الاعلام الاوروبية متباينه إلى الدرجه التى اوضحت لاى مدقق أن هناك اشواكا وعثرات فى طريق الوحدة لاوروبية من خلال تباين النظرة الذاتيه للاطراف تجاه الاحداث.

ما اوضح الموقف اكثر هو النهج السياسى الامريكى والذى استطاع بحنكة المحترف أن يلعب على تناقضات الموقف الاوروبى ككل وأن يضفى من ثم نوعاً من الشرعية تجاه الهدف الامريكى ذاته[1].. وبصورة لم يسبق لها مثيل على الصعيد السياسى العالمى.

---

(١) أعظم وأصرح من عبر عن عبر هو الرئيس الامريكى الأسبق فى نفس الكتاب حيث قال.

«وعلى أيه حال فإن أوروبا الشرقية فى الوقت الحالى تواجه فترة من عدم الإستقرار لم يسبق لها مثيل بسبب عدم قيام أى منظمة امنية بمهامها»!! .

كـان عـلى اوروبا رغـم كل تلك العـوائق أن تتـفـاعل مع التطورات بما يحـد من فعاليـة الموقف الامـريكى المؤثر والموجـه للأحداث.. وحتى لاتجد اوروبا نفسـها بعد فتره دون تاثير يذكر فى المنطقة وتحت رحمة امريكا.. وعليه. فقد سارعت الدول الاوروبيه بأرسال قواتها إلى المنطقة.. ومنذ وصول تلك القوى إلى المنطقة ظهر على السطح العـديد من المشـاكل الإدارية والتى رمت إلى زعـزعـة الهـيـمنة السـيـاسـيـة للموقف الأمريكى..

منذ وصول القوات الفرنسية ظهرت على السطح كل تلك التيارات المتصارعة مثل عدم أنصيـاع القوات الفرنسية للقيادة الامريكيـة العليا.. بل ومطالبتهـا المشـاركة والتـخطيط وتحديد الاهذاف.. بل إن القـوات الفـرنسـيـة اتخذت فى بداية الاحداث مواقع دفاعيه لقواتها خلافا للتشكيل الهجومى على الناحية الامريكية.. إلخ.

بل لقد وصل الأمر إلى أن وزير الدفـاع الفرنسى چان بيـبـر شـتـينغـمـان صرح رداً على الانتقـادات التى وجهت إليه بأنه : «لم يكن مـتـحـمسـاً شخصـيـاً لإرسـال قـوات فـرنسـيـه إلى المنطقـة.. ». وقـال :«إن مـجلس الوزراء الـفـرنسـى ليس بحـاجه ليـقـرر السـيـاسـة الـتى حددها بوش». بـل لقد قـالهـا الرجل بشجـاعه نادرة وفـريدة : «نحن حريصون على عـلاقـتـنا بجـمـيع الدول العـربيـة.. وإذا نشـبت حـرب الخليج فـإن هذه العلاقات سوف تتأثر حتماً»..

كـانت النظرة التـقـيـمـيـه للموقف الفـرنسى منطقـيـة أشـار إليـهـا بيـتـر سـالينجر فى كـتابه «الملف السرى لحرب الخليج» حين وصف الموقف الفرنسى بأنه «غـير مـؤكد»:. «وغـامض».. بل سرعـان مـا ظهرت تساؤلات الشك... فـهل تباحثت فرنسـا مع العراق سراً؟!.. ومـاذا كـان الثـمن الذى دفـعـتـه فـرنسا من أجل مـوقف العـراق بشأن الافـراج عن الرهائن فى مـطلع غـزو الكويت؟!.. ومـــا تبـع ذلك من تراجع رمـــزى للقـوات الفـرنسيـه على أرض السـعـودية إلى نحـو خمسـين كليـو مـتـرا ؟!.. بل سرعـان مـا ارتفعت الأتهـامات الامريكيه بوجود تقنيين مدنيين وربما عسكرين فرنسيين كانوا فى بغداد بعد غزو الكويت واثناء الحصار للإشراف على صيانة العتاد العسكرى رغم قرارات الامم المتحدة المتتالية.. الخ.

أما تحليل الموقف فلم يكن يدل حقيقه إلا على تعارض الاهذاف وتنافر الذات بين القوى العالمية الكبرى.

أما بالنسبة لألمانيا فقد اعلنت على لسان وزير خارجيتها هانز ديتريش جنشر عن أمله فى الوصول إلى حل سلمى لازمة الخليج وفقاً لقرارات مجلس الأمن.. واكد الوزير حرص بلاده على ايجاد تسوية سلمية لأزمة وتنفيذ قرارت مجلس الأمن.

وبعد أقل من شهر كانت الفرقة المدرعة الالمانية فى طريقها إلى الخليج ضمن قوات التحالف الغربى لمحاربة العراق!!. وفى منتصف شهر ديسمبر ١٩٩٠م اجتمعت قمة السوق الاوروبية لمناقشة الازمة.. وأصدرت فى ختامها بياناً تطالب فيه العراق بالانسحاب الكامل والفعلى من الكويت.

ولم تترك امريكا الفرصة والساحة للدول الاوروبية لتقرر ما تراه فقد اشترك چورچ بوش ووزير الخارجية چميس بيكر فى المؤتمر لهدف اساسى هو اقناع فرنسا والاتحاد السوڤيتى بضرورة إصدار قرار جديد من هيئة الامم يسمح بعمل عسكرى ضد العراق !!.. هكذا. !!.

أما فى ايطاليا فقد أدلى رئيس وزرائها اندريوتى بتصريحات فى نهايه سبتمبر ١٩٩٠.. وفى فترة ذروة الازمة السياسية بعد غزو الكويت بأنه من الواجب على المجموعة الاوروبية « إضفاء بعد عسكرى على الاتحاد الاوروبى ولاول مرة».. وذلك حتى للدول الاوروبية إدارة أمنها من خلال تنظيم عسكرى فعال ووجود جيش لها خارج منطقتها إن اقتضت الضرورة».

كان يبدو ومن ردود الافعال ومواقف الدول الاوروبية أن الحقائق العسكرية الامريكية فرضت نفسها على أرض الواقع.. الأمر الذى جعل القيادات الاوروبية تتمنى سرعة عمليه التوحيد الاوروبيه.. وكان الهدف الرئيس للمجموعة الاوروبية هو أن تقيم صله وثيقة بين تنسيق السياسة الخارجيه والتكامل العسكرى مع تجنب التباين بين دول ذلك الاتحاد الاوروبى العديدة.

كان متيران من أشد المؤيدين لتحجيم الدور الامريكى المهيمن والموجه للاحداث

فقد صرح تعقيباً على ذلك المفهوم فقال: «..اننا نريد أن نظل أصحاب القرارات التى نتخذها- ولكنه اعرب عن أمله فى أن حرية إتخاذ القرار لاتعنى تلقائيا الاستقلال عن الشركاء الاوروبيين.

فى مواجهة ذلك الاتجاه الاوروبى كانت وجهة النظر الامريكية متمثلة فى الضغط المباشر المحسوس على تلك المجموعة الاوربية وحتى لاتتيح لها الفرصة لالتقاط الانفاس والنظر لمصلحتها من وجهة النظر القومية أو القطرية بما يتعارض مع الاهداف الامريكية.. وكان من شواهد ذلك مطالبه لورنس ايجلبيرجر وكيل وزارة الخارجية الامريكية حلفاء امريكا بالمساهمة المالية فى تكاليف العمليات الخارجية للحلفاء مع التشديد على استمرارها طالما كان هناك عجزاً فى ميزانية امريكا.. هذا رغم انه عند منتصف سبتمبر ١٩٩٠م كانت امريكا قد تمكنت من الحصول على موافقه حلفائها على تكاليف «مبدأية» بمقدار ٢٠ مليار دولار!!- بل لقد ظهر على الساحة برلمانيون امريكيون طالبوا بفرض ضرائب على الاوروبيين من أجل تمويل ميزانية الدفاع الامريكية!! .. وهو مطلب جهرت به النائبة الديمقراطية الامريكية باتريشيا شرويدر عن ولاية كلورادو امام مجلس النواب الامريكى!!.. وهنا سارعت الدول الاوربية من جانبها بالضغط على امريكا فى المقابل ومطالبتها بالمشاركة فى السلطة والقيادة.. ونادت بأتخاذ القرارات داخل حلف الاطلنطى وليس عن طريق وزارة الحرب والسياسة الامريكية.

لم يكن ذلك سوى إشارة لما حدث.. فقد كان هناك صراعاً هادئا فى الصورة يجرى على ساحة الحلفاء وبين اعضائه.. ومن الطبيعى أن تسعى واشنطن والتى قامت بالدور الاساسى والقيادى فى تلك الازمة أن تخطط لان تقطف لنفسها الثمار النهائية للحرب المقبلة.. وعليها أن تحدد استراتيجياً الأهداف وتعمل على تحقيقها وعليها ايضا أن لاتدع هذه الثمار اليانعه تقع فى يد أوربا أو روسيا..

لعل تلك الأسس الاستراتيجية الثابته هى ما حتمت إجهاض المبادرة السوفيتية والتى وافق فيها العراق على الانسحاب فى آخر فتره الانذار الامريكى بالحرب وغزو العراق.. فقد كان نجاح هذه المبادرة السوفيتية يعنى تشجيع اطراف أخرى بدور

صانع السلام من أجل تقويه مركزها وإثبات بصمتها فى النظام العالمى الجديد وفى ترتيبات ما بعد الحرب.. الأمر الذى من شأنه أن يثير قلق الولايات المتحدة والتى تطمع أن تلعب دور القطب الرئيسى إن لم يكن الاوحد فى ذلك النظام وهى ترى تدهور الاتحاد السوفيتى السريع.. خاصة أن هذا الدور سوف يساعد الولايات المتحدة دون شك فى مواجهة العجز المتزايد والمتوالى فى نظام ميزانيتها.. وهو ايضا مدخل هام فى عملية بلوره هيكل النظام العالمى الجديد والذى تأمل فيه امريكا بعد سقوط الاتحاد السوفيتى الملموس.

عندما تأكدت النيات الامريكية والمدعومة بالقدرة العسكرية لتحقيق اهدافها كان الموقف الاوروبى يمثل تأقلما مع حقائق الأمر الواقع.. وتفاعلاً ايجابياً مع الحقائق دون إسقاطها..ومن ثم...

فى اوائل أيام الحرب أصبح الموقف الايطالى اكثر وضوحاً وتحديداً فقد أعلن رئيس الوزراء اندريوتى أنه «يتفق تماما مع الرئيس بوش».. وبعد ذلك حصل اندريوتى على الاغلبية الساحقة فى مجلس النواب وبأختصار شاركت اغلب الدول الاوربية رئيس الوزراء الايطالى فى موقفه.. وبتيار واضح الهدف.

كان البيان أو الانذار النهائى الذى وجه الى العراق والرئيس العراقى صدام قد تم بعد مشاروات مكثفة بين رؤساء حكومات الدول الاوربية الغربية الرئيسيه.. وشاركت جميعها فى صياغه ذلك الانذار وهم بوش وجوبارتشوف ومتيران وميجور واندريوتى.

ولم يكن يعنى ذلك كله إلا محاولة للتأقلم مع الهيمنة الامريكية الاستراتيچية. اعظم من عبر عن ضياع الفرصة الاوروبية أمام الهيمنة الامريكية الصارخة حتى فرضها للأمر الواقع هو وزير خارجية ايطاليا ديميكيلس حينما صرح فى حديث له فقال: «.. إننا قد قمنا باختيار سياسى حازم وصحيح ولكن لم نستطع أن نترجمه بشكل كامل على المستوى العسكرى والسبب فى ذلك هو أن المشاركة الايطالية فى الخليج رمزية اكثر منها جوهرية لأن نياتنا العسكرية دفاعية بحته إزاء الشرق الاوروبى».

كان تعقيب وزير الخارجية الايطالى تشخيصاً واضحاً لكل ما يقربه من هيمنة امريكية واضحةعلى حساب المصالح والدور الاوروبى العالمى.. ومن ثم وكرد فعل طبيعى أضاف الرجل:

«إن ايطاليا ستقترح اشتراكها مع اليابان والمانيا كاعضاء دائمين فى مجلس الامن الدولى!!»

أما السوفيت.. فرغم معاناتهم الاقتصادية والدولية فلم ينقطع جهدهم الدبلوماسى حتى آخر لحظة.. بل لقد قاربت تلك الجهود النجاح غير أنها تكسرت أمام الأهداف الاستراتيجية الامريكية الواضحة.. وقبل الانفجار كانت قراءة الموقف السوفيتى رغم جهدهم لن يراهنوا بالتضحية بعلاقاتهم الوثيقة مع الولايات المتحدة من أجل العراق.. أو أى شئ آخر.

قام شيفرنادزه برفع تلك النصيحة إلى جورباتشوف.. واستقال الرجل عقب قيام الحرب بقليل[1] قامت الحرب رغم أن ردود الفعل لآخر المبادرات السوفيتية لحل المسألة سلمياً كانت مشجعة لاقصى حد.. حتى أن بيريزدى كويلار السكرتير العام للامم المتحدة آنداك صرح بأن تلك المبادرة «تستحق اهتماما وتقديراً عظيميين»..

ورغم أن الصين.. الخصم التقليدى للاتحاد السوفيتى وصف المبادرة بأنها: «خطوة على الطريق السليم» أما فرنسا فقد تقدمت بمبادرة مستقلة أخرى قبيل ساعات من انتهاء المهلة المحددة لوقف اطلاق النار فى ١٥ يناير ١٩٩١م[2].. ورفضت المبادرة الفرنسية.

---

(١) وعاد مرة أخرى بعد الحرب.. بتزكية أمريكية .

(٢) كانت خطة السلام الفرنسية والتى قدمت فى آخر يوم لإنتهاء فترة الإنذار الأمريكى تتكون من ستة نقاط وقد حظيت بتأييد واسع النطاق شمل الإتحاد السوفيتى والمانيا وأسبانيا وبلجيكا والجزائر وتونس والمغرب ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية.. وحتى السعودية!! وفي المقابل اعلن توماس بيكرنج المندوب الامريكي لدى الأمم المتحدة أن الخطة الفرنسية تثير مشكلات عديدة وان التعليمات التى لديه تقضى بأن لايؤيدها .. وكان الموقف البريطانى هو تأييد الموقف الأمريكى الرافض للخطة الفرنسية كان هذا التباين السافر فى وجود إهتمام جدى لمجلس الأمن الذى أجرى مشاورات مكثفة لبحث خطة السلام الفرنسية.. وقامت الحرب بعد يومين ـ فقط ـ من تلك المبادرة .

لم يكن ذلك التباين إلا إشاره لتعارض المصالح وتضاربها فيما لو قامت الحرب بين افراد المجموعة الغربية.شذ عن ذلك الموقف بريطانيا والتى رأت أن تمسك بالذيل الامريكى منذ البدايه..وحتى النهاية..بل لقد تميز الموقف البريطانى بجنوح وتهور فاق الموقف الامريكى ذاته..وكأنه محاولة لاثبات الذات..هذا من الوجهة النفسية.. اما من الناحية السياسية فإن ذلك هو التيار الراجح..كما أن هناك اسباب أخرى عقائديه وبروتستاتنيه تجمع بين بريطانيا وامريكا..وتعارضها معظم الدول الاوروبيه..

كان من مظاهر ذلك كله أن الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران تقدم بمبادرة منفصلة قبيل انتهاء المدة المحددة والانذار الامريكى النهائى للعراق ولم يكن قد استشار أو حتى أخبر رئيس وزراء انجلترا السيد ميجور والذى كان فى باريس فى ١٤ يناير.. أى قبيل انتهاء مدة الاتذار بيوم واحد!! الأمر الذى يوضح مدى التباين بين المواقف الاوروبيه عامة والموقف البريطانى خاصة.. وكان لكل ذلك اثره النفسى ومردوده السيكولوچى..والذى وجد على ساحه الاعلام السياسى المنفث لكل الضغوط.

اكد فى ذلك الوقت كثير من المسؤليين البريطانيين «أن كثيراً من دول المجموعة الاوروبية قد اتخذت موقفاً أقل ما يمكن وصفه أنه لايرتفع الى مستوى المسؤلية».

وهكذا سرعان ما هددت امريكا وبريطانيا باستبعاد الدور الاوروبى فى عملية اعادة تعمير وبناء الكويت والذى قدر له وبصفه مبدئيه مبلغ سبعين مليارأ من الدولارات.

لم تكن تلك المواقف المتعارضه الا تعبيراً عن قراءات متباينه لاعضاء الصراع المختلفة فالاتحاد الاوروبى المنتظر كان يرى فى الاحداث المقبله أنه من ضمن الاهداف المستهدفه امريكيا.. ومن ثم فقد كان تحركه فى المساحة الزمنية قبل اندلاع القتال يهدف وبكل جهد الى تكبيل حرية الحركة وتضييق الاهداف التى رسمها وخططها اللاعب الرئيس والاوحد فى تلك الازمة.. وعندما تأكد للجانب الاوروبى من تصاعد الحوادث والافعال وردودها الأهداف الامريكية الثابتة لم يرم بكل أوراقه فى سلة مضادة.. بل جرى الى جانب الرابح.. والجواد الفائز..

ففى غيبته لا فراغ.. بل مساحة أوسع وربح اكبر لامريكا وبريطانيا. كانت الاهداف الانجلو أمريكية تشمل أساساً الهيمنة الأمريكية والتحكم الادارى «الاستعمار الجديد» فى منطقة الخليج البترولة[1] وخاصة منابع النفط وطرق مواصلاته مع التحكم الادارى فى الانتاج وسعره مواجهة القوة الاوروبية الصاعده.. خاصة أن أوروبا تتميز بأنها مستورد أساسى للطاقه والبترول.. وتعتمد عليه بشكل اساسى.

عندما تأكد للطرف الاوروبى هيمنة الجبهة الانجلو أمريكية على إخراج الاحداث بما يتفق مع اهدافهم لم يتركوا الساحة بل تأقلموا مع حقائق الموقف وموازيين القوى وبسرعة.. من ثم فمع كل مجهودات فرنسا من أجل حل الأزمه سلمياً إلا أن فرنسا فى النهاية أصدرت اوامرها لقواتها فى الخليج بالاشتراك فى الحرب ضد العراق.. بل كانت الطائرات الفرنسية من اوائل الطائرات التى قامت بغارات مكثفة على القوات العراقية فى اليوم الاول من الحرب.. وتحت القيادة الامريكية.. ثم سرعان ما توجه وزير الدفاع الفرنسى الى السعودية بعد الحرب بيومين ليكون بجوار القوات الفرنسية «المشتركة» فى الحرب.. واعلن الرجل فى رسالته لجنوده الشقر: «أن جميع افراد الشعب الفرنسى يؤيدون قواتهم فى السعودية».

أما فى بون- الزعيم المؤهل للكتلة الاوروبية- فقد أيد فى النهاية وعلى استحياء دور القوات المتحالفة فى الحرب ضد العراق.. كما اصدرت الحكومة الالمانية بيانا اعربت فيه عن استعدادها لفعل ما فى وسعها- مع شركائها- لانهاء هذه الحرب بأسرع وقت ممكن.!!.

ولم تضع امريكا وقتا للعب على تنا قضات المواقف عند الاطراف الاوروبية ولعبت عليها وضخمتها لزعزعه الخطط الاوروبية الوحدوية وكان أكثر من عبر عن ذلك بكل وضوح الرئيس الامريكى السابق نيكسوة حين كتب فى كتابه وبكل صراحة

(١) وأيضاً ضرب قوة العراق الناشئة والتى تمثل أمل الوجه العربى وكيانه الأمر الذى قد يؤثر ويعادل التفوق الإسرائيلى والهيمنة اليهودية على المشرق العربى .

ووضوح: « ..كان الاساس المنطقى لهؤلاء الذين تنبآوا ببزوغ دولة اوروبية عظمى هو أن المانيا سوف تصبح قائداً لها.. غير أن الالمان وقد اعجزتهم اتجاهات رفض اللجؤ للعنف خلال حرب الخليج.. وانشغالهم بتكاليف الوحده.. قد اضاعوا حقهم فى القيام بدور القائد لهذه الدولة العظمى.. وفى هذه الأثناء لم تعد بقية أوروبا تنظر الى قيادة المانيا نفس النظرة السابقه.. ولم تعد بريطانيا وفرنسا اللتان لعبتا دوراً حاسماً فى الخليج ترغبان فى الاذعان أو الخضوع لبرلين[١]».

اما اليابان.. والتى تستورد ٧٠٪ من بترولها من بلاد الخليج فقد كانت مستهدفه من الاستراتيچية الامريكية هى الأخر.. وبرغم أن الدستور اليابانى والذى قام بصياغته مسئولون امريكيون بعد احتلال امريكا لليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية ينص على أن «الشعب اليابانى ينبذ إلى الابد أن تكون الحرب حقاً مطلقا للأمة».. ورغم أن السياسة اليابانيه كانت ضد الحرب فى الخليج- قبل وقوعها- فإن امريكا كان منظورها للزاوية اليابانية اقتصاديا وسياسيا بحتاً.. فأقص ماتخشى منه امريكا هو التسلط العسكرى اليابانى.. ومن ثم فإن غايه امريكا هو اجهاض أية نزعه ونهضة عسكرية يابانية محتمله.. مع تقويه واستغلال التقدم التكنولوچى اليابانى فى التطور العسكرى الامريكى..

كانت الهيمنة الامريكية على بترول الخليج يمثل ضغطاً يستهان به على اليابان لتوجيه سياستها وكبح جماح اى طموح أونزعات فى المستقبل.. خاصة بعد انهيار الاتحاد السوڤيتى- وكان وشيكا آنذاك.

ورغم ذلك كله فإن اضخم تهديد لامريكا يكمن فى الخصومة اليابانية الاقصادية..

من تلك الحقيقة الواقعة كانت الميزه الاستراتيچية الامريكية لاحتلال الخليج..

ومن تلك الحقائق.. نتفهم طبيعة الموقف اليابانى من الاحداث.

ومع ذلك كله.. فقد اعلن رئيس الوزراء اليابانى عشية اندلاع الحرب عن دعمه

(١) كتاب إنتهزوا الفرصة ص ١٧٣ .

المطلق لامريكا.. بل واعلن وزير المالية الياباني في اجتماع لمجلس الامن القومي الياباني أن بلاده تعتزم تقديم معونه اضافية ضخمة للقوات المتحالفة في منطقة الخليج وذلك استجابه لطلب «أوضغط» واشنطن. !!

حتى استراليا.. ورغم بعدها عن أرض الاحداث سرعان ما اعلنت عن دخولها الحرب في صف الحلفاء.. طالما هوالطرف الميهمن.. القوى الغنى.. وضد العراق الوحيد المغبون.. المديون والمحاصر عربيا واسلاميا.

..وهكذا سرعان ما اعلنت الحكومة الاستراليه علي لسان رئيس وزرائها عن سماحه للسفن الحربية في السفر للخليج والاشتراك في العلميات الحربية ضد العراق!!.

.. وسرعان ماحدث ايطاليا.. وغيرها وغيرها نفس الخط.. وتجمع الجميع في الخليج ضد العراق.. كان من نتيجة ذلك كله أن إزداد التحالف الذى تقوده الولايات المتحدة قوة وتماسكا.. وارتفعت من ثم معنويات بوش.. وازداد ثقله السياسي داخل الولايات المتحدة وخارجها بعد نجاح سياسته الموجهة أساساً لخدمة الاستراتيچية الامريكية.. ومع نجاحه في ضم دول العالم تحت قيادته في حرب ضمن لها الشرعية المزيفة لضمان سعادة وتفوق الشعب الامريكي!!.. هذا كله والعرب اصحاب الأمر في سبات!!.

★★★

في الحرب تسابق الجميع على النيل من العراق العربي[1] !!.

بعد شهر أو أقل بقليل من حرب ضروس شرسه لم تشهد مثلها الانسانية من قبل أصدر مجلس قيادة الثورة العراقية بيانا أشار فيه عن استعداده للانسحاب من الكويت.. وتنفيذ قرارات مجلس الأمن.

(١) بلغ عدد القوات التى شاركت في عملية عاصمة الصحراء حوالى ٦٧٥ ألف مقاتل من ٢٨ دوله على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - وبريطانيا - وفرنسا .. ومن جانب العرب مصر - سوريا - المغرب !!.

كانت ردود الافعال العالمية لمثل هذا البيان الواضح والملزم صورة من صور عده توضح تباين وتعارض نظرة اعضاء التحالف العالمى للأهداف الاستراتيچية من تلك الحرب.

وهكذا سرعان ما اعلن متحدث بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن «رولاند دومان» لدية أمل فى انسحاب صدام من الكويت..وهو يشجع ذلك الى اقصى حد.»

اما رد الفعل اليابانى فقد كان متحفظا .. فقط على الشروط العراقيه المتصلة بالانسحاب .. اما فى لندن فقد اعلنت وزارة الخارجية أن دوجلاس هيرد قد صرح بأن «العمليات العسكرية أمر لامفر منه رغم البيان العراقى.» هكذا.. وبكل صراحة ووضوح اما فى واشنطن.. فقد اعلن متحدثون باسم وزارة الدفاع أن الحرب سوف تستمر لطرد القوات العراقية من الكويت حتى ينسحب صدام فعلا!!».. غير أن الحرب لم تنته الا والقوات الامريكية والحلفاء قد احتلت جنوب العراق ذاته!!. وماذا عن رد الفعل العربى إزاء قرار العراق؟!

تلك كانت صورة الموقف الدولى الذى اجتمع لمحاربة العراق العربى.. المحاصر.. هذا رغم تباين الاهداف واختلاف المرمى بالنسبة للأطراف المتحالفة والعديدة.. وهكذا..

وبينما الحرب على اشدها.. كانت المجموعة الاوربية تناقش تأثيرات حرب الخليج على اوضاعها الاقتصادية والاستراتيچية.. وكانت اليابان تنتظر بعين القلق.. وأثر الحوادث إقتصاديا على خططها المستقبله قد انتقل الى دراع الضغط الامريكى القوى.. وعليها أن تدفع مقابل ذلك.

وكانت القيادة الامريكية تشعر ببداية مرحلة جديدة لانتعاش الدوله بعد أن امضت سنوات عده فى حاله عدم اتزان اقتصادى مع ازدياد ملحوظ متصاعد فى نقص ميزان المدفوعات.

فى ذلك الوقت ايضا كانت دماء الاشقاء الابطال من العراق تسيل انهاراً على كافة الاراضى والمدن العراقية.. وتتصاعد ارواح الشهداء قوية منتشية..

.. وعندما وضحت الصورة النهاية لنتيجة تلك الحرب ظهرت شعارات اقطاب الحوادث واضحة علنيه.. عاليه سمعها حتى الاصم بأهدافهم الحقيقية.. وتطلعاتهم تجاه المنطقة العربية كافه..

وعليه.. فقد اوضح «المستر» دوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانى أن المستقبل الأمنى فى المنطقة يتطلب امرين اساسيين:

الاول : استبعاد العراق من لعب اى دور سياسى لحل مشاكل المنطقة.

الثانى : استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية تماما من إشكاليه حل النزاع العربى- الاسرائيلى.

وهكذا اصبح وزير الخارجية البريطانية هو من يحدد الاطراف العربية مؤهلة والغير مؤهلة لحل مشاكل المنطقة العربية!!.. إن ادنى تحليل لتلك الاشارة يحتاج لكتاب بمفرده.. ولايكفيه شنطه من الاواق الحريرية لتجفيف دموع العرب الشرفاء على شرفهم المنهوب.

أما على مستوى القوة الاولى فى العالم.. امريكا.. فقد وضعت يديها على منابع النفط فى المنطقة كلها.. واجهضت القوه العربية الوحيده بعد أن نجحت فى تحييد وتسييس مصر.. وقامت بتعديل وسد النقص فى ميزانيتها الإقتصادية ولعدة سنوات متتالية فى حرب دولة عربية لم تستغرق إلا اقل من شهرين.. ونجحت فى فرض هيمنتها الاقتصادية والعسكرية على المنطقة البترولية.. ومن ثم نهبها ولأمد يعلمه الله وحده.

بل سرعان ما اتضحت اطماع جميع اطراف التحالف الامريكى تجاه المنطقة العربية..

وعليه فسرعان ما أعدت فرنسا تصوريين للأحداث لما بعد الحرب فى صور الحكم فى المنطقة!!

اما المانيا فقد كانت اشد تحديداً ومن ثم فقد اعدت تصوراً واحداً!!

اما ايطاليا فقد سعت وسط المجموعة الاوربية لتوضيح اهدافها تجاه المنطقة..

كل تلك المظاهر سرعان ما اتضحت عند بداية النهاية فى حرب الخليج الأخيرة..

المدهش فى الأمر حقا أن جميع تلك التصورات- دون استثناء- وضعت الهيمنة الاسرائيليه وضمان تفوقها واستمرارها على قمة اهتماماتها.

★★★

كان من اوضح الشواهد- رغم تصاعد الأزمه على مدى العام أو اكثر قليلاً - أن اصحاب القضية والأرض والمصلحة كانوا هوامشاً فيها.. فلم نسمع عن موقف عربى واحد إستطاع أن يوجه الاحداث الى المصلحة العربية الاسلامية للمنطقه.. أو حتى استطاع التأثير على اقطاب التحالف الامريكى فى تحديد اهدافها ووضع الخطوط الحمراء لأى تحرك لهم على الارض العربية الاسلامية.

المدهش فى الأمر حقا أن تلك الازمة العنيفة أثارت وهزت العالم كله رغم أن جنوب لبنان كان ومازال تحت الاحتلال الصهيونى- وكانت اسرائيل- ومازالت. تحتل مساحات شاسعه من أراضى جيرانها العرب منذ حرب ١٩٦٧م..

أما من ناحية المردود النفسى للمواطن العربى فقد تأرجح رد الفعل لما يعايشه.. **ففى البلدان التى لم تقع تحت ضغط اعلامى ظهرت النفس العربية الابيه وتمثلت** الاخوة بمعانيها السامية غير أن مردود ذلك العمل كان محدوداً ولاقصى حد.. من جانب آخر فقد وقعت الشعوب العربية فى البلدان المؤازره لموقف بلدان الخليج تحت ضغط اعلامى قوى ومؤثر نجح فى هدفه لحد بعيد.. فى تلك البلدان كان رد الفعل والحاله النفسية للمواطن توضح فقدانه للاحساس بجسامة الحوادث ومدى تاثيرها حتى على مستقبلة المنظور.. والبعيد وكان موقفه هامشيا لا تاثير له على سير الاحداث !! .

لم تكن الاحداث أكثر من نزاع بين طرفين مسلمين.. واستدعى احد الطرفين طرفا اخر غير مسلم مهيمن وقوى له اطماع فى المنطقة دون شك.. ودفع ذلك الطرف المسلم ثمن ذلك عدا ونقداً.. هذا مع امتلاك العرب جميعا للسلاح والعتاد.. وكانت حجة ذلك الطرف هو قوة وهيمنة العراق.. ولم ينظر احد الى اسباب الصراع والنزاع.. أو يبحث فى اهداف تلك الحرب.

وهكذا سقطت الامة العربية بعد ان سقطت النفس الاسلامية العربية.

فهل هناك من ميزان للقياس على كل تلك المواقف؟!..

ولن نعتمد إلا على القياس الايمانى الثابت.. وسنترك لأهل السياسة أو الكلام مجالهم.. وكلامهم.

قال تعالى: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم }

فهناك أمر الهى إذا يحدد المواقف عند النزاع بين المسلمين بعضهم وبين غيرهم لذلك.

قال تعالى: { وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الي الله }

قال : { إن الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون }

ويحدد المولى المنهج السليم حتى فى حالة النزاع بين المؤمنين.. فهم أخوه دون شك.

قال تعالى: { فإن تنازعتم في شئ فردوه الي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا }.

وقال: { واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا }

النزاع إذاً بين المسلمين أمر مقرر ومرجعه الاساس مخالفه لأوامر المولى عز وجل ورسوله.. وإن كان منهى عنه بطبيعة الحال.

قال تعالى: { ولو شاء ربك لجعل الناس أمه واحده ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك }

وقال: { وما كان الناس إلا أمه واحده فاختلفوا }

والأية الكريمة تفيد نزع رحمة المولى عن عباده المؤمنين فى حال خلافهم.. فالخلاف بين الاشقاء انما يعنى غصباً لحق طرف من آخر.. فهناك من ثم طرف مخطئ.. ثم تطور الأمر الى حدوث صراع وخلاف..

فلا يجب الحكم على الصراع مع اسقاط اسبابه ..تلك أساسيات العدل وأولويات الحق.

وهكذا قال المولى فى حالة الخلاف بين طرقين مسلمين:-

{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالعدل واقسوا إن الله يحب المقسطين }

وضمير الخطاب فى الآية الكريمة لطرف مسلم آخر.. هذا كما أن الأمر بالحث على العدل والقسط انما يعنى معالجة اسباب النزاع وكوا منه..

من الواضح أن الأمر فى حاله الاقتتال بين المسلمين.. والحكم بينهم إنما يراد له أن يكون محصوراً بين المسلمين..حيث يؤمن الجميع بقانون واحد ودستور الهى متفق عليه.. ومن ناحية أخرى فإن تلك الحدود إنما قصد بها صالح المسلمين وحتى لاتخرج نتيجة الصراع عن مصلحة الاسلام والمسلمين..

ومع تلك الاسس الواضحة لأقص حد كان ما كان.. هذا رغم تحديد المولى المتوالى فى كتابه.. دستور المسلمين..

قال تعالى: { هاانتم هؤلاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنوا بالكتاب كله }[1].

وقـال : { وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون }

ولم يترك المولى إلا بعد أن حدد وفصل لأهمية الأمر من ناحية ولأثره على الدين ذاته من ناحية اخرى.. ومن ثم فقد حذر المولى من مغبة مخالفته..ففى ميل طرف من المسلمين لطرف آخر غير مسلم يزداد الخطر على المسلمين انفسهم- وعلى الدين ذاته.. وأسألوا ونسألوا عن القدس

قال تعالى: { ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء }

فهل هناك قانون أوضح من ذلك؟!- خاصة وأن هؤلاء جميعا يرون فى الاسلام

---

(١) وصدق الله العظيم .. يقول ريتشارد نيكون إثباتا وتأكيد للآية الكريمة موضحا موقفه وموقف السياسة الامريكية من حكام الكويت: «إن رفض العائله الحاكمه فى الكويت لتبنى اصلاحات ديمقراطية ذات معنى بعد تحرير بلدهم من صدام حسين يثير الصدمة والذعر .. علينا ان نكون واضحين بأننا لانساند انظمة حكومية لاتعطى صوتا لشعوب تحكمها».

كتاب انتهزوا الفرص لريتشارد نيكسون ص ٤٧ ـ قيتباي للطباعة والنشر ١٩٩٢

الخطر على تفوقهم.. ومن ثم فهم على استعداد لنبذ أيه خلافات فيما بينهم حتى ينالوا من المسلمين وكانت مواقف الاطراف العالمية قبل الحرب وفى الحرب وعدها تأكيدا لذلك كله.

فماذا بعد ذلك كله عباد الله؟!..

هذه الآية وحدها تقطع باالكلمة والمعنى والتحديد بذلك الاساس الايمانى الذى ينظم الصراع بين المسلمين بعضهم البعض

وكفي بالله شهيداً..

الفصل السادس

الموقـف الايرانى - السورى

الفصل السادس
الموقف الايرانى - السورى

من أهم سمات هذه الحرب الأخيرة أنه لا يمكن تفهم وتحليل مواقف اطرافها المتعددة خاصة العربية والأسلامية دون معرفة كاملة بخصوصيات المشرق العربى .. خاصه بين السعودية - العراق - وإيران.. وأيضا في سوريا ولبنان .. فمن منطلق العلم التحليلى لا يمكن الحكم على المواقف للأفراد [١] والدول دون ربطها وإرجاعها لعوامل عده مثل التاريخ والعقيدة وجغرافيه المنطقه تلك العوامل التى تشكل نفسيات الشعوب والأفراد ومن ثم تحدد الاتجاهات والميول .. وحتى السياسات . فالسياسة يمكن تعريفها بانها التدبير الحكيم والنظر الحصيف فى عواقب امر ما .. والجهة التى تضع سياسة خاصة بهدف معين ترتبط ذاتيا باطار للعمل التنفيذى لتحقيق هذا الهدف .. وهذا الاطار يتحدد نفسياً وسلوكياً بتاريخ وديانة هذا الشعب.

أوضحنا فى كتابنا الأول [٢]. إلى أن حرب الخليج الثانية لا يمكن فصلها عن حرب الخليج الاولى .. وان تداعيات الحرب الاولى هى فى نفس الوقت مبررات واسباب الحرب الثانية .. وان المحور الذى قامت عليه الحرب الاولى هو الخلاف المذهبى السنى - الشيعى.

بعد غزو الكويت وتدهور الاوضاع وقبل الحرب الاخيرة اضطر العرا ق الى تأمين الجبهة الشرقية والتى لم يكن قد تمكن بعد من عقد اتفاق للصلح وعدم الاعتداء بينه وبين ايران .. وزاد الامر صعوبه والحاحاً لذلك أمر الحصار الأقتصادى البرى والبحرى الذى فرضته امريكا وجماعتها على العرا ق - لم يكن امام العراق سوى أن يتنازل عن مكاسبه واسترجاعه لحقوقه فى حربه لايران وأن يعود ويقبل باتفاقيه الجزائر لعام

---

(١) الأمر الذى يمكن أن نطلق عليه الجبلية Constitution.

(٢) العراق المقبون وكله للتاريخ .. للكاتب.

١٩٧٥م وذلك طمعاً فى كسر طوق العزلة وتفتيت الحصار الحديدى المفروضة عليه .. وليس هناك أمثل من الاراض الايرانية لذلك كله .. يزيد من فرص النجاح السياسى لذلك الاتجاه نظره ايران العقائدية تجاه امريكا والتى شكلتها البعثة الشيعية والحركة الخمينية فى المنطقة .. وهكذا .. وفى غمرة تطور ات الأزمة تنازل العراق - مضطراً - عن اراضى الاهواز والمحمرة وغيرها .. وهى مناطق عربية الاصل (١) بل وسرعان ما تناثرت الأخبار والتحقيقات عن كون ايران خلفيه للإمداد للعراق فى موقفة المتأزم.. وهكذا كسبت ايران على الصعيد الشعبى الأسلامى مالم تكسبه بالحرب .. كسبت الارض والأرضيه دون طلقه واحده!!

غير أن حقيقة وصلب النظرة الشيعية لمنطقة الشرق العوبى أمر يثير المخاوف والقلق خاصة مع تحرك ايران الذكى الواعى على اضواء المواقف العربية .. فالتنافر السنى - الشيعى عميق متأصل .. ونظرة الشيعة خاصة الى الخلافة ثابته وقوية.. والتنافر الشيعى اقوى واعمق من اى تقارب عارض مؤقت.. فرضته الظروف.. ومن ثم فلم تكن مواقف ايران ترمى فى حقيقة الامر الا الى التهام العراق سياسا- او عسكريا - مستغلة مواقف الاخوة العربية الاصيلة!! والتى شاركت بكل ثقلها فى حصار العراق براً وبحراً وجواً.

إحقاقاً ما للحق فإن موقف ايران الدبلوماسى وتحركة أثناء الأزمة كان امراً مدهشاً .. دل بالفعل على ذكاء ووعى سياسى وقدرة فائقة على التأقلم بين التحرك السياسى الايرانى مع رفعه لأهدافه الاساسيه العقائديه فى نفس الوقت .. وليس ذلك بمستغرب لمن يعطون التقية فى مذهبهم الاولوية الاولى.. والاخيره.. وهكذا كسبت ايران ايضا على الصعيد الاعلامى.

كانت مواقف المسؤلين العراقيين على درجة من الوعى لكوامن الحظر التى تحيط بالعراق فى ازمته الخانقة - وكان الجميع يدركون على مستوى الشعور واللاشعور أن هناك خطراً جاثما وكامناً على الجبهة الشرقية - رغم أن ميدان المعركة الاساسى فى الجنوب.. وايضا من جميع الجهات .. كان من أقوى مشاهد ذلك هو ذهاب اكبر المسئوليين الى منطقة النجف وكربلاء الشيعتين فى الجنوب وحثهم إمام الشيعة

(١) وذلك ضمن نصف مساحه شط العرب تقريباً، وذلك بموجب إتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م.

الاكبر هناك آية اله الخوئى على إصدار فتوى فقهية بشأن التطورات السريعة والتى أشارت جميع تطوراتها الى أن احتماليه قيام حرب قوية وغالبة .. وناشدت الجهات الحكومية المسؤله إمام الشيعة على اصدار فتوى تحض على تكتل القوى الاسلامية سنية أو شيعية ضد نزعات واهداف العدو العالمى.. وكانت إجابة الامام الرفض القاطع لذلك الأمر الذى يتوقف عليه والى حد بعيد تآلف الجيش وتماسكة امام الاخطار الملموسة.

واسقط فى يد القيادة العراقية ..ولم يعد امامها إلا أن يراهن على أن مصلحة السعودية وامارات البترول وامنها انما يتوقف كذلك على اجهاض أية تطلعات او مكاسب ايرانية على حسابات الموقف وتناقضاته.

بنهاية فترة الانذار الامريكى العالمى وقبيل اندلاع القتال الفعلى امتلأت موجات الاثير بالاذاعات السرية الموجهة ضد العراق .. من داجل الاراض العراقيه.. ومن داخل ايران وغيرها .. وجميعها تبث الفتاوى الدينية والرسمية تجاه الاحداث والوقائع.. وجميعها - ايضاً - تحث الضباط والجنود الشيعة على عدم المشاركه فى القتال - والتخلى عن نصرة صدام .. الخ.. وكان لذلك- والى حدما - اثره المحسوس عند اندلاع القتال كانت الضربة الاولى للحلفاء ترمى الى السيطرة الجوية الميدانية المطلقة.. وهكذا كانت طلعات احلفاء اليومية تتراوح ما بين ٢٥٠٠ طلقة الى ٣٠٠٠ طلقة خلال الـ ٢٤ ساعه الامر الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الحروب .. وهذا كما يجب أن نضيف أن قدره الطائرات الحديثة كانت عاملاً له أثره ولاشك.. وهكذا تم تحقيق السيادة الجوية الكاملة على سماء المعركة خاصة بعد القصفة الاولى المؤثرة للمطارات وخطوط الامداد والتموين والكبارى ..

بعد عشرة أيام من اندلاع القتال فوجئت قيادة قوات التحالف الغربى بحوالى اكثر من مائتى طائرة عراقية عسكرية تلجأ بطياريها الى ايران[1]!!! بل لقد لجأت إلى ايران - ايضا - بعض الطائرات المدنية العراقية .

(١) ذكر المراقبون العسكريون الغربيون أن لجوء الطائرات العراقية إلى المطارات الإيرانية قد حل اللغز الذى واجهته قيادة القوات الأمريكية فى الأيام الأولى للحرب حيث أعتقدت أنها قد وجهت ضربه قاصمة لسلاح الجو العراقى.. لكنها وبعد تحليل المعلومات أكتشفت أنها لم تدمر إلا عدداً صغيراً فقط من تلك الطائرات العراقية.. مع عدم إمكان قياده الحلفاء تحديد أماكن إختفاء هذه الطائرات بالرغم من قصف ما يقرب من مائه مطار عراقى!!.

المدهش فى الامر حقا ما تنافلته بعض وكالات الانباء من ان بعض الطيارين واطقم الطائرات العراقية قد طلبوا حق اللجؤ الدبلوماسى لايران .. ولا يتأنى ذلك إلا لشيعة العراق- الامر الذى يبدو وكانه نتيجة مباشرة للفتاوى الشيعية التى امتلأت بها الاذاعات الموجهة الى الجيش العراقى . فى محنتة ..

فى ذلك الوقت العصيب شهدت المدن العراقية - الإيرانيه المتاخمة لحظ الحدودبين البلدين حركة نشطه وقويه . كما تزايدات وبشكل مكثف حركة الزوارق فى مناطق البحيرات التى تفصل البلدين فى الجنوب(١).

كان على القيادة العسكرية الامريكية أن تواجه ما تمثله تلك التحركات المريبة خاصة أن احتمالاتها عديده .. كما أن تبعاتها شتى حسب اهدافها ومقاصدها.. فقد تكون تلك المنطقة قاعدة خلفية للامداد بالنسبة للجيش العراقى.. ومن جهة أخرى فقد تحمل تلك التحركات إستغلالا ايرانيا لترديات الموقف وقد تمثل محاولة ايرانية للهيمنة على الجنوب العراقى الشيعى والقبض على السلطة بها وهو الامر الاكثر احتمالا.. ومن ثم فقد تم تركيز القصف الجوى للتحالف على المدن العراقية المتاخمة للحدود الايرانية ولم تجرؤ القيادة على ضرب المدن الايرانية المواجهة خوفا من رد فعل ايرانى بالدخول فى الحرب الى جانب العراق (٢).

الأمر المؤكد أن السيطرة الامريكية والغربية على سماء العمليات فى كل من الكويت والعراق مع شده وكثافة الضربات الجوية استطاع أن يحدد الهيمنة الغربية

---

(٢) أشارت صحيفة واشطن جوست الأمريكية إلى إحساس القادة العسكريين بخطورة الزوارق التى لا يعرف عددها - أو اماكن اختبائها قد بلغ حداً دفعهم إلى وصف عملية البحث بأنها أشبه يلعبه قائلة بين قط وفأر.

(٣) ذكر وكالة الأنباء فى ١٩٩١/١/٢٨م أن القصف الجوى للتحالف قد ركز ضرباته فى الأيام الأخيره على المدن العراقية المتاخمة للحدود الإيرانية. وقالت الوكالة أن مدينتى زرباطيه وبدرة العرافتين المواجهتين لمدينة مهران الإيرانية كانتا تتعرضان لقصف عنيف كل ١٠ : ١٥ دقيقة طوال الليل والنهار

منذ البداية وأن يحد من التحركات العسكرية للقوات على الجانب العراقى كما استطاعت أن تقطع خطوط المواصلات والامدادات .. وأن تفصل ايضا بين القيادات الميدانية للقوات والقيادة المركزية فى بغداد.

ويذكر مسؤل عراقى كبير أنه فى تلك الايام العصيبة لم تكن للقيادة المركزية فى بغداد سيطرة فعليه الا على منطقه بغداد.. والطريق البرى المؤدى من بغداد الى الاردن.. وفقط!!

فى ذلك الوقت العصيب تلازم مع شده ضربات الحلفاء ثورتان مناهضتان. فى الجنوب وهعى شيعية .. وفى الشمال وهى كردية سنية.

ففى الجنوب.. وفى منطقة البصره.. والمدن المقدسة نجف وكربلاء إستطاعت القوى الشيعية الايرانية ورجالات حرس الثورة ان تصل اليها وتقوم باعمال ارهاب وعمليات تخريب هائلة تميزت بقتل وذبح المسؤلين فى الادارة المدنية بتلك المناطق من اهل السنة.. وفى وقت من الاوقات كانت السيطرة الشيعية الايرانية على تلك المناطق كاملة تقريباً.. ليس هذا فحسب .. بل تلازم ذلك مع اعمال عنف ومعارك مع قوات الجيش العراقى الخليفة المرتكزه على اطراف البصرة [1]. سقط فيها المئات من القتلى .

وساعد على نجاح تلك الثورة الشيعية قيام الاكراد فى الشمال بثورة متزامنة ومتوازيه مع ثورة الجنوب.

مع تلك التطورات وخطورتها .. ومع خطورة الموقف على جبهات القتال فقد سارعت قوات الحرسُ الجمهورى العرا قى الخاصة الى الجنوب والتحمت مع قوات ايران الشيعية فى معارك ضارية ونجحت فى تصفيتها وكان القتال على اشده فى مدينتى

(١) بغداد.. وكالات الأنباء .. قدم العراق إلى الأمم المتحدة متندات تبرهن على أن إيران نقدت أحكام الأعدام الجماعيه لأفراد مجموعتين من الجنود العراقيين.. وقال عبد الأمير الأنبارى مندوب العراق فى الأمم المتحدة أنه قد تم العثور على جثث ٥٠ جندياً من أفراد المجموعتين بجنوب البلاد وبعد اسبوعين من مقتلهم وقال إنهم كانوا مقيدى الأيدى ومعصوبى العنيين « نقلاً عن جريدة الأهرام القاهرية ٢١ / ٥ / ١٩٩١ م . » .

النجف وكربلاء العراقيتين المقدستين عند الشيعة حتى أن الدمار حول ضريحى العباس والحسين فى كربلاء كان دماراً كاملا من جراء القتال المتلاحم بين قوات الحرس الجمهورى والمقاتلين الشيعية المناوئين.

أما فى النجف فقد كان الدمار شديدا وملحوظاً حول.ضريح الامام على كرم الله وجهه .. حتى أن اضراراً بسيطة لحقت بالمقبره من الداخل.

كان هذا التحرك الايرانى الشيعى تعبيراً مباشراً وواضحاً عن مرتكزات الشيعة الايرانية فى منطقة الخليج العربية خاصة إذا ما تأملنا نسبة السكان الايرانيين .. والشيعة سواء من المواطنين العرب أو الايرانيين بالنسبة لاجمالى عدد السكان فى منطقة الخليج.

جدول يوضح عدد السكان الإيرانيين والمسلمين الشيعة بدول الخليج ونسبتهما إلى إجمالى السكان (إحصاء ٨٩/١٩٩٠

الدولة	عدد السكان	الإيرانيون المقيمون		المسلمون الشيعة	
	(إحصاء ١٩٩٠)	الإجمالى	نسبتهم لعدد السكان	الإجمالى	النسبة لعدد السكان
البحرين	٤٥٨٠٠٠	٢٦٢١٠	٪ ٧,٩	٣٢٠٥٦٥	٪٧٠=٪٦٩,٩٩
الكويت	٢٠٣٩٠٠٠	٨٢٤٤٠	٪ ٤,٠	٦١١٤٩٠	٪٣٠=٪٢٩,٩٨
قطر	٣٩٧٠٠٠	٦٣٧٥٩	٪١٦	٩٦٢٤٠	٪ ٢٤,٢٤
الإمارات	١٦٨١٠٠٠	١٣٤٤٧٨	٪ ٧,٩٩	٢٥٢٧٢٧	. ٪ ١٥,٠٣
سلطنة عمان	١٤٧٢٠٠٠	١٥٠٠٠	٪ ١,٠١٩	٩٠٦٩٢	٪ ٤,٤٣
السعودية	١٣٤٨٠٠٠٠	٥٠٠٠	٪,٠٣٧	٦٧٣٠٠٠	٪٥=٪ ٤,٩٩
الإجمالى	١٨٠١٤٠٠٠	٢٧٢٥٢٨	٪ ٣٦,٩٤٦	٢٠٤٤٧١٤	١١,٣٥ متوسط

* ثم تركيب الأرقام فى هذا الجدول من المصادر الآتية

ـ التقرير السنوى للبنك الدولى ١٩٩٠ - تقرير جافى للدراسات الإستراتيجية- التقرير السنوى « ميزان القوى » الصادر من لمعهد الدولى للدراسات الإستراتيچية بلندن « ١٩٩٠ / ١٩٩١ » « IISS »

★★★

رغم غموض الموقف الايرانى اثناء عمليات القتال ورغم سياسته الواعية فى ذلك الوقت فإن ايران لم تستطع أن تتمشى مع الموجه العارمة فى المشاركة فى حصار بغداد والعراق .. واعلان الحرب ضده .. مع أن هذا كان أمل ايران تجاه عدوتها اللدود .. وجارتها فى الحدود .

رغم أن ايران اعتمدت فى موقفها على رفع الشعار الدينى والقانون الاسلامى من وجهه النظر الفقهية السليمة والتى اعلنها آيات الشيعة من عدم جواز الإستعانة بقوات اجنبيه غير مسلمه فى حاله الصراع بين طرفين مسلمين- وهى نظرة دينية سليمه - غير أن الامر يختلف إذا ما تعمق القارىء فى العقيدة الشيعية - والتى تحدد نظرتهم لأهل السنة .. فهى حتى اقل وادنى من نظرتهم لأهل الذمه.. ولعل الهدف من ذلك الموقف العقائدى «المعلن» كان يستهدف الكشف عن مصداقية علماء أهل السنة فى اقطار الجزيرة العربية ومصر.. وللأسف فقد نجح القوم فى هدفهم الى حد ما [(١)].

إن أهم الشواهد والثوابت فى البعثة الايرانية الشيعية والقومية هى نزعتها للتوجه خارج حدود ايران» وهو أمر ثابت وواضح الى الحد الذى دفع بعضهم الى التصريح بأن : « الابقاء على حدود متميزة للدولة «الايرانية» جعلها معرضة للتفكك الداخلى والتواترات بين العنصر الفارسى وبقية الاقليات - وللتدخل العسكرى الخارجى -- والثقاقى .. وبالتالى فإن الابقاء على الدولة ذاتها ظل مرتبطا باستمرار بالتوسع الخارجى والميل الى اتباع سياسة الهيمنة فى منطقة الخليج بصفة خاصة[(٢)]. هكذا.. وبمنتهى الوضوح .

---

(١) أشد ما يؤسف حقاً أن الموقف الفقهى قد تأثر فى اللملكة العربية السعودية فكان بعد الحرب مغايراً لما قبلها وهى دوله ذات صلة مباشرة بالصراع - أما فى مصر فلم بتغير الموقف الفقهى مع أنها دوله ذات تأثير ثانوى إلى حد ما فى مجريات الحد!!.

(٢) - Rauhollah Ramazani, The Persian Guly: Iran's role. " Charlottes-ville, unir press of Virginia 1972" PP. 114 : 115 .

وأيضاً .. د/ عبد المنعم سعيد - العرب ودول الجوار الجغرافى - مشروع إستشراف مستقبل الوطن العربى .. بيروت .. مركز دراسات الوحدة العربية تموز/ يوليو ١٩٨٧ ص ، ٥٧ : ٦١ .

والمدهش فى الامر حقا أن ترسيم الحدود بدقة بين ايران وجيرانها فى الخليج العربى لم يتم حتى الآن !!!

ومن ثم يمكن تفهم التطلعات الايرانية لضم دولة البحرين معتمده على اغلبيتها الشعية .. ومغزى احتلالها للجزر الثلاث العربية ايام الشاه.. وحرب الخليج الاولى.. واتجاهها العسكرى للتوسع وهو اتجاه اساسى ايرانى .. الخ.. ولعل ذلك الاساس هو ما صبغ النهضة الشيعية أيام الإمام الخمينى باهمية تصدير الثورة إلى العالم الاسلامى وبخاصه امارات الخليج والعراق تمهيدا لاقامة «المملكة الشيعية الكبرى»[١].

إن أهم مظاهر درجة الوعى والذكاء.. والخطورة فى السياسة الايرانية أن كل تلك الحوادث كانت تجرى تحت غطاء اعلامى قوى وثابت أوضح أن موقف ايران كان على الحياد فى ذلك الصراع الدامى الذى كان يجرى على كافة اراض العراق.. وكان ذلك تطبيقا مثالياً لمبدأ التقية« وهو من أهم مميزات المذهب الشيعى والذى اثبت وعيا سياسياً ونجاحاً اعلامياً.. كما أن الظروف ساعدته على ذلك.مع كل الجهد العراقى الخارق.. وحربه لاعدائه والمتربصين به على جميع الجهات.. ورغم نجاح العراق بحساب اهداف التحرك فى القضاء على النفرة الشيعية الايرانية فى الجنوب إلا أن نتيجة الحرب الامريكية العالمية ضد العراق وبحساب ومقاييس المكسب والخسارة فقد خرجت ايران- المحايده !! من تلك الحرب وهى تحصد المكاسب من كل ناحية.. وكل اتجاه .. وهذا أخطر ما فى الأمر.

أصدرت ايران بعد الحرب قراراً باحتفاظها بالمقاتلات العراقية التى لجأت اثناء

---

(١) كما نص عليها أمام الشيعه الأكبر، الخمينى فى كتابه « الحكومة الإسلامية».

وأيضاً .. عبر عنها الكاتب الإيرانى « رمزانى » فى قوله: من بين اليونانينين والعرب والأتراك والمغول وأخيراً النفوذ الغربى الذين أخترقوا الثقافة الإيرانية بنجاح خلال آلاف السنين فإن أيا منها لم يثبت تأثيره مثل تلك التأثيرات التى جاءت من العرب والبلدان الواقعه غرب إيران.. فقد أحدثت تحولاً جزئياً فى الثقافة الإيرانية من خلال الإسلام الذى ما لبث يدوره أن تأثر بنفوذ الحضارة الإيرانية

Ramazani Op. Cit, P. 113

الحرب كتعويض لها عن حرب الخليج الاولى الامر الذى شكل اضافة كميه ونوعيه للسلاح الجوى الايراى .. وهكذا وكنتيجة مباشرة للحرب، اصبحت ايران ابرز قوة اقليمية كبرى فى المنطقة عسكريا..

أما من الناحية الاقتصادية فإنه نتيجة لتوقف صادرات العراق والكويت من النفط سرعات ما اعلنت ايران عن عزمها على زيادة صادراتها البتروليه من ٣,٥ مليون برميل يوميا الى خمسة ملايين فى عام ١٩٩٣م .. ومع الاحتمالات المنظورة لانتاج الغاز الطبيعى فإن ايران تؤهل نفسها لكى تصبح ثانى اكبر دوله منتجة للنفط فى منطقة الاوبك بعد المملكة العربية السعودية الأمر الذى تشير الدراسات الى أنه سوف يؤدى إلى زيادة الدخل الايرانى بمقدار سبعه بلايين دولار سنويا!!.

أما من الناحية السياسية فقد سارعت دول الحلفاء العرب الخليجيين إزاء تلك التداعيات بالاعتراف الدبلوماسى بايران والتى كانت مقطوعة منذ بداية الحرب الاولى[١]. وتتابع الاعتراف بالنظام الايرانى حتى من قبل مصر والمغرب وغيرها.. وهكذا سرعان ما سافر السيد وزير النفط السعودى وشارك فى مؤتمر التفاهم والتعاون بين منتجى النفط والغاز ومتسهلكية فى عقد التسعينات» هذا كما سافر الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودى الى طهران فى نهاية شهر مايو ١٩٩١م.. بعد أن سافر نظيرة الايرانى على اكبر ولاياتى الى الرياض.

وهكذا لم تستطع دول الخليج والكويت والسعودية - والمناهضة الايران فى حرب الخليج الاولى- مواجهة تداعيات حرب الخليج الثانية الا بالاسراع والاعتراف والتودد الى ايران!!

من المهم مناقشة تلك التداعيات من وجهة النظر الايرانية العقائدية الشيعية - فالشيعية كما ذكرنا أهل شيعة وسياسة مرنه يجب فهمهم جيدا حتى يمكن التفاهم معهم والتعامل الايجابى .. إن اخطر ما فى الامر حقا هو أن نظرة الشيعة الى اهل

---

(١) أعترفت السعودية بإيران فى النصف الآخير من مارس ١٩٩١م - أى بعد عده أسابيع فقط من حرب الخليج الأخيرة !!

السنه هى نظرة مادون أهل الكتاب.. فهم ليسوا بأهل ذمه.. ومن ثم فإن الصلح والتراضى الصافى مع دول الخليج يتعارض مع تلك الثوابت الشيعية العقائدية.. وعليه كان لابد من وقفة فقهية فالشيعة - وهذا حق - ملتزمون بمنهجهم الى حد ما .. وهكذا..

سرعان ما أعلن السيد / أحمد الخمينى .. نجل الامام الخمينى ادانته لسياسه الانفتاح الايرانية.. ونقد الرجل الحكومة الايرانية ومسلكها تجاه دول الخليج نقدا مباشرا وصريحاً.

كان رد الشيخ رفسنجانى.. الرجل السياسى ورئيس جمهورية ايران حادا على ذلك النقد.

كان من أهم نتائج ذلك السيناريو ترحاب الدول الاوروبيه الغربية حتى أن وزراء الدول الاوروبية تقاطروا على طهران خلال الاشهر الاخيرة من منتصف ١٩٩١م.

وسرعان ما اعيد فتح مكتب السوق الاوروبيه فى العاصمة الايرانية.

★★★

من الممكن القول أن نتيجة الحرب الامريكية التحالفية كما ادت الى انهاك العراق عسكريا واقتصاديا فقد كشفت الامن الخليجى العربى واوضحت مدى الضعف لقدراتها الذاتية- الأمر الذى أدار دفة الثقل الاستراتيجى ناحيه إيران وبزاوية ملحوظة حيث لم تعد هناك قوة اقليمية قادرة على ملء هذا الفراغ الامن الاستراتيجى سوى ايران .. خاصة مع الواقع الجغرافى حيث تهيمن ايران على منطقه شاسعه من الخليج فهى تغطى الشاطىء الشرقى للخليج بأكمله.. وايضا خليج عمان والمحيط الهندى.. ولعل تلك الحقائق الملموسة هى ما تفسر الاستراتيجية الايرانية فى عدم دخول الحرب بجانب اى من الطرفين .. وانتظرت ايران مكاسب الحرب - المحسوسة. بعد الحرب.

بل ولعل تلك الحقائق هى ايضا سند ايران فى رفعها مبدأ أن تتولى ترتيبات

الامن فى المنطقة الخليجية ذاتها كبديل للخطة الامريكية الرامية الى الهيمنة على المنطقة[1].

لم يكن مستغرباً أن تتمكن ايران من ضم سوريا الى صفها فى نظرتها للأمن الخليجى ودعوتها لاقامة نظام أمنى بديل يقوم أساساً على مشاركة ايرانية - سورية مع دول المنطقة .. الأمر الذى بدا واضحا فى البيان المشترك الايرانى السورى عقب زياره الرئيس الاسد لطهران فى اواخر سبتمبر ١٩٩٠م ، وفى ذلك البيان كان واضحاً رغبة الطرفين فى إزاحة أى دور لمصر فى ترتيبات أمن الخليج.. وقامت على الفور أزمة دبلوماسية وإعلامية هادئة بين مصر وإيران عقب ذلك البيان ليس يخفى على أحد أن القوه الدافعه لمثل هذا الاتجاه ايديولوجيه بحته حيث أن النظام السورى علوى شيعى وهو اقرب الى ايران من أى نظام سنى فى المنطقة[2].

لعل تلك النظرة العقائدية السياسية هى ما تفسر موقف ايران ومعارضتها الشديدة على اتفاق التعاون الامنى بين الكويت والولايات المتحدة الامريكية والذى ابرم إبان زيارة امير الكويت للولايات المتحدة فى ١٩٩١/٩/١٩م[3].

---

(١) عبر وزير الخارجية الإيرانية « ولاياتى » عن إدانته للحشد العسكرى الأمريكى أساساً ونادى بضرورة التوصل إلى حل يقوم على التعاون الأقليمى باعتبره الحل الوحيد الأمن الخليج وذلك فى ١٩٩١/٨/١٠م. وفى ١٩٩١/٨/١٢م اضاف الرئيس الإيرانى رانسنجانى أمام قادة جيشه : « أن وجود القوات الأجنبية فى المنطقة أحدث توتراً فيها وأن إيران هى البلد الوحيد الذى يستطيع العالم أن يعتمد عليه فى الدفاع عن أمن منطقة الخليج، ومواردها النفطية!!.. نقلاً عن الحياة « لندن فى ١٩٩٠/٨/١٣م .

(٢) دعت صحيفة « الجمهورية الإسلامية » إلى إقامة تحالف إيرانى/ خليجى جديد تكون اليد العليا والهيمنة فيه إلى إيران بوصفتها القوة الأقليمية الكبرى فى المنطقة » الحياه .. ١٩٩١/٥/١٦م.

(٣) قامت الخارجية الايرانيه باستدعاء السفير الكويتى للأعراب عن إحتجاجها على الإنفاق الأمنى وعبر وزير الخارجية الإيراني أثناء لقائه مع أمير الكويت على هامش إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى منتصف سبتمبر ١٩٩١م عن أن الوجود العسكرى الأجنبى لا يضمن الأمن فى المنطقة.. وأن أمن الخليج لا يضمنه إلا دوله. » الحياه - فى ١٩٩١/٩/٢٤م.

وقد تفسر كل تلك المواقف عن أسباب تقارب الموقف الايرانى- السورى خاصة بعد سحب القوات السورية من المملكة العربية السعودية- فقد عبر الرئيس اركان الجيش السورى إبان زيارته لطهران فى ٢/ ١٠/ ١٩٩١فقال: «إن بلاده ترفض تواجد أية قوات اجنبية بمنطقة الخليج».

كما قد تفسر تلك المواقف- ايضاً- الاسباب الحقيقة لتوتر العلاقات المصرية- الامريكية الايرانية.. حتى بعد عودة العلاقات الدبلوماسية على مستوى تمثيل المصالح بين البلدين[1].

تزامنت كل تلك التيارات والتشكيل الدبلوماسى مع مباحثات وزيارات مكثفه من المسئوليين الايرانية لبلاد الخليج من أجل تحسين العلاقات والتوصل الى ترتيبات امنيه اقليمية مشتركة.. ولم تنجح تلك الجهود رغم أنه قد تم الإتفاق بين وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجى.. ووزير الخارجيه الايرانى فى ٢٨/ ٩/ ١٩٩١ على هامش دورة الجمعية العامة للامم المتحدة على تعزير العلاقات فى شتى المجالات.

لعل تلك التيارات ايضا تفسر استعانة الكويت بنحو ثلاثين خبيراً ايرانيا فى مجال اطفاء حرائق آبار النفط فى الكويت.. وتفسر ايضا اعلان بلاد الخليج العربية عن النيه فى اقامة صندوق خليجى للمساعدات وبرأس مال قدره ١٥ مليار دولار.. ثم تقليصها فيما بعد الى ١٠ مليارات فقط.. وذلك لمساعدة بلاد المنطقة عربية وغير عربية مثل ايران وباكستان وتركيا وبنجلاديش وغيرها على أن يبدأ عمل ذلك الصندوق فى عام ١٩٩٢م[2].

من تلك الشواهد المتعددة- وغيرها- فإن معالم الأمن القومى الايرانى

(١) ذكر نائب وزير الخارجية محمد بشاراتى » أن هناك صعوبات أقتصادية فى مصر تمنعها من إداء دور فى أمن الخليج » .. نقلاً عن السياسة الدولية الشهريات ١٠٦ - أكتوبر ١٩٩١م.

(٢) السياسة الدولية ـ العدد ١٠٥ ـ يوليو ١٩٩١م ص ٨٧..

ومرتكزاته كانت له بصماته الواضحة كمصدر تهديد وهيمنة فى المنطقة بعد كارثة الخليج الثانية.. هذا مع أنه لم تحدث بعد تلك الحرب أيه محادثات أوحتى مجهودات دبلوماسية بين الاطراف العربية لتسوية الاوضاع فى صورة اتفاقيات أو معاهدات طبقاً لقواعد جامعه الدول- العربية.. أو حتى قواعد القانون الدولى.. بل والمدهش أن السعودية والكويت واقطار الخليج لم تقبل سوى تأييد المنهج الدولى فى محاصرة العراق والتضييق عليه حتى بعد الحرب(١)!!.. هذا مع محاولة إسقاط أيه قيمة للعراق فى حسابات المستقبل الأمن الخليج!!.. وعلاقات اقطار الخليج العربية عامة وخاصة.. وايضا مع إسقاط أيه مصادر للتهديد فى المنطقة ولنظمها السياسيه فى تلك الامارات العربية.. وهى داخلية بقدر ما هى خارجية ونعنى بذلك أهم عامل وهو النسيج الشيعى فى شعوب المنطقة وحجمه.. الذى لايقل فى محمل بلدان الخليج عن ٢٥٪ من السكان!!.

لعل موازين القوى فى المنطقة والتيارات الايدلوچيه.المتعارضه والمتصارعه فى اللاوعى ومع اختلال موازين القوى بشدة بعد ضرب العراق هو ما أظهر لأمراء تلك المناطق أن منظور الاستعانة بالقوات الامريكية والغربية هو أهم ركيزة من مرتكزات الأمن فى تلك المنطقة على الاطلاق.. غير أن للأمر وجهته الأخرى.. ما تأثير ذلك على عروبة تلك المنطقة وثروتها ؟!. السؤال المطروح الآن فى الاشعور عند كل عربى ومسلم.

المدهش أن محور الصراع الذى ادى لكل تلك التداعيات اقتصادى فى المقام الاول.. وقدر بالنسبة لدول الامارات البترولية بعده مئات من المليارات من الدولارات

(١) الامر الذى لا نجد له تفسيرا منطقيا أو عقليا إلا بحساب الهيمنة للإستراتيجية الامريكية على سياسات تلك الدول والامارات .. وبما يخدم مصالح أمريكا على حساب شعوب المنطقة بأسرها - وهى نظرة لها تداعياتها لنفسية التى يجب أن تقيم ويحسب لها الحساب.

فى حين أن مطلب العراق- السند القومى للأمة العربية آنذاك- لم كن يتعدى عشرة مليارات[1]!!.

هناك ايضا جوانب أخرى عديدة للسياسة الايرانية واقتناص الفرص وسط ذلك التخبط العربى المهزوز. فقد انتهزت ايران فرصة الإضطراب وعدم الاتزان السياسى العربى فقامت بخطوات جاده فى محاولة تحسين علاقاتها وصورتها بالغرب.. ومن ثم فقد بذلت مساع كبيرة للافراج عن معظم الرهائن الغربيين فى لبنان.. كما قامت بسحب أغلب قوات الحرس الجمهورى الثورى من لبنان.. وخفضت أيضا من دعمها لحزب الله الشيعى البنانى الموالى لها.. وادى كل ذلك- وغيره- الى تحسين صورة ايران فى العالم العربى بدرجة ملحوظة.. كما إزدادت درجة الوئام السورى واللبنانى « الجناح الشيعى العربى».. ليس هذا فحسب بل أن ايران قد رفضت علانية الخطط الغربية والتى عرضت فى وقت من الاوقات تقسيم العراق حسب التركيبة الاجتماعية الايدلوچية حسب الثقل العربى السنى.. والكردى السنى.. والشيعة.. والتركية واليهودية كذلك!!.. الأمر الذى يمثل خصوصية عراقية- يجب احترامها دائما- عند الحكم على مواقفها السياسية [2]. وهكذا اعترضت ايران على المشروع التركى الذى قدمه الرئيس التركى بفيه تقسيم العراق الى دويلات كونفرداليه تبعا لعرقية التركيبة السكانية فى العراق.. بل وسارعت ايران فارسلت مبعوثا رسميا الى انقره لتحذيرها من مغبة اى توسع تركى اقليمى على حساب وحده العراق الاقليمية.. بل

---

(١) قدرت قيمة الانفاق على الحشد العسكرى للقوات المتحالفة - فقط - بمالا يقل عن مائه مليار دولار .. الامر الذى أدى إلى لجؤ هذه البلاد العربية البترولية الغنية إلى الاقتراض.. فقد أعلنت السعودية عن نيتها لاقتراض ٣،٥ مليار دولار من البنوك الغربية .. وعن نيه الكويت فى أقتراض ٣٣ مليار دولار .. كما تعاقدت السعودية على شراء أسلحة من أمريكا بمقدار ٢٠ مليار دولار وأيضا الكويت - كل هذا عدا تكالف إعادة أعمار الكويت .

(٢) أعترضت إيران على المشروع التركى الذى عبر عنه الرئيس أوزال.. والذى يقض بإنشاء كونفدراليه فى العراق من ثلاثة شعوب عرب - أتراك - أكراد» على أن تكون تركيا وسوريا وإيران ضامنة لهذه الكونغدرالية!!

لقد حذر الرئيس الايرانى من قيام جيوب كردية فى شمال العراق على الحدود المتاخمة لايران.. كما عبر الرجل عن قلقه من نوايا امريكا بشأن هذه الافكار التركية وطالب بسحب القوات الامريكية والتركية من شمال العراق والتى تدخلت بهدف وتحت مسمى حماية اكراد العراق .. كما تحفظ الرئيس الايرانى عن الهدف من وراء اقامة مناطق آمنه للأكراد فى هذه المنطقة.. واعلنت ايران عن معارضتها لوجود قوة الانتشار السريع للحلفاء فى تركيا تحت مسمى اعلان حماية اكراد العراق.. وانتقدت ايضا انتهاك الطائرات والقوات التركية لشمال العراق عند مهاجمتها لقواعد الأكراد داخل الاراضى العراقية.

لكل تلك المواقف معانى مختلفه عند تحليلها العميق.. فليس الهدف الايرانى هو الحفاظ على تماسك العراق قدر ما هو الخوف من أن تنشط المعارضة الكردية فى ايران نتيجة لكل ذلك.. هذا كما أن الاطماع الايرانية فى العراق اكبر من ذلك المشروع التركى واشرهه من تناوله قطته قطعة.. فايران تشعر أن العراق كله ارض ممهده للسيطرة الشيعية التامه نظراً لأن غالبيته السكان من الشيعية.. بل ويكفيها فقط أن يتولى أحد الشيعية حكم العراق حتى يمكن تحقيق كل تلك الاهداف ويقوى ذلك الشعور النفسى من تجربتها مع حليفتها سوريا.. فعلى الرغم من أن معظم سكان سوريا من أهل السنة فإن مجرد تلائم ايران مع نظام الحكم السورى العلوى الشيعى جعل التوافق السياسى امراً سهلاً.. وكل تلك العوامل ادى بايران أن تطمع وبشكل تام فى العراق الاكثر منطقيه وتقبلا للنظام الشيعى- الخطوة الاساسية لاقامة الامبراطورية الشيعية الكبرى.. كما ذكرنا آنفا

على هذا النحو الواسع المعالم تحددت نظرة ايران للأمن القومى وتطعاتها الى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية.. وهذا الفكر له ثوابته المحددة.. منذ قيام الثورة.. مروراً بحرب العراق.. وانتهاء- أو بداية- بحرب الخليج الأخيره-

المدهش فى الأمر حقا هو أن أكثر من يعنى حقيقة وخطورة كل تلك الحقائق والتيارات الجيوسياسية العقائدية هم بلدان وامارات المشرق العربى البترولية!!.. ومن

ثم فـإن تلك الاقطـار مـسـتـهـدفـة هى الأخـرى دون شك من ذلك الخطر الماحق والكامن الآن.

والمؤسف أن تلك الامـارات الفنيـة العـربيـة لاتملك- حتى الآن- تصوراً واضحاً للأمن القومى العربى فى تلك المنطقة وعن المستقبل القريب أو البعيد.. وحتى عن أمنها بصفه خاصة.. فالغريب أن ذلك التباين الايديولوچى القومى[1] فى تلك المنطقة جعل الهيمنة الحاكمة السنية تغير من نظرتها وتقييمها لأولويات الأمن.. واولوليات مصادر التهديد معتمدة تماما على الجانب الامريكى.. وحتى على حساب الالتزام العقائدى السنى فى مثل تلك الخلافات.. مثل تلك التى فى العراق.

إن اخطر ما فى الأمر حقاً هو أن العلاقات الايرانية العربية سوف يحكمها على مدى السنوات القادمة اوضاع ومتغيرات هامه وجذرية تشير الحسابات جميعها على أن الهيمنة الاقليمية الشيعية لإيران سوف تكون الكفه الراجحة فى المنطقة.. خاصة فى ضوء التدمير الشديد للعراق وإهتزاز التوازن الإستراتيچى الأمنى فى منطقة الخليج.. تزامن ذلك كله مع تراجع الثـقل العـربى لمصر وسـوريا فى ضـوء الازمات الداخلية الاقتصادية المتتالية والمنهكه.. وكذا توتر العلاقات بين مصر وسوريا وبين بلدان الخليج العربى والتى تصر معظمها على الحماية الخارجية حيث تتفق معظمها على أن يكون لأمريكا وبريطانيا!! الدور الرئيس فى ترتيبات الأمن.

الصورة العامة للمواقف ونتائج الاحداث توضح أن العلاقات بين دول المنطقة والعالم العربى واقطابه تتم فى صورة نطاق اقليمى غير متجانس ومخترق من قبل القوى الخارجية وحتى اسرائيل.. الأمر الذى شكل الإستراتيچية العربية فى صورة الانظمة الاقليمية التحتية على حساب ايه فكره فوق قطرية.

من مظاهر ذلك أن بلدان الخليج واولها الكويت قد جاهرت بالغائها للمقاطعه الاقتصادية لاسرائيل.. وفى المقابل كانت تلك الدول- وغيرها ايضا- تجمع وبكل

---

(١) هناك مناطق كامله فى الكويت وغيرها لا تتحدث سوى اللغه الفارسية .. وهى إيرانيه بالطبع وشيعية فى المذهب.

همة ونشاط على فرض حصار اقتصادى على العراق العربى المغبون والوحيد. وهو حصار عربى بكل المقاييس.

بل والمؤسف أن يصدر عن اجتماع رؤساء الدول الاسلامة بيان يدعو لاستمرار حصار العراق عربيا واسلاميا.. قبل أن يكون عالمياً!!.

أن الصورة العامة لما بعد حرب الخليج الأخيرة تكاد تجزم- حتى وهى فى مراحلها الاولى- أن منطقة الخليج سوف تشكل اقليما متميزاً.. معزولاً عن سياقه العربى.. بل وموجهاً ومهيمنا عليه من قبل السياسه الغربية رغم قوته الاقتصادية.. الأمر الذى أدى الى الاختلال الامنى والتوازن الاستراتيچى ومن ثم وضوح الاخطار من دول الجوار مثل ايران وتركيا.. وبزوغ عصر جديد قد تتزايد فيه الانقسامات العربية القائمة على الحزبية الدينية والايديولوچيه العقائدية والتفاوت الاقتصادى . الأمر الذى يثبته التقارب السورى- الايرانى.. وحتى التركى..

كل تلك الاخطار الرهيبة كانت نتيجة مباشرة لحرب الخليج الأخيره..

انهزم العراق.. فماذا كسبت الدول الأخرى؟!.

***

واضح إختلال الموازين وتفاوت المبادئ والاسس عند اطراف النزاع المتعددة.. ومن ثم وجب التساؤل عن الميزان السليم الذى يقدر كل هذا الخلل ومن ثم يقيم المخطئ والمعزور فى ذلك النزاع المؤسف وتطوراتة الاكثر أسفاً وخطورة.. فالسياسة لاثوابت لقيمها.. بل لاثوابت لديها على الاطلاق.. وحتى المصلحة التى يرفعها السياسيون يمكن تهميشها أو فلسفتها بتقدير السياسه للمصلحة القريبة أو البعيدة.. أو بمعنى آخر لوتناولنا الأمر من زاوية المصلحة الفوق قطرية والاسلامية.. وهكذا.

أهم من وضح فلسفة النظرة السياسية المقابله لامريكا كان الرئيس الاسبق ريتشارد نيكون حيث ذكر فى كتابه ما ترجمته «وحتى بدون مباركة الامم المتحدة فإن الولايات المتحدة وحلفاءها كان لهم الحق فى استخدام القوة وفق مبدأ حق الدولة المكتسب فى الدفاع عن الفرد أو الدفاع عن الذات الجماعى».. وحيثما تتهدد مصالح

الولايات المتحدة فإن يتوجب على الولايات المتحدة العمل مع الامم المتحدة طالما أمكن ذلك.. ولكن بدونها إذا كان ذلك ضروريا!! »[1].

وهكذا بمنتهى الوضوح.. فالميزان في المعاملات والسياسات الدولية غير ثابت بشكل قطعي.. ويستلزم من ثم أن تكون الفواصل الحادة في مسيرة أمتنا العربية والاسلامية مستنده على قانون من خصائصه الثبوت والقبول من معظم افراد وسياسي امتنا..... فهل هناك اثبت واوضح من كتاب ربنا .. وسيره نبينا المصطفى ﷺ.؟!

قال تعالى في توضيح ذلك المدخل السياسي للأمة الاسلامية:

{ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }

ثم أن المولى عز وجل يحذر في كتاب المحفوظ مغبة الخلاف حول ذلك الاساس السليم

يقول عز من قائل: { ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم }

ورغم أن الاختلاف رغم ذلك أمر مؤكد.. فهوا ايضا حكم الهى بين جماعات المسلمين فإن التوضيح الالهى كان من اكثر الأمور وضوحاً حيث كان النهى الالهى لأى فريق من التحالف مع الكافرين ضد الفريق الآخر المسلم امراً منهيا عنه.. ولن ينتج عنه خيراً لاى من الفريقيين المسلمين.

قال تعالى: { يا ايها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين }

وهكذا في حالة النزاع بين المسلمين لايجب النفاق بحال.. ويتحتم التمسك بمنهاج الشريعه- الواضح- وعدم الخروج عليها بحال.

(١) إنتهزوا الفرصه- ريتشار نيكون، ص ٢٩.. قايتباى للطباعة والنشر.. ترجمة حاتم غانم.. فبراير ١٩٩٢م .

{ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا }

إن تحليل الواقع العربى على تلك الآيات الكريمة أمر يدعو الى الايمان فى حد ذاته.. حيث لم يخرج الحال العربى كله بعد تلك الحرب عن النتيجة التى اشارت اليها الآية الكريمة.

ومن غرته الدنيا ورمى من وراء الخروج على هذا المنهاج من أجل مكسب سريع أو فوز مطمئن فعليه وزره « فأصابهم سيئات ماكسبوا ».. والذين ظلموا من هؤلاء «..ماهم بمعجزين »

صدق الله العظيم

الفصل السابع

إنتصار الغرب

الفصل السابع
إنتصار الغرب

يتحدد الانتصار فى المعارك الحربية طبقاً للأهداف الموضوعة والمرصودة منذ بداية الصراع.. ومن ثم يمكن تقييم الانتصار بعد المعارك الحربية.. ونتائج الحرب بالنسبة لاطرافها.

المدهش فيما يختص بمعركة الخليج الثانية أن الأطراف العربية ـ صاحبة القضية ـ لم تتفق على تلك الأهداف فيما بينها بل لم تجمع الأهداف حتى بين أقطابها من أمريكا وحلفائها.. وكان الوضع العام أشبه بسلة جمعت المتناقضات ووقعت على رأس القوة العربية ـ .. بل على العراق. هذا من ناحية.

ومن أخرى.. فإن نتيجة الحرب يجب أن تكون منطقية بحسابات أطرافها.. وتحمل فى طياتها حلاً لأسباب الصراع فقد نتفق جميعاً على أن النتائج المجحفة لأى صراع هى هى أسباب الصراعات المستمرة والمتوالية.. ولعل حرب الخليج الثانية هى نتيجة مباشرة للخلل الناتج عن حرب الخليج الأولى عسكرياً واقتصادياً.. بل إن الكاتب ليجزم بتلك الحقيقة وذلك المفهوم.

المثال الثانى لتلك الأساسية هو تطورات الاحداث بعد معاهدتى فرساى وبولسترام فى نهاية الحرب العالمية الثانية وما أفرزته تلك التطورات من تهيء الدول المنتصرة وإنقسامها ودخولها فى مرحلة الحرب الباردة.. والتى لم تنقشع غيومها إلا فى أيامنا هذه.. لتبدأ ومن جديد ـ وبالقطع ـ تغيرات فى موازين التحالف القوى إستعداداً لصراع آخر.. تلك سنة الحياة.. وحقيقة الصراع الانسانى.

المدهش فى الأمر حقاً، أن ذلك التحالف العالمى المدهش والذى اجتمع لضرب القوة العربية الناشئة فى العراق اجتمع اطرافه مع اختلاف عميق وتباين واضح بين أطرافه الغربية من الوجهة الاستراتيجية.. وهكذا كان اعجب ما فى الأمر حقاً أن من حدد أهداف المعركة وطبيعتها طرف آخر وقوة غير عربية لها نظرتها المستقلة.. بل

والمهيمنة على مجريات الحوادث وتحديد أهداف المعركة.. ومن ثم خرج الموضوع برمته من نطاق الهيمنة ومن ثم المصلحة العربية.. حتى قبل أن تبدأ الرصاصة الأولى.

كان مسار الحرب تعبيراً وتطبيقاً تاماً لخلل الموازين بين أطراف النزاع.. وكان لذلك شواهده.

بعد اسبوع من اندلاع القتال أعلن الجنرال «كولين باو» رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة أن: «القوات الأمريكية ودول التحالف الجوية دمرت تماماً مفاعلين نوويين عراقيين و ٦٦ مطاراً حربياً عراقياً.. كما ان القوات الأمريكية قصفت وشلت تماماً إمكانية انتاج أية أسلحة كيميائية وبيولوچية ونووية عراقية.. كما أن القوات الجوية الأمريكية دمرت أيضاً مصنعاً للأسلحة البيولوچية فى بغداد!!!»[١].

كانت تطورات الحوادث تشير بكل تأكيد إلى قناعة واصرار الطرف الأمريكى الغربى على استئصال القوة العراقية هذا مع غياب كامل للطرف العربى.. وككل.. على المستوى الأستراتيجى والسياسى من تلك الأهداف القريبة.. ومع ذلك لم يسقط الطرف الأمريكى دور الاعلام السياسى أثناء الحرب وأهميته ومن ثم فقد أعلن ريتشارد تشينى أكثر من مرة ـ وغيره أيضاً ـ أن: «القوات الأمريكية سوف تنسحب بعد تحرير الكويت وأن القوات العربية سوف تتولى مسئولية أمن المنطقة بعد الحرب».وأثبتت الأيام كذب ذلك كله.

فى الوقت الذى بدأت العمليات البرية لقوات الحلفاء لتحرير الكويت!! لاح سؤال على خاطر المراقبين والمحللين فى الغرب عن ماهية الهدف النهائى لتلك العمليات.. فهل سيكتفى الرئيس بوش بتحرير الكويت.. أم أنه سوف يواصل دفع قواته داخل الأراضى العراقية لتحقيق أهدافه الحقيقة.. تلك النابعة من وجهة النظر والمصلحة الأمريكية.. لا العربية.. ولا الاسلامية؟!.

---

(١) يلاحظ أن جميع هذه الأهداف الحيوية العرقية لعربية قد تم تدميرها بواسطة القوات الأمريكية تحديداً من جميع القوات المشاركة في ذلك التحالف الغربي .

كانت الأصوات القوية داخل الادارة الأمريكية تطالب وتلح على ألاتكتفى القوات لأمريكية بطرد القوات العراقية من الكويت.. كان أنصار هذا الرأى يرون أن مجرد الاكتفاء بخروج القوات العراقية مثخنة بجراحها لن يكفى بالحاق الهزيمة العسكرية والسياسية بصدام.. والذى سوف يظل مصدراً للخطر!!.. فلابد إذاً من استئصاله سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.. وأيضاً جسدياً إن أمكن.. الأمر الاساسى للهيمنة الغربية على منطقة الخليج البرولية.. وللحفاظ على التفوق الاسرائيلى.

أيد هذا الاتجاه بكل قوة الجانب البريطانى.. والح عليه بكل عنف الاسرائيليون.. وترفق فيه إلى حد ما الفرنسيون وكانت اليد الأولى فيه للقوة الأمريكية المهيمنة.

أما الجانب العربى فلم يسمح له حتى بابداء رأيه ونظرته الاستراتيجية وأهدافه تجاه الأحداث.. ولم يجد حتى الشجاعة لاظهار أية وجهة نظر شخصية للاحداث؟!..

الملاحظ أيضاً أن كل تلك الأهداف لم ترد فى أى ذكر لقرارات مجلس الأمن.. ولا قرارات جامعة الدول العربية.. ولا غيرها.

مع ذلك كله فلا يمكن الادعاء بأن بعض القيادات العربية لم تكن على علم ولا وعى بتلك الاهداف الامريكية الغربية.. بل كان الجانب العربى.. والاسلامى يعلم بأهداف ومرامى التجمع الامريكى العالمى.. ذلك لوضوحها عند أهل العلم والسياسة.. وايضا لاعلانها من جانب الطرف المهيمن الغربى.. الحقيقه التى تدل على اسقاط العالم الغربى لاى قيمه وحقوق لتلك المنطقة العربية الاسلامية.

كانت ظواهر كل ذلك واضحة عند تحليل ما اعلنته القيادات السياسيه للجانب العربى فى الائتلاف العالمى.. فقد اجمعت تلك القيادات العربية أن أهداف القوات العربية- عامة وخاصة- فى الحرب الدائره هى الدفاع عن السعودية.. والمشاركة فى تحرير الكويت.. وفقط!!.. ومن ثم فإن تلك القوات العربية لن تهاجم الاراضى العراقية!!.

المؤلم والمحزن فى تلك المفاوقات أن الخلاف والاختلاف بين البلدان العربية لم يتناول أساس المشكلة ولبها قدر ما اكتفى بأهدابها وزوائدها.. وترك الجميع للجانب الامركى تحديد الاهداف وتقديرها. .حسب ما يراه ويتمشى مع مصلحته هو !![1].

كان من السهولة والحال على تلك الصورة من التشرذم العربى أن تجد الولايات المتحدة حرية الحركة كامله فى اتجاه انجازات اهدافها الحقيقة.. وباعتبارها القيادة الحقيقية المحدده لأهداف المعركه.. وهى القضاء على قوة العراق العسكرى والاستراتيجى كهدف اساسى.. ولو على أيه انقاص لأيه قرارات لاى هيئه دولية.. هذا بالاضافه الى الانهاك الاقتصادى المتعمد لتلك الدولة العربية الواعدة.. ولعل ذلك كله يفسر عمليه الدمار الواسعة للبنية الاساسية للعراق.. الأمر الذى أشارت إليه- حتى فى مراحل الحرب الولى- ذلك الكم الهائل والغير مسبوق تاريخيا من الغارات الجوية على الاهداف الاقتصادية والمدنية داخل كل الاراضى العراقية والذى ادى الى عملية الدمار الشاملة للبنية الاساسية العراقيه.. اضافه الى الاهداف العسكرية الضروريه- وما صاحب ذلك كله من ضحايا بشرية ومادية هائلة.. بل مخيفة..

ولما كان سلوك الانسان كلا لايتجزآ.. فلا يمكن تبرير بواعثه فى موقف ما.. مع ما يتناقض من دوافعه الانسانية التى يرفعها فى جانب آخر ومن ثم فإن الاهداف الامريكية تجاه العراق كانت تتمشى تماماً وتتوافق مع رؤيته ومضمونه ونظرته تجاه المنطقة.. مع أن الاحداث كانت تحمل فى مضمونها نتائج لاتتمشى تماما مع المصلحة العربية العامة.. ولاحتى الخليجة الخاصة.. وعليه فقد وجب التعمق لمعرفه حقيقة الرؤيه الامريكية والغربية للمنطقة.

---

(١) كان التيار المحدد للأهداف الإستراتيجية في حرب الخليج ممثلاً في كيسنجر ومدرسته السياسية الإدارية الأمريكية وأيضاً جورج شولتز وزير الخارجية الأسبق والذي أوصي بمواصلة الحرب حتي القضاء علي صدام حسين شخصياً وقد سبقها دان كويل نائب الرئيس الحالي والذي نادي بإستخدام الأسلحة النوويه لو أقتض الأمر!!.

إن ادنى منطق وعلم يجزم بأن إضعاف العراق الى هذه الدرجة لايعنى سوى خللاً شديداً فى التوازن الاستراتيـچى خاصة فى منطقة الثالوث الخطر.. ايران - تركيا- اسرائيل.

الأمر الذى لن يكسب منه على المدى المنظور والبعيد سوى ذلك الثالوث.. وعلى حساب الامة العربية جميعها.

هذا كما أن تدمير العراق وبهذه الدرجة كان يحمل فى مضمونه إحتماليه تفكيك الدولة أو تقسمها خاصة مع احترام خصوصيات المجتمع العراقى.. وفى ظل الاطماع التاريخية لكل من تركيا فى الشمال.. وايران فى الجنوب.. أو بمنطوق آخر الاكراد شمالاً والشيعه جنوباً.

ليس هذا فحسب بل ان تدهور الاوضاع فى المنطقة قد ينتج عنه اشتداد موجات العنف والتطرف الدينى والسياسى الفكرى والارضية ممهدة لذلك بشكل خاص فى العراق..

والمدهش ان ذلك كله يحمل فى طياته تهديدا لمصالح الغرب انفسهم.. والعرب. ذاتهم ويهدد المستقبل السياسى والثقل الاقتصادى للمنطقة باكملها.

غير ان اقص ما فى الامر حقا هو حقيقة ان هذه ان كانت تداعيات الحرب المحتملة فانها تحمل فى ذاتها نظرة امريكا والغرب الى المنطقة العربية وحقيقة نواياها واهدافها.وليس فى ذلك ما يشين الجانب الغربى قدر ما يشين من يعينهم على تلك الاهداف من الجانب العربى. فالحياة صراع بين الخير والشر.

كانت كل تلك الحقائق السياسية تحمل فى مضمونها خطرا فائقا على الجناح الشرقى للازمة العربية.. ففترة ما بعد الحرب مرحلة تسيب وتحلل وسيولة تغلى فيها الزفرات.. وتتدفق عليها التغيرات..

وتنتعش فيها القلقلة السياسية والاجتماعية.. وبالتالى تهتز النظم.. وتتغير الحكومات وتختفى الرموز.

اعجب ما فى الامر حقا هو ان تلك الرؤى والاحتمالات نتيجة السياسة الامريكية تجاه المنطقة لا تخدم بحال السعوديه او الكويت او الامارات.. الا من ناحية المنظور الامريكي. بمنطوق اخر فان فلسفة الحرب والتى تقوم على الممكن.. والمنطق كانت تحمل فى طياتها للمستقبل العربى صاحب الارض والبترول والقضية مستقبلا مملؤا بالضباب.. والقائمة على تحديد اهداف لم تراع اية مصالح لاى جانب عربى - بل وخاصة جانب الدول البترولية كما سنوضح-

غير ان هذا او باختصار قانون الحرب فالمنتصر من يفرض ارادته.. والمهزوم من يفقدها.

كانت كل تلك المخاوف يشعر بها ويحسها المواطن العربى خاصة.. والمسلم عامة.. ومن ثم لم يكن امام القيادات العربية المؤازرة للجانب الامريكى سوى فلسفه الهزيمة بالكلمة والاعلام.. أو التأويل والكذب على شعوبها الأمر الذى برر الحملة الاعلامية الشرسة التى واكبت الاحداث.. والتى نجحت حقيقة فى تشكيل العقل العربى.. بل وحتى مثقفيه.. واشد ما نوسف له مشاركة بعض رجالات الدين فى تلك الحملة.. هذا مع أن الأمر اوضح حتى من تحليله بين رجالات العلم والسياسة.

كان ولابد أن تكون لكل تلك الحقائق بصمات.. تسمع من هنا.. وتقرأ من هناك.

أشار الجنرال «الاكاز» رئيس اركان حرب القواعد المسلحة الأسبق أن ايران الطرف المهزوم فى حرب الخليج الأولى تبدو وكانها المنتصر الاول فى حرب الخليج الأخيرة.. وأكد الاكاز أن الانهيار المبرمج للقوة العسكرية العراقية يتيح لايران إحتمالات أن تلعب دوراً قيادياً فى المنطقة وأن تجعل من الخليج خليجاً قارسياً.. كما أكد لاكاز ايضا أن ايران لم تخف رغبتها فى الحصول على الاسلحة النووية.. وأنها تمتلك ثمانيه آلاف طن من مادة الكعكة الصفراء وهى الماة الاساسية لانتاج القنبلة النووية مما يفتح لها الباب لامتلاك القنبلة النووية فى نهاية هذا القرن!!.

اما تركيا فقد لخصت موقفها من الاحداث بتحركاتها العسكرية ضد اكراد شمال العراق بعد الحرب وانتهاكها لحرمة الاراضى العراقيه.. هذا بعد أن وظفت موانيها ومطاراتها الدولية لدول التحالف الغربى اثناء معركة الخليج.

أما اسرائيل فقد تمت ترضيتها بالاموال والاسلحة والصواريخ فائقه الدقه ثمنا لسكوتها وعدم مشاركتها فى الاحداث حتى لاتفسد الخداع العربى الاسلامى.. وعندما تم رفع شعار مطلب المنطقة الشرق اوسطيه كمنطقه خالية من اسلة الدمار الشامل لم يشمل ذلك اسرائيل فى حين شمل ماعداها من الدول العربية!!.

كانت الحوادث السريعة والمتتاليه تشير إذاً إلى أن امريكا وخلفاوها قد اشعلوا حرباً تدميريه بهدف الدفاع عن المصالح الحيويه للقوه المهيمنة العالمية الجديدة.. وعلى حساب العالم العربى كله غنيه وفقيره.. خاصه أن تلك الفترة شهدت اعادة بناء النظام الدولى الجديد بزعامة امريكا المنفرده.. اثر تراجع الدور السوفيتى حتى انهياره الفعلى بعد ذلك وبقليل..

★★★

كان يمكن لأمريكا ايضا أن تتخذ شكلا آخر من اشكال الحروب وتستقر عليه.. مثل الحصار.. التسلل.. أو التدمير لاهداف منتخبة كشكل من أشكال الحروب المحدودة.. ومع أن كل تلك الاشكال قد تم تناولها ايضا فى حرب الخليج فإنه ولتعاظم السلاح الغربى وتقوقه اتجهت امريكا للحرب الشاملة حيث أنه يخدمها من عده أوجه استراتيجية.. فالحرب الفعلية يتيح لامريكا فرصة حقيقية لاختبار بعض تلك الاسلحة والتى فى طور التجربه والتى تم إنتاجها تحت عملية حرب النجوم.. الأمر اللازم لدفعه قوية للعسكرية الغربية فى صراعها العالمى للسيطرة المطلقه. تم هذا مع نجاح حرب الحصار بشكل مؤثر وفعال وامتداده حتى على النطاق الجوى وهى المرة الاولى التى يكتمل فيها شكل من أشكال حرب الحصار فى التارخ الانسانى ضد دولة من الدول.. وعلى هذا المستوى.

أغرب ما فى هذه الحرب حقاً هو أن أحد اطرافها حاول جاهداً أن يلحق بركب الحضارة الانسانية ويتقدم تكنولوجيا فيركب مفصل التطور ويشق طريقه.. ويرى الطرف الأعلى تكنولوجيا ورقيا وغنى وقوة وثروه كل الخطر عليه فى تلك المرحلة الاساسية والاولية فلم يتردد من ثم فى استعمال وتجريب كل وسائل الحرب

التكنولوچية الحديثة بأزسرارها وخفاياها المرعبه للقضاء على ذلك العربى الواعد!!. إن الصراع التكنولوچى كان من المحتم اخلاقيا أن يحكمه ميزانه ودفتاه وهما التكافؤ والتوازن.. وهما غير متوازيين فى تلك الحاله من القياس بأى درجه.. ومع ذلك لم يتردد الطرف الامريكى فى إغارات بلغ حجم قنابهـا التدميريةعده قنابل ذرية زاردت عن اصابع اليد الواحدة[1].. تحملها العراق العربى.. وحده.

من ناحية أخرى فإن برنامج حرب النجوم والذى رأت فيه السياسة الامريكية طريقها للهيمنة العسكرية المطلقه على العالم كانت تكلفته- المبدئيه- تزيد عن ٤٠٠مليار دولار.. وأهمية هذا البرنامج من الناحية الاستراتيجية أنه يضمن للقوة الامريكية امكانية الردع فى جميع الاحوال.. والردع من الناحية الاستراتيچية «لا يعتمد فقط على الانتقام من العدوان.. بل يتعداه الى احتمال حدوث العدوان.. وهذان العاملان يرتبطان ببعضهما بنسبه معكوسة فلو هبط أحدهما جداً فشل الردع.. وإذا كان الجانب الذى يبغى الردع يؤكد رده التدميرى على حساب احتمال الثأر فقد يشجع العدوان.. وإذا وضع اهتمام زائد على الاستراتيچية تصل تكاليفها إلى أدنى حد فإن العقوبات ضد العدوان قد تصبح بسيطة جداً لردع فعال»[2].

على تلك الاسس الامريكية يقول د. هنرى كيسنجر: «إن التحدى الذى يواجه السياسة الامريكية العسكرية هو اقامة اكبر توازن بين قوتنا الرادعة وبين الاستراتيچية التى نحن على استعداد لتنفيذها لو فشل الردع»[3].

الأمر ببساطه يتخلص فى أن أى طرف مناهض للهيمنة الامريكية يجب عليه

---

(١) يقول ريتشارد نيكسون في نظره أ.ريكا وتبريرها لكل تلك الجرائم: « ولدينا كذلبك مصلحه حيوية فى منع إمتلاك أسلحة نووية من قبل المعتدين فى دول العالك الثالث.. وليس للولايات المتحدة من خيار سوى أن ترد بالقوة عسكرية إذا دعت الضرورة لدفع تهديدات ضد هذه المصالح» .. إنتهزوا الفرصة - ص ٣٠ .

(٢) مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية.. وهنرى كيسنجر.. كتاب الساعه.. إعداد. حسين شريف ص ١٣٢ .

(٣) أيضاً .

الايتـخطى الخط الاحمـر الذى حـددته تلك الادارة الامـريكيـة فى نظرتهـا الذاتيـة لشـعوب العـالم.. وهو الأمـر الذى تخطتـه العـراق بانتـهاجـهـا سيـاسـة ذاتيـة عربيـة مستقله ذريا وتكنولوچيا.. فكان ما كان.

ورغم أن سقـوط الاتحـاد السوڤيـتى شجع الولايات المتحدة على مـحاولة الاتزان الاقتصادى فقررت بالفعل تخفيض قواتها المسلمة العادية فإن تلك الخطه تشترط.فى نفس الوقت الهـيـمنة العـسكرية الامريكيـة على مـسـتـوى العـالم كـمـحاولة للتـوازن الاقتصادى مع اوروبا واليابان والصين مع التفوق العسكرى الملحوظ.

يقـول رتيـشـارد نيكون فى كتـابه وكـتـعـبـيـر عن التـزام امـريكا بخط الـهـيـمنة العسكرية للهيمنة القيادية والسيطر على العالم:

«لاينبغى أن نعـمل على تقليل قواتنا للدرجه التى تجعلنا نفتقد البنية الاساسية للقواعد الامامية التى نحتاجها لتدخل هام فى المنطقة».

«واولئك الذين رددوا قبل عـامين الحكمة التقليـدية بأن القوة الاقتـصاديه قد حلت محل القوة العـسكرية كـالادارة الرئيـسيـة فى السـيـاسة الخارجيه قد انفضحـوا كأنبيـاء كـاذبين عندمـا اثبـتت كل من اليـابان والمانيـا عـجزهمـا فى الرد عـلى عدوان صـدام حسين».

«وحـسب مـا جرى عليـه العرف فـان الامم قـد اختـارت إشـهـار الحرب وفق منطق مصالحها وامريكا ليست إستثناء».

كـانت التكلفـه المبـديئه لتلك السـيـاسة الامركيـة المهـيمنة مـا يقدر بحوالى ٤٠٠ مليـاراً من الدولارات.. هذا فى الوقت الذى كـانت امـريكا تعـيش زلزالاً اقـتـصـاديا كـامناً نتـيـجة سيـاسـتـهـا العـالمية.. فلعده سنوات كـان هناك خللاً وعجـزاً فى نظام المدفوعات والميزانية الامريكية بالشكل الذى كان يهدد تلك السياسة فى الصميم.

ومن ثم.. فهل كانت لتلك الحرب منظورها بالنسبة للاقتصاد الامريكى؟!

فى الندوة الدوليـة حول الآثار الاقـتـصـادية والاجـتـمـاعـيـة والتربوية لأزمة الخليج والتى نظمتها جامعة الازهر بالتعاون مع رابطه الجامعه الاسلامية قال الدكتور/ عبد الله بن تركى: «إن خسـائر حرب الخليـج بلغت ٥٦٠مليـار دولار.. ٥٠مليـار دولار

قيمة اعاده بناء ما دمرته الحرب في الكويت.. اضافة الى ٨٠ مليار دولار لإعادة دمار ماضربته الحرب فى العراق.. و١٠٠ مليار دولار أخرى قيمتة نفقات حرب الخليج تستحقها القوات الامريكية والدولية.. إضافه الى عشرات الميارات الأخرى والتى الزمت امريكا اوروبا واليابان دفعها » .. وهكذا.. وبنهايه الحرب.. وبعد اقل من شهرين فقط اصبحت امريكا دولة متزنه اقتصاديا.. بل والاعلى والاقوى عسكريا.. كما تمت الهيمنة والسيطرة الامريكية الادارية والفعلية على منابع النفط.. واصبحت امريكا المرهقة أقوى واغنى دولة فى العالم كله.

المؤسف أنه امام كل تلك الموازنات كان تعبير الكويتيون عن فرحتهم بتحرير الكويت وانتصار الغرب فى صورة منحطة تتعارض مع أدنى مستوى سياسيا كان أو اقتصاديا- ودينياً ايضا.. فسرعان ماتناقلت وكالات الانباء تعبير الكوتييون باشعالهم السجائر باوارق مالية عراقية فى صورة مقززه نشرتها الاهرام فى ١٩٩١/٣/١م..

غير أن تلك الصورة كانت تحمل فى معناها أهم حقائق الصراع

لقد انهارت دولة العراق الأمل.. عسكرياً- واقتصاديا..



مجموعة من الكويتيين يحتفلون بتحرير بلادهم ويشعلون السجائر باستخدام الاوراق المالية العراقية التى تركها العراقيون المنسحبون وراءهم .
(صورة من ا . ب)

★★★

من الواضح أن الاهداف الامريكية لم تقف عند انزال الهزيمة العسكرية بالعراق وتحرير الكويت.. وهكذا.. وفى خطابه الى الأمة الامريكية غداة وقف اطلاق النار أعلن الرئيس بوش: «أنه قد تحررت الكويت.. وهزم الجيش العراقى.. وتم تحقيق اهدافنا».. ولتوضيح الشق الأخير أضاف الرئيس الامريكية أنه سوف يرسل وزير الخارجية بيكر الى المنطقة بعد أيام ليتشاور مع زعمائها حول «مرحلة مابعد الحرب» والتى اكد الرئيس الامريكى- النبيل[1]- انها مثار انشغاله وتفكيره»

ثم كانت جولة بيكر لخدمة وضمان الاهداف الامريكية الأخرى.. ومن ثم فقد رمى وزير الخارجية الامريكى إلى اهداف محددة واضحة منها: ترتيبات الأمن فى المنطقة.. والرقابه على الاسلحة وانتشارها.. والتعاون الاقتصادى بين البلدين.. واعلن الرجل عن استعداد بلاده لانشاء بنك للتنمية فى الشرق الاوسط هدفه تمويل عملية اعادة البناء الذى هدمته القوات الامريكية وحلفائها فى الحرب..

بمعنى اوضح كانت الاهداف الامريكية تهدف الى اتمام عملية الهضم الغربى للمنطقة العربية البترولية والفنية.

.. وكان ذلك كله تطبيقا للنهج العلمى الاقتصادى الغربى للهيمنة العالمية.. بمعنى آخر كان ذلك مثالاً تطبيقياً للفكر الاستعمارى الاقتصادى الجديد.

كانت اوضح مظاهر تلك الحقائق كلها تشير اليها طبيعة ونوعية تلك الشركات التى تفاوضت مباشرة عقب انتهاء القتال مع كبار المسؤلين فى الكويت لاعادة الاعمار.

وكانت المنافسة تكاد تنحصر بين الشركات الامريكية والبريطانية على خطه عمل لعدة سنوات وبتكلفه مبدأية قدرت بحوالى ٥٠ الف مليون دولار.

كان من بين اولويات خطة التعمير إصلاح الخدمات العامة الحيوية كالمياه والكهرباء والمواصلات والمرافق الصحية.. ثم مرحلة اعادة بناء مراكز ومبانى الشركات

(١) حسب رأي الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ / خالد محمد خالد !!!.

والدوائر الحكومية والبيوت السكنية والطرق وغيرها.. وكان من الواضح أن الشركات الامريكية قد فازت بنصيب الأسد فى ذلك كله.. تبعتها - وعلى استحياء - الشركات البريطانية - الأمر الذى حدا بكبار مسئولى الحكومة البريطانية على المطالبة بأن توزع العقود بشكل يعكس مقدار المساعدات العسكرية التى قدمها اعضاء «معنيون» فى التحالف الغربى ضد العراق..

وهكذا بدأت بوادر الاختلاف بين الشركاء عند اقتسام الكعكة.

وحدث المتوقع فإن الجانب المصرى الذى اشترك فى جانب الحلفاء اتفق الجميع على تهميشه غايه الحهد حتى خرج من تلك الوليمة بخفى حنين.

من زواية أخرى.. فإن إصرار الجانب الامريكى على الحرب رغم إعلان الرئيس صدام عن نيته فى الانسحاب قبل اندلاع الحرب له جانبه وزاويته الاقتصادية والتى تتضح اهميتها من جانب واحد - هو جانب صانعى السلاح ومنتجى آله الحرب.. ذلك الجانب والذى يعتبر ركناً اقتصاديا أساسياً فى الاقتصاد القومى لكل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا.. والتى شكلت فيما بينهما القوة الضاربة الاساسية لقوات التحالف ضد العراق كان يرى مصلحته - المباشرة فى اندلاع القتال وقيام الحرب.. فالاقتصاد فى العالم يعرف نوعين من البضائع.. المعمرة.. والغير معمرة..وبالنسبه للسلاح فإنه بضاعة معمرة مالم تستخدم فى حرب من الحروب.. وهى لاتحتاج إلا لبعض الاستحداث من عام إلى آخر.. اما فى حالة قيام الحرب فإن السلاح يتحول مباشرة الى بضاعة غير معمرة حيث يتم استهلاكه فى ساحة المعارك.. ومن ثم تنشأ على الفور حاجه الى السلاح مرة أخرى.. وتروج البضاعة.. وهذا ما حدث بالضبط على أرض الواقع.

صناعة السلاح تحكمها إذاً قوانينها الخاصة والتى تنبع من نظرة إقتصادية لمنتجيها.. وهى رهن بحاله الحرب والسلم فى العالم.. فإذا عم السلام بارت البضاعة.. وإذا اندلعت الحرب انتعشت الصناعة وراجت اسواقها وارتفعت صادرتها.. وتبقى بعد ذلك إشارة الى قوة اصحاب صناعة السلاح فى صياغة قرارات الامم.

قبل الحرب كانت صناعة السلاح فى كل من الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسا فى حالة ركود وانهيار بصورة تهدد الاقتصاد القومى فى كل من هذه الدول.

في بريطانيا- مثلا- تم تخفيض ميزانية الدفاع بأكثر من ٥٠٠ مليون جنيه استرليني.. واصبح آلاف العمال يواجهون خطر البطالة- والذى اصبحت معدلاته السنوية مؤشراً لسلامة أو عدم سلامة السياسة الاقتصادية للحكومات .

أما في فرنسا.. والتى تعتبر اكبر دولة مصدرة للسلاح بعد الولايات المتحدة الامريكية فقد انخفضت قيمة صادرات السلاح بنسبة ٢٥٪ .. وهى نسبه هائلة مخيفة هددت الاقتصاد الفرنسي وحيويته.

أما عن الولايات المتحدة فإن صناعة السلاح تمثل فيها دوراً فريداً في الاقتصاد العام الكلى للدولة.. هذا بالاضافه الى ما تمثلة القيمة السياسية لتلك الصناعة على المستوى الاستراتيجى والسياسى العام للولايات المتحدة..

هذا من ناحية السلاح التقليدى.

أما تجاوز الخط الاحمر الى السلاح الذرى فإن الدول الذرية قد تواجه بعض الصعوبات في المجال السياسى للتوازن الذرى العالمى غير أنها تجد مجالاً اوسع للعمل وتأكيد إستغلالها ذون شك.. وبتعبير ادق فإن التغيرات الاساسية في مجال توازن القوى يمكن أن يحدث داخل الحدود الارضيه للدول المستقلة.

ولعل تلك الحقائق فرضت على الدول المهيمنة النظر بزاوية أخرى لأيه تغيرات دولية..

كانت تلك الاسس الاستراتيجية تحكم نظرة امريكا تجاه العراق[1] والذى بدا نشاطاً في مجال تصنيع الصواريخ واسلحة الدمار الشامل الذرية والكيماوية والبكترية وغيرها..

هكذا تتمثل دواعى الحرب وتستلزمها في الوعى وحتى اللاوعى عند اطراف الازمة المهيمنة..

الم يكن السلاح العراقى والذى اصرت قوات التحالف على تدميره حتى تتمكن من السيطرة على مقدرات المنطقة وحرية الحركه تجاهها هو ما امدت به هذه الدول

(١) وأيضاً تجاه ليبيا والجزائر وسوريا ... وإيران..

نفسها العراق؟!.. وتقاضت عنه مئات المليارات من الدولارات.. وهاقد جاءت لتحطم هذا السلاح وايضا لتتقاض عن تلك المهمة مئات المليارات الاخرى .. اوليس هذا ما حدث؟! .. وما يحدث؟!.

بعد الحرب وضعت المملكة العربية السعودية خطة لتحديث اسلحتها من الولايات المتحدة الامريكية أساساً وبما يقارب من حوالى عشرين مليار دولار وبصفة مبدئيه.. نفس الأمر بالنسبه للكويت والامارات البحرين وقطر وخلافه من الممكن بعد تلك الاشارة أن نتفهم جانباً من جوانب الهدف الاستراتيچى الدولى الشامل والذى رمى الى تدمير شامل للقوة العراقية العسكرية والاقتصاديه بما يتجاوز ولابعد الحدود حتى قرارات مجلس الأمن الامريكى.. الغير ملزم لامريكا.. والذى يتمسك به العرب لاخفاء ضعفهم وغياب ذاتهم.

★★★

كان من بصمات الهيمنة الامريكية على مقدرات المنطقة بعد الحرب الموقف الامريكى من حق العرب فى ايه تطلعات عربية ذات شأن فى مسأله إعادة بناء ما دمرته الحرب..

كانت مصر هى الطرف العربى المهيأ الى حد ما للمشاركه فى تلك العملية.. وهكذا سرعان ما رشحت وزارة التعمير المصرية- بعد الحرب- ١١شركة قطاع عام و٦ شركات قطاع خاص و٤ مكاتب إستشارية للمساهمة فى عملية تعمير الكويت.. وذهب وفد حكومى مصرى برئاسة المهندس حسب الله الكفراوى ليبحث عن دور مصرى فى تلك العملية الواسعة.. والباهظة.. ولم تنجح تلك المحاولة فى الحصول على أى دور أساسى إلا من وعود بعقود من الباطن من الشركات الامريكية العملاقة..

على صعيد آخر.. وبعد انتهاء الحرب اعلنت الدول الخليجية والبتروليه ومصر وسوريا والمغرب ماعُرف باعلان دمشق للتعاون السياسى والعسكرى بين مصر وسوريا ودول الخليج فى محاولة يائسة لاثبات الوجود العربى على اغنى أرض عربية إسلامية.. وبما يمس أساساً الترتيبات الامنية فى المنطقة والتى تأمل

وتستهدف الى إستقلالية المنطقة ومداه.. وعلى الفور تصدت الادارة الامريكية المهيمنة للارادة العربية ورغبتها فى الاستقلال ومن ثم سرعان مالاحت بوادر نظرة امريكية عامة الى المنطقة.. وهكذا أعلنت امريكا عن عزمها وضع خطط طوارى لمواجهة أيه تهديدات أمنية يمكن أن تتعرض لها المنطقة.. ويقع عليها الشق الكبر فى هذا المجال.. مع بريطانيا.. وعليه تم تهميش اعلان دمشق.. وتم الغاء اجتماعات عديدة لدول الاعلان خاصة من أصحاب الأمر ذاتة.. دول الخليج البتروليةَ!!.

حيث إن جميع المواقف والافعال وردود الافعال كانت تشير بكل وضوح الى الذات المنهزمة فسرعان ما اعلن السيد چيمس بيكر واكد أن الاقرارات الامنية للمنطقة تتطلب وتستلزم تسوية الصراع الغربى الاسرائيلى.

كانت مواقف الجانب الامريكى والى الآن تعكس نظرة امريكا الشاملة للمنطقة والتى طرحت مشكلة الصراع العربى اليهودى الأزلى على مائدة المفاوضات فى ذلك الوقت الصعب على الأمة العربية الاسلامية مع سيكولوچية الهزيمة المتمكنه.. وكانت ظواهر تلك الهيمنة الغربية ملحوظه ومحسوسة حتى أن نظرة السيد بيكر تركزت فى محورين اساسيين فيما يختص بمسألة النزاع الاسرائيلى- العربى.. او اليهودى- الاسلامى:-

١- ضرورة تقارب البلدان العربية عامة.. والخليجية خاصة مع اسرائيل!!.. وذلك عبر أسس واضحة للتعاون الاقتصادى والسياحى وحتى الأمنى بينها!! مع اقامة التبادل الدبلوماسى.. وسرعان ما اعلنت الكويت.. العربية استجابتها لتلك الاطروحة.

٢- تحجيم البلدان العربية لمساندتها منظمه التحرير الفلسطينية وقيادتها الحالية.. الأمر الذى كانت دول الخليج مهيئة نفسيا لقبولة واقراره أعجب ما فى الامر كله هو مسارعة العرب جميعا واقرارهم لذلك السيناريو البغيض.. غير أن ذلك كان لأسباب عده أهمها واولها أن توقيت تلك المبادرة السياسية يأتى عقب هزيمتة نكراء للعرب.. وبعد أن أفلست المنطقة من أيه زعامه بعد ضرب العراق..

كان لذلك كله أثره وبصمته فى المفاوضات السياسية الجارية الآن بين الاطراف.. ولصالح اسرائيل قطعاً .

وليس اسهل من فلسفة الأمر.. سلاح الفاشلين- وذلك برفع الادعاء بأن امريكا سوف تضغط على اسرائيل لعودة الحق العربى بعد أن تقلصت اهميتها الاستراتيجية لسقوط الاتحاد السوفيتى.. الخ.

أما بالنسبة لاقطاب الأمة الاسلامية العربية.. فكما اتفقوا على أهمية الدور الامريكى فى مرحلة ما بعد الحرب..فقد اختلفوا- وعلى استحياء- على محور ومضمون ومحتوى هذا الدور.

وهكذا.. أشار الرئيس مبارك فى تصريحات صحفية عديدة بعد الحرب على أن الترتيبات الامنية فى المنطقة «يجب أن تنبع من المصالح العربية الذاتية.. وقد تحتاج الى مساندة الولايات المتحدة ودول التحالف الاخرى طالما أن السلام لم يتحقق فى المنطقة بصورة نهائية.. غير أنه على هذة القوات أن تنسحب من المنطقة ومن جنوب العراق فورا انتهاء المشاكل القائمة»[١].

أما المملكه العربية السعودية فقد حددت رؤيتها للدور الامريكى على أساس بقاء القوات البرية فى الكويت والسعودية دون إقامه قواعد عسكريه!! »[٢] ولاداعى للتساؤل: كيف؟!!

أما الكويت فكانت اوضح الجميع فقد وافقت على عقد اتفاقية امنيه مباشرة وواضحة مع الولايات المتحدة وبريطانيا ايضا.. وتم عقدها بالفعل ولمدة عشر سنوات وتم اشهارها..

وعلى ذلك النمط جرت الاتفاقات والمعاهدات لحماية البحرين والامارات..

من اوضح شواهد الحرب وتداعياتها أن الترتيبات الامنية لمنطقة الخليج قامت على اساس اضطلاع الولايات المتحدة بالمهمة الرئيسية.. وذلك برضى وموافقه

---

(١) الحياة ... لندن ٢٠ / ٤ / ١٩٩١ م .

(٢) الحياه ... لندن ١٩ /٤/ ١٩٩١ م .

معظم دول مجلس التعاون الخليجى.. الأمر الذى يخالف ويتعارض مع روح ونص اعلان دمشق والتى تنص على أن حماية الارض العربية مسئولية الدول والقوة العربية.

كان لذلك كله تبعاته.. فسرعان ما جاء رد فعل المصرى سريعاً وحاداً وقاطعا إذ أعلن الرئيس مبارك «عن سحب القوات المصرية المشاركة فى حرب تحرير الكويت من السعودية والكويت[1].

كان رد الفعل الكويتى له دلالاته وإشارته فعلى الفور أعلنت الكويت تمسكها بمبدأ الاعتماد على القوة الاجنبية.. وقد عبر مسئول كويتى عن ذلك بكل وضوح وصراحة حيث قال: « إن الفضل فى تحرير الكويت يرجع اولاً وأخيراً الى الله والامريكيين!! ».

ولم ينتظرالمسكين ليسمع ويفهم رأى الامريكيين فيه وفى اسلامه حتى وهو يعطف الامريكيين على المولى عز وجل فى كلمته وجملته !!!.

أما على الجانب الشرقى من الاحداث فسرعان ما ارتفعت اسهم ايران ومن ثم أوضحت وأفصحت عن رغبتها فى نظام أمنى خليجى لاتشترك فيه أيه قوات أجنبية.. أو عربية.. أو مصرية بالذات.. والمدهش فى ذلك حقيقة أن هذه الرغبة وهذا الاعلان وجد صدى وارتياحاً وقبولا لدى بعض الدول الخليجية»[2].

من السهولة إرجاع أسباب هذا التعارض والتناقص العربى الى تباين مفهوم الأمن القومى عند اطراف التناقص فالنظرة المصرية فوق قطرية ومسئوله بالدين والمصالح العربية الاسلامية ككل.. والنظرة السورية واسعه ايضا ولكن تحدها زاويتها الايدلوچيه ونظرتها الى الدور الايرانى فى مفهوم الأمن العربى-أما نظرة الكويت فهى حتى دون المستوى القطرى ولاترى الأمر إلا من منظور الكرسى الاميرى للكويت[3]. والذى صيغ الاتجاه بصيغه امريكية كالحه. هذا من جانب.

(١) الأهرام .. القاهري ٩/ ٥ / ١٩٩١ م .

(٢) الكفاح العربى - بيروت - العدد ٦٦٨ فى ٢٠ / ٥ / ١٩٩١ م . ص ٢٠ : ٢١ .

(٣) فماذا كان مصير شاه إيران الذى رمى لنفس المضمون؟!

ومن جانب آخر.. فإن نظرة العرب الرسمية ودول الخليج خاصه شهدت ايضا خلافاً محورياً تجاه نظرتها للعراق فى فترة ما بعد الحرب.. ومن ثم اختلف الحلفاء- ايضا- حول دور العراق المستقبلي.

كانت نظرة الموقف المصرى واضحة حيث رأت ضرورة أن يكون للعراق دورة فى أمن الخليج.. وذلك من منطلق چيوبولتيكى.. فالعراق كان وسيظل عامل هام من عوامل التوازن فى تلك المنطقة الحساسه.. خاصة فى ظل الخلل الذى طرأ على توازن قوى دو ل الجوار الجغرافي ايران- تركيا- اسرائيل.. الأمر الذى جعل هذه الدول تطالب بدور فى منظومة الأمن الخليجى.. وهو الأمر نفسه الذى يهدد بتغيير هوية النظام العربى الاسلامى ليصير نظام شرق اوسطى.. أو على اقل تقدير نظام خليجى مستقل عن النظام العربى.

تلك كانت مخاوف ورؤية الخطاب السياسى المصرى.. والرسمى[١]. وهى رؤية واضحه وصريحه الى حد بعيد.

أما الموقف السورى فقد رفض اى دور عراقى مستقبلى.. وإن كان يرى المحافظة على وحدة العراق.. وهو ما يتوافق فى المفهوم العام مع السياسة الامريكية[٢].. وإن كان هذا التوافق يخفى تعارضاً واسعاً فى النظرة المستقبله.

أما عن الشق الاقتصادى فى إعلان دمشق ففى البدية أعلن مجلس التعاون الخليجى أنه سوف يقدم حوالى ١٥ مليار دولار لمصر وسوريا والبلدان الصديقة كمساعده فى فترة ما بعد الحرب.. وسرعان ما جرى التخفيض حيث اتفق وزراء المجلس على انشاء صندوق للتنمية لمساعدة الدول العربية المتضررة بمساهمه تصل إلى ١٠مليار دولار.. كما أشار الامين العام لمجلس التعاون الخليجى أن مصر وسوريا سوف تحصلان على القسم الاساسى من خدمات ذلك الصندوق[٣]. ورغم

(١) الأهرام .. القاهره ١٥/ ٣ / ١٩٩١ م .. من تصريح للرئيس مبارك.

(٢) حول الرؤية الخليجية للعراق بعد الحرب .. السياسة الدولية - القاهرة - العدد ١٠٤ إبريل ١٩٩١م ص ٩٢ .

(٣) السفير - بيروت ٢٤ / ٤ / ١٩٩١ م .

ذلك كله- فعلى ارض الواقع ما تم تنفيذه لايتعدى نسبه ضئيلة جداً من الارقام السابق لاشارة اليها.

المتأمل والمحلل لكل هذه التداعيات وغيرها يصل الى نتيجة مفزعة مؤداها أن دول الخليج- العربى- قد فضلت البديل الامريكى على التضامن العربى.. ويرجع ذلك أساساً إلى الخلل الواضح فى توازنات القوى فى المنطقة بعد حرب الخليج الاخيرة.. خاصته مع مثلث دول الجوار الجغرافى اسرائيل- ايران- تركيا.

تلك التداعيات جميعها كان العراق العربى يوازنها وبمفرده.. لثقله واهمية دوره جغراقيا وسياسيا فهل يمكن التساؤل بأن الهدف الاساسى لضرب العراق كان يكمن فى خلخلة المنطقة حتى يمكن نهبها من قبل من تصدوا له؟!..

سؤال يفرضه العلم والتحليل- يتبقى اعتراض رفعه المتفلسفون على الساحه فتنادوا بأن كل التداعيات السبب المباشر لها هو احتلال العراق للكويت.. والذى كان بداية الاحداث.. ولولاه لما حدثت كل تلك التداعيات!!

الرد على ذلك اثبته الواقع بعد عدة اشهر فقط من حرب الخليج.. ومع اعظم قوة عسكرية ونعنى بذلك الامبراطورية الروسيه والتى لم تستطع أن تواجه السياسة الامريكية الاقتصادية الموجهة فتفككت وانهارت بدون طلقه واحدة.. وكانت الهزيمة المروعة بكل ملامحها واشكالها وزواياها الى يومنا هذا تمثل محصلة التفاعل السلبى مع قوى الشر (١).

.. أما من ناحية التفاعل الايجابى العراقى لتلك السياسة والتى كانت الكويت وبلدان الخليج مفاتحيها ورغم الحرب الضروس والتدمير الشامل فهى العراق الموحد.. القوى رغم كل تناقضاته.. الأمر الذى تشير اليه كل سياسات امريكا وبلدان الجوار الخليجى الى حد فرض الحصار على العراق البطل حتى يومنا هذا!!. شئ مخجل بكل المقاييس.

(١) يقول ريتشارد نيكسون موضحاً رأيه في أزمة روسيا : « ولا يجب علينا أن نساعد أولئك الذين يسعون لإعادة تركيبها « الإمبراطورية الروسية ».. ويجب علينا أن لا نستمتع فقط بهزيمة الشيوعية ولكن لنستعد للمساعده في ضمان إنتصار الحرية » .. كتاب إنتهزوا الفرصة - ص ٨٥.

ولا يتبقى سوى أن تحسب كل بلد عربية وإسلامية خسائرها.. فعلى الجانب الآخر هناك امريكا التى تحصد مكاسبها من كل اتجاه.. واسرائيل التى ترى أن التوسع بات حقالها.. وايران التى ترى فى الثأر املاً فى بعثتها.. وحتى تركيا والتى ترى أن لتاريخها العريض حقاً هنا وهناك.

ثم لا يتبقى سوى الحكم القاطع على كل تلك اللامعقولات.

★★★

اقوى واعظم ما فى كتاب الله المحفوظ أنه لم يترك شيئا إلا ذكره.. واعجب ما فى الأمر حقاً أن سلامة الاسلام والمسلمين ودولتهم نص عليها المولى صراحه فى مواقع عديده.. كثيره.. يصعب حتى على المحقق حصرها.. وحيث انه المنهاج المتين.. فبه نستعين..

قال تعالى: ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانه من دونكم لايا لونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. هاأنتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ﴾

والآية الكريمة تفيد أن المناصبين للمؤمنين من أهل الكتاب والمشركيين كان همهم الاكبر إطفاء نور الدعوة ومعاداة المؤمنين.. وكان هم المؤمنين الاكبر نشر الدعوة ورفع راية الدين.. ومن ثم كان الهمان متباينان.. فكان تحذير المولى من اتخاذ امثال هؤلاء كخاصة يتولون سرهم ويستنبطون امرهم.. فغاية همهم إفساد أمر المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا..

يقول المولى عز وجل ﴿ ودوا ماعنتم ﴾.. اى تمنو عنتكم.. أى وقوعكم فى الضرر الشديد والمشقه البالغة ويؤكد المولى عز وجل ذلك يقول:

﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم اكبر﴾.

ثم ذكر المولى تعليلا لذلك التحذير عن مخالفة الكافرين واتخاذهم بطاقة ﴿ هاأنتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾.. فالقرآن ينطق بأفصح عبارة

واصرحها واصفاً المسلمين بهذا الوصف.. والذى هو من أثر الاسلام.. وهو أنهم يحبون اشد الناس عداوة لهم.. هؤلاء الذين لايقصرون فى إفساد امرهم.. وتمنى عنتهم.. بل إن بغضاءهم للمسلمين ظاهرة.. ما خفى منها اكبر مما ظهرت.

إن الانسان ليتعجب حقا عند تحليل الواقع والاحداث لعامين خلت وما أدت اليه وتفسير تلك الآية الكريمة!!

اما الامام الاكبر الشيخ/ محمود شلتوت- رحمه الله- فيذكر فى تفسير تحت عنوان «سنن الله فى نهوض الامم وانحدارها».. فيقول: «إن ورود المبادئ الاجتماعية الدقيقة والارشادات والتى لايعرفها ولايدرك آثارها إلامن رسخت فى السياسة والاجتماع والتارخ اقدامهم... فسبحان من علمه هذا العلم وأوصى اليه بهذا البيان ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى** ﴾

ثم يذكر فضيلته الآيات التى تحذر المسلمين من اعدائهم محافظة على ملتهم وأمنهم فيذكر قوله تعالى:

﴿ **يا ايها الذين امنو إن تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** ﴾

١٠٠ آل عمران

﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق** ﴾

١٠٩ البقرة

﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾

﴿ **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا انفسهم وما يشعرون** ﴾

ثم يقول رحمه الله- فى تعليقه على كل تلك الاساسيات الاسلامية والقوانين الايمانيه:

«أنه لايزال فى هذا الشأن الذى تناوله شاس بن قيس[١] » فى جماعة المؤمنين الاولين يتناوله اعداء المسلمين فى كل عصور التاريخ حتى يومنا هذا.. وإن المسلمين فى كل عصر من هؤلاء الخصوم النافسين عليهم مكانتهم الحريصين على تمزيق شملهم وتفريق كلمتهم المنفرين لهم عن اجتماعهم حول كتابهم« شاساً » يعمل هذا العمل ويدأب عليه جاهداً.. ولكن هناك فرقا بين شاس اليوم وشاس الامس.. فقد كان شاس الأمس فرداً ضعيفاً ضئيلاً.. او معدودين ليست لهم قوة.. اما شاس اليوم فيتمثل فى دول مختلفه ذات قوة وعتا د وعلم وسلطان وكيد وتدبير تتجاذب المسلمين فى كل أقطارهم وتتفق جميعا فى غاية «شاس الأول من هدم الاسلام وتمزيق أهله واحياء العداوات التى اطفاء الله نيرانها من قبل.. وإذكاء نار الخصومة والبغضاء فيهم حتى جعلوهم كأرباب الاديان المتفرقه ينفس بعضهم على بعض.. ويكيد بعضهم لبعض- ويظن بعضهم الظنون ببعض.. وقطعوهم إرباً شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون»[٢].

والمولى عز وجل يؤكد ذلك المفهوم فى عشرات وعشرات من الايات فى إشارة لاهميته فى حياة المسلمين وامنهم.. فيقول عز من قائل:

﴿ يا ايها الذين آمنو إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبواخاسرين ﴾

﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ﴾

﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾

---

(١) يهودى عظيم الكفر .. وهو من أشعل نار الفتنة بين الأوس والخزرج في المدينة – والتى أطفأها رسول الله ﷺ

(٢) تفسير القرآن الكريم.. الإمام الأكبر محمود شلتوت – الطبعة الثالثة .. دار القلم ص ١٢٦ يرحمكم الله من عالم ذو بصيره .. وكأنه رحمة الله يشهد كل كوارثنا ومصائبنا وتداعياتنا بل ويستشهد علينا وعليها – فالأقرار الإلهي واضح وظاهر ومعلوم – والأمر في ذاته يمس الإيمان ومفهومه والإلتزام به .

ويوضح المولى الأمر كله وملابساته ودوافع واسباب الركوض عن منهج المولى فيقول عز وجل:

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. يدعوا من دون الله مالا يضره ولاينفعه ذلك هو الضلال البعيد. يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾

مثل هذه الآيات والتى تنهى نهيا صريحاً واضحاً عن موالاة المسلم لغير المسلم بالعشرات.. بل بالمئات والمعنى الاساس واضح وبصورة لاتقبل الجدل أو التقاس..

مع وضوح ذلك كله فإن واقعنا لم يدل إلا على عدم الالزام بذلك النهج الايمانى الواضح..

ومن ثم لم يتبق لنا سوى الهزيمة العامة والشاملة..

الفصل الثامن

حريق آبار البترول.. تقييمه ومغزاه

الفصل الثامن

حريق آبار البترول.. تقييمه ومغزاه

بعد حوالى الأسبوع من اشتعال القتال اضطرت الاستراتيجية القتالية القيادة العراقية الى ضخ كميات هائلة من البترول فى الخليج.. وفجأه امتلأت وسائل الاعلام على مستوى العالم كله بأخبار وصور وتقارير وتحاليل عن جريمة صدام والتى تهدد منطقة الخليج بأثرها بكارثة بيئية مروعة قدروا أنها سوف تستمر لعشرات السنين القادمة!!.

وهكذا توازى استمرار القتال على الارض العربية مع حرب أخرى أشد وامضى ملأت الاجواء.. سلاحها الكلمة.. وميدانها أجهزه الاعلام المختلفه المتعددة.. وتمتاز هذه الحرب بطول مداها فهى عادة لاتضع أوزارها حتى بعد أن يقف القتال وتضع الحرب أوزراها.. ومن ثم فإن حرب الكلمات- دون شك- هى اقس الحروب واعتاها.. بل هى من أهم قابليات الحروب الفعلية.. وربما من شروطها- وغالباً من مقدماتها.. ولطالما اشتهر العرب بهذا النوع من الحروب.. منذ عهد الجاهليه.

إن الازمه فى حقيقتها إلا إبتلاء وفتنه واختبار.. يحملها الانسان المسئول على اختلاف اوجهها.. وهكذا فإن أول سقوطه غالبا ما يكون اوضح ما يكون فى أسهل جوانب الصراع.. ونعنى بذلك صراع الكلمة.. كان هذا هو الحال فى حرب الخليج الأخيرة.

وهكذا.. ومنذ اللحظة الاولى التى رصدت فيها قوات التحالف أمر التسرب النفطى فى الخليج حتى غطت أرجاء العالم المعروف تلك الانباء فى صورة أوضحت وكأن صدام حسين إنما يهدف بها الى نصب مصيدة بيترولية متفجرة لقوات التحالف فى الخليج.. وكان تعليق المصادر العسكرية العليا في امريكا ولندن مفاده أن مشاورات عاجلة قد بدأت بين جميع الاطرف المعنية لبحث سبل وقف التدفق البترولى الغزير.. كما شكلت الولايات المتحدة وعلى الفور فريقا من الخبراء لمكافحة

بقعه الزيت.. والتى وصفها الخبراء بأنها «تشكل كارثة بيئية لا يمكن تصورها وستؤدى الى تغيير توازن الحياة الطبيعية فى المنطقة لسنوات عديدة قادمه.»..
كما وصف المسئولون الامريكيون عملية اغراق الخليج بالبترول بأنها: «عملية ارهاب بيئية موجهة ضد المجتمع الدولى وتهدد بالقضاء على الحياه البحرية بالخليج وعلى مياة الشرب المستمدة من تحلية مياه الخليج التى تعتمد عليها مدن المنطقة».. وقال المسؤلون الامريكيون أن هذه العمليه قد أثارت انزعاجهم بأكثر مما أثارته موجات صواريخ سكود والتى اطلقها العراق على المدن!!. »

.. وصرح الرئيس الامريكى بوش فقال: «انه إذا كان العراق يستهدف تحويل مياه الخليج الى مصيدة لزجة للقوات البرمانيه فإنه لن يتمكن من ذلك.. وأكد أن هذه العملية لن تؤثر على العمليات الحربية».

وتوالت التصريحات على مختلف الاصعدة والمسئوليات معربة عن الخطر الاكبر- والرعب المفزع الذى يشعر به المسئولين تجاه الضرر البيئ المحتمل.. وتنوعت تصاريح المسئولين عن أن هذه الكارثة سوف تقضى على الحياة البحريه بصوره تامه وعلى مساحة تقدر بعدة مئات من الاميال المربعة..

ذكرت المتحدثه باسم المنظمة الدولية للبيئة «جرنبيس» «أن نسبه التلوث فى الخليج سوف تظل مرتفعه جداً لأن مياهه ليست عميقة.. وأضافت أن هذه الكارثة يمكن أن تدمر الخليج لعشرات السنين..»

من ناحية أخرى فقد أذيع وبسرعه البرق فيلم تليفزيونى بثته جميع محطات التلفاز فى العالم كله يوضح مدى تأثير بقعة الزيت على الحياة المائية.. ولن ينسى القارئ صورة الطائر البحرى وقد غطته بقعه زيت كثيفه وهو يترنح ويعانى من سكرات الموت نتيجة تلوث المياة باليترول.. الخ»(١)

المدهش فى الأمر حقاً هو أن الحكومة الامريكية كانت قد اعترفت يوم الخميس الموافق ٢٤يناير١٩٩١م بمسئوليتها عن بقعة زيت كبيرة تسببت فى تلوث مياه

(١) إتضح فيما بعد أن هذا الفيلم لم يكن سوى تسجيلاً للكارثة البيئية فى منطقة ألاسكا سنة ١٩٨٩م والتى وصفت فى ذلك الوقت بأنها « أسوأ كارثة بيئية فى التاريخ» .

الخليج.. أى قبل ثلاثة أيام فقط من تلك الكارثة.. وذلك نتيجة قصف الطائرات الامريكية لناقلات البترول العراقية فى الخليج.. ولم تصدر بذلك ايه إدانة او توبيخ.. وكنا نستطيع من ثم أن نلقى على كاهل امريكا تلك الحادثه.. غير أن الامانة تستدعى أن لا نغفل دور العراق تماما.

ومع ذلك كله فإن تفهم الأمر وتقديره لايكتمل إلا بعد محاولة تحليل الدوافع والغرض من ذلك التصرف وظروفه.

المتأمل لميدان المعركة المشقلة فى الكويت يستطيع وبسهوله أن يضع يديه على الدوافع لتلك الحادثة.. ومن ثم يمكن الحكم على الحدث ويكون تقييمه أمراً ممكناً.. فرغم الحرب الجوية المكثفة والرهيبة فإن الحرب البرية كانت حتمية لضمان تحقيق

الاهداف الامريكية.. ولعل ادنى تحليل لموقف القوات المتقابلة وطبيعة أرض المعركة توضح كل شئ.. فقبل بدايه الحرب كانت الدراسات العراقية- ولابد- تضع احتمالات الانزال البرى لقوات التحالف وذلك بغرض تطويق القوات العراقية بالكويت.. وقطع خطوط امدادها من البصره شمالاً.. والسبيل لتحقيق ذلك الهدف لاتخرج عن إمكانيه انزال بحرى على شاطئ الخليج جنوب جزيرة بوبيان.. أو انزال جوى كبير ضخم.. أو تطويق القوات العراقية بالكويت عن طريق اختراق صحراوى سريع للاراضى العراقية ذاتها غرب الكويت مباشرة.

كان لقوات التحالف الامريكى الغربى الهائلة والتى تجمعت لمحاربة العراق ولامكانياتها الهائلة ولتنوع قواتها وتعدد قدراتها المقدرة على إتمام أياً من هذا النوع من الاختراق.. ومن المسلم أن تختار القيادة الامريكية اضمن تلك الطرق وأسلمها.. ومن ثم فإن اقوى الاحتمالات كان الاحتمالين الاول والثالث.. والقوات الامريكة قادرة على انزال بحرى قوى ومؤثر شبيه بما فعلته فى عمليه انزال «نورماندى» إبان الحرب العالمية الثانية..وهى ايضا قادرة على الاختراق الصحراوى والسريع حتى منطقة البصرة.

لعل دراسة تلك الاحتمالات هى ما حدت بالقيادة العراقية الى سحب قواتها الرئيسية من الكويت وبسرعه وحتى قبل بدء العمليات الى منطقه جنوب البصرة كيلا تقع تحت أيه محاوله لحصار القوات المتحالفه الغربية..

كان تمركز تلك القوات العراقية فى منطقة البصرة يهدده ايضا كثافه نيران البحرية الامريكية لقرب البصرة من الخليج.. ومن ثم قامت العراق بتأمين الجبهة الشرقية البحرية باغراقها بالبترول بهدف عرقلة تقدم واقتحام أيه قوات لدول التحالف عن طريق البحر للكويت ومنطقة البصرة.. كما لغمت على وجه السرعه وقدرالطاقه الطريق الصحراوى «الغربى للكويت» فى الاراضى العراقية.

الأمر إذا له لزوهه الاستراتيتچى من وجهة النظر العراقية.

كان رد فعل اقطاب التحالف الامريكى الغربى رسميا ولاشعوريا يمثل تفهمهم

الكامل للخطوة العراقية وكان التعبير عن ذلك يفيد: «أن ذلك كله لن يعيق العمليات العسكرية بحال».. وهو حق للجانب الامريكى المناهض ولقدرته التدميرية من جانب.. ولتعدد الخطط المتاحة لكافة الاحتمالات والوسائل من جانب آخر.. وهو ما اثبتته تطورات الحرب فيما بعد.

غير أن ذلك كله لا يعنى بالضرورة عدم أهمية تلك الخطوة من الناحية القتاليه بالنسبة للعراق[1] حيث أنها تؤمن الى حد ما جبهة التفوق المطلق البحرية لاساطيل امريكا والغرب والعالم كله.

بل إن الاستراتيجية الحربية لاحتمالات انزال القوات من الخليج وجزيرة بوبيان كانت تستدعى ذلك العمل عسكريا وامنيا من وجهة النظر العراقية.. مع إسقاط حتى المبدأ العسكرى الذى ينادى بمنطق أن كل شئ مباح فى الحرب..

الأمر الذى يجب تحليله حقاً هو ماذا يمكن أن يكون الحكم على الاستراتيجية القيادية العراقية لوانها اغفلت تأمين الجناح الشرقى الخليجى لأراضى المعركة.. وتم انزال قوات التحالف منها ؟!.

ومن الذى سوف يدفع ثمن ذلك كله؟!. هم ابطال العراق واسودهم.. لاغير.

فإن حدث. ماذا يمكن أن نصف المستوى القيادى والمسئولية للعراق عندئذ؟!. وهل يمكن أن نطلق عليه من النعوت والالفاظ ما يشير الى النبل والفهم والشجاعة وحسن التقدير؟!.

نقول ذلك رداً على من وصف تلك الخطوة بأشد الالفاظ وأحقرها..

غير أن هذا هو الفرق بين مسئولية الكلمة وأمانتها.. وبين غيرهم.

(١) أكد المحللون العسكريون أن عملية إشعال العراق لحقول نفط « الوفرة » وأغراق الخليج بملاين من أطنان النفط من شأنه اعامة النشاط البحرى والجوى المعادى وإلى التهديد بإحراق الخليج أمام القوات البرمائية المهاجمة.. وكان الإعلام منصباً على التقليل من تلك الخطوة من الناحية العسكرية.. والتحدث عنها كقضية تلوث بيئة حتى لا تضعف الروح المعنوية للقوات المهاجمة - والنيل من العراق على الساحة الإعلامية .

★★★

المدهش فى الأمر كله أن تقيم هذا العمل وتصويره من جانب القوة الإعلامية المهيمنة الغربية والعربية نجح نجاحاً مذهلاً فى تطويع الحوادث لخدمة الاهداف الامريكية وذلك للامكانيات والقدرات اللامحدودة خاصة على الساحة العربية!!.. ثم اشتدت وتصاعدت تلك الحملة الاعلامية قبل نهاية الحرب عندما اشعل العراق النار فى مئات من آبار البترول الكويتية لتغطية انسحابه من الكويت.. وتم تصوير تلك الخطوه وكانها الجريمة الانسانية الكبرى.. والكارثة البيئية الفريدة فى التاريخ الانسانى.. الخ.

جاء ذلك التقييم من تلك القوى التى هدمت البنية الاساسية للعراق بشكل يكاد يكون تاماً وشاملاً حتى أنها هى هى التى وصفت «انجازها» بأنه اجهاز تام على العراق وتم به إرجاعه الى عصر القرون الوسطى.

كانت تلك القوى هى هى التى مزقت هيروشيما ونجازاكى فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

تلك إشارة لمفارقة الكلمة وأمانتها.. واتفقت جميع المصادر على أن اصلاح العراق يحتاج لسنوات وسنوات كما كان الامر بالنسبة لهيروشيما ونجازاكى.

بعد خمسة اشهر فقط من حرب الخليج الثانية كانت رسالة الكويت «عبده مباشر» فى ٣١ يوليو١٩٩١م أنه: «قد اكتشفنا أن عجلة الحياة عادت الى دورتها الطبيعية بشكل مقبول.. فكل مرافق الدولة والبنية الاساسية من مياه وكهرباء وطرق وصرف صحى وتليفونات عادت تعمل بصورة طبيعية»[(١)].. هذا كما أوضحت البيانات الرسمية فى ذلك الوقت أن وزارة الكهرباء نجحت فى توفير الكهرباء لكل المناطق السكنيه والمنشآت الحيوية.. كما كانت هناك ثلاث محطات لتحلية مياة تعمل كفاءة لامداد المواطنين بالمياة وتوفير الاحتياطى.. وبلغ الاحتياطى الذى ثم توفيره-آنذاك- حوالى مليونى جالون مياة»

(١) رسالة الكويت.. من عبده مباشر.. الأهرام القاهري ١٩٩١/٩/٧م.

.. بل ان الحكومة الكويتية قد تمكنت خلال خطة طوارئ من توفير المياة والكهرباء خلال ٩٠ يوماً».. ويمضى البيان موضحاً أن الحالة جيدة جداً فى الكويت بعد عدة اشهر فقط من القتال.

اوليس كل ذلك إشارات لمدى التدمير الذى الحقه العراق بالكويت.. سطرته اقلام محايدة رأت وجهة نظر الكويت وانحازت اليها.. فهل بعد ذلك كل من شهاده واثبات؟!(١).

رغم ذلك كله.. استمر الحصار الاقتصادى الغاشم للعراق حتى بعد اتفاقية وقف اطلاق النار وكانت آخر التقارير والاحصائيات الرسيمة العراقية الى فبراير ١٩٩٢ تشير الى أبشع مجزرة واباده جماعيه يشارك فيها للأسف العرب والمسلمين.

أشارت التقارير الرسمية الى وفاة ١١٩٣٥٢ عراقيا منذ آب ١٩٩٠م الى شباط ١٩٩٢م.. «من بينهم ٣٩١١٤ طفلاً دون الخامسة بعد أن منع عنهم الدواء والغذاء واللقاحات المختلفه وحليب الاطفال تحت غطاء الشرعية الدوليه وقرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن الدولي!!... وكان التقرير موضحاً عند الوفيات زمنياً كالآتى:-

١- الفتره من آب/ ١٩٩٠ ولغاية كانون الاول ١٩٩٠م بلغ عدد الاطفال الذين توفوا بسبب الحصار ممن هم دون الخامسة٢٧٤٧٣ طفلاً.

٢- خلال كانون الثانى ١٩٩٢ بلغ عدد وفيات الاطفال دون الخامسة ٤١٨٦ طفلاً.

٣- خلال شباط ١٩٩٢ اغتال الحصار الجائر ٢٨٩٥ طفلاً دون الخامسة.

أما وفيات المواطنين العراقيين الذين تزيد اعمارهم على الخمس سنوات بسبب الحصار والبالغ عددهم ٨٠٢٣٤ مواطنا فقد كانت الآتي:-

(١) واشنطن.. صرح وليم ريلى رئيس وكالة حماية البيئة الأمريكية بأن الأدخنة المنبعثة من آبار النفط المشتعلة فى الكويت تمثل خطراً صحياً أقل مما كان متوقعاً فى البداية.. وقال ريلى بعد أن أطلع الرئيس بوش على نتائج زيارته الأخيرة: « إننا لا نرى الآثار الحادة التى كنا نخشاها.. وأضاف قائلاً: هذه الأدخنة لن تنتشر فوق مناطق واسعة لأنها توقفت عند إرتفاع يتراوح بين ٢٤٠٠ : ٣٦٠٠ متر فوق سطح الأرض »

الأهرام القاهرية في١٢/٦/١٩٩١م.

١- ٩١٦٧ توفوا بسبب الحصار للفترة من آب ١٩٩٠ لغاية كانون الاول ١٩٩٠م.

٢- ٥٨٤٦٩ فارقوا الحياه.. فى حين اصيب ٧٥٢٤ مواطنا خلال عام ١٩٩١ بمرض التيفود أى بزيادة قدرها ٨.٦٧٪ عن عام ١٩٨٩.

كما اصيب ٣٧١٣ خلال عام ١٩٩١ بالحمى السوداء أى بزيادة قدرها ٦,٥٦ ٪ عن عام ١٩٨٩م..

كما اصيب ١١١٣٥ عراقيا بالتهاب الكبد الفيروسى خلال عام ١٩٩١ أى بزيادة قدرها ٥.١٣٪ عن عام ١٩٨٩ هذا كما أن ٤٨٥٠ طفلاً دون سن الخامسة عانوا من نقص التغذية خلال عام ١٩٩٠م..و ١٢٧٩٦ اعانوا من نقص التغذية خلال عام ١٩٩١م.

كما أن ٥١٩٣ طفلاً دون سن الخامسة اصابهم الهزال بسبب سوء التغذية خلال عام ١٩٩٠م وارتفع الرقم الى ٩٦١٨٦ خلال عام ١٩٩١م.

وبين عامى ١٩٩٠/١٩٩١م شهد العراق اصابه ١١٥٩٤٤٣ طفلا دون سن الخامسة بالهزال ونقص التغذية وسؤئها.. ونقص الزلال والفيتامينات والسعرات الحرارية اللازمة..

كما ادى الحصار الجائر الى انتشار الامراض بشكل عام ونقص حاد فى اللقاحات والادوية وخفض كبير فى النشاط الوقائى والعلاجى.. فعلى سبيل المثال لا الحصر يمضى التقرير الرسمى فيوضح أنه:-

فى عام ١٩٩١ شهد اصابه ١٥٣٧ مريضا بالسعال الديكى.. اى بزيادة قدرها ٣,١٨٪ عن عام ١٩٨٩ واصابه ١١٣٥٨ بالحصبة بزيادة قدرها ٩,٨١٪ عن عام ١٩٨٩م.. واصابه ٨٨٠ بمرض الكوليرا بعد أن كان عدد الاصابات صفراً فى عام ١٩٨٩.

.. هذا ملخص للتقرير الرسمى العراقى..

.. إن جريمة الحصار هذه ستبقى وصمة عار أبدية.. ودليل إدانة لكل من شارك

فيها.. ومع ذلك فيجرى تمريرها فى صمت اعلامى وانغلاق عقلى عربى تجاه حقوق الطفوله البرئيه والانسانية فى العالم العربى.. وهذا اخطر مافى الأمر..

إن رد الفعل النفسى العراقى وانعكاساته فى القضايا العربية فى المستقبل القريب سوف يتأثر دون شك بالموقف العربى تجاه تلك الجريمة المستمرة..

وخسارة العرب وضعفهم آنذاك شئ محسوس ومتوقع منذ الآن.

★★★

من حق دول التحالف أن تستغل أى فرصة للنيل من العراق حسب قوانين الحرب.. ومن حق العراق أن يدافع ايضا عن نفسه وعن مصالحة وعن تطلعاته.. غير أن أهم ما فى الصراع أن ردود الافعال وحدتها عند أى موقف أو حدث لها عند المحلل والمدقق بعدها الاستراتيجى والنفسى النسبة لاطراف الصراع.. من ذلك المنطلق يمكن الاجتهاد فى تحليل الموقف الامريكى من مسألة تفجير آبار البترول الكويتية..

تشير الدراسات البتروليه أنه فى الوقت الذى يزيد فيه نصيب بترول الشرق الاوسط فى الاسواق العالمية سنويا بمعدل مليون برميل يوميا وطوال السنوات العشر الاخيرة فإن الاحتياطى ارتفع ايضا من ٥٩٪: ٦٨٪ وفى المقابل ينخفض سنويا إنتاج البترول فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى اكبر منتجين للبترول فى العالم الغربى.. هذا ونصف الانتاج العالمى من بترول الشرق الاوسط من منطقة الخليج بالتخصيص.

وفى السنوات الخمس الاخيره انخفض إنتاج ٤٨ ولاية امريكية بنسبة ٢٠٪ ثم إلى ٣٥٪.. وحتى بترول آلاسكا وانتاجه ٢ مليون برميل يومياً انخفض باكثر من ١٢٪.

ومن المقدر حسب آخر الدراسات والابحاث أن الولايات المتحدة الامريكية سوف تستورد ٧٥٪ من احتياجاتها البترولية من عام ٢٠٠٠م.. واكثره طبعا سيكون من منطقة الشرق الاوسط.

لعل تلك الحقائق العلمية والواقعية هى التى دفعت الولايات المتحدة على مضاعفه انتاجها على الابحاث العلمية والتطبيقية فى مجال الطاقة وأهمها الرياح والطاقة الشمسية والتفاعلات الحيوية .. ورغم أن خبراء الولايات المتحدة قد اعلنوا عن عزمهم التغلب على مشكلة الطاقة خلال ٤٠ عاماً فإن آخر النتائج كانت سلبية على المستوى الاقتصادى وبشكل مخيب لتلك الآمال.

وحالياً.. تستورد الولايات المتحدة ما يقارب من ٤٥٪ من احتياجاتها البترولية من السعودية والكويت ونيجريا والمكسيك وفنزويلا.. وغيرها.

كما اعلنت الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن مجموعة ميزانيات الابحاث والتطوير فى الدول المتقدمة صناعيا بلغ ٤٥٣٧ مليون دولار وذلك لابحاث الطاقة الذرية.. وطاقة الانشطار النووى.. وطاقة الاندماج النووى.. وابحاث البترول.. وابحاث الطاقة المتجددة من شمسيه ورياح وحيوية.. الخ.

غير أن كل تلك الابحاث والجهود مازالت جميعها فى مراحلها الاولية من الاستغلال الاقصادى.

من ناحية أخرى فإن الهيمنة الادارية الامريكية على سياسة الانتاج البترولى لها ثقلها هى الأخرى..

فقد اظهرالتحليل لعملية الانتاج والتوزيع والبيع أن أقل من نصف ثمن بيع البنزين يذهب الى الدول المنتجة.. أما الباقى فهو موزع بين عمليات التكرير والنقل وتجارة الجملة والقطاعى للمنتجات.. والضرائب الحكومية.. وهى عمليات تتحكم فيها شركات البترول الامريكية والغربية تحكماً تاماً.

وفى الوقت الحالى تلوح مجموعة الدول الاوروبية عن نيتها هى الأخرى فى فرض ضريبه حكومية مرتفعه للغاية عن كل برميل بترول تستوردة اوروبا الأمر الذى سوف يؤثر بطريقه كبيره على نصيب الدول العربية من قيمة كل برميل!!.

كان من بصمات كل تلك الحقائق وعلى أرض الواقع مغزى السياسة الامركية تجاه

منطقة دول البترول العربية الخليجية[1].. ففى ظروف أمكن لامريكا وبسهولة إدارية غريبة أن تزيد من انتاج السعودية بالشكل الذى غطى حصة الانتاج العراقى والكويتى.. ولم يظهر أى خلل فى الميزان الانتاجى العالمى رغم الاضرار المحققه التى سوف تنتج عن هذه السياسة الانتاجية للآبار المتسغلة..

كل تلك الحقائق هى ايضا ما تفسر ذلك الهجوم الاعلامى الشرس على العراق لتهديدة المصالح الامريكية والهدف الأسمى الغربى لحربها الاخيره.

لعل كل تلك الحقائق هى ما شكلت نظرة العراق عند غزوه للكويت وتهديده للمصالح الامريكية بهدف الوصول الى حل وسط من خلال ضمان عدم ضرب العراق لتطلعاته القيادية فى المنطقة.

ولعل ذلك هو فى الوقت نفسه الذى دفع الولايات المتحدة الى تأكيد الحرب وضرب العراق عندما لمست تهديد هيمنتها الادارية وسياستها تجاه الانتاج البترولى العربى من منطقة الخليج.

لعل الهدف الاسمى لامريكا هو ضمان هيمنتها المطلقة على تلك المنطقة العربية البترولية بأى شكل.. الأمر الذى تشعر به جميعا.. ونتغاضى عنه جميعا!! وكان ذلك من ضمن دوافع حتميه القضاء على البعثة العراقية تحت أى مسمى.. وأى شكل.

نختتم دهشتنا من ذلك الاسقاط العربى تجاه أهم مواردة الاقتصادية والتى دار عليها محور الاستراتيجية للصراع فى حرب الخليج بدهشة اكبر حيث أن امريكا هى التى قادت الحملة الاعلامية على العراق ووصفته بالوحشية وادعت سياسة حرق الاراض الكويتية والتدمير الشامل الى آخره.. هذا رغم أنها هى التى أدخلت فى التاريخ الانسانى هذا النوع من الاستراتيجية القتاليه فى كمبوديا.. وفيتنام وغيرها فى العراق .

(١) بعد الحرب وتحت ثقل معاناه العراق من إستمرار حصاره حاولت أمريكا أن تتحكم فى مجال البترول العراقى ببيعة إدارياً.. والتحكم فى ثمنه بنسب محدده بشراء أدوية وأغذية يحتاجها العراق.. وجزء أكبر لتعويضات الحرب.. ورفض العراق بيع بترولية تحت تلك الظروف الظالمه والمجحفة.. الأمر الذى يؤكد النظرة الأقتصادية للغرب تجاه الحوادث كلها.

.. وهى هى التى كانت اول وآخر دوله استعملت القنابل الذريه فى الحرب العالمية الثانية..

ثم تاتى المواقف دائما بالحكم الدقيق من خلال الازمات العارضة والتى توضح النفوس وحقيقة الغيات..

فى ذكرى ضرب اليابان لبيرل هاربر الامريكية أصرت الادارة الامريكية على اعتذار رسمى لمجلس الوزراء اليابانى عن الهجوم.. فقبل مجلس الوزراء ولكن بشرط اعتذار امريكا مماثل بشأن ضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية.. ورغم عدم توازن المقابله بالفعل على الاطلاق فقد كان رفض الطرف الامريكى قاطعاً وحاسماً.. الأمر الذى دعا الوزراء اليابانى الى رفض الاعتذار الرسمى.. ومع ذلك اعتذر رئيس الوزراء اليابانى عن قيام بلده بمثل هذه الغاره فى محاولة جاهده لإمتصاص أزمة يحاول الطرف الامريكى خلقها دون مبرر.

السؤال الذى يفرض نفسه فى ذلك الموقف هو هل يستوى ضرب بيرل هاربر بالطائرات.. بضرب هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية؟!.

ذلك هو السؤال.. وأهم من اجابته- المتفق عليها- فإنه يشير الى تحليل النفسية الامريكية.. تلك التى رأت من موقعها المهيمن حقها الاسمى الذى لايمس حتى فى طغيانها ووحشيتها اللانسانية فى ضرب بن الانسان بالقنابل الذرية الغير مسبوق.. والمعلوم..

ليس بمستغرب من ثم أن يكون هذا هو الموقف الامريكى من احداث الخليج وتدمير العراق.

إن النظم السياسية التى شكلت محور وقلب عملية حرب الكلمات والاعلام الشرس لم تكن سوى الطرف المهيمن المتسلط والاقوى.. الذى أصر على إشعال شرارة الحرب فى المنطقة.. بل وجر الاطراف الاخرى وفق سياساته ومواقفه.. وهى إذا إثبتت فعاليه منقطعه النظير فى التهيئة النفسية والتقبل الاعلامى لحرب الكلمات فلم تكن فى حقيقة الأمر سوى فاعلية الشر المهيمنة والمسيطرة.. وكان أهم اهدافها

اشعال نار الحرب وتوسيع رقعة الضرر.. وعاد كل ذلك عليها بخير كثير ومال وفير من اموال المسلمين- الفقراء- ومن ثم فليس بمتسغرب عليها اسقاط الصدق والمصداقيه- والعدل والعدالة..

كان ذلك كله بصمة الثقافه النفطية والاموال السوداء على الاحداث..

★★★

مع ذلك كله لايمكن للتقييم الحق لتلك الحوادث والمصائب إلا بارجاعها الى القانون الفصل.. والسند الصدق.

«في غزوة بدر جاء الحباب بن المنذر الى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت هذا المنزل؛ أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولانتأخر عنه؛ ام هو الرأى والحرب والمكيدة؟!.. قال رسول الله ﷺ: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. قال: يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل.. امض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم.. فنعسكر فيه.. ثم نفور ماوراءه من الآبار.. ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء.. ثم نقاتل للقوم فنشرب ولا يشربون.. فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأى.. ثم أمر بانقاده.. فلم يجئ نصف الليل حتى تحرلوا لما رأى الحباب وامتلكوا مواقع الماء[1]. هذا.. وفى غزوة بنى النضير احتمى اليهود بحصونهم واستعدوا للقتال.. ونهض النبي ﷺ لمناجزة القوم وفرض الحصار على مساكن بنى النضير.. ثم أمر النبى ﷺ بتقطيع نخلهم[2]. وقد جاءت النتيجة فى مصلحة المسلمين بأسرع مما تصوروا فسرعان ما انحجر اليهود ونزلوا على حكم المنتصر الذى أذن لهم بالجلاء عن ديارهم.. ولهم ماحملت ابلهم من أموال ماعدا السلاح.

وفى تلك المعركة نزلت سورة الحشر بأكملها قال تعالى: ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الالباب ﴾

(١) رواه أبن هشام ٦٦/٢ .

(٢) هذا الأمر صحيح - أخرجه الشيخان.. وغيرهما من حديث أبن عمر.

وقال : ﴿ ما قطعتم من لينه أو تركتموها قائمه على أصولها فبإذن الله وليجزى الفاسقين ﴾
تلك ايات الله.. وهذا حكمه.

مما سبق نستطيع أن نقول أن للحرب قوانينها مادامت بين المسلمين والكفار.. وقد تمتد تلك القوانين الى فرض الحصار وقطع المياة وتدمير مصادر التموين..الخ.

ورغم أن النزاع فى مشكله الخليج الاخيره كانت بين طرفين مسلمين فإن الحرب ودون شك كانت بين طرف مشرك وطرف مسلم من ناحية الاساس.

أما إذا كانت الحرب بين طرفين مسلمين فإن الصراع تحدده الآية الكريمة

{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.. }

وأيضا قوله عز وجل:" { ولا تستوى الحسنة ولاالسئية ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم }

سورة. فصلت ٣٤.

مما سبق نستطيع أن نقول أن للحرب قوانينها ما دامت بين المسلمين والكفار.. والتى تختلف عن تلك القوانين مادامت بين المسلمين والمسلمين.. ذلك التباين لايهدف فى مضمونه إلا لمصلحه المسلمين العليا.. ومن ثم فإن النهى عن موالاة طرف من المسلمين لطرف آخر غير مسلم يحتم أيضا تغير ومراجعه تلك القوانين لتغير قوانينها وأسبابها.. هذا من جهة.

ومن أخرى.. فإن الطرف الامريكى لم يلتزم فى تلك الحرب إلا بهدفه الاساسى وهو تحطيم البنية الاساسية للعراق الأمر الذى كان واضحاً من غاراته منذ الساعة الاولى لاشتعال القتال.. وهكذا جرى ضرب وتحطيم شبكات الكهرباء والمياه والمجارى والكبارى والمطارات وغيرها.. وكان ضرب المدنيين العراقيين امراً واضحاً كذلك.. ومع ذلك فلا يمكن لومه فهو كطرف مشرك غير ملتزم بأيه قوانين اسلامية أو اخلاقية فى حربه.. فحسب نظرته للأمور هذا هو هدفه الاسمى والاساس .. هذا ما جره قيام طرف من المسلمين بموالاه طرف آخر غير اسلامى.. فهل يجوز بعد ذلك كله

لوم العراق ومحاسبته على حرقه لآبار البترول الكويتية .. مع أن العمل كان له جانبه العسكرى الذى فرضته تطور سير المعارك وطبيعه الحرب وظروفها آنذاك؟! .

.. وهكذا ضاعت القوانين التى تحكم وتحدد مصلحة المسلمين فى صراعهم منذ موالاة طرف من اطراف النزاع لطرف آخر غير مسلم.. قبل أن تضيع مصلحة المسلمين من جراء ذلك الصراع.

والمدهش أن المولى يحذر من معقبة ذلك السقوط والتدين فى كتابه المحفوظ.. منهاج المسلم المؤمن.. فيقول جل شأنه:

{ يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير }

مع ذلك كله.. نجد كاتباً إسلاميا مرموقا!!! مثل الاستاذ خالد محمد خالد يكتب عن دور امريكا والحلفاء جميعا فيقول.. لافض فوه!!.

«..فقد صار واجباً علينا أن نرسل شكرنا المعطر بالتقدير والوفاء الى جميع الذين جاهدوا معنا.. اليهم جميعا وفى الصداره منهم الرئيس «بوش».. «ومسز تاتشر».. والرئيس «ميتران».. ورئيس الوزراء «ميجور».. والرفيق «جورباتشوف».. والجنرال البطل «شوارتزكوف».. فيا ايها الاحرار الكبار «شكرا»!![1].ولا أجد الكلمات.. أو أخشى منها- للتعليق على ماكتبه أستاذنا الكاتب الاسلامى المعروف!!. واتعجب اكثر لعدم إبداء رايه فى الموقف من اعلام الغرب الطامع من ليبيا.. وكانه لا يقرأ الاحداث ولايسمع الراديو.. لايرى التلفاز.. فهم هم ابطال حوادث العراق والخليج!!. على الكاتب الكبير الا يطمئن كثيرا.. فالمولى خير حاكم وشاهد.

فى عرض افتتاحيات المجله الاسبوعية الانجليزية فى الاسبوع الاول من فبراير ١٩٩١م تناول المذيع الموضوع الرئيسى وكان موضوعه عن «عداله حرب الخليج» فقال:

---

(١) مقاله « قبل أن أمضى» .. خالد محمد خالد .. تحت مقالة فى .

الأهرام القاهري ٧/٣/١٩٩١م.

«.. اجمعت الصحافة الانجليزية كلها على انه مادام الرئيس بوش قد لجأ الى العنف والحرب فى حل مشكلة فهو قد أصبح على قدم المساواة مع صدام تماماً فى لجوئه الى الغزو والعنف فى حل مشكله بينه وبين الكويت وإن استعمال التكنولوجيا المتقدمة جداً فى الطائرات ومعدات التصوير والتدمير يصبح إذا استعمل من الدول الكبرى الخمس في العالم ضد دوله لاتزيد على ١٨ مليونا عملاً «غير اخلاقى» يعطى الحق لصدام أن يستعمل القنابل النارية.. بمعنى أن التقدم التكنولوجى المذهل يجعل العراق فى موقف الدفاع عن النفس» هذا رأى صحافتهم ومحلليهم..

وهذا رأى أحد اكبر علمائنا وكتابنا الاسلاميين.

.. فحمداً لله إذا علي مستوي الخسارة والهزيمه التي وصلت الي هذا الحد الذي نلمسه جميعا ونعيشه جميعا.. وفقط!!.

الفصل التاسع

امريكا واسرائيل .. المنتصران المهيمنان

الفصل التاسع

امريكا واسرائيل.. المنتصران المهيمنان

من قبيل التكرار القول بأن الحروب إنما تقوم لاهداف متعارضة متقابله متشابكه.. غير أن أهم بند من بنود هذه الحروب يتحدد أصلا فى الاهداف المرجوه منها بالنسبه لاطراف النزاع.. وتحقيق هذه الاهداف هى التى تحدد نجاح طرف ما فى الحرب.. وتحدد بالتالى نتيجة الحرب.. فإذا ما رفع العراق دوافعه مثل ضرورة الاشتراك الجماعى فى تحمل آثار النزاع العراقى. الايرانى.. ومشاكله الخاصة فى منطقة الخليج فإن نتيجة الحرب بالنسبه للعراق انما تقدر وتحسب بالنسبه لأهدافه ودوافعه.. وهكذا.

فالحرب تحدد طبيعتها اهداف اطرافها المتصارعه.

ليس هذا فحسب.. بل ان ذلك الترابط بين الاهداف والنتائج بين اطراف النزاع هو ما يحدد طبيعة هذه الحرب وشكلها. تستلزم كل تلك الاساسيات بالنسبه لاطراف الصراع أن يكونوا على درجه عالية من الوعى بالنسبه لأهدافهم وأيضا اهداف خصومهم..

تلك الاساسيات أظهر العرب فيها فشلهم الاستراتيجى المنهجى فى حرب الخليج الأخيرة.

كانت احداث الخليج السريعه متلازمه مع تراجع ملحوظ لدور الاتحاد السوفيتى كقوة رئيسيه على الساحة الدوليه.. ومن ثم انطبع ذلك ايجابيا على دور الولايات المتحدة فى قيادتها المهيمنة للعالم.. وهى هيمنة يشكلها أساساً المصالح الامريكية واهدافها.. لاغير..

لعل تلك الاساسيات هى ماحتمت- من وجهة النظر الامريكية- ضرب اى قدرة عربية مسلمة واعداه قد تستطيع أن تؤثر على التيارت للمصلحة الغربية أساساً..

ولعلى ذلك يحمل فى طياته تفسير قيام اسرائيل بضرب المفاعل الذرى العراقى فى بدايه حرب الخليج الاولى كما ذكرنا.

ولعل تلك الاساسيات هى أيضا ما حتمت تفاعل العراق ايجابيا مع تلك الثوابت.. الأمر الذى ادى الى قيام حرب الخليج الثانية..

من أهم مظاهر ذلك كله أنه بعد عشرة ايام فقط من اندلاع الحرب كانت قوات التحالف الغربى قد شنت ١٢٠ ألف طلعة جويه على العراق.. هذا بينما شن الحلفاء على المانيا– وطوال فترة الحرب العالمية الثانية– ٧ آلاف طلعه جويه فقط على المانيا..!!.

تلك الحقيقه تشير فى مضمونها الى مسألتين أساستين:–

الاولى : هو الهدف الامريكى من بين هذه الحرب– الأمر الذى تشير إليه ضمنا ذلك العنف والدمار البالغ من خرب الطيران[١].. الأمر الذى لايخرج قطعاً عن كونه تدمير القوة الناشئه وعلى مختلف الاصعدة[٢].

.. لعل كل تلك الحقائق هى ماتفسر عملية التدمير الواسعة للمنشئات الحيوية والاقتصادية العراقية وجميع وسائل الانتاج.. وحتى المدنيين. نفس تلك الحقيقة تثبت عند تحليليها أن العراق البطل الوحيد لم يكن لقمة سائغة يمكن هضمها فى

---

(١) بعد أسبوع واحد فقط من القتال أعلن توماس كيلى قائد القوات الجوية للتحالف الغربى أنه قد ألقى على العراق ما وزنه ١,٨ مليون طن من من ماده T.N.T هذا بينما قوة القنبلة الذرية على هيروشيما كانت ١,٣ مليون طن فقط من تلك المادة شديدة الإنفجار.

(٢) فى محاولة للتمويه على تلك الحقيقة الواضحة أعلن نورمان شوارتزكوف « أن الحلفاء كانوا قادرين على إجتياح العراق وانهم لم يفعلوا ذلك إلا لحماية المدنيين».. وهى محاولة واضحه للتموية ومغالطة أوضح.. فالحرب التصادمية تنحصر خسائرها أساساً فى المقاتلين عكس الحرب الجوية التى تضرب الأهداف المدنية والعسكرية على السواء ولعل شواهد تلك الحقيقة كانت جريمة ضرب مصنع الألبان.. وأيضاً ضرب المخبأ المدنى وسقوط مئات الأطفال والنساء.. وغير ذلك ومثله.

ساعات[١] لعل ذلك التضارب فى الاهداف هو ما يفسر طبيعة وشدة الخسائر العراقية فى تلك الحرب.. ومن ثم وجب على الطرف الآخر تقييم الصورة فى اعين العرب.. ومن ثم صور الاعلام- مثلا- وكان الصواريخ الامريكية تتفادى إصابة أى مواطن عراقى!!!. أو منزل عراقى.. هذا فى الوقت الذى بالغت فيه ولاقص حد نفس وكالات الانباء فى تصوير جريمة صدام عن مأساة ضخ البترول فى مياة الخليج وقتل الاسماك والحاق الاذى بطائر البطريق.. وكأن امريكا تأسف حقيقه لذلك البترول الذى تشعر به وكأنه ملكها.. فهو هدفها[٢].

لعل ذلك ايضا ما دعى الولايات المتحدة بعد انتصارها الى أن تفرض قيوداً مشددة على تصدير الاسلحة التدميرية الشامله الكيماويه والبيولوچيه لكل دول الشرق الاوسط.. وشمل ذلك حظراً على تصدير المواد التى يمكن استخدمها فى انتاج تلك الاسلحة.. وحددتها امريكا بحوالى ٥٠ سلعه حيويه تحتاج لاذن خاص عند تصديرها لدول المشرق العربى.. ومغربه.. بل وتقضى القواعد والقوانين الامريكية والتى صدق عليها بوش بفرض عقوبه السجن لمدة ١٠سنوات وغرامة مليون دولار لمن ينتهك هذه القونين!!.

وكان ذلك ايضا ما شكل شروط وقف اطلاق النار بين العراق والحلفاء والتى نصت على:-

- تقليص الجيش العراقى وتحديده.

---

(١) بعد عشرة أيام من المعارك أعلن الجنرال « كولين باول» رئيس هيئة الأركان المشتركة أنه : «يتعامل مع عدو واسع الحيله.. عدو يعرف كيف يتفادى المشكلات عدو عبقرى».
كما أعترف تشينى وباول فى مؤتمر صحفى أن صدام : « تمكن من إخفاء معظم طائراته البالغة ٧٥٠طائرة وأن القوة الصاروخية سكود مؤثرة وتمثل مشكله لقوات التحالف.

(٢) المدهش أن هناك دراسة جدوى عن إحتلال أمريكا لمنابع النفط فى دول الأوبك عموماً وفى الخليج العربى بصفة خاصة صادرة عن الكونجرس الأمريكى قبل ١٥ عاماً وصدر عن دارسينا للنشر ترجمة لها بعنوان « أمريكا تغزو الخليج دراسات الكونجرس الأمريكى .. ترجمة وجيه راضى. كان لنمو العراق إذا الحافز حقيقى لهذه الحرب ومن ثم الإحتلال العكرى والإدارى لمنابع النفط فى الخليج الذى نلمسه جميعاً .. ونتغافل عنه جميعاً أيضاً.

- فرض حظر على امتلاك الصواريخ متوسطه وبعيده المدى.. ومنع بيعها للعراق.
- مراقبة المنشآت الصناعية والمصانع العراقية لمنع انتاج أيه اسلحة بيولوچيه.. كيمائيه.. او نووية.
- تمركز القوات العراقيه فى اماكن بعيدة عن خطوط حدودها مع جيرانها.
- دفع العراق لتعويضات ضخمة ترهن العراق المنهك.

بل كان ذلك كله متزامنا مع استمرار حصار العراق براً وبحراً وجواً حتى بعد انتهاء القتال!!. وحتى الآن!! .

توازى ذلك كله مع تأهب امريكا ودول الغرب لسد احتياجات دول الخليج من السلاح فى الفترة القادمة!!!.. وكان التنافس واضحاً فى ذلك المضمار حيث قدرت اوساط الصناعات الحربية فى فرنسا حجم طلبيات دول الخليج بحوالى ٣٣مليار دولار.. إلا أنها اعربت فى نفس الوقت عن مخاوفها من أن تستفيد صناعة الاسلحة الامريكية بالنصيب الاكبر من هذه الاحتياجات!!

الثانية : هو استنزاف ثروات المنطقة الغنية وباقصى ماتستطيعه امريكا.. مع احتلاله اقتصادياً ولضمان استزافه خاصة مع التغيرات العالميه التى كانت تشير اليها مواقف روسيا الاتحادية قبل انهيارها.

كان العالم العربى مديونا للغرب قبل الحرب بنحو ٢٠٨ مليار دولار فى حين تجاوزت اصوله وودائعه فى بنوك امريكا والغرب حوالى ٦٧٠ مليار دولار.. أى أن العالم العربى كان دائناً للنظام المصرفى الدولى بنحو ٤٦٢ مليار دولار..

ورغم أن الدول العربية لاتجنى سوى الفتات من هذه الفوائض المالية فإن امريكا كانت تعانى فى المقابل من أزمة مالية خانقه ولعدة سنوات متتالية قبل الحرب.. ولعلها قد رأت فى قيام تلك الحرب فرصة مواتيه لخدمة اهدافها الاقتصادية وفى ظروف مواتيه قد لا تتكرر(١).

(١) صرح هنرزى كيسنجر أثناء الحرب وعلى شاشات التلفاز الأوروبية « أن الخليج ليس به إلا النفط والرمال.. والنفط لنا، والرمال لهم » هذا رأى صانع من صناع السياسة الامريكية ووزير الخارجية الأمريكية الأسبق والأشهر!!.

وهكذا..وبعد نهاية الحرب وعودة الكويت فوجئ العالم كله بأغنى دولة فى العالم.. واصغر دولة تقترض حوالى ٢٠ مليار دولار للتعمير من البنوك الدولية والغربية بضمان الاصول الكويتية فى الخارج وذلك من أجل تغطية جانب من اعادة بناء الكويت.. أى أن تلك الأموال عائدة مرة أخرى للمؤسسات والشركات الغربية والامريكية بالذات.. ومع تلك الحقيقة تفجرت الخلافات المبكرة بين دول التحالف الغربية وبعد الحرب مباشرة حول اقتسام عمليات التعمير وسرعان ما تبادلت بريطانيا وامريكا الاتهامات بمحاولة الحصول على النصيب الاكبر والاعظم من عمليات التعمير.

لم تقف دول التحالف الأخرى موقف المتفرج بل سرعان ما طالبت هى الأخرى بنصيبها فى هذا السباق والذى كانت تقاديره الاولية حوالى ٥٠ مليار دولار.

فى سبيل تقسيمه «كعكة التدمير» منحت واشنطن- صاحبة الامتياز الاكبر- الشركات البريطانية ٤٨ ساعة وفقط للحصول على نصيبه من العقود.. الأمر الذى أثار ثائرة البريطانين[1].

ولم تقف حتى «سيول» مكتوفة الايدى بل سارعت بارسال بعثه تضم مسئولين بارزين لبحث مكانية اشتراكها فى عمليه التقسيم الرائعة تلك!!.

آما اليابان فقد نظرت الى الامر بمنظارها هى الأخر.. ومن ثم فقد اعلن متحدث باسم الخارجية اليابانية أن اليابان سوف يمنح قروضا غير مشروطه للتعمير:. واكتفت اليابان بالمشاركة فى جهود التعمير دون النظر إلى أرباح وذلك بعد أن صرح دبلوماسى غربى كبير لوكالة روتير«أنه إذا تبين أن شركات يابانية قد فازت بكل العقود فإن ذلك سوف يؤدى إلى مشكلة سياسية كبيرة !! حتى اليابان كان موقفها (يشير الى معرفة تامه بأهداف المشكله ومرمى اطرافها.. ومن ثم آثرت السلامة..والفتات).

---

(١) قالت متحدثة بريطانية تعليقاً على ذلك : « إن المهلة قصيرة بدرجة غير معقولة » .. وأصر بيتر ليلى وزير التجارة البريطانى على ضرورة توافر فرصة الحصول على القيود أمام الشركات البريطانية - على قدم المساواة مع الشركات الأمريكية!! .. وكما نقول أختلف اللصوص عند تقسيم المسروقات.

أما بالنسبة لفرنسا ولموقفها السياسى من الهيمنة الامريكية للاحداث- قبل الحرب- فقد كان نصيبها ضيئلا من كعكة التعمير الكويتية.. ولمجرد الترضيه فقد منح امير الكويت فرنسا مبلغ مليار دولار للمساعدة فى جهدها الحربى من أجل التحرير أثنا الحرب!!.. حاجة كده!!

تلك الحرب التى وصفها البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان بأنها «بذرة الموت»[١].

أما نصيب ٣٠ ألف شركة مقاولات حكومية مصرية قطاع عام وخاصة.. فكان فتات الفتات.. وحتى بعد عناد[٢]..

توازت كل تلك الاحداث مع ما توقعة صندوق النقد الدولى من أن عام ١٩٩١م سيكون «الاسوأ من ناحية الاداء الاقتصادى للدول الصناعية منذ عام ١٩٨٢م.. إلا أنه قد يتعس فى العام القادم ١٩٩٢[٣].

وقد توقع التقرير النصف سنوى بانخفاض معدل النمو الاقتصادى فى الدول الصناعية هذا العالم ١٩٩١م إلى ١,٤٪.. كما توقع أن يعود معدل النمو الاقتصادى الى الارتفاع من جديد بحيث يصل الى ٢,٨٪ فى العام القادم ١٩٩٢»..

تواكب ذلك مع انخفاض ملحوظ فى المساعدات الامريكية الخارجية للأردن وغيرها من البلدان والتى اتخذت موقفا معارضا فى حرب الخليج...

من ناحية أخرى.. فإن الحرب القذرة أدت إلى إزدهار وهيمنة فى صناعة السلاح الامريكى.. المنتصر.. ذلك العامل الذى يشكل اكثر من ٦٠٪ من القدرات

(١) كان البابا قد أيد المبادرة السوفيتية للسلام والتى رفضتها الولايات المتحدة..وقامت بعدها الحرب مباشرة.

(٢) قبل الحرب.. اشتكت وزارة الإسكان المصرية من ضآلة نصيبها فى قطاع التشييد بدول الخليج - فبينما نفذت فيها إنشاءات قيمتها ٦٠٠ مليار دولار فى السنوات الأخيرة كان نصيبها فى حدود ٥٠ مليون دولار فقط !! مقابل ٥٥٠ مليار دولار للشركات الأمريكية والأوروبية والأسيوته.

(٣) ... ولم لا ؟!

الاقتصادية الامريكية والقادر على أن يبعد عن امريكا شبح ومخاطر الافلاس.. كما انه سوف يؤدى الى استحواذ وهيمنة الامريكيين وتحكم إدارى مباشر فى عملية إنتاج أهم واكثر المواد الخام قيمة وحيوية فى حياتنا المعاصرة وهو «البترول».. خاصة فى صراعها القريب مع حلفاء خندق الامس فى الخليج من الاوروبيين.

مع تلك المتغيرات الاقتصادية وشواهدها الجارفه يلمس الاستثمار العربى فى امريكا والغرب كثير من المخاطر مثل خطر التآكل نتيجة للتقلبات فى قيمة العملات الاجنبية المجمدة فى شكل استثمارت فى الغرب.. وتقلبات العائد من هذه الاستثمارت.. إضافه الى مخاطر ضياعها..

ولعل أهم عامل يقوم عليه محور الغرب الإستنزافى هو التمسك بتقييم البترول وسعره بالدورلار الامريكى والذى يشهد انخفاضا فى سعره ولعدة سنوات متتالية.. الأمر الذى يؤثر ضرورة على قيمة العائد البترول لدول النفط..

مع كل تلك المآخذ الاقتصادية الهائلة فإن الارقام الرسمية والتى اعلنتها هيئة الاستثمار فى مصر حتى ٣٠ يونيو ١٩٩٠م لم تتعد مليارى دولار فقط.. لاغير.. بل وتحديداً ١٩٦٩ مليون دولار فقط.. لاغير!!.

أما من الناحية السياسية.. فإن الرئيس الامريكى بوش لم ينتهج سوى السياسة التى يؤمن بها الامريكيون عامة وخاصة من السياسيين.. فهو لم يتردد عن اشعال الحرب وانتهاج سبيلها رغم ايه معرضة.. وقد لجأت امريكا من قبل الى نفس المنهاج والاسلوب للاطاحة بحاكم بنما العسكرى «مانويل نوريجا».. كما زود الرئيسة الفلبنية «كوازون اكينو» بغطاء جوى لمواجهة انقلاب عسكرى فى اواخر ١٩٨٩م.. كما أرسل قوات الى السلفادور لانقاذ بعض الامريكيين فى عام ١٩٨٩م.. وهكذا..

يوضح الرئيس الامريكى هذه السياسة الامريكية العامة بكل صراحة فيقول:

« وحسب ما جرى عليه العرف فإن الامم اختارت اشهار الحرب وفق منطق مصالحها.. وامريكا ليست استثناء.. حتى أن زعماء مثل وودر ويلون وفرانكين روزفلت اخفوا بمهارة ميلهم للحرب على اساس الامثلية الطبيعية للشعب

الامريكي!!.. والى حد ما حذا الرئيس بوش هذا التقليد والعرف فى حرب الخليج.. ولايجب أن ينتغى هذا الاساس على اساس عدم المبالاة بالعرف.. إن مثليتنا الاساسية ليست فقط منفعة مميزه وقوة منشطة للولايات المتحدة ولكنها ايضاخانه مهمة لمصالحنا القومية[1] وليس بعد تلك الشهادة من شهادة.

كانت الاستراتيجية الغربية الامريكية تهدف أساساً الى تحطيم قوة العراق كهدف اساسى لتعويق زعامة عربية وقوة إسلامية واعدة فى العراق.

وقد اوضحها بوش بدوره بكل صراحة هو الآخر حيث صرح للكونجرس الامريكي:.. إن صدام حسين قد بنى جيشاً قويا واشترى اكثر من حاجته للدفاع عن نفسة وهو يحاول الآن أن يبنى سلاحاً نوويا.. لذا فإن تحطيمه الآن واجب على الولايات المتحدة التى تحرس السلام والديمقراطية فى العالم.. ولو انتظرنا سنوات أخرى فإننا سنضطر أن نواجه جيشا أقوى ويمتلك اسلحة نووية وستكون خسارتنا اكبر»[2]حتى الرئيس الفرنسى « فرانسوا ميتران » فقد صرح فى الاسبوع الاول من فبراير ١٩٩٢م فقال:

«.. منذ انتهاء الحرب العراقية- الايرانية أصبح الجيش العراقى قوة كبيرة مصدراً للتهديد فى هذه المنطقة الحساسة من العالم لذلك كان ولابد- إن عاجلاً أو آجلا- من تحطيم هذه القوة.. وعلى ذلك فإننا إذا لم نكن قد واجهناها اليوم فانه يتعين علينا أن نواجهها بعد عامين أو ثلاثه أو خمسة.. وكل تأخير فى مواجهتها كان يزيد من قوتها ويجعل تكاليف ضربها اكبر»[3].

أهم ملاحظه على تلك التصريحات هى الصراحه المطلقة التى تتعارض حتى مع السياسة.. الأمر الذى يشير الى مدى وقيمة القوى المؤثره فى المنطقة على مخططات الغرب بعد ضرب العراق وتصفيتة. إن الاصول السياسية والفكرية والنفسية وحتى العقائديه لهذا المبتدأ السياسى أوضح حتى من أن نشير أليها.. فنظامها حتى اوسع

(١) إنتهزوا الفرصة، ريتشارد نيكسون ص ٣٢٨ .
(٢) نقلاً عن جريدة الأهالى المصرية ١٩٩١/٢/٢٧م.
(٣) أيضاً .

من المنطقة العربية وقد عبرت عن نفسها فى اشكال- والمساهمة فى- نيران اكثر من٢٠٤ حروب ومنازعات اقليمية من نهاية عام ١٩٤٥م- وحتى حروب اوروبا الدائره حتى الآن فى اماكن عديدة.. ومتفرقة.. أما بالنسبة لحرب العراق خاصة فقد كانت قمة فى بشاعة وفظاعة إخراجها.. وكأنها محاوله امريكية للتخص من عقدة الهزيمة الامريكية فى فيتنام.. على حساب العرب والمسلمين..

إن سياسة كسر أية قوة اقتصادية أو عسكرية فى المنطقة العربية هى أهم ثوابت السياسة الامريكية والغربيةمنذ القرن الثامن عشر[١]وحتى الآن..

كانت الخطوات السياسية الامريكية بعد الحرب- تأكيداً لتلك السياسة العالمية تجاه المنطقة العربية.. وعليه فسرعان ما اعلنت امريكا أنها سوف تستخدم الاراضى العربية فى تخزين اسلحة امريكيه ومعدات عسكرية ثقيلة فى السعودية وغيرها.. هذا مع عقد اتفاقيات عسكرية امريكية لضمان سلامتها.. ومع السعودية ايضا.. ومع غيرها..

حتى مع اسرائيل- وعلى وجه الخصوص!!.

★★★

اسرائيل.. الشريك الغائب الحاضر

ليس هناك من شك أن اسرائيل كانت من اكبر المستفيدين من حرب الخليج الأخيرة.. هذا رغم غرابة دورها فى هذه الحرب.. فرغم تكوين اسرائيل الحربى فهى لم تشترك فى اى قتال من أى نوع.. بل وعندما اصبحت هدفاً لصواريخ صدام كان رد فعلها سلبيا على المستوى العسكرى والذى اشتهرت به.

على كلٍ ومن ناحية المنطق التحليلى فيخطئ من يقدر دور اسرائيل بالسلبية فى احداث الخليج.

---

(١) قال بوش بعد ٣ ساعات فقط من بدء الحرب « إن الولايات المتحدة سوف تحقق السلام والإستقرار فى العالم لمدة مائة عام !!! .

نبع ذلك من واقعية وثقل ووزن اسرائيل فى منطقة المشرق العربى.. الأمر الذى يفرض نفسة.. ومع ذلك فلم تكن اسرائيل شغوفه بالدخول فى الحرب من الاساس حيث أن توقيت الازمة الخليجية كان متلازماً مع حركة هجرة يهودية واسعة من الاتحاد السوفيتى.. ويهود الفلاشا من اثيوبيا.. وايضا حركة هجرة يهودية من شرق اوروبا.. ودخول الحرب فى ذلك الوقت سوف يؤثر سلباً على تلك الهجرة ويؤدى يقينا الى احجام اليهود عن الهجرة لتلك المنطقة المستعرة.. فلا أحد يهاجرالى مواقع الخطر.. وهجرة اليهود ويكثافه الى «ارض الميعاد» وعند اسرائيل أهم من القضاء على قوة العراق طالما أن هناك من يهتم به ويضعه نصب عينية.

مع ذلك كله فقد استغلت اسرائيل ظروف الازمة وخصوصيتها بذكاء ووعى حيث ادعى شامير أنه لا يستطيع أن يعد بشئ امام تطور الاحداث.. غير أنه قد وافق على التشاور مع الولايات المتحدة قبل القيام بأى عمل.. وهكذا ورغم أن أى مشاركة اسرائيليه مع قوات التحالف كانت ستؤدى ولامحالة الى ردود افعال سلبية على التحالف العربى- الدولى.. فإن اسرائيل وبدون مشاركة كانت شريكه فعليه فى الاحداث.. ولاعجب من ثم فقد كانت اسرائيل أول دولة ابلغتها امريكا بأمر الهجوم على العراق[1] نعم.. كانت اسرائيل طرفاً أساسياً فى الاحداث.. كما كانت لها بصمتها المؤكدة فى نتائج الحرب وهو أمر منطقى للثقل الاسرائيلى فى منطقة التدهور العربى.

هذا الثقل هو من شجع اسرائيل على أن تنفذ علناً وفى شبة رسالة مفتوحة لمن يهمة الأمر ولكافة اطراف النزاع وقبل نشوب الحرب أبشع مجزره فى القدس الشريف حيث قتلت القوات اليهودية ٢١ فلسطينيا واصابت اكثر من مائة دون تمييز فى ساحة الاقصى.. المكان المقدس عند المسلمين ودون أى حساب لأيه ردود أفعال من أية جهة.. سواء كانت امريكا او مجلس الأمن.. أو كانت السعودية- أو مصر!!.

هذا الثقل يعبر عن نفسه يومياً ومنذ عدة سنوات فى قتل اليهود لأطفال الحجارة

---

(١) أعترف بذلك قد وورد فى كتابه « القادة » حيث ذكر: « وفى حوالى الساعة الخامسة مساء بتوقيت واشنطن التقط تشينى خط الإتصالى السرى مع إسرائيل « هامرريك» ليتحدث إلى وزير الدفاع الإسرائيلى موش إرنيز بأول تبليغ بأن الهجوم سيقع».

دون اى حساب لاى رد فعل عربى إن كان.. او امريكى او غيره.. وذلك مايطلق عليه فى علم النفس بالاسقاط.

ترجع اسباب ذلك الاسقاط إلى الجانب الادراكى العربى لدى قوة الردع الاسرائيلية تقليدية كانت أو نووية- مع حالة التفسخ العربى الواسعة..

الحقيقة أن هذه الحالة الانهزاميه النفسية كانت نتيجة مباشرة لسياسة أسرائيل الذاتية الواعية.. فهى لم تعلن حتى الآن عن قدراتها النووية رسمياً.. غير أنها قد أشارت الى ذلك بعده طرق غير رسمية.. وهكذا فإن الجانب العربى إذا أقام تحليله عن الحقيقة النووية الاسرائيلية على مبدأ الشك افترض ضرورة الردع الاسرائيلى.

.. اما إذا أدرك فعلا حقيقة قدره اسرائيل النووية فإن الاثر الردعى سوف يستقر بما لايدع مجالا للشك .. وهكذا كسبت اسرائيل قضية الجانب الادراكى الردعى الذرى فى كل حال.

إن أيه حاله ردع لاتستقيم مالم يتحقق ركنها الادراكى.

من ذلك المنطق يمكن تفهم حالة الاسقاط المخزية لدى الطرف العربى لدور اسرائيل فى ازمة الخليج الاخيرة فهى محصلة كل تلك الحقائق ولكل جرائم اسرائيل فى المنطقة العربية..

ولعل تصميم امريكا والغرب كله على ضرب العراق كان محوره تلك الحقيقة ذاتها.. فقوة العراق كانت تبشر بموازنة ذلك الخلل العربى.. وقد اعترف زعماء امريكا وفرنسا وانجلترا بذلك.. ولكن اين المحللين؟!.

أمام كل تلك الحقائق لم يجد الاعلام المواجهة إلا الصاق كل تلك التداعيات بالعراق واظهاره وكانه هو المسؤول الأول عنها!!.

قالوا: إن عدوان العراق على الكويت يبرر اعتداء اسرائيل على دول الجوار العربى!!.

فهل انتظرت اسرائيل نهضة العراق وبعثته لتبرر سياستها التوسعية منذ انشائها والى الآن؟

قالوا: إن تصرف العراق اعطى لاسرائيل فرصة العمر فى تلقى مساعدات عسكرية واقتصادية بغير حساب مادام ذلك يهيئ لها فرص الردع النظرى والعملى.. وحقها فى استيعاب المزيد من الهجرة اليهودية.

وحقها فى ضم المزيد ومايلزمهم من مساحات من الاراضى العربية لضمان أمنها وتثبيت اركان النظام الامن الجديد.

.. وهل فى ذلك كله اى جديد منذ عشرات السنين.. فأى منطق يبرر ذلك وفقط كنتيجة للمستجدات العربية على الساحة الخليجية؟- بل وهل منعت هزيمة العراق كل تلك الثوابت الاساسية والعقائدية على الارض العربية منذ عام ١٩٤٨م.

قالوا: أنه قد اصبح لاسرائيل الحق فى مهاجمة العراق فى الوقت الملائم وبالاسلحة المناسبة إعمالاً بمبدأ الدفاع عن النفس والذى تقره الشرعية الدولية.. وتحت هذا الستار تستطيع أن تمارس ما نريده من طرد الفلسطينين من الضفة وغزة بحجة تأمين حدوها.. الخ!!.

فهل انتظرت اسرائيل ذلك حتى تحتفظ بغزه والضفه والجولان.. وحتى تبرر كل تاريخها العسكرى فى المنطقة؟!.. الم تضرب اسرائيل العراق وحطمت مفاعله النووى قبل حوالى عشره اعوام من أزمة الخليج؟! الم تغزو اسرائيل لبنان واحتلت بيروت وطردت الفلسطينين من لبنان بعد معاهدة كامب ديفيد التصالحيه الرائعه!!.. الم تحتفظ اسرائيل باراضى ثلاث دول عربية مجاوره منذ نهاية حرب ١٩٦٧م ومازالت سياستها تجاه ذلك معتمدة أساساً على مسأله الوعد المقدس المسجله فى توراتهم!!

كان الاعلام اثناء فترة ماقبل الحرب وبعده قائما على منطق معكوس وفهم مقلوب قائم على التضليل ومستند الى اكاذيب.. صوروها على أنها عين الحقيقة.. وقلب الواقع..مع أنها ابعد الامور عن الحقيقة والواقع.. كما تم الخلط بين الاسباب والنتائج.. فالتشبيه بين العراق واسرائيل مخل للمنطق والحقيقة ولاقص حد.. كما انه وللأسف يشير الى فقد الهوية والذاتيه العربية والاسلامية.

رغم ذلك كله فإ نه ولابد من الاعتراف بالحقيقة المرة فقد نجح الاعلام الموجه

وبدرجه كبيره فى هدفه الأمر الذى يجب تحليله وتقييم أثره بدرجه واقعية عملية علمية حتى لايصبح المستقبل العربى والاسلامى بيد من يملك الكلمه.. ولمن يدفع اكثر.

مع انتهاء حرب الخليج وتكبيل العراق ثم رفع شعارات المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الاوسط فى محاولة لحل المشكله اليهوديه- العربية.. وتوافق ذلك كله على الجانب الاسرائيلى مع اعلان أرييل شارون عن عزمه بناء ٥٠٠ وحده سكنية جديدة فى هضبة الجولان السورية المحتله.. كما قام بشق الطرق والشوارع لربط هضبة الجولان بالجليل الاعلى فى فلسطين المحتله.. وهكذا تم بناء جسور وصل طولها الى ٣٠٠٠ متر لهذا الغرض ومن المحتمل أن تستوعب تلك المستعمرة آلاف العائلات اليهودية من روسيا وشرق أوروبا.

بعد ذلك بأشهر قليلة تعاونت امريكا مع اسرائيل فى تنفيذ اكبر عملية تهجير يهودية الى أرض فلسطين .. العربية!!.. عبر اكبر جسر جوى نقل يهود الفلاشا عند بداية انهيار النظام الاثيوبى.. وقد زاد عدد يهود الفلاشا المهجريين من اثيوبيا على الف يهودى.. ثم كانت موجات الهجرة اليهودية بمئات الالوف اثناء فترة الانهار السوفيتى وتفككله..

توازت كل تلك الاحداث الخطيرة والمفزعة مع حركة بناء واسعة النطاق تمت وفق برنامج زمنى سريع بهدف توفير المساكن والايواء لتلك الالوف الغفيرة من مهاجرى اليهود للارض المسلمه.. إن كنا نتذكر!!

وهكذا بدت المدن العربية فى االخليل ونابلس وبيت لحم وحتى القدس العربية وكانها جزر صغيرة وسط موجات عارمة من المدن اليهودية الجديدة[١].

وفى شهر يوليو ١٩٩١م أصدر وزراء خارجية دول المجموعة الاوروبية نداء طالبوا

(١) فى حديث لمجلة الأكسبريس الفرنسة أعلن أرييل شارون وزير الإسكان الإسرائيلى : « إن إسرائيل عازمة على مواصلة بناء المستوطنات اليهودية فى الضفة وغزوة وغزة والجولان مهما كلفها ذلك من جهد وأموال طائلة أن بناء مدن يهودية فى هذه المناطق هو الضمان الوحيد لتأمين إسرائيل فى مواجهة أى عدوان عليها من قبل الدول العربية المجاورة. ».

فيه اسرائيل تجميد عملية الاستيطان اليهودية فى الارض العربية المحتله كبادرة حسن نيه لانعقاد مؤتمر السلام.. وفى نفس الوقت ارتفع نداء عربى خاص بانهاء العربية الاقتصادية لاسرائيل مقابل وقف الاستيطان.

وعلى الفور كان الرد الاسرائيلى متمثلا فى اعلان وزير الاسكان الاسرائيلى ارئيل شارون بداية الاعمال الانشائيه لاكبر مستوطنة اسرائيلية فى الاراضى المحتلة واطلق عليها «افن هافيتس» وتقع بالقرب من طولكرم بالضفة الغربية..

وعلى الفور وبعد بضعه ايام كان رد أوروبا متمثلا فى قبول اسرائيل كعضو فى اللجنة الاقتصادية التابعة لاوروبا هذا رغم انتمائها جغرافيا إلى آسيا!!!.

تلك هى السياسة!!

أما بالنسبة لامريكا فسرعان ماارتفعت فيها اعنف الانتقادات لسياسة الإستيطان الاسرائيلية.. وذكرها بوش .

فقال : إن المستوطنات تضعف فرص السلام فى المنطقة .

اما بيكر فقد أعرب عن شديد آسفه حيث ان تحية إسرائيل له فى كل زيارة كانت بناء مستوطنه جديدة.

.. لعل ذلك ما يفسر زيادة زيارات مستر بيكر لاسرائيل!!.

فى تلك الفترة اعترف موسى بن أهارون مدير مكتب الوزراء الاسرائيلى بوجود خلافات فى الرأى بين اسرائيل وامريكا.. وقامت ازمة سياسية بين الاطراف المعارضة لبناء المستوطنات وبين اسرائيل تناقلتها وكالات الابناء بكل ارتياح.. هذا على المتوى السياسى.

أما على المستوى العلمى والفعلى فقد اعلنت اسرائيل انها قد توصلت الى اتفاق مع شركات امريكية لبناء سفن حربية سريعة من طراز «شلراج» وتطويرها لصالح البحرية الاسرائيلية.. كما نجحت اسرائيل فى عقد عقود بملايين الدولارات لاصلاح اربع سفن امريكية تابعه للاسطول السادس.. توازى ذلك وتوافق مع رفض اسرائيل

لأى شكل من أشكال التعاون الامريكى- العربى للتصنيع الحربى.. واشترطت اسرائيل فى حاله الموافقه اقامة برامج عسكرية امريكية- اسرائيلية متطورة للغاية..

كل هذا كان بعيداً تماما عن موافقه امريكا على أن تقيم فى اسرائيل اضخم مخزن لاحدث الاسلحة الامريكية فى المنطقة العربية لتكون تحت تصرفها.. وقد سمح لاسرائيل باستخدامها لهذة الاسلحة فى حالة الضرورة!!

.. وهكذا.. كانت اسرائيل وهى تناور فى كل ضغيرة عبارة عن مخزن امريكى ضخم لأحدث الطائرات والدبابات والمدافع مع اعتماد اموال امريكية لتطوير تكنولوچيا الصواريخ الاسرائيليه.. الخ.

على مدى تلك المناورات السياسية كان الاعتداء الاسرائيلى وغاراته على جنوب لبنان وحتى يومنا هذا أمراً يومياً.. دون أى اعتراض غربى.. ولا حتى عربى.

هكذا كانت تشير السياسة فى الهواء.. وعلى الارض تتغير الطبيعة الديموجرافية للاراضى العربية المحتلة[1].

.. هكذا.. وفى اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٩١م.. أى بعد شهرين ونصف فقط من ضرب العراق تناقلت وكالات الانباء «خطة الرئيس بوش» للحد من تسليح الشرق الاوسط.. وتقوم تلك الخطة على مبادئ أساسية تتخلص فى إزالة الصواريخ البالستيه والتى يصل مداها إلى اكثر من ٩٠ميلا.. كما تنص على السيطرة على عملية توريد الاسلحة الى المنطقة.. وتخص بذلك السيطرة على اسلحة التدمير الشامل فى المنطقة فتنص على ازالة مخزون الدولة العربية من الاسلحة الكيمائية!!.

أما بالنسبة لاسرائيل فتهدف الى العمل على ايقاف انتاج أيه مواد نووية وذلك كخطوه اولى نحو اعلان منطقة الشرق الاوسط منطقة خالية من الاسلحة النووية!!.

ومع ذلك كله.. فقد اعلن وزير الدفاع الامريكى تشينى عن تزويد امريكا

---

(١) ذكرت صحيفة صادرة عن الجامعة العربية فى ١٩٩٢/٥/٢٥ أن المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة العربية وقطاع غزة المحتلين أمتدت خلال عام ١٩٩١ بينسبة ٦٠٪ .

..عن الأهرام القاهري في ١٩٩٢/٥/٢٥ .

لاسرائيل بعشر طائرات مقاتله من طراز إف ١٥٠ إيجل وقيمتها ٦٥٠مليون دولار تقوم امريكا بتسديد ثمنها طبقا لقرار الكونجرس الامريكى الذى منح اسرائيل معونه عسكرية إضافية قيمتها ٧٠٠مليون دولار خلال حرب الخليج الأخيرة!! [1].

كما أن امريكا هى التى تدفع ٨٠٪ من تكاليف ابحاث وانتاج* الصاروخ «جيتس» الاسرائيلى المضاد للصورايخ..

أما الباقى ٢٠٪ فسوف تدفعه امريكا ايضا!! من خلال برنامج حرب النجوم.

ليس هذا فحسب.. بل إن الحجة الامريكية والخليجية لحرب الخليج والتى تبلورت فى خطورة المشروع النووى العراقى لم تكن متوازية مع الخطر المحقق للمشروع النووى الاسرائيلى المتقدم.. ومن ثم فقد اقترح المشروع الامريكى للحد من تسلح منطقة الشرق الاوسط منع استيراد اليورانيوم اللازم لصناعة الاسلحة الذرية.. ولم يتضمن ذلك الاقتراح ضمان توقيع والتزام كل دول المنطقة على المعاهدة الدولية لمنع انتشار الاسلحة النووية.. ويقصد بذلك المخرج لاسرائيل وحدها.. دون غيرها!!.

كانت تلك الخطوط العريضه لخطة الرئيس بوش للحد من تسليح الشرق الاوسط.

هذا مع أن المركز الدولى للدرسات الاستراتيچية فى لندن أفاد بأن اسرائيل تمتلك وعلى الاقل ١٠٠ رأس نووى!!.

كان تعليق وليم كوانت المسئول السابق فى مجلس الامن القومى الامريكى والمتخصص فى شئون الشرق الاوسط.. والذى يعمل الآن خبيراً فى معهد «بروكينجز» على مشروع بوش صريحاً.. حتى انه صرح:

«إن الولايات المتحدة ستبقى اسرائيل الدولة الوحيدة فى الشرق الاوسط التى تملك اسلحة نووية»!!.

---

(١) قال تشينى رداً على ذلك وأنه لا تناقض بين مقترحات بوش للحد من الأسلحة فى الشرق الأوسط وبين تقديم هذه المساعدات العسكرية لإسرائيل لأن ذلك لا يتعارض مع الحق الشرعى لكل دولة فى الدفاع عن نفسها والتزام أمريكا بمساعدة أصدقائها!!. ولا تعليق.

فماذا كان تعليق خبراؤنا وساستنا ؟!.

وما تأثير ذلك على قضية القدس؟!.. بل وعلى مستقبل العروبة والاسلام فى المنطقة؟!.

كان الرد الاسرائيلى على المقترحات الامريكية تقليديا وبما يفيد «بان اسرائيل ليست الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تمتلك الاسلحة النووية»!!.. الأمر الذى يعد اعترافا ضمنياً بامتلاكها لهذا النوع من السلاح[1].

كما يعد إشارة لنظرة اسرائيل لذلك الموضوع بروته.

بل إن اسرائيل- الدولة النووية الوحيدة فى المنطقة العربية- حتى لو وافقت على مراقبة مفاعلها النووى فإنه سيبقى فى حوزتها كمية هائلة من الاسلحة النووية.. الأمر الذى يفتقده العرب ضرورة بقبولهم المشروع الامريكى. كانت تلك الثوابت السياسية قائمة على الدوام قبل الازمة الخليجية.. وحتى بعدها!!.. والى درجة الرقابة الدولية التفصيلية على القدرة العسكرية العراقية التقليدية وغير التقليدية.

فأى ظلم هذا الذى يتقبله العرب؟!.

وماذا يحمل لهم هذا الخنوع فى طيات المستقبل المظلم الموحش؟!.

تلك هى الشرعية الدولية.. الامريكية.. والتى يرتكن لها فريق من العربان فى موقفهم المعارض للعراق الشقيق.. المغبون.

لو وصفنا تلك المبادرة الامريكية والتى تعبرعن الخط والمفهوم الامريكى وتصوره للمنطقة بصدق نستطيع أن نجزم بأنها إستغفال للعرب.. فقد بدت كمن يكيل بمكيالين لكل من العرب واسرائيل.. فما هو محرم على الأمة العربية بأجمعها.. محلل ومرغوب بالنسبة لاسرائيل.. ينطبق على ذلك الحكم العام معظم القضايا بين الطرفين من صواريخ بالستيكية الى اسلحة بيولوجيه وكيمائيه.. وحتى ذرية.

---

(١) قبل هذا أعتراف الرئيس الإسرائيلى « هيوتزوج » فى رسالة خطية لعضو فى البرلمان البريطانى بأن إسرائيل تمتلك فعلاً أسلحة نووية».

وحقيقة فليس فى ذلك ما يشين امريكا والتى من حقها أن حقها أن ترى الامور من زوايتها.. والمؤسف أن فى موقف العرب مايدين قادتهم وحتى شعوبهم عندما يرضوا بأى من ذلك أو حتى بعضه.

كان الأولى بامريكا أن تتخلى عن ضمان التفوق الاسرائيلى على جميع الدول العربية.. ذلك المبدأ الذى يعتبر واحداً من أهم استراتجيات أمن أمريكا القومى[١].. والذى لم يتغير حتى بعد سقوط الاتحاد السوڤيتى.

كان الأولى بامريكا أن تنص فى مبادرتها على التنرامها بعودة الحقوق لأصحابها.

حتى عندما اعلنت امريكا عن حق المهاجرين الفلسطنين فى العودة لاراضيهم ثارت اجهزة الاعلام وما هى إلا ايام قليله لاتعد إلا على اصابع اليد الواحده حتى راجعت امريكا نفسها.. وتراجع السياسون.. فى الوقت الذى تشهد فيه الأراضى المحتله اضخم موجة للهجرة اليهودية من مختلف ارجاء العالم!!.

الكارثة التى نعيشها تكمن حقيقة فى تداعى النظرة الذاتية العربية لكل تلك الشواهد الملموسة.. ورضى السياسيون العرب فى ترك امورهم بيد اعدائهم المتربصين.ومن ثم.. فقد أعلن أركان الجيش الاسرائيلى أنهم بصدد وضع مخطط اسرائيل لمواجهة ساحة القتال المستقبلة!!.

أين هى تلك الساحة.. إن لم تكن فى الشرق العربى المهلهل؟!.

هذه هى بعض تداعيات حرب الخليج الأخيره. وضرب العراق الذى كان يمثل ثقلا موازنا لكل تلك التداعيات والتناقضات.

اوليس هذا ما نلمسه ونعايشه؟!

---

(١) وبالفعل فقد رفض الكونجرس الأمريكي وبأغلبية ساحقه (٣٧٨ ضد ٢٤٤) أقتراحاً بخفض حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل بمقدار ٨٢.٥ مليون دولار بسبب إستمرار بناء المستوطنات بالضفة وغزه.

عن الأهرام القاهري ٢٧/٦/١٩٩١م.

***

من بديهات العلم ان اى تفاعل ينقسم فى النهاية الى طرف رابح.. واخر خاسر..

وفى نزاع الخليج الاخير اشرنا الى الطرف الرابح. فمن هو الطرف الخاسر؟!

ان الولايات المتحدة وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى برز دورها على الساحة العالمية كقوة دولية مهيمنة ووحيدة تستطيع ان ترسم وتحدد مسار الوضع الدولى - ولو الى حين - دون منافسة او مزاحمة من اية قوة اخرى.

اما على الجانب العربى فان نتائج حرب الخليج افرزت تحولات نوعية ونفسية فى سياسات الدول العربية المعنية جعلتها تغير من مفهومها للامن العربى.. الى المفهوم الوطنى الذاتى.. الامر الذى كان له اثره على اوضاع المنطقة العربية ككل.. اضافة الى تاثيراته النفسية المحققة وما تحمله فى طياتها من اخطار على المستقبل العربى كله.

من اهم الملاحظات انه وعند انطلاقه شرارة حرب الخليج الاخيرة كانت النداءات متتالية من كبار الساسة الغربيين تشير جميعها على حتمية ان تنتهى تلك المعركة بمحاوله سياسية لنزع فتيل مشكله الشرق الاوسط.. العربية- اليهودية[1].. هذا مع أن أدنى منطقة كان يؤكد أن نتيجة الحرب لابد وأن يكون لها وزنها وأثرها على المناخ التفاوضى.. وبعد الحرب كان من المنطق ايضا أن تسعى اسرائيل لتوظيف نتائجها لمصلحتها هى..

أما بالنسبة للجانب العربي ونتيجة للحرب وما تبعها من حاله تشرذم وتبعثر لم يسبق لها مثيل فإن اقل الحقوق كان بمثابة الأمل والحلم.

---

(١)بعد أيام لا تزيد على أصابع اليدين.. وفى أوائل فبراير ١٩٩١م ناقش دوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانى مع مسئولين فى فرنسا وألمانيا خطه بريطانية متعددة الجوانب تشمل معالجة الصراع العربى - الإسرائيلى إضافة إلى قضايا الأمن فى المنطقة ككل - وغير ذلك..

الأهرام القاهري ٢/٢/١٩٩١م.

الم تخرج امريكا واسرائيل منتصرتان؟!.. الم ينهزم العرب؟!.. وويل للمهزوم.. تلك قوانين الحرب للمنتصر والمهزوم.

الحقيقة المؤكدة الاولى أنه فى محادثات السلام كان المعروض لايرقى الى الحد الأدنى من حقوق الفلسطنين.. وعند مناقشة ذلك كانت الحجة.. هذا هو المعروض حالياً.. واين كنتم عندما ماعرض عليكم السادات ماهو أكثر؟!.

كأن المسألة إذاً مجرد عرض وطلب.. فى الارض والمستقبل والثروة العربية.. وحتى التاريخ العتيد؟!.

مع ذلك كله فإن الموقف الاساسى الامريكى كان معارضاً قيام دولة فلسطنية مستقلة كنتيجة نهائية للمفاوضات المعروضة على اطراف النزع العربى-اليهودى..ومن ثم كان رفضها حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى إذا كان ذلك طريقا لإقامه دولة عربية فلسطينية مستقلة !! [١].

أما الدول العربية الأخرى فلم يكن أمامها من منظور بعد ضرب العراق واختلال موازين القوى فى المنطقة سوى أن تسير فى عملية السلام المعروضة مع إسقاط أساسيات وثوابت تحكم النظرة العربية وحتى الدينية تجاه الصراع العربى-الاسرائيلى.

بعد وقف اطلاق النار صدر فى دمشق اعلان للتنسيق والتعاون لدول التحالف العربية فى ١٩٩١/٣/٦م ارتكن البيان السياسى على مواثيق ضعيفه ومهلهلةوبالية.. مثياق جامعة الدول العربية.. ومواثيق عربية ودولية اخرى.. كما اعتمد على اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى!!.

كانت الاحداث وتداعياتها خير مؤشر لتقييم ذلك الاعلان.. فسرعان ما أتفقت دول الخليج البتروليه- ايضاً- مع امريكا وبريطانيا على الحماية العسكرية الغربية!!.. بل وتم عقد الاتفاقيات والمعاهدات العسكرية والاقتصادية والسياسية

---

(١) أعربت صحيفة كرستيان سانيس مونتيور الأمريكية عن اعتقادها بأن الخاسرين الحقيقين فى حرب الخليج ربما يكونوا هم الفلسطينيين.. وأنهم قد خسروا ما كسبوه عالمياً من قبل.

بين الكويت والبحرين والسعودية وبين امريكا وبريطانيا[1].. وحتى فرنسا وروسيا ومن ثم فقد رمى الجانب البترولى بكل ثقله وشرفه الى حضن الغرب العزيز.. وهللوا عندما أصبحت خطط الامن الخليجية من مسئولية واختصاص القيادة العسكرية السياسية الامريكية.. بل ولقد طالبوا مصر وسوريا بالموافقة على ذلك الاتجاه.

وكان موقف مصر المعروف[2].. وموقف سوريا المناور.

كان قرار الرئيس مبارك يحمل فى طياته رفضاً لأى انتهاك غربى للأمن القومى العربى.. والمصرى بداهة. هكذا اسقط اعلان دمشق.

أن اخطر ما فى السقوط انه يعكس حقيقة ملموسة لها اثرها وبصمتها النفسية الاكيدة وتتخلص فى أن الدول التى وقعت على هذا الاعلان لم تكن عازمة على تنفيذه من الاساس.. الأمر الذى يعد اشارة مؤكدة لمصداقية بعض الاطراف الخليجية العربية.. أو حتى كلها!!.

لعل تلك الحقيقة هى ماتفسر رد الفعل السورى الجانح على معاهدات الحماية الغربية للخليج العربى البترولى .

.. ولعل تلك الحقيقة تشير الى نفسها فى صورة الصعوبات الجمة فى مجال التوافق بين الانظمة العربية المختلفة .

المدهش فى الأمر حقاً أن الغرب الذى نجح فى اقناع انظمة الخليج البترولية بعدم أهلية وقدرة باقى الدول العربية فى ضمان ونصرة تلك الانظمة طالب بثمن باهظ يعكس نظرة الغرب و يضع مصلحته فوق اى اعتبار.

---

(١) لم يغير الزمن من النفوس. فمنذ بداية الستينيات والدول الخليجية تمول ما كان يعرف بقوى الثورة المضادة داخل النظم القومية والتقدمية العربية من عناصر اليمين المدنى والعسكرى والتيارات الدينية.. وتداخل ذلك كله مع صراعات المعسكريين الرأسمالى.. والإشتراكى.

(٢) كان رد الفعل المصرى يحمل فى جانبه رسالة إلى أسرة الصباح من خلال واقعة إلقاء القبض على الشيخ طلال الصباح وهو بطل قصة المطرب/ أحمد عدوية وهو يهرب هيروين من سوريا إلى مصر.

يكفى لذلك مقارنه مطالب العراق قبل الحرب بما استولت عليه امريكا والغرب من تلك الدويلات البترولية والكيانات العربية المصطنعة[1].. ولعل ذلك المكسب الغربى الرهيب هو أهم دافع لإخراج الجيش المصرى من دائرة الخليج بعد الحرب.

أهم ما أشارت اليه حرب الخليج حقا هو ثبوت الهدف الغربى تجاه زعامات المنطقة العربية والذى يتخلص فى ضرورة القضاء على أيه قوه عربية أو اسلامية تظهر فى المنطقة.

حدث هذا مع محمد على الكبير.. ومع عبد الناصر.. واخيراً مع صدام حسين.. غير أن مايدهش حقا هو أن ذلك الهدف كاد أن يكون متوافقا على الدوام مع سياسات امراء دول البترول والتى ترى سلامتها.

فى عدم قيام أية قوة عربية مؤثرة فى الجوار الشرقى.. وبصرف النظر عن القوة اليهودية.

وباختصار شديد وايجاز مختصر فإن العرب جميعا وباختلاف طوائفهم كانوا الطرف الخاسر والوحيد فى هذه الحرب المشئومة.. كما أن تدمير العراق خلق فراغا استراتيجياً فى المنطقه خاصة امام تحديات ونظرة الجيران ايران - تركيا - اسرائيل.. مع انهيار مفهوم الأمن القومى العربى الواحد.. غير أن اخطر ما فى الأمر حقا هو زعزعة الثقة بين الحكومات.. وحتى الشعوب العربية المتجاورة.

كل تلك التداعيات تلقى بظلال من الشك حول جدوى أيه جهود فى الوقت الراهن.. وربما على زمن الجيل الحالى لرأب هذا الصدع النفسى والاخلاقى بين العرب.

تلك اشاره الى تداعيات التآمر على العراق المغبون فى حرب الخليج الأخيرة..

وباختصار مخل.

(١) كان الحل العربى يكلف الخليجيين ١٠ مليارات دولار للعراق.. أما الحل الأمريكى كلفهم ٦٧٠ مليار دولار.. الأمر الذى إنعكس سلباً على موازنات هذه الإمارات.والدول بعد الحرب!!.

★★★

واضح من تسلسل الحوادث السريع أن الأمر لم يكن فى جوهره معالجة للقضية العراقية - الكويتيه قدر ما هو نظره واسعه للمنطقه.. وكان مدخل السيطرة الغربية على مقدرات المنطقة من منطلق السماح لهم بعلاج مشكله أطرافها من المسلمين الموحدين.. وبعد المعركه لم يعد لأصحاب الأرض والثروة حتى حق ابداء الرأى فى مشاكلهم بل اصبحوا ينتظرون ما تسفر عنه اجتماعات الكبار من قرارات وتوصيات تمس المستقبل والارض وحتى النفس العربية والاسلامية - ومع تلك الدرجه من التدنى ظهرت النفوس على حقيقتها-

فهل كان هناك من تحذير فى كتاب المولى لكل هذه التداعيات؟!

يقول عز من قائل: { ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون }.

وفى الآية الكريمة يوضح المولى علّة سلوك أهل الكتاب مع المسلمين تلك التى تم فلسفتها بزعمهم أن غيرهم من الاميين.. ومن ثم فلا ذمة لنا عندهم.. بل يدعون أن ذلك حكم الله.. وهم يعلمون أنه الكذب ولاغيرة والمعنى أن كل من خالف ملتهم فهو ساقط من نظر الله ومبغوض عنده فلا حقوق له ولا حرمة لماله أو حقوقه ومن ثم يحل اكله متى أمكن.

إن تحليل كافة تداعيات ما بعد الحرب والموقف الرسمى من اتجاهاته المختلفة تجمعها الآية الكريمة وموقف الغرب من كافه حقوق المسلمين فى المنطقة توضحه الآية { ليس علينا فى الأميين سبيل}.. فليس معنى الارتكان لمن هم من دون المسلمين الثقة والفوز المتبادل بحال..

قال تعالى: { هانتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم}.

تلك هى أسس الإسلام والتى يجب أن تبنى عليها الاستراتيجية الاسلامية فى نظرتها وتعاملها مع غيرها من اهل الكتاب والكافرين.. ودون ذلك الخسران المبين.

قال تعالى: { قل هل ننبئكم بالاخرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا }

صدق الله العظيم

الفصل العاشر

حسابات النصر.. والخسارة

الفصل العاشر

حسابات النصر .. والخسارة

لاتحدد المعارك الحربة ونتائجها صورة الصراع النهائية وفقط.. بل لعل فترة ما بعد الحرب هى الأهم والأخطر فى تأكيد وتحديد نتائج ذلك الصراع بالنسبه لأطرافه.. وعليه فإن نتيجة الصراع تتحدد فى فترة ما بعد الصراع .. وتقوم على سياسات ما بعد الحرب.

بعد انتهاء المعارك وفى فجر يوم الأحد ٣من مارس ١٩٩١م أصدر مجلس الأمن قراراً بأغلبية اعضائه يحدد شروط انهاء الحرب.. وقضى القرار بأن يلغى العراق قراره بضم الكويت.. وأن يقبل من حيث المبدأ المسئولية عن ايه خسائر أو دمار أو اصابات نشأت عن غزوه للكويت.. كما يدعو القرار العراق الى اطلاق سراح الاسرى وجميع رعايا الكويت والأجانب.. واعادة جميع الممتلكات الكويتيه التى استولت عليها قوات الغزو العراقية.. كما يقضى القرار كذلك بأن يوقف العراق أيه عمليات عسكرية ضد الكويت.. وأن يقدم المعلومات عن اية اسلحة كيمياويه أو بيولوچيه قد تكون فى العراق أو الكويت.. كما يشير القرار الى مايلى:

١ - يظل قرار مجلس الامن ٦٧٨ والذى يجيز استخدام القوة لتحرير الكويت ساريا الى أن يتمثل العراق لهذه الشروط.

٢ - تظل جميع قرارات مجلس الأمن «الامريكى» والتى اتخذت ضد العراق سارية بما فيها القرار الذى يفرض عقوبات اقتصادية ضد العراق.

٣ - يؤكد القرار وعود قوات التحالف بالاتصال بأسرى الحرب العراقيين والبدء فى اطلاق سراحهم.

٤ - كما يدعو المجلس دول العالم الى المساعدة فى اعادة اعمار الكويت.

٥ - أعترضت على هذا القرار كوبا.. وامتنعت عن التصويت عليه اليمن والصين والهند.. ووافق عليه سبعه من اعضاء المجلس .

رفع المعترضون اعتراضهم على أن ذلك القرار يحتوى معناه على نص يتيح للولايات المتحدة واتباعها استئناف القتال ضد العراق مع استبعاد أى دور للأمم المتحدة ذاتها فى مفاوضات السلام !!!

كانت الرغبة فى صبغ نتائج المعركة بالصبغه الامريكية اوضح حتى من الاشارة اليها.

وقبل العراق الجريح مطالب الحلفاء.

على أن تلك كانت البداية.. فأطراف التحالف لم يجمعها سوى محور المصلحة.. وهى اساس السياسة الدوليه دون شك.. ومن ثم كان المنطق يؤكد تعارض الاهداف عند اطراف التحالف العديدة.. حتى على المستوى العربى ذاته.

*** الموقف المصرى :**

رغم أن مصر كانت طرفاً من اطراف التحالف الدولى فالمدهش أنه فى يوم ٢٦ مارس ١٩٩١م [١] أصدرت المنظمة المصرية لحقوق الانسان بيانا حول اوضاع المصريين!! والجاليات العربية الأخرى فى الكويت جاء فيه مانصه": « .. تناشد المنظمة المصرية لحقوق الانسان الحكومة المصرية والأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولى والمنظمات الدولية المعنية بحقوق الانسان التدخل بشكل حازم لوضع حد لمعاناة المصريين والجاليات العربية الأخرى فى الكويت.. خاصة الفلسطنين الذين يتعرضون لاعتداءات مروعة تتراوح بين القتل والتعذيب حتى الموت والتنكيل والاحتجاز لفترات طويله وإساءة المعاملة والعقاب الجماعى بدعوى تعاونهم مع قوات الاحتلال العراقى... » .. واوضح البيان أمثلة عديده الاستشهاد على دعواها. وعلى جانب آخر أشارت جريدة الأهالى الى تقرير كتبه الاستاذ / سعد هجرس أوضح فيه صورة الوضع فى الكويت بعد التحرير أشار فيه الى أن مثلث الازمة فى المنطقة بات يتمثل فى:- الولع بامريكا عند الكويتين.. وإحياء النزعة الخليجية الانعزالية.. وكراهية التعامل مع الشعوب العربية الاخرى سواء داخل الكويت أو حتى فى الترتيبات الامنية الاقليمية!!.

(١) أى بعد إنتهاء حرب الخليج بحوالى شهر واحد أو يزيد!! .

أما على الصعيد الدولى.. فقد دعت منظمة العفو الدولية الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت الى التدخل شخصيا لايقاف انتهاكات حقوق الانسان التى يتعرض لها الفلسطينيون والاردنيون والعراقيون وآخرون فى الكويت.. وقالت المنظمة: ان آلاف الاشخاص قد القى القبض عليهم وتعرض كثير منهم للتعذيب أو الاعدام منذ الانسحاب العراقى.

بعد اكثر من شهرين فقط من توقف القتال اعلنت مصر من جانبها.. وفجأة.. قرارها بسحب قواتها من السعودية والكويت.. هذا رغم ان اتفاق دمشق ينص على تعاون مصر وسوريا فى ترتيبات امنية بعيدة المدى دفاعاً عن منطقة الخليج!!..

توازى ذلك كله مع الاعلان عن خطط امريكية لدراسة اقرار وضمان الأمن فى تلك المنطقة الهامة..

بعد عدة اشهر تم ابرام اتفاق عسكرى بين الكويت والولايات المتحدة.. وبعد عدة اشهر بين الكويت وبريطانيا وبعد نحو العام جرى اتفاق آخرين الكويت وفرنسا.. وحتى الإتحاد السوفيتى لم يكن الإتفاق الامريكى سرياً كله.. فقد صرح ريتشارد تشينى وزير الدفاع الامريكى فى إعقاب ابرام الاتفاق الامريكى- الكويتى: « أن الولايات المتحدة قد توصلت الى اتفاق مع المملكة العربية السعودية ومع دول المنطقة حول تخزين المعدات والاسلحة الامريكية فى المنطقة واستمرار بعض القوى الامريكية فى المنطقة ولفترة طويلة كما اوضح أن بعض الترتيبات الامنية ستبقى سراً رلن يعلن عنها بعد اقرارها نظراً لحساسية دول المنطقة تجاه ذلك التعاون العسكرى مع الولايات المتحدة »

لتبرير ذلك الاتجاه والاتفاقيات ادعت الكويت كشفها لحادث تسلل بعض القوات العراقية الى جزيرة بوبيان [١].

وهكذا ساد الالتباس.. والاضطراب الفكرى والنفسى.. وخلط الاوراق بين ابناء

---

(١) من الواضح ضعف هذا الادعاء حتى أن تقارير الأسم المتحدة ذاتها لم تكشف عن طبيعة ذلك التسلل وطبيعة العناصر التى قامت به.. وماذا كان هدفها الغارة .

إن أدنى منطق وتقييم لموقف العراق آنذاك كان يجزم .. ثم يقسم بكذب هذا الإدعاء وضفعه .

الجبهة العربية الواحدة مصر.. والعرب وبين اصحاب القضيه من الكويت والخليجيون.

كان تفاعل اطراف الازمة مع نتائجها الاولية والاساسيه يؤكد انهيار إعلان دمشق من جهة.. وانفراد امريكا والغرب بالمنطقة الخليجية من جهة أخرى.

يبقى دائما الادهى والأمر عند تحليل ذلك الانهيار بين اطراف القضية والمصلحة والارض من العرب وحتى بين اصحاب خندق الأمس.. القريب!!

على خطورة معانى المواقف المتعارضة والجانحه وقيمة ذلك كله فقد تناول الساسة فى مصر الموقف على مرارته وقسوته بكل حنكة سياسيه.. وعلى حساب المصالح الاقليمية وفقط بكل دقه.. وهكذا هب كل من الاستاذ إبراهيم سعدة والسيد/ صلاح حافظ ومن مالئهم بتصوير ذلك التدهور القاتل بأنه من منطقية الحوادث.. وطبيعة تسلسلها.. الخ !!.

وضاعت حقائق المواقف واسرارها.. وغيم الضباب على اثر ذلك كله على المستقبل العربى.

المدهش أن كل تلك التدهورات حدثت رغم الحقيقة المعلنه والمقبولة بأن نجاح عملية عاصفة الصحراء الامريكية انما تدين فى نجاحها الى حد ما لانضواء دول عربية رئيسية مثل مصر وسوريا الى جانب دول التحالف فالبصمة العربية كان لها ثقلها من خلال الحقيقة المؤكدة التى احترمتها امريكا ودول التحالف الغربى من أن ذلك التحالف كان معرضاً للانهيار عند اول تحرك ايجابى اسرائيلى فى الحوادث حتى ولو من باب الرد على قصف العراق لاسرائيل بصواريخ سكود.

تميز الدور المصرى بخصائص خاصة وواضحة فى ذلك الصراع.. فمثلا:

١ - كان الصراع العالمى- العراقى ودور مصر فيه وسط ظروف وحسابات شديدة التعقيد على مستوى الساسة كما هو على مستوى افراد الاسرة المصرية الواحدة.. حيث انقسمت فى ذلك الوقت كل الاحزاب وكل اسرة على ذاتها فى نظرتها للأمر وعواقبه.. وتعارضت النظرات وبشدة تجاه اطراف الصراع.. حتى

على المستوى الاعلامى.. رغم مئات الملايين التى صرفت- ومازالت- لتحديد النظره تجاه الاحداث.. ومن ثم ظهرت الاطراف المعارضة بكل شده لضرب العراق.. ومن ثم كاد الهجوم الاعلامى على صف المثقفين المصريين واضحاً وظاهراً فى الاعلام المصرى.

٢ - يعتبر ذلك الصراع هو الأول من نوعه والذى تشارك فيه مصر ضد عدو غير تاريخى.. بل هو صديق وأخ بكل معايير التاريخ القريب والبعيد.

٣ - ثم انها هى أيضا أول حرب تدخلها مصر بعد أن رفعت شعارات الديمقراطية والتعددية.. وسارت فعلا فى ذلك الاتجاه وقطعت فيه شوطاً لابأس منه.. ومع ذلك فقد كان قرار الحرب مخالفاً لروح تلك الشعارات وهذه السياسات المعلن عنها.. والمنفذ منها الشئ الكثير!!

تفرض كل تلك الحقائق ضرورة تحديد اهاف الساسة المصرية من دخول العرب فى الجانب الدولى وضد العراق الشقيق.. الأمر الذى لا يخرج فى اغلب الاحيان عن نظرة اقليمية سياسية بهدف:-

١ - فرص اوسع لتشغيل العماله المصرية فى الخليج.

٢ - فرص اوسع امام الشركات المصرية فى منطقة الخليج خاصة بعد انتهاء الحرب.

٣ - محاوله جذب الاستثمارات العربية الخليجيه الى مصر.

٤ - الغاء الديون أو التخفيف من اعبائها.. تلك التى كانت سبباً مباشراً لصلح كامب ديفيد.

٥ - ثقل سياسى أكبر لمصر فى منطقة الخليج خاصة بعد انتهاء الحرب .

٦ - ثم- وكأضافه مهذبه.. الشعارات السياسية المشهورة مثل احقاق العدل وإرساء العدل فى المنطقه.. وهكذا.. وبنظرة تحليلية الى تلك الأهداف نجد أن اصحاب القرار السياسى قد قامروا برفع أهداف قد لاتتمشى فى مضمونها مع الأهداف الامريكية.. والتى يحق لها تحديد الأهداف وتقسيم الارباح.. وتقييم الشركاء.

وهكذا سرعان ما تم حسم الأمر بالنسبه للأهداف الثلاثة الاول بقرارات القوى

الامريكية المهيمنة وسطوة الشركات الامريكية المدعومة سياسياً من قبل حكوماتها[1].

ولم يتبق سوى الفتات حيث تم إلغاء قدر من الديون الخليجية على مصر.. غير أن ذلك تمت موازنته- عالميا- عن طريق شروط صندوق النقد الدولى فى مفاوضته مع الحكومة المصرية..

حقائق تلك السياسات العميقه ونتائجها يتحمله ويعانيه المواطن المصرى.. والقارئ.

أما الدور المصرى السياسى والمأمول فى منطقة الخليج فقد تم الغاوءه تماما بالمعاهدات الخليجية- الغربية..

١ - بالنسبة لمفهوم الأمن القومى العربى عموماً.. والمصرى خصوصاً فقد تم ثبنى سياسة مضمونها إسقاط الخطر الاسرائيلى [2] من ثم كان المدخل لطرح البديل وهو نظرية الخطر العربى على الأمن القومى.. الأمر الذى يمكن إرجاعه الى مطامع بعض الزعامات العربية على الاستقرار والأمن فى المنطقة!!.

٢ - تم اسقاط الخطر الايرانى هو الآخر أو محاولة تحييده.. ومن ثم فقد سارعت دول الخليج جميعها الى الاعتراف بايران وتبادل التمثيل الدبلوماسى معها.. وتم اشراكها الى حد ما فى محادثات ما بعد الحرب فى محاولة يائسة لتحييدها.. هذا رغما عن أن نظرة ايران التوسعية فى المنطقة هى نظرة ايديولوچية من الصعوبة بمكان تحييدها أو اجهاضها سياسياً .. لعل كل تلك التداعيات المشبوبة بالخطر

---

(١) كانت تقديرات إصلاح مادمرته حرب الخليج يتراوح بين ٨٠ : ١٠٠ مليار دولار ذهبت كلها تقريباً إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا - حتى أن الجميع إتفقوا على أن الكويت ستكون وبحق ورشة القرن العشرين.. ولكن للغرب.. وليست لمصر أو غيرها من العرب.. وهذا ما حدث فعلاً ..وواقعاً .

(٢) أوضحت دول البترول العربية عن إستعدادها لإسقاط الحصار الأقتصادى المزعوم حول إسرائيل!!.. وسارعت الكويت بإعلان إستعداداها للإعتراف بإسرائيل - كما أستقبل المسئولون فى السعودية العربية وفد أمريكى يهودى أمريكى - وغير ذلك من هو الإشارات التى تطرح صورة التوافق فى المنطقة والمنظور .

تعلل السقوط العربى الاسلامى الذى لم يجد أمامه الا الارتماء فى احضان الامبريالية الامريكية .

٣ - تم من خلال ذلك التداعى طرح انظومة الشرق اوسطى حيث تمثل فيه كل من اسرائيل وتركيا وايران أهم عناصره الايجابية الفاعلة والقوية.. الأمر الذى يتعارض قطعاً مع السياسة المصرية.. وتاريخها.. وحتى ايديولوچيتها.

٤ - تمت تغطية كل تلك التداعيات برفع نبره إستعلاء مصرية لدغدغه وتنشيط المشاعر الاقليمية وذلك بالحديث عن خصائص الأمن القومى المصرى خارج نطاق الأمن القومى العربى!!.. ومن ثم فقد رفعت على الساحة الثقافية والاعلامية دعوى مصر الفرعونيه.. وإدعاء انتماء تاريخى مميز انتهى منذ عصر الفتح الاسلامى الاول!!.

٥ - تواكب ذلك كله مع نبره انهزاميـة بالغت فى التهوين من القدرات العربية والاسلامية مع التحذير والتهويل من خطر المواجهة الشامله مع الغرب.. أو حتى الطامعين من جيران المنطقة الشرقية الاسلامية العربية.. وتوازى ذلك كله مع محاوله مستميتة لنزع فتيل واسباب العداء التاريخى تحت زعم وجود رصيد مشترك ثقافى وأخلاقى واقتصادى يجمع بين الأمم جميعها.. مع اسقاط تام لكل التناقضات الجسمية بين مصالح الغرب وحقوق العرب.

إن ابسط ما يمكن وصفه لهذه التداعيات المتتالية هو أن فتنة الخليج وكارثة العرب االكبرى كشفت عن أن قرار العرب السياسى والاستراتيجى وعلى المستويين الاقليمى والقومى لاتتوفر له الاستقلالية الكامله.. فلا شك فى أن الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفاءها قد تمكنوا ونجحوا من استدراج العديد من اطراف الجانب العربى الى التحويل الى نوع من التطابق مع الاهداف الأ بعد والاخبث للغرب.. وكان مفتاح هذا النجاح السياسى كله ومرده الى الثقل الخليجى البترولى العربى.. ومن ثم فقد تطور وتدهور القرار الرسمى العربى للأزمه دون منطق أو حتى تبرير من الدفاع عن السعودية.. إلى تحرير الكويت.. ثم الموافقه على تدمير العراق العربى الأبى.. البلد

القوى.. والذى صفقت له الاكف وعلت الهتافات بعد نجاحه فى صد زحف الهجمة الخمينية بالأمس القريب..

كانت موافقه مؤتمر الدول الاسلامية الأخير والذى وافق على استمرار حصار العراق وتجويع اهله[1] مع كل ما ناله من خراب وتدمير تعبيراً عن ذلك كله وإثباتاً له.

حتى الدول العربية التى تجرأت واتخذت موقفاً وسطا محايداً من الاحداث فكما أدانت غزو الكويت من جهة فقد رفضت تحطيمه وتخريبه من جهة أخرى لم تسلم من التهديد الامريكى- والعداء العربى الخليجى.. فقد تم وبالفعل قطع وتقليص المعونات الممنوحة لكل من الاردن وتونس.. وقامت الكويت بسحب بعضاً من اعضاء بعثتها الدبلوماسية فى ليبيا المحاصرة هى الأخرى..

الشئ المثير للدهشة والسخرية وحتى على حساسيته فإنه برغم الموقف المصرى فقد كانت العراق اقرب العرب لمصر قبل الازمة والحرب.. فهو شريك مجلس التعاون العربى.. ويعمل به اكثر من مليونى مصرى دون كفاله عربية او بترولية .. كما أن مصر شاركت العراق فى حربة الضروس على حدودة الشرقية.. وايضا فإن جهود العراق مع مصر كانت اساس النظام الجديد للجامعة العربية والذى انهار عقب حرب الخليج.. والأهم من ذلك كله فإن مصر كانت اول من أحست بغبن العراق فهى صريعه نفس السياسة الاقتصادية والعالمية والتى تسببت فى دفع مصر الى عقد اتفاقيه كامب ديفيد بعد حربة الأخيرة والمجيده مع اسرائيل.. وبعد تكبيله اقتصاديا من قبل دول البترول بعد الحرب.

عند تقيم الوقف المصرى فإن ما يبعث على الحيرة حقاً هو أن موقف مصر مع الحق العراقى لم يكن ليمنع حدوث المأساة بحال وإن كان يستطيع أن يقيم أمامها الصعاب العديدة.. الأمر الذى سوف ينعكس على مصر سلباً وبكل شده وعلى وجه الخصوص فى فترة ما بعد الحرب. كما انه لم يكن ليمنع حدوث التشرذم العربى

---

(١) فى المقابل فقد أعلنت الجمعية الدولية لحماية لحيوان والتى تتخذ من أمريكا مقراً لها أنها: تجمع حالياً تبرعات لصالح الضحايا من الحيوانات فى الكويت من آثار غزو العراق . ولاتعليق ....

وتفكك أوصال الأمة العربية الكبرى .. وفى نفس الوقت فإن مناولة الأمر سياسيا وبحساب المكسب والخسارة كان يحمل فى طياته مكاسب سريعة محتمله لمصر.. غير أن ثمنها سيكون كسر بلد عربى شقيق وكبير وقريب الى مصر والمصريين.. له مكانته وتاريخة دون شك.. كما أنه سوف يؤثر سلباً دون شك على القيمة العسكرية الاستراتيجية والاقتصادية للأمة العربية امام تحدياتها وتوجهاتها.. الأمر الذى يعد بحساب الاحتمالات والعلم والسياسة نجاحاً للسياسة الغربية تجاه الأمة العربية..

وكان الاختيار المصرى .

نسى الجميع- مع حسابات المكسب والخسارة- أن العراق كان اكبر شريك تجارى للولايات المتحدة فى العالم العربى بعد السعودية حيث بلغت قيمة العلاقات التجارية بين البلدين ٢,٧٦ مليار دولار عام ١٩٨٨م.. وخلال العامين الأخيرين ٨٩ و ١٩٩٠م قدمت واشنطن للعراق ١,١ مليار دولار تسهيلات ماليه لشراء منتجات زراعية .. بالاضافة الى ٢٠٠ مليون دولار قدمها بنك الصادرات والواردات الامريكى كتسهيلات لبيع سلع غير زراعية .. ذلك قبل الازمة بعام أو تزيد .. فقط لا غير .. إضافة الى موقف امريكا من الشاه عقب نجاح الخمينية فى ايران .

كل ذلك يعطينا فكره عن نظرة امريكا للمنطقة العربية ككل وكأمم منفصلة..

إن السياسه الامريكية اثبتت أن بعض ما ينظر اليه من معونات الى الدول العربية قد يكون شركا ولا يعنى بحال تطابق السياسة وتمشيها مع المصلحة الأمريكية.

***

★ السعودية والكويت .. الحلف البترولي العربي :

كان الحلف العربى البترولى مركزاً أساسيا من مراكز الصراع الاساسية .. ومع رفعنا وإيماننا بالاخوة العربية وتحليلنا لمراكز ومراصد اتخاذ القرار فى ذلك الجناح فنستطيع أن نقسم ونجزم أن الاتجاه السياسى إنما يمثل وينبع فقط من خلال الاسر

الحاكمة الملكية لتلك المنطقة العربية .. ومن ثم فان تحليل مواقف ذلك الحلف فى فترة ما بعد الحرب انما هو فى حقيقية الامر تحليلا للاتجاه السياسى للعائلات المالكة .. وفقط ولا يجب أن يمس حقيقة الشعور الشعبى الاخوى بين بلدان المنطقة .. رغم اثر الاعلام الموجه.

من الطبيعى أن تترك الحروب آثارها النفسية .. الأمر الذى يؤثر ويشكل سياسات واتجاهات ما بعد الحرب .. غير أن الأمر لا يخلو ايضا من أن تلك السياسات قد تكشف وتوضح حقيقية الاهداف خاصة عند الطرف المهيمن أو المنتصر فمثلا :

يمكن الى حد ما قبول بعض الحوادث فى فترة ما بعد الحرب من انتقام وتقاتل واغتيالات .. ولكن لا يمكن باى حال قبول تلك الظاهرة كسياسة ومستمرة .. وهذا ما حدث فى الكويت .. وللأسف .

عقب الحرب تعرضت مناطق الفلسطينين والاردنيين وحتى المصريين لعمليات ارهاب واغتيالات عديده واكتملت الصورة باقامة محاكم عسكرية سريه لمن خان الكويت البطل !! .. واصبح من المعتاد فى فترة من الفترات أن يفاجىء المرء بقتلى عرب مصريين أو فلسطيين أو اردنيين .. هكذا .. وتمت محاصرة احياء الفلسطنيين[1] خاصة والعرب عامة .. وامتلأت السجون واكتظت حتى بالمصريين !!

فى مقابل ذلك كله يجىء الموقف الذى يعكس ويقيم هذا الاتجاه كله فيعلن الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت فى اجتماعة مع جيمس بيكر فى مدينة الطائف بالسعودية : « أن الكويت سوف تبحث الاعتراف باسرائيل إذا نفذت قرارات الامم المتحدة المتعلقة بنزاعاتها مع الدول العربية !! » .. وتوازى ذلك مع ابلاغ القادة السعوديين بيكر عن استعداد السعودية لتحقيق تسويه سليمة للنزاع العربى -

(١) من المدهش أن ينبرى كتاب كبار مثل زكريا نيل وغيره لفلسفة ذلك وعتاب الأخوة المضطهرين مع أعطاء العذر والحق لرد الفعل الكويتى.. وهكذا ضاعت الحقوق حتى للمصريين أنفسهم!!

الاسرائيلى .. هذا مع قيام السعودية بقطع مساعداتها عن الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية [١].

وبعد تحرير الكويت إرتفع ذلك الاتجاه العصبى حتى تم حصار مقر منظمة التحرير فى الكويت .. وايضا أحياء النقرة وحولى .. ولم تسلم من هذا المهجوم حتى مقر السفارة المصرية ذاتها!!

وحتى يزداد الشقاق العربى رفعت حكومات وصحافة الغرب اهتمامها بحقوق وحماية الفلسطينيين فى الكويت ولكن يبدو أن حقيقة ذلك الاهتمام المفاجىء والغريب كان مرجعه لا يتعدى مخاوف الغرب من عودة الفلسطينين فى الكويت الى الضفة وغزة الأمر الذى يزيد من اعباء إسرائيل الامنية[٢].

بعد نهاية الحرب واستقرار الامر الى حد ما تعرضت العراق لحرب من نوع جديدة لكنها تدخل ضمن نطاق الحروب الاقتصادية والتى برع فيها الغرب واذنابهم وهى حرب تزييف العملة العراقية لهز الاقتصاد العراقى المزعزع .. فقد انهالت الدينارات المزيفة من فئات ٢٥ ، ٥٠ ، ١٠٠ دينار على العراق من كل جانب .. حتى من الجانب الايرانى - واصبحت العملة العراقية المهزوزة معرضة حتى لعدم الثقة فى التعامل بها بين العراقيين انفسهم .. ووصل الأمر بها الى الحد الذى ادى الى تدهور العملة العراقية حتى وصلت الى حوالى $\frac{١}{٣٧}$ من الدولار!!

واخيرا أعلن العراق عن تغييره للعملة فئة المائة دينار..

كانت الكويت ومازالت دون شك مركزا لتلك الحرب الاقتصادية المريرة.

أما على المستوى الشعبى فى الكويت فقد تم الاستغناء عن المهندسين

(١) بل ولقد وصل الأمر إلى تعرض مقر منظمة التحرير الفلسطينية إلى هجوم بقذائف الـ « آر بى چى» بواسطه شباب كويتيين بعد التحرير مباشرة.!!

(٢) توازى ذلك مع إعلان وزير الإسكان الإسرائيلى أن بلاده بصدد تنفيذ خطة لتوطين ١١ ألف مهاجر يهودى فى الأرض المحتلة .

والمدرسين والمهن الأخرى من الأردنيين والفلسطينين ومنع اطفالهم من المدارس الحكومية الكويتية .. او حتى الخاصة بالكويت .. وضاعت الفرصة على طلاب الجامعات فى تحقيق املهم حتى من كان منهم على وشك التخرج فقد فقد فرصته.. كما اتضحت بشكل سافر افضلية الاجنبى على العربى بشكل عام عند التعاقد على العمل.

على المستوى السياسى كانت السياسة العربية - وحتى الاسلامية - تحت الهيمنة الخليجية الفنية .. حتى أنهم قد نجحوا فى اجتماع الدول الاسلامية والذى عقد اخيرا فى داكار فى اقرار توصية بالموافقة على إستمرار الحصار على العراق الجريح!!!

وكأن العراق مازال يهدد دول البترول الثرية حتى وهى فى احضان امريكا والغرب وحتى بعد اجهاض العراق أشد ما يثير الأسى والحزن أن تلك القرارات جاءت بالاجماع والأغلبية .. وويل لمن تجرأ وأعترض فهناك دائما سطوة المال.

نسى وزراء خارجية الدول الاسلامية أن حق الفقراء فى مال الاغنياء أمر مقرر من مقابل المولى عز وجل [1].

ولا يجوز بحال استخدامة فى اذلال البعض وتحطيمه .. وكل ما تذكره هؤلاء الافاضل هو الاقرار يحذف كلمة «الجهاد» ضد المستعمر الغاصب اليهودى فى فلسطين .. والقدس والمسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين والذى بارك المولى حوله[2].

أما على المستوى الثقافى والاعلامى فقد اشتعلت حرب المؤتمرات .. وهكذا عند اعلان العراق عن عزمه لاى مؤتمر سرعان ما ينشط الطرف الخليجى فى عقد مؤتمر مماثل لجذب اقطاب العلماء والمفكرين العرب وافساد اى جهد عراقى لتوضيح حقه

(١) قال تعالى : ﴿ وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ .

(٢) فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية والذى عقد فى القاهرة فى فبراير ١٩٩١م .. وفى بيان المؤتمر الختامى أعلنت الدول الإسلامية « عدم أهلية النظام العراقى للقيام بدور المدافع عن قضايا المنطقة !!! فمن المؤهل لذلك يا ترى ؟ .. السعودية - أم الكويت .. أم الإمارات ياترى؟! .

وشرح قضيته .. وهكذا فى بداية يناير من عام ١٩٩١م وعندما تهيئا العراق لعقد المؤتمر الاسلامى الشعبى العالمى سارعت السعودية وعقدت مؤتمر اسلاميا بمكة .. وفى نفس موعد عقد مؤتمر بغداد تقريبا .. وفى يناير من عام ١٩٩٢م أعلن العراق نيته لعقد هذا المؤتمر الاسلامى السنوى سارعت الكويت - هذه المره - وعقدت مؤتمرا اسلاميا عالميا وموازيا فى توقيته لمؤتمر بغداد فى مدينة الكويت .. فى ذلك المؤتمر عاد العلماء والكتاب الافاضل ورموا العراق ظلماً بنيته المبيته فى تلك الحرب الاعلامية الثقافية الاسلامية !!

وكأن العراق المحاصر المهزوم فى فسحة من الوقت وهدؤ فى البال حتى يخطط اعلاميا لكل ذلك .. ويصرف .. ويبسط وهو المهدد بالتفسخ شمالا وجنوبا .. وشرقا من اقوى دوله شيعية مجاورة وهى ايران .. ويوضح ابراهيم سعده كل تلك الحقائق والاساسيات فى معرض تخيله لرد وزير خارجية دول الامارات العربية على نظيره الايرانى على ولاياتى .. حيث يقول سيادته:

.. وإذا تركنا جانبا تدخلكم فى الشئون الجزائرية فماذا عن تدخلكم فى الشئون الداخلية للعراق ؟! .. لقد وضح للعالم كله ابعاد هذا التدخل فور هزيمة العراق وانسحاب قواته من الكويت . لقد وقفتم الى جانب شيعة العراق .. وناديتم بتقسيم العراق .. وارسلتم اسلحتكم التى استخدمت فى حرب اهليه عراقية راح منها الآلاف من افراد الشعب العراقى الواحد .. ألا يعتبر ذلك تدخلا وتصميما على التدخل فى الشئون الداخلية . للدول العربية الاسلامية ؟![١].

أما فى يناير ١٩٩٣ فقد ضربت امريكا علماء المسلمين المجتمعين فى بغداد بالصواريخ!!

المدقق لتسلسل الحوادث يكاد يجزم بتوالى تدهور المواقف والسياسات العربية فى قضية من أهم قضايا العرب لتاريخية .. الامر الذى لا يرى فيه المراقب بارقة أمل فى تحقيق أيا من المصالح القطرية أو القومية العربية - بل لقد آزداد الضباب والشك فى

---

(١) نقلاً عن أخبار اليوم القاهرية ٦ / ٧ / ١٩٩١ م . فمن فمك إدنيك .

قدرة النظم العربية على الاحتفاظ بخصوصيته الدينية أو حتى القومية بعد ما تعرض له من عملية اختراق على المستويات الاقليمية والعالمية بسبب حرب الخليج الاخيرة .. الأمر الذى لا يعكس فى واقع الامر سوى أهمية العراق العربى حتى وهو مهزوم ومحاصر .. ولكن متى تثبت هذده النظرة ونصححها ونحن نرى اقطاب السلطة فى الخليج العربى الثرى وهى ترمى بكل اوراقها لامريكا لترى ما تراه فى حياه ومستقبل وقدرات تلك الامة المنكوبة؟!

المدهش أن التاريخ الحديث يخبرنا أن هناك تجربتين عالميتين كان يجب الاستفادة منهما .. وهما :

١- مشروع مارشال .. وذلك الذى تبلور فى خطة امريكية لمساعده دول اوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية من أجل استعاده حيوتها الاقتصادية بعد الدمار الذى تعرضت له اوروبا فى هذه الحرب .. فقد قدمت الولايات المتحدة على مدى اربعه سنوات فقط ١٩٤٨ : ١٩٥٢ م ما يقرب من ١٧ مليار دولار وهو مبلغ بالغ الضخامة آنداك وبمعايير تلك الفترة.. والمدهش أن تلك المبادرة تمت أمريكية خالصة ولأسباب إستراتيجية تتعلق أساساً .. بمصلحة الولايات المتحدة ذاتها وإدراكها لدورها العالمى المنوط بها!!

٢- أما المشروع الثانى فهو برنامج الامم المتحده للتنمية والذى نشأ استجابه لمطالب دول العالم الثالث للحصول على معونه فنية جماعية من خلال الامم المتحدة للتنمية .. حتى مع كونها مصحوبة غالبا بشروط سياسية مع ذلك كله .. ومع مرور تلك الفترة الزمنية الكافيه فإن الخط الاساسى للسياسة العربيه مازالت هى العداء العربى - العربى- مع تأثير تلك التداعيات على خطورة التهديدات والتى تحيط بالعالم العربى كله من مشرقة الى مغربة[1].

أخطر ماسهى عن اهل السياسة أن ذلك الجرح الغائر فى جسد الامة .. ولتلك

(١) مثل التهديدات التى تواجهها ليبيا - وسوريا - والعراق .. وأحداث الجزائر - وأيضاً السودان والصومال وتنامى التهديدات الإيرانية الواضحة الشرقية على الجبهة من العالم العربى.

المدة..مع تدهور الاعـراض بمرور الزمن له آثاره النفسـيـة الاكـيـده ليس على الحكام والسـيـاسـيـين فقط. بل وايضا على شعوب الامةالعربية ذاتها حيث يتفاقم الشعور نتيجة لتلك السياسات خاصةً مع تأكيدها بمرور الزمن.. الأمر الذى سوف تكون له بصمته فى تشكيل المواقف العربية فى المستقبل القريب.. المظلم.

أشد ما يؤسف لـه حقـاً هو أن وسائل الاعـلام تجد ذاتـهـا فى نكأ الصدور وإيغـار القلوب.

ظهـرت اعـراض ذلك كله مـثـلا فى تصريحـات وزير التـعليم المصرى حـيث قـال سيادته ما معناه:

« إن ما حدث ادى الى سقوط كل الشعارات القومية.. وانه لن يبذل أى جهد لأيه قضية عربية حتى فلسطين بعد ما فعله عرفات!! ».. ثم اضاف سيادته: « اننا سوف نعيش لأنفسنا فقط »

إن كانت تلك هى النتيجة النفسية لمسئول مصرى للاحداث وتطوراتها.. فسوف نترك للقارى تقدير مدى رد الفعل النفسى للشعب العراقى تجاه الاحداث.. من خلال ذاته ومعاناته وتقديره وتطرته الذاتية للأمور.. وهذا أدنى حقه.!!.

★★★

★ ايران.. الخطر الكامن:

بداهة.. وفقط بحكم الجيرة يمكن التأكد على أهمية الدور الايرانى فى احداث الخليج الأخيـرة.. وبعدها.. والى مدى بعـيـد يعلمـه الله.. وبدايه فانـه تجب الاشارة على أهمية ايران وثقل دورها فى الاحداث الأمر الذى يشكله وفى مجمله سياسات واتجهات ايديولوجيه وموروث نفسى وثقافى وتاريخى سياسى واقتصادى وعسكرى يمـتـد فى اعـمـاق التـاريخ منذ انتـشـار الاسـلام على انقـاض فـارس.. والى وقـتـنا وزماننا.. والى المستقبل متطوره ومجهوله.

من السـهـل مـلاحظة أن هناك استـمـرارية فى نظرة الأمن القـومى الايرانى كـمـا

شكلتها الثورة الخمينية.. وكما طبعها البعد الايديولوچى الشيعى- اضافة الى العمق الحضارى والثقل السكانى والأهمية الاستراتيچية.. الأمر الذى شجع ايران على انتهاج خط التمدد الى الشمال والغرب حسب ما تسمح به الظروف السياسية والعسكرية.. ومن ثم يمكن القول أن هناك محدودات وثوابت تشكل النظرة الايرانية للمنطقة العربية خاصة منطقة الخليج الثرية .. هذا فى حين أن أى قطر عربى أو حتى خليجى لم يحدد ثوابت أمنه الوطنى إزاء ايران.. وانما تتشكل المواقف العربية تبعاً لحالة الاستقرار السياسى وقوة تحالفه المرحلية الاقليمية أو الدولية.

أما على وجه الخصوص فإن العلاقات الايرانيه- العراقية لايحكمها فى الواقع سوى التوازن القائم بينهما.. الأمر الذى يستند على موازين الهيمنة والخضوع.

كانت تلك الحقيقة هى سبب الدهشة من الموقف الايرانى فى مرحله ماقبل الحرب واثناء الازمة الاقتصادية الأمر الذى يجب تقيمة جيداً حيث يشير الى امكانيات وقدرات ايران السياسية والثقافيه ايضا !!. فى المقابل نلاحظ بسهولة أن الخط السياسى لدول الخليج العربية يتشكل حسب الظروف بهدف اساسى هو ضمان الاستقرار السياسى للعائلات الحاكمة.. حتى مع تهميش التنسيق فى سياسات النفط- والمدهش أن يتفق الجميع على محاولة تهميش الدور العراقى فى تلك المعادلة الاستراتيچيه الاقليمية- مع أن العراق على وجه الخصوص كان العنصر الاساسى الذى أثر تاريخيا على نتائج هذا التفاعل والتوازن- والاستعاضة عنه بالأمن الخارجى الامريكى- وكان لذلك اثره فى قضايا أخرى عديدة تحكم علاقات هذه الدول الشقيقة .. كما كان للثقل الشيعى فى إمارات الخليج اثره بالتالى فى تشكيل وتحديد النظرة العربية مثل التعاون الاقتصادى والتجارى ومساعدات دول الخليج لايران رغم العداوة الثابته بين سياسات تلك الدول.

من المؤكد أن نجاح ثورة الخمينى قد أدت الى شكل ملحوظ وخلل ملموس فى توازن القوى فى منطقة الخليج.. وكان من أهم سماتها نزعة التوجه والتوسع الاقليمى « حتى أن أحد آيات الله صرح آنذاك قائلا:

.. إن الابقـاء على حـدود مـتـمـيـزة للدولة جـعلهـا مـعرضـة للتـفكك الداخلى والتـوترات بين العـنصـر الفـارسى وبقـيـة الاقليـات وللتـدخل العـسكرى والثـقـافى خارجيا.. وبالتالى فإن الابقـاء على الدوله ذاتها ظل مرتبطا بالتوسع الخارجى والميل إلى اتباع سياسة الهيمنة فى منطقة الخليج بصفة خاصة »[1].

لعل ذلك المفـهـوم المنظور هى التى اوضـحت وفـسـرت اسـبـاب المؤازرة الخليـجـيـة اللعراق فى حربه لإيران.

وعندما نجح العراق القوى فى تحجيم ذلك الدور الايرانى.. كان مـوقف الخليج من العـراق بدوره يدل دلاله اكـيـده وواضحـه على نظرة أهل الخليـج للأمـور ومـا يعـنيـه التاريخ بالنسبه لهم..

مع ثبـات كل تلك الاسس كـان التـفـاعل الايرانى مع الحـوادث مـثـيـراً للاعـجـاب ومستحقا للتـقدير على أيه حـال.. فعلى السـاحة السيـاسيـة كانت السـياسة الايـرانيه تظهر غير مـا تبطن وتتـمنى وبشكل جيد.. ففى فـترة الازمـة السـيـاسيـة كـانه نظره ايران مـرنة وتظهر وكـأنهـا آخر من يود اندلاع القـتـال.. فى حـين إنهـا كـانت تتـمنى نشوب الحرب.. فالعـراق يمثـل لإيران العقبة الأسـاسيـة والأخيرة لهيمنتـها على المشرق العربى أو مـا تبقى منه.. والعراق ايضا تمثل ثقل شيعى خاص وهام لاقص حد وابعد مدى بالنسبه لايران.. ولو سـقط النظام السنى فى العـراق فإن سيطره الشـيـعـة على كل المشرق العربى أمر محتوم ومؤكد[2].

مع تأكد ايران من تحديد وتشكيل الدور الاسرائيلى في الاحداث فقد كان موقفها والذى اعلنـه على اكـبـر ولاياتـى من أن ايران قـد تتـخلى عن حيـادها فى الحـرب إذا تدخلت اسرائيل بشكل مباشر فى الاحداث.. ثم أن ايران اعلنت وبصراحة موقفها من الحياد المعلن فى ذلك الصراع المتطور.

---

(١) Rouhalla Ramazani, The Persian Guly : Iran's role, " Charlohesville Univernity Virginia "1972" PP. 114 : 116 .

(٢) قال الرئيس رافسنجانى: « إن تصدير الثورة يفيد أن الحركات الإسلامية الأخرى يجب أن تتخذ من الثورة الإسلامية الإيرانية قدوة ومثالاً فى عملها » العرب وإيران - فهى هويدى ص ٣٧ .

مع اندلاع القتال كان التحرك الايرانى تعبيراً عن حقائق نظرتها للمنطقة.. وهكذا كانت الثورة الشيعية فى الجنوب فى منطقة البصرة والاماكن المقدسة الشيعية.. الأمر الذى أثر على احداث الحرب ومواقف اطرافها.. وتولت قوات الاحتياط الخلفى فى منطقة بغداد والبصره أمر تلك الثورة الشيعية الايرانية.. الأمر الذى لم تشكك فيه حتى القيادة الايرانية ذاتها(١).

الامر المثير للدهشة أن الاعلام المصرى الذى هلل للعراق فى حربه الاولى ضد الغزوه الخمينية قد هاجم القوات العراقية لسحقة تلك الثورة بل واستعانت وسائل الاعلام باقطاب واعلام الطرف الشيعى المناهض.. فهل نسى العرب.. وخاصة عرب الخليج غزو ايران للجزر الثلاث العربية سنة ١٩٧١م ؟!

وهل نسيت السعودية ادعاء ايران حقها فى جزيرة البحرين الأمر الذى دفع السعوديه الى الاسراع فى بناء اطول جسر فى العالم لربط السعودية بالبحرين ؟!

وهل اسقط الجميع مغزى مطالبه ايران واصرارها على استبعاد أى دور لمصر بالذات فى ترتيبات الأمن فى منطقة الخليج بعد حرب الخليج الأخيرة؟!

إن نتيجة الحرب الأخيرة وما اسفرت عنه من تدمير آلة الحرب العراقية كانت ولاشك اعظم الجوائز الايرانية حيث ادت وبصوره مباشره الى اختلال فى التوازن الاستراتيجى الاقليمى.. ولصالح ايران.. هكذا.. ودون اى مجهود.. إلا كنتيجه مباشرة الى اختلال فى التوازن الاستراتيجى الاقليمى.. وهكذا وجدت ايران نفسها فى صدر ساحة الاحداث ممثله لاكبر ثقل عنصرى فى ترتيب أمن الخليج رضى بذلك من رضى أو أرغد وأزيد من أبى..

من ذلك المنطلق الجديد-والتوازن المخل كانت مواقف ايران معبرة عن شعورها

(١) حتى السيد/ فهمى هويدى أعترف .. وعلى صفحات الأهرام المصرى أن « التمرد الذى حصل فى جنوب العراق والذى تفجر فى النجف وكربلاء.. المدينتين المقدستين عند الشيعه تحركة قيادية عراقية موجودة فى طهران ممثله فى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بالعراق - والذى يرأسه السيد/ محمد باقر الحكيم.. وهو أحد أنباء السيد / محسن الحكيم المرجع الأعلى للشيعه فى العراق حتى سنة ١٩٧٠ » .. الأهرام القاهرى .. فى ١٢ / ٣ / ١٩٩١ .

بأنها القوة الاقليمية الكبرى والوحيدة فى منطقة الخليج.. بعد هزيمة العراق.. أو سقوط دوره مرحلياً– فى عمليه التوازن الاستراتيجى.

من ناحية أخرى فأن تداعى وسقوط الامبراطورية الروسية المتوازى مع الاحداث كان له اثره دون شك على موازين القوى فى المنطقة.. فإذا رفعنا المعادله القائله بأن استراتيجية كل قطر لها روابطها الوثيقه بخصوصية الجغرافيا والتاريخ والايديولوچية الخاصه بها فإن من الانصاف القول بأن أى خلاف بين الدول العظمى صاحبة المصلحة فى المنطقة كانت وعلى الدوام فى مصلحة الاستراتيچية الايرانيه.. ومن ثم يصح العكس.

بالنسبه لايران فإن التاريخ الايرانى الحديث يثبت ذلك بشكل مؤكد.. فلم يكن هناك اى اتفاق أو أتفاهم بين روسيا فى الشمال وبريطانيا فى الجنوب إلاعلى اساس الإنتقاص المتبادل من حقوق ايران.. وحوادث الحرب العالمية الثانية تؤكد ذلك وتثبته حيث لم تخرج ايران سالمه بعد الحرب الا بعد اختلاف الفرقاء.. روسيا والغرب .

..وحيث أن أزمه الخليج كانت متواكبة مع اتفاق روسيا مع امريكا والغرب.. فقد اعاد ذلك الاتفاق لايران هو اجس جمه.. وذكريات ومخاطر تلك التوافقيه فى المصالح العليا الدولية بين الاقطاب.. ولعل ذلك ما دفع السياسيين الايرانين الى انتهاج سياسة الحصول على القنبلة الذرية وطرق ابواب النادى الذرى الدولى لما لذلك من آثار سياسيه واستراتيچية عديدة ومؤكدة[1].. وتشير الانباء الى نجاح ايران فى الحصول على قنابل ذريه من الامارات الاسلاميه التى استقلت عن روسيا مؤخراً.. والمجاورة لايران..ولم تكتف ايران بل لقد سارعت بطلب شراء تكنولوچيا اسلحة نوويه من الصين الأمر الذى اثار قلق الدوائر السياسيه الامريكية حتى أن امريكا هددت بشطب اتفاقيه معامله الدولة الاكثر رعاية للصين والتى كان الرئيس بوش قد قرر العمل بها..

(١) « رفضت فرنسا تسليم إيران حصتها من اليورانيوم المخصب وبررت ذلك بخوفها من إستخدمه فى الأغراض العسكرية وإنشاء قنابل ذرية» – الأهرام القاهرى فى ٦ / ٧ / ١٩٩١ م .

ولم تتوقف ايران بل لقد سارعت بشراء معدات من الاسلحة المتقدمة من روسيا والصين فى العام الحالى ١٩٩٢ وبكميات هائله تستدعى التساؤل والخوف.. كما أن ميزانية الدفاع الايرانيه بلغت العام الحالى١٩٩٢ ١٢ مليار دولار.. أى بزيادة قدرها ثلاثه اضعاف ميزانيتها عن العام السابق !!!.

رغم كل تلك الاشارات.. ورغم اعتداء ايران الاخير بالطائرات على العراق فقد كان من السهل عليها تغطيه كل الاهدافها باللعب على محور القضية الفلسطينية.. واعلانها العداوة لليهود ودولتهم.. ثم تبنيها لقضية القدس وما تحمله من حساسيه لدى المسلمين[1].. ومن ثم كان تحفظها على عقد مؤتمر السلام الدولى لحل مشكلة فلسطين بالشكليه التى رتبت لها واشنطن..

وفى ذلك كله كانت ايران محققة..

الحقيقة المؤلمة التى يخشى الجميع رفعها على ساحة النقاش تتلخص فى أن توازن المصالح العربية عامة بتوازى بصورة عكسيه مع التفاوت بين اقطار الوطن العربى فى القدرات الاقتصاديه.. بمعنى أن ميزان المصالح يعبر ويشير بكل صراحة الى حقيقة هذا التفاوت.. وأثره.. فإذا اضفنا الى تلك الاساسيه حقيقيه غياب التنسيق الاستراتيجى العربى سياسياً واقتصادياً لأمكن للجميع أن يشخصوا أسباب ضعف العرب فى معادله توازن القوى بين جيرانهم.. الأمر الذى كان اثره اوضح ما يكون فى موقف العرب من ايران فى فتره ما قبل الحرب.. وما بعدها.. حتى مع حياد ايران المعلن.. وحتى مع حماية الغرب للخليج العربى.

★★★

* **اوروبا والخليج بعد الحرب**

كانت اوروبا أول من استشعر الأهداف الحقيقية الامريكية خلال سيناريو الخليج

(١) العجيب أنه وفى عهد الأمام الخمينى حصلت إيران على أسلحة من إسرائيل وبمساعده واشنطن لتحقيق توازن إستراتيجى مع العراق فيما عُرف بفضيحة « إيران - كونتراچيت».. الأمر الذى يمكن تفهمه من خلال نظرة الشيعة لكل من أهل اسنة . واليهود .. فأهل السنة لا ذمة لهم وهم على مرتبه المرتدين بالنسبة للشيعة- أما اليهود وأهل الكتاب فهم أهل ذمة.

منذ بداية الازمة .. وانها مستهدفه أساسيه ايضا من جراء تلك الأزمة خاصة وانها على أعتاب وحدة يضعها من اكبر المنافسين على زعامة العالم .. ومن ثم كان مسلكها السياسى مميزاً حيث آثرت مسك العصا من الوسط .. واللعب على أوسط الحلول.

كان الهدف الاساسى الاوروبى- قبل الحرب- يرمى الى عزل العراق سياسياً واقتصاديا لمحاولة إجباره على الانسحاب من العراق مع استبعاد احتمال الحل العسكرى الى اقص مدى حيث أن نتائجه سوف تكون امريكية بحته نظراً للهيمنة العسكرية الامريكية على الموقف. عبر عن ذلك المفهوم الرئيس الفرنسى ووزير خارجية ايطاليا وغيرهما اكثر من مرة وعلى طول فترة الازمة وحتى قبل اندلاع القتال بساعات.

عندما تأكدت نيه امريكا فى الحرب تحولت سياسة اوروبا عن مسعاها الدبلوماسى واشتركت فى القتال بجانب الحلفاء وحتى لاتكون مستبعده من جراء موقفها فى نتائج هذه الحرب ..

كان الفكر الاوروبى متوافقا مع الاحداث وتطوراتها ومن ثم كان اجتماع وزراء خارجيه اوروبا للبحث عن نظام جديد يحدد العلاقة بين اوروبا والشرق الاوسط بعد الحرب- تلك الفكرة التى رفعها وزير الخارجية الايطالى والتى تتلخص فى دعوة جميع دول البحر المتوسط والخليج للجلوس معا حول مائدة واحدة.. ويمكن أن تنضم اليها منظمة التحرير واسرائيل ودول المجموعة الاوروبية والولايات المتحدة وروسيا.. وذلك بهدف صياغة حد أدنى من المبادئ والقواعد الاساسيه والتى تحدد وتضمن نزع اسلحة الدمار الشامل من المنطقه والتعاون الاقتصادى والتسامح والتعايس السلمى بين الديانات والثقافات المختلفه فى المنطقه.

ومع تقديرنا لكل تلك الافكار فإن النظرة التحليليه لها تنحصر فى خوف اوروبا من انفراد امريكا بتلك المنطقة الغنيه بالبترول.. حاجه اوروبا الموحدة.. والأولى.. كما أن الاحداث حملت لاوروبا ملامح تغيير أساسيه بالنسبة للموقف العربى ذكر وزير

الخارجية الفرنسى «دوما» فى حديث للهير تريبون: « منذ بداية الحرب تحولت فرنسا عن مسعاها الدبلوماسى الذى التزمته طويلا بأنه يجب اتباع سياسة مواليه العرب تعتمد على فكرة أن الوحده العربية والقومية العربية هما الموجة المقبلة».. وأن هذا التوجه الفرنسى الذى تبناه ديحول بعد الحرب الايام السته العربية الاسرائلية سنة ١٩٦٧م واتبعتها باريس منذ ذلك الحين كان مبنياً على خرافه مزدوجه.. الخرافة الاولى هى الحديث عن عالم عربى واحد.. والحديث عن سياسة عربية خرافة اخرى ».. « وكبديل لذلك يشير دوما الى أن فرنسا تنوى الآن الاخذ فى الاعتبار الانقسامات العربية التى سببتها الحرب باعتبار ذلك التوجه يسهل على باريس وواشنطن العمل معا دبلوماسياً »[١].

كان التغير السياسى فى موقف اوروبا من الازمة مبنياً من ثم على نظرته الاساسيه لتداعيات الموقف العربى وليس على الحق المجرد.. ومكسب اوروبا وخسارتها من جراء موقفها السياسى.. الأمر الذى يلقى الضؤ للقارئ على اساسيات العمل السياسى ونظرة الغرب للمنطقة.. فآخر مايهتم به الغرب هو الحق العربى.. ومع ذلك وبنهايه الحرب كانت المكاسب مكدسة على الحجر الأمريكى.. والبريطانى.. وكان ما تبقى من الفتات لأوروبا ومن ثم استمرت فرنسا فى إلحرب السياسيه هذه المرة.. فانعقد مؤتمر الأمن والتعاون فى البحر الابيض المتوسط وتم رفع مشكله فلسطين كنوع[٢]من موازنة الهيمنة الامريكية.

كان رد الفعل الامريكى والاسرئيلى على ذلك متمثلاً فى رفض حكومه شامير أن يكون لاوروبا أى دور فى مباحثات السلام فى الشرق الاوسط.. كما رفضت أن يكون للمجتمع الدولى والامم المتحدة أى دور فى « المؤتمر الاقليمى » الخاص بتلك المشكله .. هذا رغم أن المجموعة الاوربية تعهدت بعقد اتفاق مميز مع اسرائيل عندما

---

(١) جريدة الشعب المصرى فى ١٩ / ٣ / ١٩٩١ .

(١) فى هذا الصدد قال ديميكيس وزير الخارجية الإيطالى : « .. إننا الآن تستطيع أن تتشدد وكذلك فى مطالبه الدول الأخرى بما فيها إسرائيل بتطبيق القرارات التى إتخذتها الأمم المتحدة فيما يتعلق بجميع المسائل الأخرى » .. عن الأهرام القاهرى فى ٣ / ٣ / ١٩٩١م .

يتم الاندماج الاقتصادى الاوروبى فى نهاية عام ١٩٩٣م «لاحظ الذاتيه الإسرائيلية».

واضح من كل هذه المجهودات السياسيه رغم كثرة العقبات والاشواك أن الهدف الاوروبى فى مرحلة ما بعد الحرب كان يهدف لاثبات الذات الاوربيه ومكاسبها بجانب الهيمنة الامريكية.. ومن ثم كان تميز الموقف الاوروبى لعملية الاستيطان اليهودى بأنه عمل غير شرعى فى ظل احكام القانون الدولى.. وبصفه خاصة معاهدة جنيف الرابعة[١].. أما على المستوى الاقتصادى فقد تقدمت فرنسا بمشروع قمة الدول الصناعية لانشاء صندوق خاص للتنمية فى العالم العربى يجرى تمويله من قبل دول الخليج والبنك الدولى والبنك الاوروبى واطراف أخرى.. هذاا رغم الالتزام الاوروبى العربى بالاوضاع الاقتصادية فى اوروبا الشرقية.

كان المدقق للمواقف والمجهودات الاوروبية يكاد يحزم برغبه اوروبا فى القيام بدور فعال فى الشرق الاوسط بعد الحرب مناهضاً الى حد ما للسيطرة الامريكية الكاملة والتى لاترمى قطعاً الى الصالح الاوروبى.. وكان هذا التعارض يمثل املاً للدول العربية إن اتحدت نظرتها فى مقابل هذا التعارض.. غير أن التغيرات السريعة على الساحة الأوروبية بعد تفكك الاتحاد السوڤيتى جعل اوروبا الغربية تتحمل من باب اولى متاعب وعبء اوروبا الشرقية وحاجتها الى دعم اقتصادى وهيمنة سياسيه.. ومن ثم ظهرت ظواهر تنبئ عن سخط الجماهير وخيبه املها .. فقد ازدادت هموم المنطقه الاوروبية مع نهاية حرب الخليج.. بل وانتعشت النزعات العنصريه وظهرت مشاكل افصحت عن حقيقه الرؤيه الاوروبية للعرب والمنطقة بأثرها..

يكفى أن نتذكر موجه القلق والتحفظ التى سادت عواصم الغرب الاوروبى وهى تتحدث عن نجاح التيار الاسلامى فى انتخابات الجزائر والتحركات السرية ثم العلنيه التى رافقت تطور الاوضاع.. او موقفها من قبل الازمة الليبية .. ثم المواقف السياسية الاوربية تجاه العرب المسلمين فى غرب اوروبا والقوانين التى تهدف الى طردهم

(١) تلك المعاهدة التى تحدد ممارسات الإحتلال فى الأراضى المحتلة عسكرياً .

والاستغناء عنهم.. حيث اصدرت رئيسه وزراء فرنسا السابقة- ايديث كريسون- قراراً بطرد المهاجرين من دول المغرب العربى المستوطنين فى فرنسا والعاجزين عن اصدار وابراز اوراق تثبت حقهم فى الاقامة..

وعندما رأت اوروبا أن ظروفها الخاصة لاتسمح لها بالنجاح ومعادلة الهيمنة الامريكية لمنطقه الشرق الاوسط الفنيه بالبترول أعربت عن رغبتها فى سن قانون لفرض ضريبة حكومية على البترول المستورد من المنطقه بمقدار ١٠دولارات عن كل برميل بترول.. الأمر الذى سوف يؤثر على المكسب العربى.. ولن يؤثر بحال على الموقف الامريكى المهيمن

بتحليل المواقف وتغيراته نستطيع أن نجزم أن السياسة الاو،روبية تجاه المنطقه لم تبن على أساسى الحق واحقاقه قدر ما تكون ببراعة وليونه على أساس مصالحها هى وعلى حساب الحقوق العربية.. وهى فى ذلك منافسه للدور الامريكى المهيمن..

وفى المقابل فإن امريكا تشجع الاختلافات القوميه الاوروبية الأمر الذى يجعل الاوروبيين منقسمين على انفسهم ومن ثم يؤثر على قوة اوروبا الموحدة كمنافس أساسى للولايات المتحدة.. وذلك حتى يخلو الجو من اى عائق للهيمنة الامريكية فى المستقبل القريب على مقدرات المنطقة العربية.. ولعل ذلك هو مايفسر رفع امريكا لاصدار ميثاق دولى لحقوق الأقليه القومية فى العالم الاوروبى..

من الواضح أن السياسات والقيم والمبادئ التى يتنادى بها الآخرون مرنه وغير ثابته ولاتهدف إلا للمصلحه من وجهته النظر الغربيه وعلى حساب الامة الاعربية كلها.

* الدور الامريكى

رغم الاطروحات المثالية الامريكية لمشكلة الخليج قبل الحرب فإن سير العمليات العسكرية أشار بصوره مؤكده الى تجاوز امريكا تحرير الكويت الى تدمير العراق وتحطيم آليته وحتى بنيته الأساسية.. ومع ذلك فقد كانت امريكا فطنه للغايه الى أن الانتصارات العسكريه ليست بالضرورة هى مفتاح الانتصارات السياسيه.. ولعل تلك

الاساسيه الاستراتيجية هى ما فسرت وحتمت على امريكا وقف اطلاق النار وقبوله وسماحه للقوات العراقية المنسحبة والأخرى القادمة من بغداد فى التحرك والتعامل مع الثورة الشيعية فى الجنوب.. وثورة الأكراد فى الشمال .. المحزن فى الأمر حقا أن هذا الأمر يعكس فهماً امريكيا لخصوصية تلك المنطقه الحساسة من العالم العربى.. الأمر الذى عجز عن تقييمه الساسة والاعلاميون العرب انفسهم!!.. ومنهم من اسقطها من باب المصلحة والسياسة.

عند التحدث عن الأهداف الامريكية والتى يجب أن تنطبع فى الواقع كنتائج حرب يجب الاشارة الى أنها تمثل النظام المالى العالمى وهى قوة لاتساوم فى عناصر هيمنتها.. ولاتساوم ولاتفاضل فى مصادر نفوذها ومن ثم يجب رصد أهدافها.. وهذا النظام يعتمد فى الأساس على صناعة السلاح من جانب بكل ما تعنيه الكلمة من ضروره الطلب بغير انقطاع.. وايجاد المناخ الملائم لذلك من اثارة المنازعات.. ومن ناحية أخرى صناعة البترول بكل حلقاته بداء من انتاج الخام النفطى.. ثم تتعدد المراحل ولاتنقطع

ولابد أن تخدم نتيجة الحرب النهائيه كافه جوانب تلك الأسس.

وقد أشرنا الى الهيمنة الادارية الامريكية لعمليه الانتاج البترولى قبل وأثناء وبعد المعركه.. وفقد العرب ويفقدون يوميا ملايين الدولارات!! .. وتزعزت منظمة الاوبك وتم نزع سلاح النفط العربى[١].. عند اول اعلان لإطار عربى فى صورة اعلان دمشق كان الموقف الامريكى المشكك والرافض وعلى لسان وزير الخارجيه جيمس بيكر.. وسرعان ما فضلت دول الخليج البديل الغربى عن الاخ العربى[٢]..ثم كان الدفع الامريكى السياسى لدول المنطقه فى طريق حل المشكلة الفلسطينية..

---

(١) بل ولقد وصل الأمر إلى حد أن إتفقت السعودية مع أمريكا « أم أجبرت » على تخزين بترولها فى الولايات المتحدة ضمن الإحتياطى الإستراتيجى البترولى لأمريكا »
ولا داعى للإشارة إلى دور الكويت فى مثل ذلك الشأن .

(٢) بلغت القوات الأمريكى فى الخليج بعد أكثر من عام.. ٢٥,٠٠٠ جندى أمريكى حتى الآن.. وتم الإعلان عن مشاركتهم لقوات دول الخليج فى مناورات عسكرية لدعم قواتها .

وبعد الحرب مباشرة... وكأن العرب قد اصبحوا نتيجة لهذه الحرب فى موقف يسمح لهم بالتفاوض حول أراضيهم ومستقبلهم ومقدساتهم فى القدس الشريف؟! [١]..

وهكذا تمت طبخة مؤتمرات التسوية.. ورفعت امريكا مشاركتها الفعليه.. ولم يحدث فى أي مرحلة وحتى الآن ضغط من أي نوع على القرار الاسرائيلى وتصوره للمؤتمر.. بل على العكس تم تشكيل المؤتمر والهدف المرجوه منه تحت ضغط اسرائيلى واضح وفاضح.. وتم قبول كل الضغوط عربياً.. وهذا أمر طبيعى.. ومن ثم تم إسقاط دور منظمة التحرير كممثل دائم ووحيد للشعب الفلسطينى.. وقبل العرب.. ورفضت اسرائيل أن يكون المؤتمر عالميا.. واصرت أن يكون اقليميا.. وقبل العرب.. ورفضت اسرائيل أن تكون لأوروبا وحتى للمجتمع الدولى والأمم المتحدة أى دور فى المؤتمر.. وقبل العرب.

فما اسباب وما مرجع كل تلك التنازلات ياترى ؟!.

على الجانب الآخر.. ورغم رفع امريكا لشعار الأمن الدولى فى حربها ضد العراق والتى كانت على ابواب النادى الذرى فإن امريكا قد سارعت بعد الحرب واعلنت عن عقدها وموافقتها لصفقات سلاح عديده مع دول الخليج بعد الحرب وصلت لعشرات الميارات من الدولارات.. وليس لذلك ادنى علاقه من حرص على أمن المنطقه..

اوضح ريتشارد كلارك مساعد وزير الخارجيه الامريكية للشئون الامنيه الهدف من تسليح بعض البلدان العربية فقال: « إن من الخطأ ابلاغ الدول العربيه بوقف تصدير الاسلحة الدفاعيه لها ووقف المساعدات العسكرية لدول الخليج للدفاع عن نفسها.. وقال: ان رفض تزويد الدول العربية الصديقه للولايات المتحدة بالاسلحة سوف يؤدى الى فقد سوق مهمه للتصدير تقوم الدول الأخرى باستغلالها.. كما أن

(١) سئل لارى كنيج الأمير / بندربن سلطان سفير السعودية فى واشنطن فى برنامج سياسى مشهور:هل لدى السعودية ما يمنع من إقامه سلام مع اسرائيل ؟ فرد السفير السعودى قائلا: هل نسيتم أن الملك فهد قد تقدم بأول مشروع سلام عربى مع إسرائيل .. والذى سمى بمشروع فاس المغربية والذى تم تقديمه فيها.. » وسكت المذيع .. لأن الإجابة القصيرة ردت على ما سوف يسأله .

أخبار اليوم القاهرية ٢ / ٣ / ١٩٩١ م.

ذلك سيجعل من الصعب على امريكا تنفيذ اهدافها السياسية والاقليمية »[1].

هكذا وبكل وضوح وصراحه.. فحتى عمليه التسليح لدول المنطقة يجب أن تخدم الاهداف السياسيه الامريكية البحثه.. وبصوره أخرى تضمن استغلال تلك المنطقة الأمر الذى يحتم ضعفها الحقيقى.

لعل اوضح موقف يؤكد تلك الحقيقه هو موقف الولايات المتحده من شريكتها العربية فى حرب الخليج.. سوريا الشقيقه.. فسرعان ما فرضت الولايات المتحده حصاراً على تسليح سوريا حتى أن البحرية الامريكية تعقبت سفينتين كوريتين اشيع انهما تحملان ضواريخ سكود لكل من ايران وسوريا.

وسرعان ما تصارخت اسرائيل بأن دمشق لديها الآن اكبر رابع جيش فى العالم !!!وانها تمتلك ترسانه من الصواريخ هائلة ولديها رؤوس تقليديه واخرى كيماوية.. وحثت اسرائيل امريكا لزياده مساعدتها حتى تتمكن بسرعه من تطوير صاروخ « أرو » المضاد للصورايخ حتى تواجه هذا التهديد!!.بل لقد ابقت الولايات المتحده سوريا على قائمة الدول التى تدعم « الارهاب » أو تستضيف منظمات مهتمة بممارسته..

وكان ذلك كله مكافأه تستحقها سوريا لوقوفها فى خندق امريكا والغرب ضد جارتها العربية الشقيقه.. والابدية إن ما لايريد الساسة العرب أن يقتنعوا به من ثم فعليهم أن يواجهوه هو أن الحفاظ على التفوق النوعى والكمى لإسرائيل سيبقى دائماً فى قلب السياسة الامريكية- أيا كانت صيغه العلاقات بين واشنطن وتل ابليب والعرب.. فالامر له ايضا نظرته العقائديه البروتستانيه.. اليهوديه.

رغم تلك الحقائق فإن المحور الذى لا يغيب عن صناع القرار الامريكى والغربى والذى يجمع كل هذه الاهداف ويفسر كل تلك المواقف ويؤصلها هو المحور الاقتصادى. هنا.. تجدر الاشارة الى تدهور الأقتصاد الأمريكى لعده سنوات متتالية قبل حرب الخليج الأخيرة- بل ورغم المكاسب الأقتصادية الأمريكية العديدة فما زال

---

(١) الأهرام القاهرى ٢٩ / ٩ / ١٩٩١ م.

الأقتصاد الأمريكى مهدداً.. الأمر الذى قد يفسر الدافع الأساسى لدى أمريكا فى تنفيذ سيناريو الأحداث وإخراجها على هذا الشكل .

بل لم يتوقف الضغط الأقتصادى الأمريكى على العراق والذى صدر بشأنه قرار من مجلس الأمن يهدف إلى فرض ضريبة معينة كبيرة على مبيعات البترول العراقى وفى المستقبل وذلك كتعويض للآثار السلبية التى سببتها حرب الخليج!!.. بل المدهش أن ذلك الضغط توازى مع مثيلة أو أعنف منه وعلى الكويت والسعودية أيضاً !! .

بالنسبة للسعودية فقد واجهت مشكلة فى تدبير سيوله ما تصل قيمته إلى ٦٤ مليار دولار .. أى ٦٤ ألف مليون دولار هى قيمة التكاليف المحلية للسعودية فى تلك الحرب المشئومة والإلتزامات التى فرضت عليها.. هذا بالاضافة إلى ١٣,٥ مليار دولار كمساعده لأمريكا فى أعباء الحرب. ومن ثم فقد سارعت السعودية - بكل إباء - إلى إقناع أمريكا بالموافقة على قبول كميات من البترول السعودى لتغطية هذا المبلغ المهول.. وبالطبع رفضت أمريكا الأمر الذى أوقع السعودية فى أسوأ أزمة مالية تعرضت لها خلال ٣٠ عاماً .

إما بالنسبة للكويت - صاحبة القضية الأساسية .. والأضعف فمن المنطق أن تكون خسائرها أكبر من ذلك بكثير.. وكثير فقد قدرت خسائرها - المبدأية - بنحو ٥٠ ألف مليون دولار - فقط - لإعادة مشاريع البناء.. معظمها ذهب إلى أمريكا وبريطانيا .. وفرنسا .

تلك تكاليف معركه البناء.. أو الغناء الأقتصادى الغربى .

★★★

المتأمل والمحلل للسياسة الأمريكية منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية وإلى الآن يستطيع أن يستشف أن الولايات المتحدة الأمريكية - وروسيا قطبى العالم منذ ذلك التاريخ قد دخلا حرباً بارده أفرطا فيها فى إنتاج الأسلحة وبناء القوات العسكرية الهائلة لكل منهما.. الأمر الذى أدى بهما على أرض الواقع إلى أقتصاد

محطم غير سليم - رغم قوته - فى حين كسب الطرف المهزوم فى تلك الحرب - الألمان واليابانيون - نتيجة هذه الحرب حسابياً وعملياً.. وذلك عندما ركزاً أقتصاديهما على التجارة السلعية المتقدمة تقنياً والعادية .

لعل ذلك الخط الأساسى للسياسة الأمريكية هو ما حتم نظرة التوجه الأمريكية فى حل مشاكلها .. وهو أيضاً ما حتم صبغها بالوجهة العسكرية.. ومن ثم فقد غزت أمريكا بنما وخطفت رئيسها نوريجيا.. وقبلها كانت حرب ڤيتنام الضروس .. و لم تنقطع التدخلات الأمريكية فى أمريكا الجنوبية وأفريقيا وغيرها.. كما أنها واصلت برامج تسليح باهظة التكاليف. الأمر الذى يشيرو إلى خط الدولة وسياستها .

ما ساعد الولايات المتحدة على الإستمرار فى هذا النهج السياسى هو قوة أقتصادها النسبى بالنسبة للإتحاد السوڤيتى المقابل الأمر الذى كان ينطبع بشكل من اشكال التقدم النسبى.. وعند شواهد الإنهيار الإتحاد السوڤيتى منذ أعوام كان ذلك أدعى للتمسك بذلك الخط رغم تكلفته ورغم معاناه الأقتصاد الأمريكى وعند التأكد من شواهد الإنهيار السوڤيتى كان التخطيط الأمريكى - الهندسى الدقيق - لأزمة الخليج الأخيرة والذى كان يخدم أهداف عده وكثيرة.

ما جعل الإتجاه العسكرى حتمياً هو أن العراق كان يخطو نحو النادى الذرى بثقة وسرعة الأمر الذى رأى فيه المخططون السياسيون العسكريون مخرجاً لكل أزماتهم. وفى وقت مناسب يتوازى مع نهاية الحرب الباردة ويفقد الطرف العراقى أى مساعده من أيه قوة العالمية مؤثرة .. خاصة أن المؤسسة العسكرية الأمريكية كانت قد تعرضت لإنخفاض كبير فى ميزانيتها والتى هددت خططها العسكرية المستقبلية.. وحتى هيمنتها السياسية .

.. وهكذا .. كانت نظرة الولايات المتحدة حتمية بالنسبة لمشكلة الخليج.. وتمثل ركناً أساسياً لثبات الإستراتيچيه الأساسية لدوله عظمى مثل أمريكا.

أما من الناحية الأقتصادية فقد تولى چورچ بوش الرئاسة فى وقت تزايدت فيه كل تلك التبعات الأمر الذى أثر على التوازن الأقتصادى لأمريكا وظهرت المعاناه الأمريكية على الأحداث.

كل تلك الظروف كلها لادخل للعرب والمسلمين بها - وكل ما يستطيعونه هو مواجهته متآزرين .. متحدى النظرة والهدف. خاصة أن النظام الأمريكى يرى ذاته ومكسبه فى زعزعة الإستقرار وفرض القمع ويتضح ذلك كله من تاريخ الحروب السريه خاصة فى العالم الثالث .

أما من ساعد على تحقيق هذه الأهداف الأمريكية كلها فيجب أن نوجه إليه التحذير من أن هذا النظام بدوره لا يرعى للحق موقفاً ولا يعلم للشرف معنى - وهو على إستعداد للإطاحه بأصدقائه وحلفائه وعملائه متى وجد ذلك فى مصلحته ولخيره هو .

أكبر مثال على تلك الحقائق هو تخلى أمريكا عن شاره إيران...

أو ليست تلك الحقيقة هى بداية الزلزال الحقيقى فى المنطقة.. والذى لم ينته حتى يومنا هذا ؟!

فهل من معتبر؟!

* .. الإتحاد السوفيتى .. الشكل الآخر

كان الإتحاد السوفيتى فى مشكلة الخليج وإدوارها ومراحلها السياسية والحربية فى شكل يختلف تماماً عن الإتحاد السوفيتى الذى عرفناه فى الخمسينات والستينات - أو حتى الثمانينات - كانت أحداث الخليج تتلاحق وبسرعة والإتحاد السوفيتى نفسه فى حالة تغير جذريه شملت حتى شكل الدولة وسياستها ونظامها السياسى والأقتصادى.. كما كانت عقيدتها الماركسيه - اللينية تلقط آخر إنفاسها .. حتمت كل تلك التغيرات بالضرورة تغييراً فى نمط محالفات الإتحاد السوفيتى وعلاقاته الدولية.. وأهم ما يغينا فى مقامنا أن نشير إليه هو علاقة هذا التغير الجذرى والسريع الحاسم فى شكل الدوله السياسية وتركيبتها بموقفها من أزمة الخليج- ومستقبل المنطقة ضرورة.

كانت أوضح بصمات التحول الجذرى فى صورة الإتحاد السوفيتى هى :[1] إنهيار الأساس الأيديولوچى للدولة .. ولم يكن هناك بديل مطروح سوى رفع شعار القيم الإنسانية.. والإعتماد المتبادل.. إلخ.. وفى ظل حالة الإنهيار كان من السهولة التدرج إلى المستوى السياسى الوسطى فى معالجة المشكلات والإعتماد المتبادل .. إلخ .. والنظرة السياسية إليها.. الأمر الذى لا يعنى عملياً سوى فقد الدول للمؤازرة السوفيتية .

(٢) أدت الأحداث المتتالية إلى تآكل السلطة الإتحادية المركزية.. وتعاظم الدور الروسى فى المقابل الأمر الذى حمل طياته وللأسف الشديد ظواهر عده لم تكن فى صالح القضية العربية والمنطقة أساساً .. فنظرة بورس يلتسين الرئيس الروسى كانت متحفظة وللغايه تجاه القضية العربية بصورة عامة وحتى النفور.. بل لقد أظهر الرجل ميول صهيونية واضحة.. ولعل أوضح إشارة كله أن جميع قرارات مجلس الأمن قد صدرت بالإجماع!! رغم تعدد هذه القرارات.. وحتى تطرفها!! .[2]

لعل تلك التغيرات الجذرية فى المواقف السياسية الروسية اقتصادية المنبع من الأساس. ولم تكن سوى رد فعل روسى تجاه تدهور الميزان الأقتصادى السوفيتى حتى الإنهيار الشامل بكل ما تعنيه الكلمه.. ومن ثم فقد توازى ذلك كله مع تقلص معونات الإتحاد السوفيتى للخارج.. وتقوقع الإهتمام السوفيتى للداخل .. ورفع قاعدة المصلحة الأقتصادية وحدها وكأساس بصرف النظر عن مصدرها السياسى أو

---

(١) وهو ما يعنى منظور توازن المصالح وليس توازن القوى.. وعن ذلك قال السفير السوفيتى فى القاهرة .. « .. ومن ثم فإن المشكلات الدولية يتبقى حلها بالطرق السلمية وحدها .. بما يعنى خطر = = إستعمال القوة العسكرية لتحقيق أهداف سياسية ذاتية تحت أى « ظرف » فالإتحاد السوفيتى ينطلق من الإعتراف بعدم قبول العرب بصفة عامة!! » .. من حديث السفير السوفيتى لدى مصر .. المصور القاهرى .. فى ١٥ / ٣ / ١٩٩١ م .ص ٤٨ .

(٢) تجاهل الإعلام الروسى زيارة الرئيس مبارك موسكو ١٩٩١م .. بل قرنها بعرض أفلام تليفزيونية عن أضطهاد اليهود فى العالم .. ولقطات عن إسرائيل تظهر وجهها الحضارى » .. أحمد الحصرى .. تحت عنوان الإعلام الروسى يتعمد تكثيف الدعاية الصهيونية » جريدة الأهالى ٢ / ١ / ١٩٩١ م .

الأيديولوچى.. ومن ثم فقد كان سهلاً على الغرب إحتواء الإتحاد السوڤيتى المنهار .. ومن ثم توجيهه .. ثم فرض الأمر بالنسبة إليه.

أهم ما مايغينا فى مقامنا هو دراسة أثر كل تلك التطورات على الصراع الخليجى الأخير- ومستقبل المنطقة من ثم على المدى المنظور - مع الإيمان أن مواجهة الواقع وحقائقة من أهم أسباب النجاح.

يرى معظم المحللين - ونتفق معهم . على أن تطورات الإتحاد السوڤيتى وإنهياره قد أدى إلى خلل واضح فى توازن القوى بين العرب وإسرائيل وإيران هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى .. فإن الإتحاد السوڤيتى الجديد - وهذا ما يخشى الإعلام مواجهته - يمثل تغيير بنيوى جذرى فهو يتجه أساساً إلى التحالف الأمريكى الغربى - الإسرائيلى - الأمر الذى تمثل فى ظواهر عديدة ومواقف كثيرة لعل من أهمها عروض التسليح الهائلة التى عرضها الإتحاد السوڤيتى على إسرائيل ومنها على سبيل المثال بيع نظام ف - ٣٠٠ المضاد للصواريخ .: وطائرات الميج ٣١ المتقدمة - والسماح لهجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة.. وحتى السماح لعلماء الذره بالتوجه والهجرة لإسرائيل - وغير ذلك .

المدهش فى الأمر حقاً أن يتوازى ذلك كله مع توقف إمدادات السلاح السوڤيتى للعرب - إستجابة للمطالب الأمريكية من جانب.. وللإتجاه العربى القادر والغنى إلى السلاح الأمريكى أساساً .

من يتنأدى بأن هذه الإمدادات لم ترجح على مدى الصراع العربى الإسرائيلى وتاريخه كفه التوازن العسكرى ناحية العرب فإنه كمن يقسم على تلك النتيجة ويقر بالهزيمة مسبقاً .. وكأنها من ثم حكم أمريكى قطعى ..

كان لهذه السياسة بصمتها والتى أدت إلى خلل واضح ملموس فى الميزان السياسى والتوازن الدولى فى المنطقة .. فقد أدى إلى تقلص فى مقدره العرب على الحركه والمناورة .. وحتى التطلعات المستقبليه.. وكان نتيجة ذلك كله واضحه جلية فى مؤتمر السلام « الأقليمى » لحل المشكلة الفلسطينية .:

وهكذا – فإن أدنى تحليل للإنهيار السوڤيتى يؤكد أنه لم يكن فى صالح العرب.. بل لقد خسر العرب صديقاً ومؤيداً –وكسب فى الوقت نفسه عدواً يرى مصلحته فى جانب اعداء العالم العربى التقليديين .

الإتحاد السوڤيتى الذى رفع من قبل أزمته وإنهياره قراره السياسى بإستعداده لعودة علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل مشروطة بإنعقاد مؤتمر « دولى » للسلام فى الشرق الأوسط أعاد بالفعل علاقاته الدبلوماسية كاملة معها قبيل إنعقاد مؤتمر مدريد – المحلى – ذلك بعد أن أتضح أن أعادة تلك العلاقات وفتح قنوات الإتصال تمثل بالنسبة لروسيا أحد مفاتيح الدخول إلى البوابة الأمريكية.

كانت تلك الخطوة متوازية مع قطع الولايات المتحدة لحوارها السياسى مع منظمة التحرير الفلسطينى حتى بعد أعترافها وإعلانها بحق إسرائيل فى الوجود!! .

كل هذا الإنهيار كان للعرب دور فيه.. فبينما ذهب العرب طواعيه إلى البنوك الأمريكية والغربية وأودعوا فيها مئات المليارات لم يزد حجم التبادل التجارى العربى - السوڤيتى عن حوالى ١ ٪ من إجمالى التجارة الخاريجية للدول العربية!!.. تلك هى النسبة الإجمالية .. وهى تزيد قليلاً فى حالات الدول العربية التى طورت علاقاتها السياسية والأقتصادية مع الإتحاد السوڤيتى مثل سوريا ومصر والعراق وليبيا والجزائر .

إن المدخل السليم المفترض للإتحاد السوڤيتى الجديد هو مدخل المصالح المشتركة[١].. فلم تعد هناك أيه أساسيات أيديولوچية أو سياسية بعد أن سقطت

---

(١) أدت التغيرات الأساسية الأخيرة إلى بلورة مشروعات متعددة بين إسرائيل والمؤسسات الإتحادية الروسية مثل الإتفاق الموقع بين إتحاد الغرف التجارية الإسرائيلية وغرفة التجارة والصناعة السوڤيتية لدراسة مجالات التعاون المشترك.. والإتجاه للدخول فى مشروع إسرائيلى – سوڤيتى مشترك لإنتاج طائره ركاب جديدة .. كما زار رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى موسكو لدراسة أوجه التعاون العسكرى المحتمل.. وأقترح عليه خبراء الإتحاد السوڤيت بيع الطائرات الميج ٢٦ إلى إسرائيل. ومن ناحية أخرى قام الخبراء والإسرائيليون بتشغيل مشروع زراعى صناعى فى جمهورية أوزبكستان يعتمد على الرى بالكومبيوتر .. إلى آخره.

الإيديولوچية اللينية - الماركسيه - وبعد أن إنكسر الإتحاد السوڤيتى ولأسف فإن ذلك الواقع ينبعث فى وقت أهتزت فيه وبشده حتى الأقتصاديات العربية الخليجية الفنية بعد حرب الخليج الأخيرة - وبعد أن تقدمت الولايات المتحدة فى مضمار تكنولوچيا الأسلحة نتيجة إنفرادها فى هذا المجال ..

على تلك الأرضية الواقعية نستطيع أن ننظر إلى دور الإتحاد السوڤيتى وقبل إشتعال القتال على أنه كان يرمى وفقط إلى نوع من أنواع الضغط على واشطن والمعسكر الغربى بغرض فتح قنوات الإتصال الدبلوماسى مع القيادة العراقية بأمل حل المشكلة سليماً .. الأمر الذى يفسر كثرة زيارات المسئولين السوڤيت لبغداد.. هذا رغم أن موسكو لم ترفض أو تعترض على أى من قرارات مجلس الأمن ضد العراق .. بل سرعان ما تراجعت موسكو عن فكرة الربط بين حل الأزمة الخليجية والقضية الفلسطينية.. ومن ثم كان إلتزام موسكو بالرؤية التى أستندت إلى أن هذا الربط قد يعنى نوعاً من مكافأة المعتدى بشكل ما.. وهكذا لم تخرج موسكو فى حقيقة الأمر عن وجهة النظر الأمريكية الغربية .. الإسرائيلى.

لعل كل تلك التداعيات هى ما دعت وزير الخارجية الأمريكى أن يعلن صراحه دون مواربه عن ضرورة قيام بنيه أساسية فى الشرق الأوسط تشارك فيها إسرائيل!!.

كل تلك الإشارات تميل وبشكل قوى إلى أن موسكو فى مرحلة تطورها الراهنة لن تكون قادرة ولا حتى مستعدة للإحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدول القيادية أو الراديكالية.. وفى المقابل قد تزداد فرص نحسن علاقتها مع دول الخليج الثرى.. خاصة بعد ما تعهد وزير الخارجية سعود الفيصل فى أعقاب عودة العلاقات الدبلوماسية بين موسكو والرياض على دعم الأقتصاد السوڤيتى .

إن كل تداعيات وتطورات أزمة الخليجة ونتائجها بالنسبة لجميع الأطراف تشير إلى نجاح الأهداف الأمريكية الإستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية.. مع توافق غريب لجميع الأطراف وفى جميع أطوار الأزمة.. فالولايات المتحدة تتمنى إستقرار المنطقة وأمنها فى ظل رؤيتها الأمريكية الأمر الذى يستلزم أنهاء حقبة الصراع

الأقليمى بين جميع الأقطار العقائدى بين العرب وإسرائيل.. وهكذا رمت أمريكا إلى ضعف الأقتصاد لمعظم تلك الدول خاصة مصر بعد حروبها المتتالية مع إسرائيل.. كما رمت فى المقابل إلى أقناع الأثرياء من أهل الخليج إلى أن التوازن الأقتصادى العربى - الأمريكى هو السبيل الأمثل والوحيد للإستفادة من الثروة البترولية.. كما عملت أمريكا إلى إقناع الجميع أن توازن المصالح العربية - الإسرائيلية هو أقص آمال العرب وغاية المنال.. وإزدادت الأمور ضيقاً وحساسية بسقوط الإتحاد السوفيتى الأخير.

مع ذلك كله فإن تلك النظرة هشة وضعيفة ولن يكتب لها النجاح إذا ما حللنا خاصية تلك المنطقة حيث تتنازعها الإتجاهات الأيديولوچية من سنة إلى شيعة.. إلى يهوديه متطلعة.. وكبح جماح ذلك كله ليس منطقياً خاصة إذا كان على حساب الأغلبية المسلمة السنيه.. ولعل ذلك ما يفسر بشكل أو بآخر الصحوة الإسلامية الكبرى فى الجزائر.. وغرب أفريقيا.. والسودان .. ولعل التاريخ يشير إلى نظرة الغرب لكل تلك المظاهر والتى حدث به إلى التضحية حتى باهم عملائه وأتباعه إذا مارأت مصلحتها فى ذلك . ولتتذكر على الدوام تخلى أمريكا عن شاه إيران.. وعميلها توريبجاً.. وحتى عن چوربا تشوف نفسه

تلك هى السياسة الامريكية..

محورها الاساسى اقتصادى بحت [1] .

مع ذلك كله فلم يكن فى المنطقة العربية كلها من انقى واذكى واكثر استعداداً واشمل انفتاحا من العراق على تنفيذ سياسة اقتصادية مستقلة للمنطقة تابعة من

---

(١) صرح المسئولون البريطانيون أن قمة لندن والتى عقدت فى يوليو ١٩٩١م التزمت بدعم جورباتشوف إلا أنها تخشى من أن تؤمن الأموال الهائلة التى طلبها جوربا تشوف إلى إعاقة عملية الإصلاح!! أو خلق مشكلة مديونية كبرى للإتحاد السوفيتى.. وهكذا أنهار الإتحاد السوفيتى ..أما بالنسبة لمنطقة العربية فإن تلك القمة وافقت على منع أى دوله من بناء قوة عسكرية مؤثرة مع خلل فى التوازن العسكرى فى المنطقة بين العرب - وإسرائيل من ناحية .. والعرب وإيران من ناحية أخرى.

الذات العربية الاسلامية.. فكان بامكان اى عربى ان يصل اليها فى اى وقت - وكان لاى عربى الحق فى العمل فى اى مكان.

وكان موقف اعلام العرب واغنياء الخليج من العراق معروف.. فاى غبن بعد هذا ؟!

*** الإستراتيجية العراقية فى الميزان**

من اللازم وبعد مراجعة الإستراتيچيات وسياسيات الأطراف المختلفة أن نزن بميزان العدل لا غيره إستراتيچية العراق ومواقفها فى أخطر أزمات المنطقة والأمة العربية كلها.

يقصد بالإستراتيچية علمياً.. وعموماً تخطيط إستخدام مجمل موارد الأمة الأقتصادية والإجتماعية والعسكرية والسياسية الدخلية وما يتاح لها من موارد القوة المستمدة عبر العلاقات مع العالم الخارجى.. وذلك بهدف تحقيق الأهداف الأقتصادية والسياسية والإجتماعية والعسكرية للدولة داخلياً وخارجياً .

يتحتم من أجل الدقة فى التحليل دراسة خصوصيات منطقة الخليج حيث تتضارب وتتصارع فيها القيادات العقائدية والأيديولوچية بشكل خاص ومميز - خاصة مع تنامى وفورة الشيعة فى الشرق .. وقوة وهيمنة إسرائيل فى الغرب بالنسبة للعراق الشقيق..

بإنتهاء حرب الخليج الأولى وإنتصار العراق وقوته التى طنطن لها أقطاب الصحافه وأعلامها فى دول الخليج.. ومصر كان العراق فى وضع أقتصادى دقيق.

كانت المشكلة العراقية الأقتصادية أهم مشاكل ما بعد الحرب فالعراق كان منهكاً بعد حرب شارفت على التسعة أعوام.. وبعد خسائر لم يكن يطمع إلا إلى واجب الزامى تجاه دول الخليج العربية الثرية والشقيقة.. تلك التى حارب العراق معركتها ومعركته. أما بالنسبة للديون الخارجية فهى ليست مشكلة عويصة.. ومن ثم فلم يكن العراق يطمع أو يتمنى أكثر من حقه.. وذلك أمر أساسى حتى يتمكن العراق

من توازن أقتصاده المنهك وتنمية قواته كدرع رادع لأية إطماع إيرانية فى المسقبل.. وكرصيد فى القوة العربية لا يمكن الإستغناء عنها لمواجهة التمدد الإسرائيلى السرطانى[1] .

غير أن شواهد ما بعد الحرب الأولى تستحق بعض التحليل ..

فبعد الحرب الأولى مباشرة نشطت أجهزة المخابرات الغربية والأمريكية فى محاربة أية إمدادات حربية أو تكنولوچية إلى العراق.. الأمر الذى يستحق التحليل وليس الأغفال..

وهكذا أحس العراق بالبطل أنه المستهدف بعد حربة وتضحيته وإنتصاره.

وكان الموقف غريباً ويدعو إلى الدهشة.. فمن حارب حربهم من الأخوة كانو ا فى حقيقة الأمر الطريق إلى تقليص قوته وتحجيم تطلعاته .

لم يكن أمام العراق سوى طريقين لمواجهة تحدياته.. الطريق السياسى .. أو الطريق العملى .

الخيار السياسى كان يتمثل فى القبول بما تقره دول الغرب على محاصرة العراق وضربه أقتصادياً.. ولم يكن العراق أول من نجحت معه هذه السياسة الراقية والقاتلة.. بل كانت الأمثلة أمامة واضحه والتى نجح فى إستخلاص الدروس المستفادة منها مثل: جنوب أفريقيا .. ومصر بعد حرب ١٩٧٣.. وأيضاً الإتحاد السوڤيتى الذى إنهار نتيجة تلك السياسة دون إطلاق رصاصة واحدة .

كان الخيار الآخر المطروح أمام القيادة السياسية يتخلص فى التفاعل الإيجابى مع أهداف الأطراف الأخرى العالمية والعربية الخليجية والتى ترى سلامتها فى ضعف جيرانها. غير أن المخطورات أمام أى تفاعل إيجابى يمس منطقة الخليج أساساً كانت عديدة وحاسمة خاصة مع خصوصيات المنطقة. هذا كما أن الوضع على الجبهة الشرقية الإيرانية كان فى وضع وقف لإطلاق النار.. ولم يكن قد تم التوصل إلى حل

---

(١) أمكن تحييد الدور المصرى القيادى فى المنطقة بعد حرب ١٩٧٣م بدبون أقل من ذلك .. وبكثير .

سلمى.. ثم أن هناك إسرائيل المتحفزة على الغرب والتى أعتدت من قبل على العراق وحطمت مفاعله النووى فى أوائل حرب الخليج الأولى.

كان خطأ القيادة العراقية - فى ظنى - أنها كانت تفكر بعقلانية وحساب منطقى وهى أول من يعى أهمية المنطقة وحساسيتها لأمريكا خاصة .. والغرب عامة.. ومن ثم فإن أى ضغط عراقى لا بد وأن يتأثر رد فعله بتلك الخصوصيات.. وهو الأمر الذى أسقطته أمريكا لمكاسب كثيرة وأعتبارات عديدة على حساب عملائها الخليجيين أنفسهم..

فمن نادى بأن مصلحة أمريكا فى مصلحة الخليج وقوته وامنه وسلامته ؟!..

وعلى كل فإن الخطأ العراقى فادح بحساب التاريخ .. مع حتميته بحساب الواقع.

كانت غاية آمال العراق أن ينسحب من الكويت مقابل اسقاط سلاح الديون الخليجية والتى تحدد وتهدد تحركه السياسى والأقتصادى .. غير أن تدخل أمريكا أسقط ذلك الأمل.. وكانت الحرب أمراً مقرراً منذ البداية بتطور الأحداث.. وعندما أحس العراق بأنه المستهدف ذاتياً عرض الإنسحب بشرط أمان قواته وفقط.. ورفض حتى هذا الطلب حتى مع تأييد السوڤيت له !! .

لم يكن أمام العراق حينئذ إلا المواجهة العسكرية.. ومع جيوش أقوى ثلاثين دولة فى العالم كله - وبمفرده - وبعد حصاره أقتصادياً وسياسياً وإستراتيجياً لمدة أكثر من عام .

بعد نهاية الحرب بأكثر من عامين نجد أن العراق مازال متماسكاً فتياً يعون الله .. يحارب المتمردين شمالاً وجنوباً .. ويلعق جراحه بصبرو تؤده يحُسد عليها - ولم يلق رايته .. ولن يلقبها..

فى حين نجد روسيا أقوى دوله عسكرية عالمية قد إنهارث وإنقسمت وقامت الحروب بين شعوبها عندما أختارت الخضوع السلمى للحرب الأقتصادية .

تلك المقارنة تشير ايضاً - رغم خساره العراق ونكبته - إلى أنه قد خسر بشرف

وإنتكب برجوله .. ولم يفقد ذاته وكرامته العربية ولبس أدل على ذلك من أن الأطراف الخليجية مازالت تحاصره وتعاديه وكأنها تجدذاتها فى خرابه .. وللأسف تلك حقيقة الإستراتيچية البترولية الخليجية.. ترى ذاتها فى ضعف جيرانها.

لقد إنهزم العراق عسكرياً.. هذا حق. لكن الطرف الخليجى العربى وحسب التحليل العلمى والواقعى الملموس قد إنهزم أقتصادياً.. ولم يربح عسكرياً بل كسب طرفاً عربياً مناهضاً لن يجد من أزمته إلا حقوقه الضائعة عند أطراف الخليج العربى.. ولن ينام عنها أو يغفل - ولو بعد زمن .

ليس هذا فحسب بل لقد ضاعت ثروة الخليج أو كادت أو ستضيع حيث زادت الإطماع الغربية فى سرقته ونهبه. وضاعت الإساسيات .

إذا ما تخيل زعماء الخليج أن كسر العراق - وهو أحد أكثر دول العالم الثالث إستقلاليه من الناحية السياسية أمراً لازماً لإستراتيچيتهم وأمنهم البترولى فقد كان من الواجب عليهم أن يتذكروا دور العراق فى أمن ذلك الخليج الثرى وهو المشرف وبوابه العالم العربى الشرقية.

★★★

من مبدأ الإلتزام بمنهج الدراسة - ومع يقينى بأن بعض القراء الأفاضل لهم رأيهم الآخر - فإن الإستناد إلى كتاب الله فيه القول الفصل .. والحكم الحق .

قال تعالى : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون }

وقال : { وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا }

واضح من سناريو الأحداث عند الأزمة .. وفى خضم الحروب وعند اقتسام غنائمها أن تسليم فئة من المسلمين للتحالف الأمريكى العربى كان تاماً وشاملاً.. حتى أن تغير السياسيات والمواقف لم يتغير عند أصحاب القوة المهيمنة الغربية وبهدف إستغلال موارد المنطقة والمكاسب بكل شكل وعلى حساب ثروات المنطقة والمسلمين وإلى أقص حد .. مع إسقاط تام وكامل لحقوق المسلمين والشعب المسلم العربى ومستقبله.

قال تعالى : { إن تطيعوا الذين اكفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين }

يقول الإمام الأكبر / محمود شلتوت فى تفسيره لتلك الآيه :

« وقد حفظ التاريخ فى هذه الناحية صوراً كريهة إحترب فيها المسلمون بعضهم مع بعض فى الشعب الواحد فكان منهم قاتلون ومقتولون تحت راية الغاصب المحتل..وأى شئ أفظع من أن يقتل الأخ أأخاه بتغرير عدوهما »؟! [(١)].

وتتولى الآيات الكرمية حتى يصعب جمعها وحدها خادمة نفس المعنى – مؤكده نفس القانون الألهى .

قال تعالى : { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار }

ولتحديد المقصود بالظالمين يقول عز من قائل : { والكافرون هم الظالمون } .

فمن هم الكافرون برسالة محمد .. العراق .. أم أمريكا وإنجلترا وفرنسا وغيرهم ؟! من والاهم .

ثم يزداد الامر وضوحاً ممن يتولى هولاء.. فهم ايضا ظالمون لأنفسهم ظالمون لغيرهم.

قال تعالى { ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون }

{ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون }

{ وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين }

ثم كان تحذير المولى واضحا جليا قاطعا ولا لبس فيه.. ولا يصح معه حتى التأويل

قال تعالى : { يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آبائكم واخوانكم اولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون }

---

(١) تفسير القرآن الكريم للإمام الأكبر / محمود شلتوت – الطبعة الثالثة .. دار القلم ص ١٥٣ : ١٥٤ وكأنه رحمه الله يشير إلى أحداث الخليج تحديداً وتفصيلاً !!

إذا كانت الحقائق على تلك الدرجة من الوضوح فإذا ما رفع اهل الكلام تأويلاتهم فإن الكارثة واقعة لا محالة على الجميع.. ما دمنا قد ابتعدنا عن المنهج.. وخالفنا الأوامر .. وتقبلنا النواهى .

قال تعالى : { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } .

تلك احكام المولى منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

وتلك مواقفنا من حرب الخليج.

إن المتأمل لتداعيات حرب الخليج ليصاب بالرعب والفزع من نتائجها على جميع الفرقاء العرب وذلك عندما فرط المسلمون فى مستقبلهم وثرواتهم. وتركوا الأمر ليقرره غيرهم من أهل الكتاب .

فماذا كسبوا؟! .

الفصل الحادى عشر

أزمــة الاكـراد .. تركيا والحزام الأمـن

الفصل الحادى عشر

أزمة الأكراد .. تركيا والحزام الأمنى

بداية فإن الهوية الكردية تستحق كل التقدير والود.. فلها تاريخها الذى لا ينكر.. وإسلامها كان محل أفتخار دون شك.. ومحور المنطقة الكردية « كردستان» تبدأ أزمتها منذ بداية القرن السادس عشر وذلك عندما دحر السلطان العثمانى الشاه إسماعيل الصفوى الفارسى فى معركة جالديران عام ١٥١٤م.. ومن ثم أقتسمت الدولتان العثمانية والفارسية كردستان.. حيث أقتطعت الدولة العثمانية ثلاثة أرباع المنطقة وأحتفظت الدولة الفارسية بالربع الباقى.. ومن ثم كان تاريخ المعاناة الكردية نابعاً من تنافس الدولية التركية.. والإيرانية..

وعند سقوط تركيا بعد الحرب العالمية الأولى تقسمت بلاد الكود بين الدول المتجاورة تركيا- إيران- روسيا - العراق - وسوريا. وكانت معظم الأراض الكردية فى تركيا وإيران. أما فى العراق فهى أقل دون شك.. غير أن أهمية الثقل الكردى فى العراق تنبع وتزداد لطبيعة العراق المذهبية الإيديولوچية- حيث تمثل المنطقة الكردية بالنسبة لأهل السنة الحاكمه رصيداً إستراتيچياً هاماً فى موازنة الأغلبية الشيعية.

إزداد الأمر تعقيداً وصعوبة عند ما نمت القومية الكردية ورفعت أساس أيديولوچيتها على تكوين الوطن القومى الكردى المستقل.. الأمر الذى مثل عوائق وصعوبات عديدة وحجة أمام أهل السنة الحاكمة فى العراق فقد كانوا يأملون حقاً فى كسب ذلك الحصان إلى صفهم.. وبأى ثمن[١].

---

(١) فى إتفاقية بين الحكومة المركزية ببغداد وبين أكراد الشمال - تمت فى عهد الرئيس السابق أحمد حسن البكر فى ١٩٧٠/٣/١١ جاء فيها بالنص:

* - الإعتراف بالوجود الشرعى للقومية الكردية على أن ينص عليها فى نصوص الدستور المؤقت.. والدستور الدائم.=
* - إنشاء جامعة فى السليمانية التى أنشئت محافظة بأسمها وإنشاء مجمع علمى واقرار الحقوق الثقافية واللغوية الكردية .

تلك إذا واحدة من خصوصية العراق - أو متاعبه الخاصة - وهى ليست ناشئة عن أغلبية كردية قدر ما يمكن إرجاعها إلى تركيبه نادرة وفريدة للمجتمع العراقى ذاته..

بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الأمبراطورية العثمانية تقسمت المنطقة تحت الإحتلال الغربى مناصفة بين إنجلترا وفرنسا.

بعد الحرب العالمية الثانية تنامت النزعات القومية ونمت روح التحرير فتم تقسيم ورسم حدود بين أبناء المنطقة.. فبرزت دول.. وأختفت أخرى.. كانت منطقة كردستان من ذلك النوع الأخير.

حتم ذلك التغير فى التركيبة السياسية للمنطقة الإسلامية الواحدة نمو الروح القومية ومن ثم ظهرت مشكلة الأقليمات والقوميات في المنطقة العربية.. ومن ثم ظهرت على السطح المشكلة الكردية.. ولثقلها النسبى فقد هددت الإستقرار فى تركيا وإيران.. ومن ثم تم تناول هذه الحركه بمنتهى العنف والقسوة فى تركيا وإيران.

= * - تمكين الأدباء والشعراء والكتاب الأكراد وتأسيس إتحاد لهم وطبع مؤلفاتهم وإنشاء إدارة عامة للثقافة الكردية.. وأصدار صحيفة أسبوعية.. ومجلة شهرية باللغه الكردية.

* -أعتبار عيد النيروز عيداً وطنياً فى العراق ومشاركه من الشعب فى الإحتفال بأعياد أبناء الأكراد.

* - أصدر مجلس الثورة قانون المحافظات والذى ينطوى على لا مركزية الإدارة المحلية .

* - كما أصدر عفواً شاملاً عن جميع المدنيين والعسكريين الذين أشتركوا فى أعمال العنف.

* - أعتبار اللغه الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية فى المناطق التى يسكنها الأكراد.

* - يكون المواطنون فى الواحدات الإدارية التى تسكنها أسر من الأكراد أو ممن يحسنون اللغة الكردية ويتم تعيين المسئولين كالمحافظة والقائمقام ومديرى الشرطه والأمن منهم.

* - الإسراع بتطبيق قانون الإصلاح الزراعى فى المنطقة الكردية.

* - تم تعديل الدستور المؤقت بحيث ينص على أن يكون الشعب العراقى من قومتين.

* - يساهم الشعب الكردى فى السلطة التشريعية بنسبة سكانه.

« المدهش فى الأمر كله أن دمشق إتهمت بغداد أثر توقيع إتفاق بغداد آذار ١٩٧٠م بخيانة المصالح العربية».. الأمر الذى يعكس مدى التباين فى هيمنة التيارات القومية على ساحة الفكر والسياسة..

على النقيض من ذلك كان الموقف فى العراق والذى وجدت السلطة السنية أن من مصلحتها إستماله الأكراد المسلمين فى الشمال إلى صفهم.. ومن ثم فقد نالت المنطقة الشمالية الحكم الذاتى.. وتمتعت بالغنى والرفاهية وهذا من حقها لتوفر البترول والأراضى الزراعية الفنية والوفيرة بشمال العراق.. كما تعتبر كثير من مناطق الشمال العراق من الأماكن والمراكز التجارية الهامة.

كان من الطبيعى أن تتناول دول الحوار ورقة الأكراد السياسية فى النزاعات الحدودية والسياسية والأيديولوچية فيما بينها.. وعلى الطرف الآخر لم يكن أمام الحركة القومية إلا الأستفادة من هذا الموقف الفريد.. ومن ثم فقد لعبت الورقة الكردية دورها فى نزاع الجيران.. كما لعبت بها جميع الأطراف.

كانت نتيجة حرب الخليج الأخيرة.. وضرب القوات العراقية القوية.. وأختلاف التوازن الأقليمى والإستراتيچى بين دول المنطقة بداية لحوادث ومواقف تأتى كنتيجة منطقية إلى حد ما نتيجة لهذه التناقضات العرقية والأيديولوچية العراقية الخاصة..

وهكذا وبإنتهاء حرب الخليج وإعلان وقف إطلاق النار كانت بداية ثورة القوميات والأيديولوچيات. فجأة وعلى نطاق واسع إنتشرت الإضطرابات فى جنوب العراق حتى شملت ما لا يقل عن ٢٠ مدينة عراقية ومحافظة على أقل تقدير.. وفى البداية سيطرت قوات المعارضة الشيعية على خمسة مدن وهى البصرة والنجف والعماره والسليمانيه وخانقين.

بل وسرعان ما أعلن الشيخ « ميثم الصغير » عضو المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الشيعية العراقى من ظهران أن « ثلثى العراق قد أصبحت فى يد الإنتفاضة العراقية »!!

أما فى الشمال فقد ثارت قوات الأكراد المعارضة وأعلن الثوار الأكراد أنهم قد أستولوا على نحو ٩٥٪ من المناطق ذات الأغلبية الكردية.. كما أستولوا على نقط العبور مع الحدود التركية.

وأشار الزعيم الكردى جلال الطلبانى إلى أن الأكراد قد سيطروا على محافظة السليمانية بأكملها.. وأوشكوا على إسقاط مدينة كركوك.. كما تمكنوا من طرد

القوات الحكومية العراقية القليلة من عدة مدن شمالية فى العراق - كما سيطروا على بلده حلابجة.

وعلى الفور وبحيوية بالغة يتميز بها العراقيون تم تجميع قوات الجيش المنسحبة وبدأت فى حرب أخرى هى ودون أدنى شك لا تقل فى أهميتها وخطورتها عن الحرب الأولى.. وتأتى أهميتها البالغة من أن القتال بالنسبة للقوات الحكومية العراقية كان فى تتابع وتحت ضغط فاق حد الإنهاك.. غير أن تلك القوات الحكومية كانت أول من يعنى أنها تحارب معركه حياه أو موت بالنسبة للعراق الأم والدولة والكيان..

كان التركيز الأول على الجنوب وذلك لخطورته.. حتى أن العراق أبلغ الأمم المتحدة فى ١٩٩١/٣/٢٥م أن خط وقف إطلاق النار على الحدود مع إيران قد إنهار.. وأن وحدات عسكرية إيرنية تعبر خط الحدود وتشتبك مع قوات العراق المنسحبة.

وبإختصار وبعد معارك طاحنة دموية فى الجنوب تمكن العراق الجريح أن ينهى تمرد الشيعة والغزو الإيرانى فى الجنوب.. وعلى الفور وبسرعة وديناميكية تحركت القوات العراقية إلى الشمال لإنهاء التمرد الكردى(١).

كانت أمريكا والقوى العالمية تشهد كل تلك الأحداث دون تحمس أو تدخل.. وتهرب الجميع من أية محاولة لحل الأمر بطريقة سياسية.. فالحرب بين مسلمين أشقاء..

مع ذلك فقد كان يمكن توجيه ضربه قاصمة للقوات العراقية آنذاك.. ولا يمكن تبرير عدم ذلك إلا أن الغرب كان يخشى بدوره من تمزيق العراق وتقطيع أوصاله..

---

(١) فى حوار مع المعارض الكردى د/ محمد عثمان قال: « إن الجبهة الكردستانية العراقية من الناحية التنظيمية والجغرافية والسياسة يقتصر نشاطها على كردستان العراق- وهذا لا يعنى أنه لا توجد بيننا وبين الأكراد فى الدول أخرى علاقات.. ونحن نعتقد أن الأمة الكردية كأمة مجزأة لها الحق فى تقرير المصير.. ولكن فى نفس الوقت فإن أهدافنا تظل عملية وواقعية وفى الإطار »- فماذا يعنى كل هذا ؟!

الأهرام. القاهري في ١/ ١٠/ ١٩٩٠

الأمر الذى لم يراعيه- حتى أعلامياً - دول الجوار البترولى الخليجى.. ولم تتم حتى الإشارة إلى خطورة وأهداف هذه الثورات المتتالية غير أنها لا تعدو.. إنتفاضة لأحدى القوميات ضد السلطة المركزية فى بغداد!!.

تمركزت القوات العراقية وتجمعت على عجل قرب مدينة كركوك - وسرعان ما قامت الأشتباكات.. وإنتهت بسيطرة القوات الحكومية على الموقف.. مع هيمنة شبه مؤكدة على الشمال المضطرب.

كانت المعارك عنيفة دون شك.. وسقط من الجوانب المتصارعة عشرات المئات من العراقيين.. والمدهش فى الأمر حقاً أن الإعلام[1] قد تناول الأحداث وأظهر جيش العراق والذى يحارب فى جميع الجبهات خشية تمزق العراق وكأنه لاهم له إلا قتل أبناء شعبه!!.

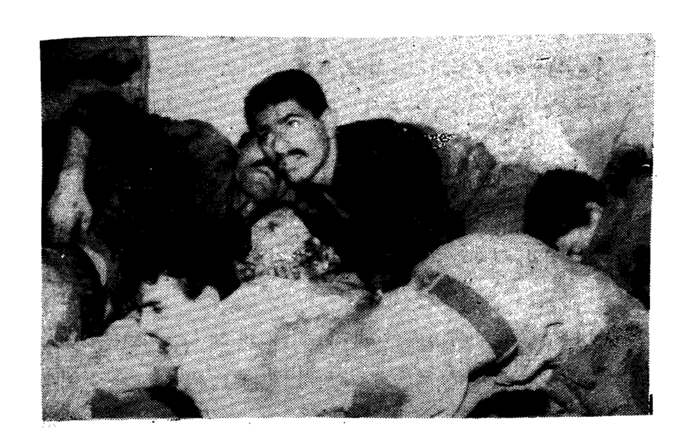
فأى فائدة تجنيها تلك القيادة إلا زيادة العداء وتمزيق الدولة فعلاً من تلك الحرب إلا أن تكون هى الملجأ الأخير للحفاظ على وحدة الأمة وكيانها.. الأمر الذى تفهمة الغرباء وأقروا به.

كانت ملابسات وتصرفات الأكراد فى فترة هيمنتهم تعطى العذر لأى سلطة مسئولة حتى للإنتقام.. بل لقد نقل الصحفيون والمراسلون الأجانب أعدامات الأكراد للعراقيين بالجملة وبشكل مستفز حتى أن أحد تلك الصور لهذه الجرائم فازت بجائزة العام ١٩٩١م.

عندما أوضحت الأحداث هيمنة القوات العراقية على الموقف ونجاحها فى تحييد الإنتفاضة الشيعية والكردية .سرعان ما أشارت الأحداث إلى إجتماعات سرية

---

(١) كتب السيد/ بيومي قنديل « إن الولايات المتحدة زعيمة النظام الدولي الجديد تعشق هؤلاء القتلة الأغبياء ويرجع ذلك إلي تخوف الغرب من قيام حكم ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان ويستند في شرعيته إلي مجلس الأمن.. إلخ.
الأخبار المصرية في ١٩٩١/٣/٢٨م.. وتتسائل لماذا حارب وآذر العرب الخليجين ومصر أمريكا في حربها إذا؟!.. ذلك هو الإعلام الذي رافق الحرب.. نترك تقييمه وتحليله للقارئ المحلل.



بريطانية وفرنسية وأمريكية مع المعارضة العراقية من شيعة وأكراد.. وسرعان ما أعلنت أمريكا أيضاً عن أستعدادها للقاء ممثلى المعارضة العراقية..

فى نفس الوقت تغاضى الغرب « الديمقراطى» عن موقف السلطة الكويتية من المعارضة الشعبية[1] !!.

إن الحقيقة المؤلمة والنظرة الواقعية للغرب عبر عنها أحد مستشارى الرئيس بوش

(١) كتب السيد/ صلاح حافظ « إن التحالف العربى تفاضى عن الحرب فى الكويت المحورة والتى تطول حقوق جاليات عربية كالفلسطينين والمصريين والسودانيين .. وتطول الآن الديمقراطيين الكويتين أنفسهم والذين صمدوا فى وجه الإحتلال وقاوموا الغزو بالأظافر.. هذا التفاضى إنما هو كيل بكيلين فى قضيج واحدة»- ولا عجب .

الإهرام القاهري في ١٠/٤/١٩٩١.

بقوله: « إن الأكراد والشيعة كانوا يقاتلون السنة طوال ٤٠ عامل قبل أن نكون نحن هناك.. وسيظلون يقتلون بعضهم البعض لفترة طويلة بعد أن تذهب من هناك. »[١] .

وفجأة يستيقظ العالم على تلك الأحداث الدامية والمؤسفة..

وسرعان ما يُعلن عن إنعقاد مجلس الأمن فى ٥ إبريل ١٩٩١م لمناقشة أزمة الأكراد فى العراق..فى حين تم إسقاط ثورة الشيعة فى الجنوب تماماً.. ويعلن الرئيس التركى تورجوت أوزال أنه يدعو الولايات المتحدة إلى عمل عسكرى من أجل وقف القمع الذى يتعرض له الأكراد فى العراق!!.. وفى الوقت نفسه يحث الزعيم الكردى جلال الطالبانى الثوار الأكراد على الإستمرار فى قتال القوات الحكومية.. أما شامير فيعرب فى حركة تمثيلية ركيكة عن تأثره الشديد وشعوره بالصدمة من الأحداث الداخلية الراهنة فى العراق ويطالب الرجل بتحرك دولى لانهاء معانة الأكراد العراقيين[٢].

أما فى مصر فقد فتحت الصحافة أوراقها للأكراد للتعبير عن موقفهم دون أدنى تحليل لإيضاح الأمرمن وجهته الأخرى.. وفى نفس الوقت يعقد مجلس الأمن الإيرانى إجتماعه المخصص لمناقشة إستراتيجية الشرق الأوسط حيث دعا رافسنجانى صدام حسين وحزب البعث إلى الخضوع لإرادة الشعب!!.. ووعد الرجل- علانية - بتقديم المساعدة للإنتفاضة الشعبية فى العراق!!.

وفجأة .. وفى سابقة سياسية أخرى يعلن مجلس الأمن - فى قرار غير مسبوق - إدانته للحكومة العراقية لقمعها حركات التمرد الشعبية.

كانت تلك هى المرة الأولى- أيضاً التى يوجه فيها مجلس الأمن إنتقادات لدولة لأسباب تتعلق بشئونها الداخلية. وعلى الأثر أعلن الرئيس الأمريكى أن طائرات

---

(١) دم الأكراد.. السيد / عاطف الغمرى.. الأهرام القاهرى فى ١٠/٤/١٩٩١م.

(٢) فى نفس اليوم ٥/٤/١٩٩١م أصدرت اللجنة العسكرية الإسرائيلية الخاصة قرارها بطرد أربعة فلسطينين من الأراض العربية المحتلة.

نقل عسكرية أمريكية سوف تبدأ فى إمداد العراق الشمالى « الكردى » بالمواد التموينية والخدمات الطبية والإعاشة.. وتبعته فى ذلك المضمار كل من بريطانيا وفرنسا.. ثم تطور الأمر وبسرعة إلى الإعلان والعمل على إقامة منطقة شمالية عازلة بالعراق[1].

كان مرجع ذلك الموقف إلى المشكلة التى فجرها المهاجرون الأكراد حيث رفضت إيران السماح للاجئين بدخولها.. كما رفضت تركيا فتح أبواب حدودها أمامهم « باستثناء التركمان منهم!!..[2].

وهكذا.. وفجأة أعلن بوش إرسالة لقوات أمريكية إلى شمال العراق بحجة حماية الأكراد[3].. وسرعان ما وافقتها بريطانيا وفرنسا.. توافق ذلك كله وعلى النور مع عودة المعارك الحربية فى الشمال.

وفجأة أعلنت الولايات المتحدة مع دول المجموعة الأوروبية عن عزمهم وأستعدادهم لاستخدام القوة إذا لزم الأمر لحماية الأكراد.. وأعلنوا عن نيتهم فى إقامة مناطق عازلة تخضع لإشراف الأمم المتحدة !!!

كان رد العراق هادئاً ولا قص مدى حيث وافق على إنشاء مراكز أيواء للأكراد.. وحيث وجد آخرون يقومون بما تتمناه حكومتها.. وإن كانت لا تجد لذلك دعما.. كما

---

(١) كان توجة الأكراد بقضيتهم دائماً إلى ناحية الدول الكبرى أو إيران على الدوام مما كان له أثره فى الإنسحاب العربى من الموضوع وذلك توصيف صحيح من الناحية التاريخية.. فحركة المقاوم الكردية كانت دائمة التعامل مع أوروبا والولايات المتحدة من ناحية.. والإتحاد السوفيتى من ناحية أخرى.. أو مع النظام الإيرانى خصوصاً على عهد الشاه من ناحية ثالثة ولم يعرف أنهم خاطبوا أطرافاً عربية بإستثناء سوريا ».. العرب ومحنة الأكراد.. فهى هويدى..
الأهرام القاهرى... فى ١٩٩١/٤/٩م.

(٢) رؤية صحيفة بريطانية.. جولى فليندت.. مراسله صحيفة الأويزرفر اللندنية - الأهرام القاهرى ١٩٩١/٤/١٧.

(٣) توافق ذلك مع تصريح لمسئول أمريكى- برنيستون لإيمان - مدير مكتب برامج اللاجئين بالخارجية الأمركية قال فيها : « إن هذه العمليات -= إغاثة اللاجئين - ستتكلف مليار دولار أو أكثر!! » فمن سيد فعها؟

أن العراق لم يكن يتمنى سوى تسوية خلافاته مع الأكراد لأهميتهم فى التوازن الأيديولوچى للعراق الذى أشرنا إليه.

ثم أن تركيا قامت - مشكورة - بإعطاء الدور الأخضر للولايات المتحدة لتأمين منطقة سلام فى شمال العراق وعبر الأراض التركية.. وتم ذلك كله.

كانت جميع هذه الحوادث والمواقف تتناول أزمة عربية إسلامية أولاً وأخيراً.. ثم تقوم بما تراه وتقرره..أما المجتمع العربى الإسلامى صاحب الأرض والقضية فكان فى حالة شلل فكرى وعصبى لما يحدث..وكأن الأمر لا يعنيه أو يحدث فى مكان آخر.

وعلى الفور..وفى المقابل طالبت إيران بإقامة منطقة أخرى خاضعه لإشراف الأمم المتحدة فى الجنوب الشرقى للعراق..أو بمعنى أصح للمنطقة الشيعية الخالصة بالعراق..ولم يكن ذلك بمستغرب..أما العجيب والمدهش حقاً فيأتى من أن الكويت قد أقترحت نفس الأمر!!

وكأن ذلك كله لا يمثل تقسيماً فعلياً للعراق قائم على أساس أيديولوچى وآخر قومى!!.

طلبت القوات الأمريكية من القيادة العراقية إنسحاب قواتها من بلدة زاخو العراقية الشمالية وإلى خط جنوبى يصل إلى ٣٠ كليو متراً جنوبى المدنية.. وتواكب ذلك مع توجه الزعيم الكردى جلال الطالبانى فى إلى بغداد برفقة ثلاثة من زعماء الأكراد لإجراء محادثات بين الطرفين.

بعد أيام قليلة وقع الزعيم الكردى إتفاقاً سياسياً مع صدام حول الحكم الذاتى للأكراد مع الموافقة على مبدأ الديمقراطية وحرية الصحافة التنقل بالنسبة للأكراد وغيرهم.

رغم ذلك كله أرسلت أمريكا وبريطانيا طائرات ومدفعيه وأسلحة ثقيلة إلى شمال العراق.. بل وتحركت حاملة طائرات أمريكية إلى الساحل التركى المطل على البحر الأبيض المتوسط لتوفير الحماية الجوية للقوات الأمريحكية والغربية فى شمال العراق.. بل سرعان ما شككت أمريكا فى مدى جدوى الإتفاق بين صدام والأكراد!!.

من ثم سارعت القوات الأمريكية بتوسيع نطاق وجودها العسكرى فى شمال العراق.. وعلى المستوى الدبلوماسى سارعت أيضاً بحث مجلس الأمن على إصدار قرار بإنشاء جهاز أمنى تابع للمجلس فى شمال العراق!!.. هذا مع إستقطاع جزء من صندوق التعويضات العراقية لتغطية نفقات الأغاثة وكافة تحركات القوى الأمريكية!!.

سرعان ما شمر الإعلام بدوره عن ساعده وقام بتصوير الأمر وكأن القوات الدولية أنقذت الأكراد من مذبحه رهيبة كان النظام العراقى يعدها لهم[١].

هذا فى حين أن ٤٠٠ ألف كردى عادوا إلى بلده دهوك فى يومين فقط لا غير!!.. وعلى الفور أعلنت وكالات الأنباء عن هجوم الأكراد على مركز شرطه البلدة.. وطرد رجالات الشرطة منه!!

كان الأمر وما يمثله تدخل القوات الغربية فى شمال العراق ظاهرة غريبة وعجيبة – والأدهى والأمر أنها كانت تحت غطاء الأمم المتحدة ومجلس الأمن فمنعت سيطرة قوات دولة على أراضيها!!.

لم يكن التدخل الأمريكى الدولى فى شمال العراق رغم ذلك كله ملحاً.. كما أنه من ناحية أخرى حمل فى طياته خطورة تقسيم العراق عملياً وفعلياً – وما يعنيه ذلك من حتمية قيام دولة شيعية فى الجنوب سوف تكون أقرب لإيران من أى جانب الأمر الذى يحمل فى طياته بوادر كارثه عربية.. وأيضاً كارثة أمريكية حيث يمكن لهذه الدولة تهديد مناطق إنتاج البترول فى الكويت والمنطقة الشرقية بالسعودية والتى يتكون معظم سكانها من الشيعة كذلك. . وعليه.. وفجأة أعلنت أمريكا إنسحابها من شمال بغداد « بعد أن أتمت مهمتها فى شمال العراق»!!

على الفور قامت مظاهرات عارمة من الأكراد نتيجة لذلك الوضع المخل الغربى.. والذى رفض فى مضمونه مطالب الأكراد بزيادة الرقعة الأمنية والضغط على بغداد بشأن مباحثات الحكم الذاتى للشمال الكردى!![٢].

(١) توازت الأبناء الدوليه عن التدخل الأمريكى الغربى فى شمال العراق مع هجمات كردية شرسة على القوات العراقية فى الشمال .

(٢) نقلاً عن الإهرام القاهري ١٩٩١/٦/٩م.

كان رد الفعل الإيرانى للحوادث وما تمثله بالنسبة له طبيعياً فسرعان ما قامتا عناصر إيرانية بعمليات عسكرية عبر الحدود هدفت أولاً وأخيراً لى زعزة التوازن والعمل على كسر أى إتفاق عراقى - كردى[١].

فى تلك الإثناء وقعت حوادث لها دلالاتها لمن وعى ثقل القيادات المتعارضة. فسرعان ما أعلنت أنقره هجوم كبير شنة الأكراد.. ووقعت فيه خسائر تركية!!![٢].

كانت الحوادث متزامنة مع إقامة المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية للدول الإسلامية فى تركيا بمدينة إسطنبول غير أن ذلك لم يمنع تركيا من إرسال قواتها والإغاره على قواعد الأكراد[٣] بل لقد عبرت تلك القوات الحدود العراقية وقامت بأعمال عسكرية وحربية عديده.. بل أنها قد حددت حزاماً أمنياً لحدودها يمتذ داخل الأواض العراقية!!.. وأستعملت تركيا فى تلك الغارات طائراتها المقاتلة إف-٤ وإف-١٤.

مع ذكل كله لم يشر البيان الختامى للمؤتمر الإسلامى إلى كل هذه الحوادث.. ربما خجلاً!!.. غير أن مقرروا المؤتمرلم ينسوا أن يحملوا الرئيس العراقى وحكومته مسئوليه المعاناة التى يعيشها الشعب العراقى!!.. هكذا.. ورغم ذلك كله إستمرت عمليات القوات التركيه حتى تم القضاء على أية خطورة للأكراد على تركيا من ناحية العراق[٤].

إن الإسقاط العربى لمغزى الحوادث ومعنى المواقف السياسية أفرز حقيقة غريبة حول حق المجتمع الدولى فى أى أدعاء للتدخل لحماية ضحايا الكوارث السياسية.. ولكنه أسقط فى المقابل قانونيه هذا التدخل وكونه عدوانا على السيادة الدولية لتلك

(١) أعترف بذلك الزعيم الكردى مسعود البرازن رئيس الحزب الديمقراطى الكروستانى.

(٢) الأمر الذي يعكس ثقل المقاومة الكردية فى تركيا عنها فى العراق.. ومن ثم عمق المشكلة فى تركيا خاصة.

(٣) سقط خلال المعارك بين القوات العراقية والتركيه منذ ١٩٨٤م حوالى ٣٢٠٠ قتيلاً.. وأزدادت حدة المعارك خلال الأعوام السابقة.

(٤) فى تركيا يعتقل الأكراد إذا تحدثوا اللغه الكردية.. وذلك لما تشير إليه من تمسكهم بالقومية الكردية.. كما أن الجماعة الأوروبية رفضت طلب إنضمام تركيا إلى السوق الأوروبية قبل سنتين متعللة بحجة إنتهاك تركيا لحقوق الإنسان.

البلدان.. غير أن أشد مايثير الحزن والأسى - بعد ذلك كله هو عدم العدل الدولى والقانونى أمام المواقف الشبيهة .. الأمر الذى يشكك دون أدنى خجل فى حقيقة دوافع ذلك التدخل.. وحتى عدم إنسانيته.

من الناحية التاريخية فإن تدخل الدول الكبرى فى النزاعات يجزم بأنه لم يكن على أية حال بفرض الدفاع عن حقوق الإنسان قدر ما كان دفاعاً من أجل المصالح الخاصة والمطامع لتلك الدول..وتاريخ الإستعمار القديم والحديث يثبت تلك الحقيقة:. ولم ولن يكون للغرب أى أكتراث بمصلحة أو هوية أقليمية إلا إذا مست تلك المصلحة إطماع الغرب.. ولم ترفع الدول الغربية تلك الشعارات المثالية إلا لإخفاء حقيقة مطامعها ولبذر بذور الخلاف والشقاق بين أبناء المجتمع الواحد.. ولم تعانٍ أيه منطقة من ذلك المنهج كماعانى منه العرب فى الشام والمشرق قديماً.. والعراق حديثا .. بل لقد كانت تلك السياسة هى المفتاح الغربى الاستعمارى لتفتيت المنطقه ومن ثم إحتلالها وإستعمارها.. وقامت إستراتيچية تلك السياسة على العمل الحثيث لتعظيم وتفخيم مشكلة الأقليات فى المنطقة.. وبعبارة أخر البحث عن أيه جماعه أو أقلية ومحاولة بعثها وخداعها وأيهامها بخصوصياتها ومصالحها التى تتعارض مع مصالح محيطها الواسع الذى تعيش فيه.

ومع ذلك وبتقلص الهيمنة العراقية المركزية على شمال العراق إلى حدما فإن ذلك لم ولن يحمى الأغلبية الكردى التى ستفقد أصدقاء وتكسب إعداد أكثر صراحه فيما لو أستمر الوضع على ما هو عليه ...

ألم تكن تلك السياسية هى التى حطمت الدولة العثمانية الإسلامية.. وخلقت العداء والنزاع بين الدول الإسلامية وهى نفس السياسية التى نجح بها هؤلاء المخلصون الأخيار!! فى زرع إسرائيل وسط العالم العربى؟!!.

أما بالنسبة لأكراد العراق فإنهم أول من يدرى أهميتهم وثقل ميزانهم خاصة بالنسبة لأهل السنة فى العراق - وهم أيضاً أول من لمس وشعر بخيانة غيرهم لهم فى

مواقف عديده[1].. والأكراد أيضاً أول من يدركون مدى أفضلية معيشتهم فى العراق عن مثيلتها فى تركيا أو إيران[2].

أن الإطماع التركية فى شمال العراق الفنى بالبترول حقيقة ملموسة وخبر معروف وأمر يندرج تحت غطاء الذعم التركى للحكم الذاتى الكردى.. والذى عن طريقه تأمل تركيا فى وقت ما فى إحتلال حقول النفط الشمالية « كرلوك » ووضع خط أحمر للإنهيار والضعف الأقتصادى التركى المتدهور.

الأخطر من ذلك كله أن أمريكا وإسرائيل تجندان تلك الرؤية لأقصى حد وأبعد مدى.. وهو بالنسة لأمريكا أمر له محاذيره.. ولإسرائيل هو حلم وتمنى.. ولتركيا ذاتها تعقيد أكثر وأخطر للمشكلة الكردية المتفجرة فيها.

تقول مجلة كيفوتيم «والتى تصدر عن المنظمة الصهيونية العالمية فى دراسة بعنوان « إستراتيجية إسرائيل فى الثمانينات» .. تقول:

« إن العراق الغنى بالنفط من جهة والذى يكثر فيه الإنشقاق وتزداد فيه الأحقاد من الداخل من جهة أخرى هو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل!!.. إن تفتيت العراق هو أكثر هيمنة من تفتيت سوريا وقوته تشكل فى المدى القريب خطراً على إسرائيل أكثر من أى خطر آخر.. وحرب عراقية – إيرانية.. أو عراقية . سورية سوف تفتت العراق.. وتؤدى به إلى إنهيار فى الداخل قبل أن يصبح فى إمكانه التأهب لخوض الصراع على جبهة واسعة ضدناً.. وكل مواجهة بين الدول العربية تساعد على الصمود فى المدى القصير.. وتختصر الطريق نحو الهدف الأسمى وهو تفتيت العراق إلى شيع مثل سوريا ولبنان.. وفى العراق سوف يكون التقسيم

---

(١) ساندت الحكومتان الأمريكية والإسرائيلية الأكراد فى شمال العراق ضد الحكومة المركزية في بغداد.. حتي إذا إتفقت حكومه بغداد مع شاه إيران عام ١٩٧٥م تم إيقاف الدعم عن الأكراد فسقطوا بين ثم بين فكي كماشه إيرانية- عراقية.. وعندما إستجار الأكراد بالأمريكان كان جواب هنرى كيسنجر آنذاك: « .. هناك فرق بين مبادئ التعامل معنا.. وبين قوانين الجمعيات الخيرية!!».. نسى الأكراد كل ذلك.. فعانوا مره بعد أخرى.

(٢) في سنة ١٩٦٧ أصدرت الحكومة التركية قانوناً مرقماً ٧٦٣٥/٥/٦ منع بموجبة دخول أي مطبوع باللغة الكردية إلي تركيا سواء بشكل كتابه أو مجلة أو جريدة أو شريط مسجل أو أسطوانة وسواء كان مطبوعاً أدبياً أو دينياً !!

الإقليمى الطائفى متاحاً كما كان الوضع فى سوريا فى العهد العثمانى - وهكذا تقوم ثلاث دول أو أكثر حول المدن العراقية الرئيسية البصرة وبغداد والموصل.. إذ تنفصل مناطق شيعية فى الجنوب عن الشمال السنى والكردى بأكثريته فيه.. ولعل المواجهة الإيرانية العراقية تؤدى إلى إزدياد حدة هذا الإستقطاب اليوم. »

. .عدد المجلة فبراير ١٩٨٢م.

.. وقبل ذلك التاريخ بعام كامل.. وفى محاضرة ألقاها شارون وزير الحرب الإسرائيلى آنذاك ونشرتها مجلة إسرائيلية تحت عنوان « وثيقة شارون » جاء فيها ما يوضح نظرة الأطراف المعادية للعالم العربى.. قال الرجل: « .. إن إسرائيل تصل بمجالها الجوى الحيوى إلى أطراف الإتحاد السوفيتى شمالاً.. والصين شرقاًوأفريقا الوسطى جنوباً.. والمغرب العربى غرباً.. فهذا المجال عبارة عن «مجموعات قومية وثنية ومذهبية متناحرة»... ثم يتناول الرجل كل دعوه على حده ويبرز تكوينها ومشكلاتها.. وعن العراق يقول شارون» أما العراق فمشكلاته تتدرج فى الصراع بين السنة - والشيعة - والأكراد. ».

أن أشد ما يثير القلق حقاً هو أن الأطراف تعلم عن خصوصيات المنطقة ما يجهله أهلها عن بعضهم البعض حتى وهم أصل المشكلة.. ووقودها ونارها.. وهاهم فى الغرب يتحدثون عن مسؤلياتهم فى إجراءات لا بد من إتخاذها فى سبيل تغيير النظم السياسية فى العالم العربى.. وحماية أقلياته.. وتثبيت الديمقراطية.. إلخ.. بل لقد نجحجوا حتى فى أصدار قرارات دولية ملزمة بخلق مناطق منزوعة السلاح بين البلاد العربية وبعضها البعض. وتحديد نوع التسلح وقوات الجيش وتكوينه وتسليحه فى مناطق أخرى!!.

بعبارة أخرى وشكل أوضح فإن صياغة الأمن والمستقبل العربى يتشكل الآن ولكن بقرار غربى صهيونى[1] ونزعة وهيمنة أمريكية لا شك فيها..

---

(١) وصل الأمر إلى حد أقتراح بريطانيا أقامة « محميات دولية» فى الأراض العراقية بفرض حمايتهم وتوفير وتأمين المواد الغذائية الضرورية.. «كما يدعون».. ولم يطرأ على خاطر الإنجليز وبالهم الإنسانى أية إجراءات دولية لحماية الأطفال الفلسطينين العربى والذين يسقطون بشكل يومى منذ أعوام شهداء برصاص اليهود!! لعل هذه نقرة .. وتلك أخرى!!! .

بقينا ولولا خطورة ذلك كله فيما لو نفذ على جنوب العراق والذى يمثل هيمنة شيعيه من تهديد مباشر على الكويت والمنطقة الشرقية للسعودية لرأينا بعين الواقع تنفيذ مثل ذلك المخطط.

بعد ذلك كله ما زلنا نسمع ونقرأ آراء محللين وسياسيين « فاهمون وواعون» وهم ينادون ويتمنون ويناشدون القوات الأمريكية والغربية للإطاحة بقوات صدام!!.

.. ولا داعى لذلك كله حيث أعلن بوش زيادة المبلغ المخصص لذلك الفرض من حساب المخابرات الأمريكية لهذا العام ١٩٩٢م.

وكأن الزمان يعدو بدورته إلى زمن الوصاية والإنتداب بعد الحرب العالمية الأولى حيث قام الغرب بدوء المفكر والمحلل والمشكل للمنطقة العربية.

★★★

يتبقى علينا دائماً أن نجتهد فى محاولة لتقييم مواقف الأطراف المتشابكه.. وعلى مواد القانون الثابت والوحيد المتفق عليه بين المسلمين..

قال تعالى : { ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته }.

إن موقع الأكراد فى القلب كموقع الأخوة والنفس دون شك.. فهم أخوه فى الدين.. لهم حقوقهم التى فرضها الإيمان السليم.. وصحيح الإسلام.

قال تعالى : { إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم }.

هذا المبدأ إسلامى أساسى لا شبهه فيه ولا تنازل. غير أن ذلك الأساس نفسه يلزم أن نحلل ونعيش مواقف الأخوة المتعارض والمتباين على الخلفية والقاعدة الإيمانية .

فمن ناحية الهدف القومى الأساس للأكراد فى إقامة دولتهم المستقلة فإن ذلك الهدف سوف يكون ولا بد على حساب دول المسلمين والتى قد تقسمت بما فيه الكفاية بعقل المستعمر.

فى ذلك يقول المولى عز وجل: { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون }.

الحل الإسلامى يقوم إذا على الإعتراف لكل الشعوب والقبائل بالحق فى الحياة الكريمة الحرة داخل إطار الجسد الواحد والأمة الواحده.. حتى مع إختلاف الألسنة

والألوان والطبائع طالماً أنهم جميعاً يحكمهم نظام واحد وعقيده واحدة ودستور واحد وهو الإسلام كعقيدة وشريعة ونظام حكم.

ذلك هو حل القضية الكردية فى ظل الشريعة الإسلامية والحل الإسلامى.

أما عن إستغلال الأكراد للتباين والتعارض القائم على أرض البوابة الشرقية للأمة العربية الإسلامية فإن المولى عز وجل يضع الأسس الثابتة والمتفق عليها فيما يخص الإستعانة بغير المسلمين لفرض الأمر على فريق من المسلمين.. ومن ثم كان تحذير المولى المنكرر والمتعدد والصريح والذى لا يقبل التأويل للأرتكان على من خالف المسلمين فى دينهم.. فالمولى لا يرضى عن تلك السياسة.

قال تعالى ": { فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }

{ ذلك بانهم أبتغوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه }

هذا كما أنهم لم ولن تصغوا قلوبهم لأى إتجاه إيمانى لأى طرف مسلم أياكان.

قال تعالى: { يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون }

وأوضح المولى عز وجلاله سر ذلك فقال جل جلاله

{ ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم }

ولعل أوضح وأظهر دليل على صدق ذلك المنهج الآلهى هو ما سمعناه عن حركه تنصير واسعة بين الأكراد بعد أن تفلفلت القوات الغربية وهيمنت على الموقف..

المدهش أن يحدث ذلك لأكراد العراق بينما معظم الأكراد فى تركيا يذوقون نار حرب سياسيه شامله ولم ينبعث من الغرب - الصديق!! - أيه بادرة حتى للوم تركيا أو كبح جماحها.

تلك الأوامر الثابتة والمفاهيم المستقرة الإيمانية والتى ترجع فى إقرارها لأكثر من أربعة عشرة قرنا من الزمان عجزت نفوس المسلمين وهم على أعتاب القرن الحادى والعشرين عن تفهمها.. وعجزوا إيمانياً عن التمسك بها.

ولنترك القارئ ليتأمل فى معانى ومفاهيم الآيات الكريمة.. ومدى ملائمتها للأحداث .. ومدى إنطباع مواقفنا ومواقف الأطراف جميعها على ذلك المنهاج القيم.. حتى نعلم جيداً أسباب ما نعانيه ونعايشه.. ونعلم من ثم أين الخطأ؟!.

الفصل الثانى عشر

المـوقف الشيعـى .. تباينـــه ومغـزاه

الفصل الثانى عشر

الموقف الشيعى .. تباينه ومغزاه

إحقاقاً للحق فإن المدقق والمحلل للدور الإيرانى من الأحداث ليدهش ويعجب من قدرة الطرف الإيرانى السياسية ومواقفه التى تناسقت مع الحوادث وخصوصياتها الأمر الذى يدل على معرفتها بأهداف الأطراف المتصارعة منذ بداية الأزمة.. على أن ذلك العجب يقل إذا علمنا أن تلك القدرة من أساسيات المذهب الشيعى.. وهى ما يطلق عليها « التقية »..وتلك الملاحظة تشير إلى موقف إيران ومنطلقه الدينى الحزبى والبحت.. وإن تغلف هنا وهناك بلباس السياسية.. أو التقية.. والتحليل الأساسى من تلك الزاوية المذهبية يفسر كل مواقف إيران ويكشف أيضاً أهدافها الخفية.

فى فترة الأزمة السياسية وقبل إندلاع القتال كان الموقف الإيرانى يشير إلى نضج ويستدعى الأعجاب والتقدير فقد بدت مرنة.. وناضجة.. ولم تظهر ما تبطن.. بل بدت أمام الجميع وكأنها قد نست هزيمتها ورمت خلفها خسائرها خلال حربها الضروس مع العراق والتى قاربت التسعة أعوام!!.

ظهرت إيران وكأنها تسعى لمنع الحرب.. وتعمل على تفاديها.. هذا مع منطقية الحقيقة الملموسة والتى تقر بأن سقوط النظام السنى فى العراق لا يعنى سوى ضرورة سقوط المشرق العرب كله تحت الهيمنة الشيعية.. أو الإيرانية بمعنى آخر.

ثم كان الموقف الإيرانى« المعلن» والذى أظهر أن موقفها من الأحداث سوف يحدده ويشكله أى تدخل إسرائيلى فى ذلك الصراع. الأمر الذى زاد من مكاسب إيران على الصعيد السياسى والإعلامى بين العرب.. هذا مع أن مصلحة الدول الغربية كانت تحتم تحديد ذلك الأمر ولأقصى حد.

ثم أن إيران طلبت السماح بزيارات الشيعة للمناطق المقدسة فى الجنوب قبل

الحـرب.. وكـانت الظروف وتطوراتـهـا تجـعل قـبـول ذلك الأمـر مـثـيـراً للتـسـاؤل والإحتمالات.. ومع ذلك كله قبل العراق..

بعد إتفاقية وقف إطلاق النار ومباشرة إندلعت إنتفاضة شيعية ضارية ضد صدام حسين في البصرة عاصمة الجنوب.. وسرعان ما أمتدت حتى شملت خمسة مدن جنوبية أخرى منها كربلاء.. والنجف الإشراف في محافظتي الواسط وميسان[١] .

وسرعان ما أشتعلت المعارك وأمتدت إلى منطقة الحدود الإيرانية - العراقية بين قوات الجيش العراقي المنسحب وقوات الحرس الثوري الإيواني.. كانت المعارك شرسة ودموية وعلى هيئة حرب الشوارع والمدن.

كان لتزامن المعارضة الكردية في الشمال العراقي أثره في خطورة ثورة الشمال حتى أن متحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أعلن « أن الوضع في العراق أصبح غامضاً ».. وفي ذلك الوقت العصيب كشفت إيران عن حقيقة أهدافها. وصحيح نواياها[٢].. على أن ذلك من زاوية أخرى كان تعبيراً ونتيجة مباشرة لحرب الخليج الثانية وما أفرزته من خلل واضح في توازن القوى.. وهكذا .. سرعان ما دعا الرئيس الإيراني هاشمي رافسنجاني الرئيس العراقي وحزب البعث إلى الإنصياع لإدارة الشعب » وقال في خطبة الجمعه١٩٩١/٣/٨م : « إن هناك بركانا في العراق على وشك الإنفجار وأن أغلبية الشعب العراقي تؤكد إنها لم تعد تريد قادتها وإنها باتت ترغب في حكم ذاتها !! »

وهكذا سرعان ما أصبح الرئيس الإيراني المتحدث الرسمي بأسم الشعب العراق!!

---

(١) في ذلك الوقت صرح محمد باقر حكيم رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العراقية في إيران في ١٩٩١/٣/٤م أن المتمردين قد أستولوا على البصرة..والعمارة .. وسامراء .. والناصرية .. والديوانية .. والكوت وغيرها .

(٢) ذكر تقرير النورين ريبورت والذى تصدره مجلتي الأيكونوميست البريطانية أن الموقف الإيراني الذى تمسك بالحياد خلال الحرب قد تغير الآن بعد المظاهرات الضخمة التى تشهدها المدن العراقية ذات الأغلبية الشيعية.. وأن إيران تقترح الإحتفاظ بالطائرات العراقية التى لجأت إليها كبديل للتعويضات عن حرب الخليج الأولى .

لم يتردد العراق وكان رد القيادة العراقية القضاء على تلك الإنتفاضة الشيعية فى الجنوب العراقى والمؤيدة بقوات حرس الثورة الإيرانى وبأى شكل لما تحمله الأمور فى طياتها من خطر مفزع على مستقبل العراق ذاته وشكله.. كان العراق يحارب معركه الذات والوجود مع أن وقف إطلاق النار لم يمض عليه ساعات مع قوات التحالف الغربى الأمريكى.. الأمر الذى يفسر الجهد الخرافى وروح التضحية العالية الذى بذلته القوات العراقية..وسرعان ما نجحت قوات الحرس الجمهورى العراقى فى إستعادة السيطرة على مدينتى النجف والكربلاء.. وأيضاً البصرة[1].

وعلى الفور انبرت وسائل الإعلام وادعت بإستعمال القوات العراقية للطائرات والدبابات وإستخدام الأسلحة الكيماوية وحتى النابا لم لم وغيرها فى إجهاض تلك الإنتفاضة الشيعية!![2].

كان للحرس الثورى الإيرانى دوره فى تلك الإحداث الدموية.. حتى أن بعض أفراده تمكنوا من أغتيال رضا كارمالى وهو أحد القاده العسكريين لمنظمة مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة.. كما أعلنت طهران أن الثوار الشيعة نجحوا فى قتل بعض المسئولين المبعوثين بحزب البعث الحاكم.. وعداً آخر كبير من المسئولين الحكوميين فى محافظة السليمانيه وأيضاً فى مدينتى النجف وكربلاء المقدستين عند الشيعة[3].

كان موقف القوات الأمريكية والغربية على وجه العموم هو موقف المراقب القلق لنتيجة هذا الصراع.. فهم من زاوية يتمنون التخلص من صدام ويشتهون

---

(١) بينما تصاعدت الخلافات وإنفجرت بين قطبى الإسلام.. أعلنت أمريكا وفرنسا عقد مؤتمر قمة جزيرة مارتيفيك الفرنسية بالبحر الكاريبى بهدف تجاوز الخلافات فى وجهات النظرية بين الدولتين تجاه إطماعها فى منطقة الشرق العربى .

(٢) نفى المسئولون الأمريكيون كل هذه الإدعاءات.

(٣) المدهش أن يتصدى باحث ومهتم بهذه المنطقة وفى ثقل الأستاذ / فهمى هويدى وينادى بأن حكومة الرئيس رافسنجانى والتى تصرفت بمهارة أثناء أزمة الخليج لا يمكن أن تتورط وتنادى بإقامة حكومة شيعية موالية!!» .. عن هواجس تقسيم العراق- فهى هويدى.

الأهرام القاهري ٢٦/٣/١٩٩١م

سقوطه..ومن أخرى لا يتمنون تقسيم العراق حيث أن ذلك سوف ينطبع على هيمنتهم على المنطقة وثرواتها حيث لا تعنى الحوادث عملياً إلا قيام دولة شيعية فى الجنوب موالية لإيران وقريبة من منابع بترول الخليج.. الأمر الذى يعنى بالموازين الجيو سياسية والبترولية صعوبات هائلة حيث أغلبية السكان شيعية.. هذا فى الوقت الذى عمدت فيه القوات الأمريكية إلى إقامة منطقة عازلة بين العراق والكويت بعمق ١٠ كيلومترات داخل العراق.

فى ذلك الوقت الحاسم والخطير أسقط المحللون النخباء الشرفاء طبيعة وظروف تلك الإنتفاضة وأرجعوها إلى نظام الحكم فى بغداد.. بل ذهب بعض كبارهم إلى التشكيك فى أهداف مجموعات الشيعة المنظمة والمتاوئة مثل منظمة العمل الإسلامى بقيادة العلامة محمد تقى الدين المدرسى وجماعه حزب الدعوة ومؤسسها أيه الله محمد باقر الصدر والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية ومؤسسها محمد باقر الحكيم.. وحاول بعضهم توظيف حالة التشيع النشطة فى تلك المنطقة وإظهارها كنشاط مذهبى.. وليست سياسى!! رغم أن تلك الحركات كانتت متوازية تماماًمع إنتعاش حركه التشيع الخمنينة فى إيران..كما أن مراكز هذه الحركات كلها بإيران!!.

بل ولقد وصل الأمر إلى أن السيد/ فهمى هويدى.: والباحث المختص والمهتم بسياسة تلك التيارات فى تلك المنطقة قال: «إن مصدر الدعم الإيرانى بالانتفاضه العراقية قد يكون بعض الأطراف الإيرانية والتى تتصرف لحسابها.. منفصلة عن الخط السياسى للدولة!!» .

هكذا!! .. كان الأولى أن ينفى السيد الباحث أى صلة إيرانية أصلاً الإنتفاضة عن أن يحاول تبرئه الدولة الإيرانية ذاتها.. وفى كلتا الحالتين ما أضعف الإدعاء.. وما أكثر هامشية منطقة.. وضعف حيلته.

كانت التصريحات الكويتية قبل الحرب وأثناء القتال تشير إلى أن النظام الأمنى لمنطقة الخليج سوف يكون عربياً محضاً.. وعل ذلك فقد أكد الدكتور/ أسامة الباز مدير مكتب الرئيس المصرى للشئون السياسية» إستعداد مصر للإبقاء على قوات مصرية فى السعودية أو فى أى دولة أخرى من دول الخليج بعد الحرب حيث أن مصر

تشعر أن جزءاً من مسئولياتها هو أن تحافظ على النظام الأمنى لمنطقة الخليج الأمر الذى يجب أن يبنى على هيكل عربى وترتيبات عربية خالصة».. كما أشار إلى أن هذا النظام لايجب أن يرتبط بحلف شمال الأطلنطى.. أو أية ترتيبات أمنية دفاعية أخرى.. هذا من زاوية..

ومن أخرى. فإن العراق عندما صمم على غزو الكويت أراد تحييد الجبهة الشرقية الإيرانية.. والتى كانت فى حالة وقف لإطلاق النار.. وعليه فقد بادر العراق بإعادة الأراضى العربية الأصل[1] والتى كان قد أستعادها من إيران فى حرب الخيلج الأولى فى محاولة لتأمين الجبهة الشرقية.

فما تقييم كل تلك المواقف؟!.

***

قد تختلف فى مفهوم الأمن ومعناه.. فهل هو عسكرى؟!.. أم هو سياسى.. أو أقتصادى...أو إجتماعى .. أم هو مفهو م يشمل كل تلك الإتجاهات؟!.. بل هل هو أمن الشعوب .. أم أمن المنطقة.. أم هو أمن الإنتاج للبترول بالنسبة للغرب – أم هو غير كل ذلك.. أو كل ذلك معاً ؟!.

يرجع كل ذلك الإختلاف إلى إختلاف زاوية المناولة لمعنى الأمن الأمر الذى يختلف بإختلاف جهة المناولة.. وعليه فإن أقدر وأولى من يحدد معنى الأمن هو صاحب المشكلة.. هو العراق المغبون الذى رأى جهادة وتضحياته وآمالة وهى تتحطم عمداً بمعاول ومطارق أشقائه الخليجيين.. أثرياء الخليج.. ومن ثم كان يجب عليه أن يحيد هيمنة جيرانه وأعدائه خاصة فى غياب الرؤية الإستراتيچية العربية الواحدة.

أما أهم العوامل المؤثرة فكانت زاوية المناولة لدول الهيمنة الأمريكية والغربية.. وتلك التى أغفلها معظم الكتاب حيث أنها تعنى الكثير بالنسبة لأمنهم الأقتصادى.

بينما أجتمع الرئيس المصرى بوزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجى وسوريا

(١) وهي مناطق عربستان – المحمرة – والأهواز وغيرها.

فى منتصف فبراير من عام ١٩٩١م وحتى قبل وقف إطلاق النار حيث تم إعلان وثيقة باسم « إعلان بشأن التعاون والتنسيق بين دول مجلس التعاون ومصر وسوريا تختص أساساً بأمن المنطقة بعد الحرب.. وكان ذلك تمهيداً لما أطلق عليه إعلان دمشق للتعاون السياسى والعسكرى بين مصر وسوريا ودول الخليج وذلك فى محاولة لتحييد الهيمنة الغربية على الموقف برمته.

على الفور أعلنت أمريكا رفضها الرسمى لذلك الإتجاه العربى الإسلامى الخالص.. وسرعان ما أعلنت فى المقابل مشروعها الذى عبر عن رأيها ونظرتها والذى أعتمدت فى الأساس على الوجود الأمريكى والغربى لحماية الخليج والذى رفع حتى فرض إسرائيل على الجميع فى مقابل إستبعاد مشاركه إيران فى أى ترتيبات أمنية.

كان لذلك السيناريو أثره على القرار السياسى المصرى.. حتى أن الرئيس المصرى قرر وفجأة عودة جميع القوات المصرية التى شاركت فى تحرير الكويت!!.. وهكذا سرعان ما خلت الساحة العربية الخليجية.. والثرية من أيه قوى إسلامية عربية مؤثرة.. ومن ثم أصبحت مرتعاً خصباً لغير العرب.. الأمر الذى يتناقص حتى مع ميثاق جامعة الدول العربية.. ويتعارض مع أهم مبادئه.

كان رد الفعل الإيرانى طبيعياً ومنطقياً على هذا الحلف فسرعان ما شككت إيران بدورها فى القدرات المصرية ثم إنهم أو ضحوها بدورهم عالية واضحة وأن دورهم أساسى وحيوى فى أية إتفاقيات أمنية خليجية. على أرض الواقع كانت المواقف أوضح أو أظهر.. ففى النفرات والإضطرابات التى عمت جنوب العراق لم ينكر أى طرف من أطراف النزاع والمصالح دور إيران والحرس الثورى والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية الشيعية وغيرها فى أحداث الجنوب الأمر الذى حتم الثقل الدبلوماسى والسياسى لإيران فى الأحداث.. بل لقد كانت طهران ولصلتها الوثيقة بما يجرى المركز الرئيسى للإعلام والأخبار عن تلك النقرة الشيعية[1].. الأمر الذى

(١) لم يشفع لإيران أفراج العراق عن ٥٦٠ من أسري الحرب آنذاك.

حدا بأمريكا وعلى لسان وزارة خارجيتها » أن تحذر « الدول الأخرى » لعدم التدخل في شئون العراق »[١] .

كان لهذا التعارض في الأهداف أثرة في السياسات وتوضيح الحقائق فحين أعلنت المعارضة الشيعية العراقية عند إنكسار النفرة في الجنوب أن بغداد تستخدم الأسلحة الكيماوية - خاصة غاز الخردل - في تصفية ثورة الجنوب.. شككت وزارة الدفاع الأمريكية وعلى الفور في تلك الإدعاءات .. وسرعان ما أعلنها سئول بوزارة الدفاع الأمريكية. « إن مثل هذه التصريحات يجب أن تفهم في ضوء المصدر الذى روجها ».

ونزيد بدورنا أن نظرة الجميع للحرب والأزمة يجب أن تقيم ذاتياً حيث أن ما كتب عنها إنما يجب أن يفهم في ضوء المصدر الذى عبر عن رأيه وفكره في الأحداث.

تلك صورة أخرى توضح دور الإعلام وأثره.. والسياسة وأخلاقها وإخراجها للحوادث لعامه الناس خاصة عندما ترك المسلمون أمرهم لهيمنة غيرهم..

أثار التناقص الدولي وموقفه من ثورة الجنوب الشيعية عن ثورة الأكراد الشمالية المشاعر ولمس حقيقة المواقف.. وكان ذلك بقوة متفاوته - أقواها عند من لمسها وهم أصحاب الأمر نفس.. فقد تأكدلهم للمرة المائة إنهم جميعاً لعبة في يد القوى المهيمنة يتقاذ فونها من زاوية مصلحتهم وفقط.. فهم يفتقدون في حقيقة الأمر أية أخلاق ثابتة أو مبادئ أساسية واضحة.. ومن ثم فجميع تلك الحركات كانت فاشله.. وستبقى.

كان موقف إيران تجاه أى دور لمصر في أية ترتيبات أمنية في الخليج يشير إلى حساسية فائقة لأكبر دولة عربية وإسلامية.. وظهرت آثار ذلك في صوره التهايات حادة ومفاجئة في العلاقات الإيرانية المصرية!!.

في نفرة إستفزازية أعلن وزير الخارجية الإيراني « ولاياتي » : « إن بلاده ترفض

(١) ذكرت مارجريت تاتوايلر المتحدثة بلسان الخارجية الأمريكية « أن لدى الحكومة الأمريكية معلومات تؤكد أن إيران تلعب دوراً في الإضطرابات الحالية».

التصالح مع مصر التى حاولت على حد زعمه- إعادة العلاقات عبر وسطاء كثيرين»!!.

على الفور كان رد وزير الخارجية المصرى عمرو موسى واضحاً وحاسماً حيث نفى أية مزاعم لمصر أو حتى رغبة فى المصالحة..

وهنا سارعت كل الأطراف العربية الخليجية والتى من أجلها ناهضت مصر إيران فى حرب الخليج الأولى وساعدت العراق وتوسطت لحل الخلافات.. وبعد مدة أفتتح مكتبين لرعاية كل من المصالح المصرية والإيرانية فى كلا البلدين!! .

كانت كل تلك التيارات تعبيراً عن مصالح متعارضة لأطراف متباينة.. ومن ثم سرعان ما أنفض مولد ميثاق دمشق وأجهض حتى قبل أن يولد.. وأصبحت مصر فى مواجهة منفردة مع إيران غير واضحة النوايا..

يمكن إرجاع ذلك للموقف المبدأى ومصلحه كل من البلدين.. فإيران أكبر بلد خليجى ومن ثم فإن حساسينه تجاه أكبر بلد عربى لأى دور خليجى أمر منطقى ومقبول عقلاً. هذا فى حين أنها على إستعداد لتقبل أى دور عراقى أو سورى.. أو حتى أمريكى أوروبى وعلى مضض.. ويعكس ذلك وعى سياسى من جهة..ومن أخرى يتمشى ذلك مع نظرة فقهية شيعية تجاه أهل السنة..وأهل الكتاب.

أستدعت تطورات المواقف عقد قمة خليجية عربية أعلنت وثيقة بأسم « إعلان الكويت» كأساس لتحديد علاقات الدول الخليج الست عربياً وأقليمياً ودولياً.. وذلك كبديل لإعلان دمشق!!.

المدهش فى الأمر أن ذلك الإعلان أشار إلى نيه دول الخليج فى إعطاء إيران دوراً أكبر أقليمياً وسياسياً واعلامياً !! هذا فى الوقت الذى حددت فيه الوثيقة النظام العراقى الحاكم كعدو أساسى فى المنطقة!!.

لم تقف إيران عند أحداث المنطقة والتركيز عليها.. بل كانت مواقفها تعكس شخصية مستقلة تعمل وبجد من خلال منظار مصالحها من زاوية ذاتة..شيعية خالصة.

كانت جهود أمريكا وضغطها على الهند لتوقيعها معاهدة الإلتزام والحد من إنتشار الأسلحجة النووية فاشلة حيث أعتبرت الهند تلك الإتفاقية عنصريه وتهدف أساساً إلى حرمان دول العالم الثالث من التميز النووى والتكنولوچى.. ولم توافق إيران كذلك على موافقه الهند يجعل منطقة جنوب شرق آسيا منطقة خالية من الأسلحة النووية لتحديد ذلك المجال فى الهند والصين وباكسان.. وفقط.

وعليه - فقد سارعت إيران بشراء مفاعل أبحاث ذرية من الهند وذلك من ضمن التطوير التعاون بين البلدين هذا من جانب.. ومن آخر.. فقد أفرزت حرب الخليج حلفاً إسلامياً سوف يكون له ثقله وشأنه فى حالة نجاحه وهو الحلف الإيرانى - الباكستانى - التركى.. والذى نجح أخيراً فى ضم التكتل الإسلامى للدول الروسية المستقلة حديثاً .. والمدهش أن زعماء هذه الدول إجتمعوا فى مؤتمر مستقل عقب قمة مجلس التعاون الخليجى الأخير.

تزامن ذلك كله مع سعى إيرانى حثيث لتوظيف خبراء تووين من جمهوريات الإتحاد السوفيتى الإسلامية السابق[1]ما أوضح وأظهر الجهود الإيرانية والتى لا تعبر إلا عن سياستها وحقيقة أهدافها هو الورطة السعودية الخليجية الأقتصادية والتى بدت آثارها واضحة جلية بعد الحرب.. الأمر الذى أثره بدوره دون شك على مساعدات دول الخليج للباكستان.. وكل ذلك كان له أثره فى التكتلات والأحلاف فى فترة ما بعد الحرب حتى مع عدم ثباتها.

رغم القيادات السياسية والمواقف التكتيكية فإن المدقق للملامح الرئيسية للسياسة الإيرانية ومنذ بداية أزمة الخليج يلمح قوالب ثابتة فى تلك السياسة يمكن بلورتها فى النقاط الآتية : -

(١) أمنياً : على المدى القصير العمل على بلوره عراق غير قادر على التصدى للأهداف الإيرانية الشيعية فى المنطقة.. وعلى المدى البعيد هيمنة إيرانية

---

(١) ذكرت مجلة صانداي تايمز أن مدير الطاقه النووية في إيران «رضا أمر اله» إتصل شخصياً بعدد من علماء الذرة عارضاً عليهم مبلغ ومرتباً يبلغ ٢٠ ألف دولار شهرياً.. إضافة إلي ستين ألفا من الجنيهات الإسترلينية في البداية.. مع تأمين السكن وخدمات أخري عديدة إذا وافقوا علي العمل في إيران .

على السعودية ودول الخليج من خلال تعاون إيجابى وأقتصادى الأمر الذى يحتم إقصاء أى دولة ذات وزن فى التفاعلات الإيرانية - الخليجية.. مثل مصر مثلاً.

(٢) سياسياً : فرض الأمر بقبول إيران كقوة رئيسية سياسية وحتى إقتصادية مع التغاض مرحلياً عن السياسة المكشوفة لتصدير الثورة الشيعية للمنطقة .. والإتجاه إلى العمل السرى وهو المجال الذى تمتاز فيه إيران الأمر الذى ظهرت بوادره فى كتابات بعض الإسلاميين الخليجيين.

(٣) إقتصادياً : العمل على إيجاد تكتلات أقتصادية ذات وزن مؤثر من البلاد الإسلامية الشرقية غير خاضعة للهيمنة الأقتصادية الغربية وذلك عن طريق التحكم والهيمنة على سياسة الإنتاج البترولية « إنتاج أقل وسعراً على ».. مع الإهتمام بأسواق أكثر إستقراراً وأعتماداً من الدول الغربية والأمريكية والتى أمنت نفسها بترولياً بعد معركة الخليج الأخيرة.

(٤) خارجياً : لم تسقط إيران ثوابت العداء ومناهضة إسرائيل وأمريكا .. الأمر الذى صبغ الحركه الإيرانية بتغهم وشكل واضح يمكن إعتماده على الخلفيه الإسلامية.. هذا مع إنهيار شبه كامل لأى نظير لتلك الحركه على الجانب العربى وبشكل يدعو إلى الرثاء والأزدراء.. هذا مع تعامل إيرانى مع الدور الغربى المهيمن والأمم المتحدة بشكل ينم عن وعى سياسى تجب الإشارة إليه.

(٥) داخلياً : جهود متصلة حثيثة لترسيخ الهوية الشيعية للمجتمع الإيرانى مع محاولات شاقة لنبذ التشدد والمصارخة السياسية لعامة المجتمع.. أو بتعبير أدق التمسك بمبدأ التقية.. الأمر الذى يسهل تفهمه بالنسبة للشيعة عموماً وخصوصاً.. ومن ثم النجاح سياسياً خارجياً وداخلياً وعلى مختلف المستويات .

السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو مضمون هذه المبادئ كلها بالنسبة لنظرة إيران تجاه منطقة الخليج أساساً علي المستوي القريب والبعيد؟! .

الإجابة عن هذا السؤال يعنى كل شئ بالنسبة لمسقبل المنطقة.

هذا مع أن النظرة الإيرانية العقائدية تجاه أهل السنة ومنطقة الخليج وخصوصياتها أمر معلوم.. وأول من يعلمه ويحس بخطره هم أهل الخليج والسعودية..

كل تلك التداعيات ظهرت على السطح وطفت مرة أخرى على الأحداث كنتيجة مباشرة لضرب العراق المغبون ذلك البطل الذى يرجع إليه الفضل الأساس فى كسر البعثة الخمينية الأولى.

★★★

المواقف المتعارضة للأطراف الإسلامية المتعارضة بعد تداعيات حرب الخليج الأخيرة يجب تقييمها والنظر إليها على المنهاج الدينى السليم.. وهو من المبادئ الأساسية فى ذلك المقام.

من ناحية التقييم فإن الإيمان درجات ومستويات.. يحددها أساساً مدى الإلتزام بالنهج الإسلامى فى القرآن والسنة الشريفة.. والذى يجب أن ينطبع على الأحداث والمواقف..

قال تعالى : { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن }

وقال : { والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض }

وهكذا .. ومن آيات المولى نستطيع أن نقرر أن الإيمان قد يختلط به الظلم فى مواقف عديده عبر رحله الحياه.. ومن خلال ظروفها.. ومن ثم فإن الإيمان درجات.

ليس هذا فحسب بل أن إعلان الرسلام قد يكون ستاراً عند البعض لإشراكهم وكفرهم.

قال تعالى : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون }

وقال : { من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم }

وقال : { وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر }

تلك الأساسيات تحتم على المسلم الواعى أن يدرس ويعى جيداً مبادئ وفقه

المذهب الشيعى وبطوائفه العديدة وذلك حيث أن ذلك يمس حياه المسلمين ومستقبلهم دون شك.. فهو ينطبع سياسياً وعملياً وفعلياً من خلال نظرة إيران للمنطقة العربية السنية الفنية البترولية.

تكفى نظرة القوم الإيمانية إلى أئمتهم حتى يتضح للدراس أن هناك بوناً بين الطرفين .

قال تعالى : { وإذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله }

ورغم ذلك كله فإن ذلك لا يعنى- من ناحية المبدأ الإيمانى - مؤازرة أى موقف معارضة للنزعة الشيعية الإيرانية.. فالدين والقرآن الكريم ذاته يحدد الإطار السياسى والإيمانى ويحرم الإستعانة بغير المؤمنين فى أى نزاع بين المسلمين أنفسهم .

قال تعالى : { يا أيها الذين امنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا }

ذلك الفرقان هو المبدأ الإيمانى الإسلامى فى الحياه والسياسة والحرب بشكل عام وخاص.. الأمر الذى أفتقدناه عندما فقدنا جميعاً نصره المولى عز وجل لمستوى إيماننا الهين.. ومن ثم مستوى سياستنا المتواضع.. وهكذا ضاعت الذات الإيمانية والتى تحدد بمفهومها وذاتها سبل النزاع وحتى الصراع بنى الأخوة المسلمين.

قال تعالى : { قل هل نبئتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياه الدنيا وهم يحسبون أنه يحسون صنعاً }

إن تقييم الأحداث والمواقف الإيرانية كما يجب دراستهاوتحليل أهدافها من الناحية السياسية يجب أيضاً دراستها وتقييمها من الناحية الإيمانية والفقهية الأمر الذى سوف يحدد تعاليم القوم ونظرتهم الخاصة تجاه أهل اسنة والمنطقة من ثم.. الأمر الأدعى لتفهم دوافعهم ومعرفة أهدافهم فهم قوم يؤمنون دون شك بمناجهم العقائدى- وهو الأمرالذى قد يفسر سر تميزهم وحتى مكسبهم..

.. كان العراق المغبون ضحية ذلك كله ..

الفصل الثالث عشر

الهيمنة الاسرائيلية .. والتوازن المفقود

حاجز القنبلة الذرية ولمعادلة القدرة الذرية الاسرائيليه الهائلة الأمر الذى كان من اكبر مبررات حرب الخليج الاخيرة .. هذا كما أن العرب اصبحوا الان يمتلكون اسلحة كيماويه وبيولوچية .

لتلك العوامل الثلاث ولغيرها فقد ظهر على السطح السياسى اتجاه يؤكد أن مصالح امريكا فى المنطقة تستلزم العمل على تسوية هذا النزاع .

يوازن هذا الاتجاه الرأى الايديولوجي البرونستانتى فى نظرته للصراع العربى الاسلامى - الاسرائيلى اليهودى - غير أن نظرة اسرائيل تعارض اى تنازلات للعرب ليس لها ما يبررها حاليا رغم أن الظروف الحالية تعد الافضل بالنسبة لهم لاقتناص أحسن صفقه منذ بدء وجود اسرائيل كدوله على خريطه العالم ..

ولا يمكن تفسير ذلك الا بارجاعه الى نتائج او تداعيات حرب الخليج التى افقدت التوازن العربى الاسرائيلى أدنى درجاته .. ومالت بالدقة كاملة نحو الهيمنة الاسرائيلية .. فعلام التنازل الان ..؟!

قبل بداية الحرب واثناء القتال وبعد الحرب مباشرة ارتفعت الاصوات والتحليلات أن اسرائيل هى الطرف الرابح الصامت من ازمة الخليج .. فالعراق قد سحق وانكسر عسكريا ولم يعد يشكل تهديدا عسكريا هجوميا لاسرائيل ... ومنظمة التحرير الفلسطينية قد تضعضع موقفها ووضعها بسبب مبدأها المؤيد للعراق فى تلك الأزمة .. وسوريا ذات اقتصاد ضعيف كما أن الميزان العسكرى يميل لناحيه اسرائيل إذا ما فكرت فى مغامره عسكرية يائسة بمفردها اما الاردن فهى محصوره بين تهديد الراديكاليه السياسية والانهيار الاقتصادى خاصة بعد موقفها المؤيد للعراق فى حرب الخليج الأمر الذى افقدها تعاطف القوى الاقتصادية المؤثرة بالمنطقة العربية.

هذا بالاضافه الى التدفق الجماعى للمهاجرين السوفيت اليهود الى اسرائيل والذى وصل فى بعض الاوقات الى معدل ٣٠ الف مهاجر كل شهر .. اما أهم من كل ذلك فهو خسارة العرب وفقدهم لاى قوه عالميه مؤثره ومؤيده لهم فى هذا النزاع الابدى .

باختصار كان الجانب الامريكى قد اصبحت نظرته للنزاع كصراع عربى- اسرائيلى .. على سقوط التقييم الحقيقى الواقعى كصراع فلسطينى اسرائيلى.. الأمر الذى طرح على الساحة الفكرية السياسية احتمالات تحقيق سلام عربى اسرائيلى دون حل كامل وشامل للمشكلة الفلطينية .. بل على اكتافها .. خاصة بعد رد فعل الاطراف العربية الخليجية من منظمة التحرير الفلسطينية وهى اطراف ذات اعلام قوى ومؤثر .. بعد حرب الخليج .. ثم أن الاحداث والمواقف يمكن توظيفها اعلامياً وسياسياً على أن دواعى الأمن الاسرائيلى تحتم على اسرائيل عدم الثقة أو المفارضة مع منظمة التحرير .. اضافه الى كل ذلك فإن تراجع القضية الفلسطينية فى سلم الاولويات كان شيئا متوقعاً نظرا لتداعيات الموقف العربى وتمزقه من اجراء انقسامه بعد حرب الخليج .

ويبقى مع ذلك كله التزام لا شعورى عميق وقوى ببقاء وأمن اسرائيل .. ومهما فسر المحللون ذلك الالتزام بأنه ادبى أو اخلاقى أو ما شابه .. فإنه فى الحقيقة التزام ايديولوجى دينى .. بروتستانق يهودى .

أما من وجهة النظر الاسرائيلية .. ورغم براعتهم السياسية ومعرفتهم أن جوهر سياسة أمور الدوله الناجحة هو اقتناص الصفقة فى افضل اللحظات .. ورغم منطقية أن تلك الهيمنة اليهودية على ظروف المنطقة لن تستمر على هذا المستوى مع الوقت .. ورغم أن الوقت عامل هام فى لم شعت الدول العربية .. كما أن هناك تيارات سياسية عارمة لابد وأن تثبت نفسها . مع الوقت لمعادلة الهيمنة الامريكية المنفردة والمتسلطه ... فإن السياسة الاسرائيلية اثبتت موقفها فى العديد من المواقف فقد رفضوا مبدأ الأرض مقابل السلام .

أسباب ذلك عديده فهم متشككون بطبيعتهم ولم يقنعوا بأن اعادة الأرض تعنى السلام .. وهم ايضا ينظرون بشك الى الضمانات الدوليه لذلك الاحتمال .. وهم فى نفس الوقت لا يؤمنون إلا بسلام قائم على القوة والهيمنة الاسرائيلية .

لعل ذلك كله يشير الى ظاهرة « الموساد » النفسية الاسرائيلية .. فى إشارة إلى

إسطورة « ما سادا » والتى تفضل النضال وحتى الانتحار على الاستسلام .. وهى تستند على فكرة «الشعب الواحد» الذى يختار دائما أن يعيش منفصلا فإذا مامست مقدساته فإن ثورته عارمة لا تبقى ولا تذر .. ثورة حتى الموت [١] .

أما وجهه النظر العربية الاسلامية - والحقوق التاريخية فلا تسل!!

فى الحقيقة وعلى أرض الواقع فإن تحليل الاحتمالات شىء .. ولمس أثر الايديولوجيا على المواقف شىء اخر تماما .. فى أزمة الخليج الأخيرة توالت قرارات الأمم المتحدة وبسرعة جعلت من الصعوبة فهمها وتفسير. مغزاها وقامت الدينا ولم تهدأ إلا بعد تحطيم العراق.. هذا فى حين أن مجلس الأمن- ذاته- أصدر قرارات عديدة منذ ١٤ عاماً تقضى بالإنسحاب الإسرائيلى من جنوب لبنان المحتل.. ولم تتحرك حتى الآن أية قوة عسكرية أو حتى سياسية لتنفيذ هذه القرارات.. أو حتى متابعتها !! ولم تتوقف الإعتداءات اليهودية الأمريكية على لبنان منذ ذلك الحين وحتى وقتنا هذا.. وفى إتفاقية كامب ديفيد هناك إلتزام إسرائيلى بإقامة ترتيبات زمنية مؤقتة للضفة وغزة لفتره لا تتعدى خمس سنوات- ووفق الإتفاقية - كان الفلسطينيون سيحصلون على الحكم الذاتى المحلى حالما تتم إنجاز الترتيبات.. مع مفاوضات حول الوضع النهائى للأراض تبدأ فى خلال ثلاث سنوات من الإتفاقية.. على أساس هذا الجدول الزمنى كان يجب أن يوضح الشكل النهائى للتسويه سنة ١٩٨٤.. ولم يحدث شئ من هذا على أرض الواقع!!

ذلك كله أثر من آثار الأيديولوچيات على المواقف والسياسات.

إضافة لذلك [illegible] ظاهرة أزدواج المعايير الدولية لا تعكس فى الحقيقة إلا بصمة

---

(١) تقوم أسلحة الجيش الإسرائيلى على ترديد يمين الولاء على قمة قلعة ألما سادا.. ويقسم الجنود أن « الماسادا لن تسقط ثانية ».. كما يتم تنظيم لرحلات وأفواج من السياح اليهود وطلبه المدارس الإسرائيلية للحج إلى القلعة وتحرص إسرائيل على أن تدرج زيارة هذه القلعه المقدسة ضمن برنامج كل زعيم سياسى أجنبى يذهب إلى إسرائيل .. وفى عام ١٩٦٩م أعادت إسرائيل رسمياً « دفن المنتحرين» حتى تضرب الاسطوره جذورها فى الوجدان اليهودى.. أسطورة الشعب الذى يفضل الإنتحار على الأندماج أو الهزيمة ».

من بصمات هذا العامل المؤثر القوى فى الحياه الإنسانية والدولية طالما أرتكن إلى قوة . .الأمر الذى يحتم معايير القوة بالإضافة إلى معايير الحق .. ذلك قانون الحياه الأبدى(١) .

لعل ذلك ما يفسر أنه وحتى قبل إشتعال الحرب وافقت الإدارة الأمركية على أعتماد مبلغ ٤٠٠ مليون دولار لتوطين المهاجرين اليهود فى فلسطين المحتلة!! .. هذا رغم سقوط الشهداء من أطفال الإنتفاضة- رجال الإسلام - منذ خمسة أعوام.. وحتى يومنا هذا.. وهى عمر الإنتفاضة الفلسطينية.

مثال آخر أشد وضوحاً يثبت ويوضح مدى القوة الذاتية وأثرها على معايير الحق والعدالة المجردة.. فرغم أن إسرائيل لم تعترف رسمياً بإمتلاكها لأسلحة التدمير الشامل فإن هناك تصريحات ليوڤال تثمان وزير العلوم الإسرائيلى فى مايو ١٩٩٠م أكد فيها أمتلاك إسرائيل للأسلحة الكيماوية.. كما أن هناك تصريحات للرئيس الإسرائيلى هيرتزوج نفسه فى أكتوبر ١٩٩٠م تشير إلى إمتلاك إسرائيل للأسلحة النووية.. وفى فبراير ١٩٩٢ يعترف ريتشارد ينكسون فى كتابه بنووية إسرائيل فيقول « ولأن إسرائيل صنعت - أسلحة نووية » (٢).. رغم ذلك كله فإنه من المتفق عليه أن أحد أسباب ضرب العراق كان تخطيطه لإنتاج أنواع من الأسلحة الذرية.. هذا مع أن موقف أمريكا من نوويه إسرائيل أمر سلبى.. منذ عشرات السنين.

كان للتيارات النفسية والأيديولوچية أثرها إضافة إلى الخلل فى موازين القوى العالمية والدولية فى إخراج الحوادث.. وإستمرار النزاع والأزمة اليهودية الإسرائيلية فى المنطقة العربية.. رغما عن إدارة الهندسة السياسية الأمريكية.. وتمشيا مع نزعاتها كذلك.

فلم يستطع الإتحاد السوڤيتى المنهار إلا أن ينحاز إلى الموقف الأمريكى وتخلى

(١) قال تعالى :{ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}
(٢) إنتهزوا الفرصة - ريتشارد نيكسون .. ترجمة حاتم غانم ص ٦٦ .

كليه عن العراق وعن القضية العربية .. وحتى مصر.. لم تستطع فرض وأعطاء الجهود السلمية فرصتها الكامله لحل الأزمة [1].. ثم .. ثم إنحازت بدورها للجانب الأمريكى والبترولى العربى ..

وفى نفس الوقت.. ونفس الجريدة .. ونفس الصفحة يعلنها وزير الزراعة الإسرائيلى رافائيل إيتان واضحة جليه ومعبره ومشيره إلى ذلك الخلل فيقول : «إن إسرائيل لا يمكنها إعادة الأراضى المحتله إلى الفلسطينين بسبب مشكلة المياه وحاجة إسرائيل الماسة إلى هذه الأراض [2] .

غير أن الرجل لم يشر إلى الموقف الموازى لذلك قبل الفلسطينين أصحاب الأرض.. فهل إحتياج إسرائيل للأرض بأهلها .. أم بدونهم أفضل.. خاصة مع الهجرة اليهودية الهائلة للدولة الإسرائيلية؟! .

***

قبل إندلاع القتال زار وزير الدفاع الأمريكى.. ورئيس الأركان مصر وذلك لأخذ الموافقه على قياده أمريكية واحدة للقوات المشتركة فى حرب الخليج.. الأمر الذى لا يعنى فى مضمونه وصراحة إلا أن تحديد الأهداف الإستراتيچية من تلك الحرب كان أمريكيا خالصاً.. حتى لو أعلن طرف من الأطراف أن غايته هو تحرير الكويت وفقط.. فذلك يعنى تحديد دوره الفعلى فى الأحداث فلا تأثير لموقفه إلا بمقدار ثقلة على الأهداف الإستراتيچية للقيادة .. ووافقت مصر وسوريا والمغرب على القيادة الأمريكية.. والأهداف الأمريكية للحرب.

وفى المقابل لم تتحرك أمريكا لمنع إسرائيل مرات ومرات من إجتياح وسط وشما ل لبنان قبل وبعد الحرب وفى أيام كتابنا هذا ..

---

(١) قال بيكر : « إن القوة العسكرية العراقية يجب أن يتم التعامل معها بكشل أو بآخر حتى لو إنسحب صدام حسين»

الأهرام القاهري في ١٠ / ١٢ / ١٩٩١ م.

(٢) أيضاً جريدة الأهرام القاهرى فى ١٠ / ١٢ / ١٩٩١ م .

لا تعنى الحوادث فى معناها وعند تحليلها على أن هناك خللاً وتعارضاً فى تعريف معنى الأمن والذى رفعه كل طرف من أطراف النزاع.. والأمن فعلياً خارج عن إطار التحديد لما يمتاز به من جانب معنوى ... ولما له من تصورات ومفاهيم هى أبعد ما تكون عن القياس المادى أو الموضوعى المجرد.. هذا إضافة إلى إختلاف وتعارض الأهداف القومية للأمم المتعددة.. وأيضاً تنوع وتدرج طموحات الإنسان الفرد.. تلك الحقيقة التى أشار إليها المولى عز وجل فى كتابه المحفوظ.

{ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف }.

بعد إندلاع القتال وتصاعده لجأت العراق إلى ضرب إسرائيل بالصواريخ .. ولم ترد إسرائيل بناء على ضغط أمريكى مدفوع.. وبعد أقل من ٢٤ ساعة فقط قبضت إسرائيل ثمن سكوتها..

كان الثمن عبارة عن تزويد إسرائيل بمحطات عديدة لصواريخ باتريوت تزيد قيمتها على ألف مليون دولار. وفى خلال ساعات تقدمت إسرائيل بدورها للحصول على دعم مالى إضافى وفورى قدره ٣ آلاف مليون دولار.. هذا عدا ١٣ ألف مليون أخرى فى الـ ٥ سنوات القادمة زيادة على المخصصات التى تحصل عليها إسرائيل كل سنة !!.. كما ظلبت إسرائيل أيضاً المزيد من طائرات ١ ف - ١٥ .. وغير ذلك من الأسلحة!!.

مع ذلك كله.. وفى المقابل فإن صندوق النقد الدولى رفض بعد الحرب مباشرة أقراض مصر.. مجرد الأقراض!!.. قبل تنفيذ تعليماته.. ومنها شرطه بالتخلى المصرى عن فكره إنشاء أيه محطات نووية لإنتاج الكهرباء .. هذا مع إن الفجوة فى القدرات الإنتاجية الكهربائية تقدر بحوالى ١٠ آلاف ميجاوات فى الفترة من ١٩٩٢ : ٢٠٠٢م .. ويتوافق ذلك مع إرتفاع قدره مصر الذاتيه على تصنيع حوالى ٤٠٪ من المحطات النووية بخامات مصرية.. و ٩٠٪ من الوقود الذرى .. و ٩٠٪ من الماء الثقيل من ما ء النيل..

كانت هذه كلها إشارت.. وبعض من فيض لما سجله الواقع السياسى والعسكرى وأفرزه من خلل فى التوازن بين العرب وإسرائيل.. قبل .. وبعد الأزمة..

المؤلم فى الأمر حقاً.. بل والمفزع أن مرجع كل ذلك إلى ما يمثله العراق من ثقل فى معادلة ذلك الخلل..

كان لا بد وأن ينطبع كل تلك الموازيين والتيارات على بصمات المواجهة السياسية .. بعد الحرب.

بعد شهر من الإنتصار الأمريكى بدأت جوله بيكر المكوكيه فى المنطقة تمهيداً لمحاولة أمريكا إقرار الأمن فى المنطقة حسب رؤيتها.. ولم يكن هناك سوى تشدد وتصلب إسرائيلى .. أمام تراجع وليونه عربية.. وتوالت التنازلات..

وفى أثناء ذلك سارع وزير الخارجية نفسه بالضغط على الإتحاد السوفيتى المهلهل كى يعيد علاقاته الدبلوماسية بإسرائيل وحذر من أيه عقبات روسية أمام الهجرة اليهودية السوفيتية. وفى المقابل ثم تحديد إتجاه تلك التيارات والغرسان المهاجرة إلى إسرائيل .. وفقط!! .

ولم تكتف أمريكا بل سارعت بمطالبة الإتحاد السوفيتى بعدم مد الطرف العربى بأى أسلحة ثقيلة ومؤثرة فى المستقبل .. إلا بعضهم.. كما طالبت أمريكا السوفيت بالأعتراض على مشاركه منظمة التحرير الفلسطينية فى المحادثات المأمولة والأقليمية..

ونجحت مساعى السيد بيكر.. وحققت أهدافها - الأمريكية الإسرائيلية - كاملة.

فى نفس الوقت.. ومن زاوية أخرى شددت إسرائيل على أمريكا بشأن أن يتم التفاوض المأمول على أساس ما وصفه وزير الخارجية الإسرائيلى دافيد ليفي: «بالمتغيرات الواقعية التى تحيط بالصراع فى الوقت الراهن .. لا على أساس قرارات الأمم المتحدة السابقة»..

لم تغمض العين الأمريكية على الجزائر وإتهامها بإقامة بنية نووية بالتعاون مع الصين .. والسعى من ثم الإمتلاك الأسلحة النووية - وعلى الفور نفت الجزائر ذلك الإدعاء.. وأكدت على إستخدام الأمكانات النووية فى المجال السلمى المحض.. وتم ترتيب الأمر للجزائر.. وجاء من يحكمها من الأراضى الفرنسية كى يحدد مسارها.

فى الوقت نفسه تماماً.. يعلن وزير الطاقة الإسرائيلى الإنتهاء من تأمين وأقامة محطة نووية فى إسرائيل بالإمكانات المحلية.. وبعد الحصول على مساعدات أمريكية وغربية !! .

وفى نفس الوقت تعترف إسرائيل بأنها حصلت على مفاعل نووى سوفيتى جديد بحجة تحلية ماء البحر (١).

.. وهكذا لا تعبر المواقف إلا عن خلل أساسى فى موازين القوى بين الأطراف المتعارضة.

أما بالنسبة لمصر فقد أشترط البنك « الأمريكى الغربى » فى تقديم مساعداته

---

(١) أكد د. إبراهيم العسيرى الخبير النووى المصرى ورئيس هيئة المحطات النووىة وقطاع الوقود: « إن إسرائيل تمتلك أربعه مفاعلات نووية تعمل بصورة منتظمة .. وهى :

(أ) مفاعل ديمونه الموجود بصحراد النقب وقدرته ٢٦ ميجاوات ويستخدم فى الأغراض العسكرية وإنتاج ماده البلوتونيوم .

(ب) مفاعل ريتشارد ليتون : وهو بقدره ٨ ميجاوات ويستخدم فى مجال النظائر المشعه وتم تشغيله عام ١٩٥٧!!

(جـ) مفاعل ناحال سوريك بقدره ٥ ميجاوات وهو مفاعل تجريبى بدأ تشغيله عام ١٩٥٨م .

(د) مفاعل روبين : وقدرته ٢٠ ميجاوات ويستخدم فى توليد الكهرباء وتحليله مياه البحر.

هذا إضافة إلى المفاعلات الجديدة.

كما أكد المؤلف الأمريكى أندرو دولسلى كوكيورن صاحب كتاب « القصة الداخلية للعلاقات السرية بين إسرائيل والولايات المتحدة » معتمداً على وثائق أجهزة المخابرات الأمريكية خاصة وكالة المخابرات المركزية على أن « إسرائيل قد أقامت قواعد نووية فى مرتفعات الجولان المحتدة بهدف ردع سوريا عن التدخل العسكرى فى الجولان » .. وعلى حسم مشكلة الجولان سياسياً من ثم !!

الأقتصادية لمصر أن تتوقف عن شراء أو إنشاء أيه محطات نووية.. وأوصى صندوق النقد بإعتماد مصر على الفحم - هذا رغم أن مصر تمتلك الإمكانيات لأقتحام هذا المجال!!

ووافقت مصر على شروط صندوق النقد الدولي - الأمريكي الصهيوني - رغم خلو مصر من أى مفاعل نووى حتى الآن .. مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك المشروع الحيوى لا يحتاج لإخراجة سوى قرار سياسي.

.. وعلى الساحة العراقية المغبونة كان قرار وقف إطلاق النار مشروطاً بحق إشراف مجلس الأمن الأمريكي فى الإشراف على محطات الطاقة النووية .. والتخلص منها وتدميرها.. ومصادره أى مواد تتيح للعراق فى المستقبل من الدخول فى هذا المجال - ويتحمل العراق وتكلفه كل ذلك[1]!! .

وتتناقل وسائل الإعلام كل ذلك ..وببهجة .. لا أدرى سببها .. كما أدرى معناها وقيمتها .

***

مع أزمة أمريكا الأقتصادية والتى تهدد ويعمق هيمنتها العسكرية والسياسية الدولية فإن حجم المبيعات التجارى للأسلحة والمعدات الحربية يصل إلى ألف مليار دولار سنوياً.. يخص الولايات المتحدة والإتحاد السوڤيتى سابقاً منها حوالى ٧٠٪ .. وبالقطع سوف تزداد إلى درجة عالية حصة أمريكا العالميه من مبيعات السلاح العالمى.. بعد إنهيار الإتحاد السوڤيتى.. وحرب الخليج الأخيرة . هذا كما أن دول الشرق الأوسط.. والأقصى تعد أكبر سوق للسلاح الأمر الذى يعد من أهم منافذ الإستراتيچية الأقتصادية الأمريكية.. ومع ذلك فقد أصدرت أمريكا بياناً ووضعت إطار عاماً للهيمنة على تسليح منطقة الشرق الأوسط .·. تهدف تلك الخطة أساساً

(١) تراوح ذلك تقديرياً بين ٢٠٠ - ٨٠٠ مليون دولار أمريكى !!

إلى حظر الأسلحة الإستراتيجية عن الدول الرئيسية فى المنطقة لمصر وسوريا والعراق.. على حساب تعويض ذلك التقويض المادى ببيع دول البترول الغنية.. والتى تحت السيطرة أية أنواع من الأسلحة.

أما بالنسبة لإسرائيل فلم يتعرض لها ذلك الإتجاه إلا بأقل القليل.. وأهم من ذلك حقيقة هو الإستقلال الذاتى الإسرائيلى وقدرتها على تصنيع الأسلحة الأمر الذى جعلها قادرة على ترجمة أهدافها وتطلعاتها ذاتياً.. معتمدة إلى حد كبير على نفسها وقدرتها

فى حديث للجنرال شوارتزكوف قال الرجل لمندوب إذاعة الجيش الإسرائيلى :

« إن قرار الحرب التى خاضتها أمريكا فى الخليج ثم إتخاذه جزئياً بسبب قلقنا على أمن الخليج لكنه كان مرتبطاً بالتأكيد بالخوف من أن العراق أصبح بشكل التهديد المحتمل فى المستقبل لإسرائيل » .

وهكذا .. وبينما تطالعنا وكالات الأنباء بجهود أمريكا والأمم المتحدة وحتى بعض العرب فى تجريد العراق مما تبقى من أسلحة تتطالعنا وكالات الأنباء بإقرار مجلس الوزراء الإسرائيلى لمشروع ميزانية الدولة لعام ١٩٩١م. والذى تضمن زيادة فى الإنفاق العسكرى الإسرائيلى لوزارة الدفاع- وأيضاً لإستيعاب مئات الألوف من المهاجرين اليهود الجدد.. هذا مع زيادة العجز فى الميزانية حتى أنه تم تقليص ٣٪ من ميزانية جميع الوزرات.. عدا وزارة الدفاع والتى زادت بمقدار مليار شيكل.. وكانت ميزانية وزارة الدفاع تمثل ١٣٪ من الميزانية العامة وهى نسبة عالية جداً بكل المقاييس.

بعد حرب الخليج.. وعلى الساحة اللبنانية الملتهبة تمكنت الدولة وبعد جهد من فرض سيطرتها على معظم أراض لبنان بعد القضاء على الميشيل عون- لكن ذلك لم يمنع إسرائيل من إنتهاز الفرصة وبسط هيمنتها على الجنوب اللبنانى بحجة تقوية الخط الأمنى فى الجنوب اللبنانى .. الأمر الذى لم يمكن الجبش اللبنانى من فرض سيطرته على الجنوب !!.. خاصة أن الجنوب اللبنانى كان البوابة المفتوحة دائماً لكل

محاولات إسرائيل التأديبية لفصائل المقاومة اللبنانية والفلسطينية .. ومازال الأمر على ذلك المنوال ..رغم قرارات مجلس الأمن المتواليه ..

وهكذا ضربت إسرائيل وعلانيه ومازالت عرض الحائط لأية شرعية دولية تعارض أهدافها الأساسية .. حتى ولو كانت مؤيدة بإجماع دولى - وموافقه أمريكية!! .

الحقيقة التى يخشى الجانب العربى رفعها ومواجهتها أن الهيمنة الإسرائيلية على الجنوب اللبنانى إنما هى الخطوة الأولى والأساسية للهيمنة الإسرائيلية على مصادر المياه فى لبنان. ولكى تربط هذا الشريان الأساسى للحياه فى إطار كفيل بجعل السيادة اللبنانية على أراضيه هامشيه وشكلية.. هذا فى أفضل الحالات.

ثم أخيراً.. وليس آخراً كانت آخر بصمات هذا التوازن المفقودة على الجبهة الشرقية العربية متمثلاً فى تراع خطير. أشتعل وفجأة بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبين ليبيا الجارة والشقيقة العربية.

كان النزاع بخصوص حادثين لطائرة أمريكية فوق مدينة لوكاربى فوق أسكوتكنده فى ديسبر ١٩٨٨.. وطائرة أخرى فرنسية فوق النيجر فى سبتمبر ١٩٨٩م ..

الأمر المدهش فى هذا التراع أنه فى إطار قواعد القانون الدولى.. والإحتكام إلى محكمه العد ل الدولية فإن القاعدة المستقرة هى أن أحكام القانون الجنائى لكل دولة تنطبق على مواطنيها بخصوص الأفعال المؤثرة والمؤثمة التى ترتكب فى الداخل وفى الخارج .. .

القانون الليبى يؤكد هذه القاعدة.. كما تؤكدها الاتفاقيات الدولية ذات الصلة بجرائم الطائرات مثل إتفاقية طوكيو ١٩٦٣م.. وإتفاقية لاهاى لعام ١٩٧٠ - وإتفاقية مونتريال لعام ١٩٧١م ..

أما بالنسبة لمسألة تسليم المتهمين فلايوجد فى قواعد القانون الدولى أوالداخلى

مـا يفـرض على دولة مـا تسليم رعـاياها إلى دولة أخرى بتـهـمـة إرتكاب جرائم فى الخارج.. هذا ما لم يكن هناك إتفاقيات ثنائية بهذا الشأن[١] .

التـزم الجانب الليبى بـهذه المبـادئ القانونيـة الثـابتـة والدوليـة .. وقـام المسـتـشـار السيد/ أحمد الطاهر الراوى بالتحقيق مع المتهمين. بل واصدر قراراً بمنع سفرهم إلى الخارج وسارع إلى جهات التحقيق فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا لمدهم بالوثائق ومحاضر التحقيق المتعلقة بالقضية.

مع ذلك كله فـقـد كـان الموقف الرسـمى لتلك الدول العظمى هو ضـرورة تسليم المتهيمين الليبيين لمحاكمتهم فى أمريكا!!

.. وعليه.. فقد سارعت ليبيا ولضمان جديه التحقيق وتزاهته بعدد من الخطوات منها :

١ ـ قبول التحقيق المشترك بحيث يشترك فى التحقيق والأستجواب قضاه من الدول الثلاث العظمى.

٢ ـ قبلو التحقيق الدولى .. أى تشكيل لجنة تحقيق دولية من جانب الأمم المتحدة.

٣ ـ قبول الرجوع لمحكمه العدل الدوليه لتحديد الجهة المختصة بالتحقيق .. وتحديد الأختصاص القضائى فى الموضوع .

٤ ـ دعوة منظمات حقوق الإنسان ونقابات المحامين وأسر الضحايا لمتابعة التحقيق .

.. وهكذا .. وبينما السلطات الليبية كانت ومازالت جد راغبة ومازالت فى إجراء تحقيق نزية وشريف وجاد بشأن ذلك الإتهام لأثنين من رعاياها.. فإنه وفى المقابل

(١) على أن ذلك لا ينبغى أن يكون مسوغاً لأفلات المتهم من العقاب .. فكل من معاهدتى لاهاى ومونتريال لم تفرض على الدولة ألتزاماً بتسليم مواطنيها فى حين الزمتها بإتخاذ الإجراءات القانونية للمحاكة.

هذه المبادئ أكدتها الإتفاقية الأوروبية لتسليم لمجرمين لعام ١٩٧٥م.. ونموذج إتفاقية تسليم المجرمين التى أقرتها الجميعة العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٩٠ م

نجد الطرف العالمى يؤكد على ضرورة تسليم المتهمين لمحاكمتهم على أرض أمريكية أو بريطانية.. ضاربة عرض الحائط بأيه مبادئ للقانون الدولى أو الإحتكام إلى القواعد المستقرة فى التعامل الدولى.. بل وسرعان ما طفت على السطح نبرة التهديد والوعيد بضرب ليبيا إذا لم تخضع كليه لهذا الإتبزاز.. بل رغم فرض الحصار الدولى نظرياً أو العربى فعلياً .

نفس التكتيك السابق تجربته مع العراق.. ونفس الموقف العربى من أخت شقيقه وجاره كريمة .

وسوف توضح الأيام وحوادثها ما يحمله القدر لمنطقة تقطعت فيها أواصر الأخوة حتى أن بعض الدول العربية وافقت على المنهج الغربى فى معالجته لهذه القضية المفتعله(١).

وبعد ذلك لا عجب ولإعجاب ..

تلك هى الصياغة الأمريكية للهيمنة والسلام الأمريكى.. والعدل التى تشدق بها وهلل لها كاتبنا الكبير خالد محمد خالد فلم نسمع للرجل رأيا فى الأحداث .. وكأن غاية هيمة ضرب العراق .. وفقط .

من ناحية أخرى .. وفى الوقت الذى توافق فيه معظم الدول العربية على النهج الأمريكى لتقليص ما تبقى من قوة لدى العراق تنشط إيران وبكل همة لإمتلاك القنبلة الذرية.. وتجدر الإشارة فى هذا المجال إلى الأزمة التى نشبت منذ عده أشهر بين فرنسا وإيران لرفض الأولى تسليم الثانية كمية من اليورانيوم المحضب كانت قد إتفقت على شرائها هذا كما أن هناك مشاكل أخرى شبيهه بين إيران وألمانيا والتى كانت تقوم بإنشاء مفاعل نووى فى إيران- وأيضاً هناك جهوداً إيرانية مع الصين فى هذا المجال .. كما تتواتر الإنباء عى إتفاق إيران مع العلماء السوفيت فى المجال النووى بعد إنهيار الإتحاد السوفيتى..

(١) وافقت الكويت على تقليص عدد موضفيها بسفارتها فى ليبيا.. وردت ليبيا على ذلك الموقف من الأخ الشقيق .. بمثله.

وأخيراً وعلى ذمة صحيفة « ذى يوروبيان » الأسبوعية البريطانية فإن إيران نجحت فى الحصول على رأسين نووين. على الأقل من كازاخستان .

تتوازى كل تلك الإشارات مع جهود إيران من عزل مصر بالذات عن أى أشتراك فى ترتيبات أمن فى الخليج وذلك حتى تنفرد إيران بمنطقة الخليج العربية .. الصغيرة .. والغنية .

بل لقد أمتد التأثير الإيرانى فى ظل غياب الذات الإسلامية « السنيه » ووضوح الرؤية والمواقف حتى أثر على السودان والجزائر .. بعد أن نجح فى سوريا ولبنان.. ثم ماذا بعد ؟! .

وهكذا يتضح مدى الخلل والتمزق الذى أفرزته حرب الخليج.. وأقصاء العراق عن دوره العربى والقومى. والدينى إذا أضفنا إلى ذلك كله حرية الحركه واليد الطولى التى أبدتها تركيا - ومازالت - فى قمعها لحركه الأكراد حتى إنها إنتهكت حرمه الأراضى العراقى كما فعلت إسرائيل يجتوب لبنان للمسنا جميعاً وعلى الفور مدى الإنهيار العربى.. بعد حرب الخليج..

من أوضح الأمور بعد ذلك العرض الموجز أن معظم تلك الكوارث التى زلزلت العالم العربى من شرقه إلى غربه كانت نتيجة مباشره لحرب الخليج- ولم تحدث بسبب نزاع بين أطراف عربية بل سقطت عندما تحول النزاع إلى صراع هيمنت عليه أطراف غير عربية .. رأت مصلحتها هى الأجدر..

بمعنى آخر فإن تداعيات الحرب والنزاع الخليجى كان مرجعه إلى الخروج عن دائرة التفاعلات والقدرات العربية بعد عدم الإلتزام بالقوانين والأحكام الإسلامية الثابتة.

والمؤسف والأشد خطراً أن تفاعلات الحوادث ما زالت على أشدها.

★★★

الواقع الملموس يقر بأن الإستيطان الإسرائيلى لأرض فلسطين هدف منذ البداية على إقامة تمييز جغرافى وسياسى كبير وذلك بإدخال مفاعلات بشرية وعقلية ولغوية مع إدخال المفاعلات النووية.. ومن ثم فقد تمكن اليهود من خرق الحصار العربى والذى كان مفروضاً على فلسطين المحتله منذ عام ١٩٤٨م .

كان الإستيطان والإختراق يزداد رسوخاً وقوة ونفاذاً مع كل تفاعل وحرب بين الدولة اليهودية والدول العربية منذ سنوات عده.. ومباشرة بعد إتمام إتفاقية كامب ديفيد أكدت الممارسات اليهودية اليومية أبعاد السياسة الإستطانية فى الأرض العربية .. المقدسة .. ومن ثم أصبحت أنباء المواجهات الدامية فى القدس[1] وعلى أرض الحرم القدسى الشريف أخباراً عاديه .. يوميه تشير إلى الهدف والمرمى العميق للمشروع اليهودى الصهيونى على الأرض العربية وتهدف إلى المرمى اليهودى من إلغاء التاريخ والواقع العربى على تلك الأرض.. مهما كان عمقه وجذوره وعظمه رموزه.

كانت حرب الخليج الأخيرة مفصل أساسى فى سبيل تحقيق الحلم الصهيونى ويرجع ذلك أساساً للخلل العسكرى الذى نشأ عن هذه الحرب وكنتيجة لها.. وأيضاً لأثرها على المواقف والقوى العربية فى تلك المنطقة الأمر الذى نشأ عن هذه الحرب وكنتيجة لها.. وأيضاً لأثرها على المواقف والقوى العربية فى تلك المنطقة الأمر الذى زاد العرب ضعفاً وإنقساماً.. بل ونستطيع أن نجهز أن ذلك الهدف الأيديولوچى المأمول كان له جانبه البروتستانتى الأمريكى والبريطانى.. وكان من ضمن أهداف الحرب الأساسية.

كان من مظاهر ذلك الخلل محاوله طمس الحق فى القضية الأولى .. قضية القدس الشريف.. ولكن كيف؟.

من الأمور المتفق عليها بين فقهاء القانون أن لكل نظام قانونى أقليمى كان أو دولى أشخاصاً تخاطبهم القواعد القانونية ـ يتمتعون بالأهلية القانونية التى تمنحهم الحقوق – كما تفرض عليهم الالتزامات والواجبات ..

ذلك الأمر يعنى فى لغة الفقه القانونى أن الشخصية القانونية هى التعبير عن الصلة التى تقوم بين وحدة معينة .. ونظام قانونى محدد .

---

(١) آخر إعلاهن إسرائيلى عن مدى النشاط الأستطانى فى منطقة القدس كان الإعلان عن الإنتهاء من بناد ٥٣ ألف مسكن إسرائيلى فى منطقة القدس العربية. الأمر الذى أدى إلى خلل فى التركية السكانية حتى تضاعفت عدد اليهود عن العرب فى منطقة القدس .. العربية!!

يترتب على تلك الأساسية نتيجة هامة وهى أنه لا توجد فى النظم القانونية أشخاص بطبيعتها .. وإنما توجد الأشخاص فى هذه النظم بالقدر وفى الحدود التى يقررها كل نظام من هذه الأنظمة عن طريق تعيين من له الإستمتاع بالحقوق فى هذه النظم .. ومن عليه إداء الألتزامات فى نطاقها ..

أو بتعبير رسمى أدق .. عن طريق من له الأهلية القانونية .

لعل هذه القاعدة الفقهية والقانونية هى من رمى إليها الجانب الإسرائيلى وبكل ثقلة لإخراج منظمة التحرير الفلسطينية من حقه كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى. الأمر لذى أقره ومنذ مده العالم كله.. والأمم المتحدة..والعالم العربى.. ومع ذلك نجح اليهود فى إستبعاد المنظمة كممثل شرعى ووحيد من محادثات السلام التى تجرى حالياً .. ووافقهم العرب .. دون أن يفطنوا إلى المغزى الرسمى لقيمة نتائج مؤتمر السلام كيفما كانت طالما تم إسقاط الأهلية القانونية الفلسطينية خارج الأراض المحتلة .... الا فى حالة تطويع تلك المنظمه للاستراتيجية اليهودية .

مجرد إشاره لتداعيه من تداعيات حرب الخليج.

★★★

من اللازم الإرتكان إلى منهاج ثابت وفهم معين وفلسفة واضحه متفق عليها خاصة وقت الإمتحان العصيب والضيق الشديد .. نستمد منه العون.. ونثبت به الذات.

وقرآن رب العالمين زاخر بالأوامر والنواهى لما يحدث . وكأننا قد إتفقنا جميعا على ألا نلتزم به.. فكل كارثه تحيط بنانجد لها تفسيراً وتحذيراً ومنهاجاً للسلامة فى كتاب ربنا الخالد.

قالت تعالى : { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون }.

وفى التفسير : » لا تميلوا أدنى ميل إلى أعداء يالله وأعدائكم الذى ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله.. ولا تعولوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم فتستحقوا بهذا الميل عذاب الله. ولا تجدوا أحداً يدفعه عنكم ثم تكون عاقبتكم أنكم لا

تنصـرون على أعـدائكم بخذلان الله لكم ولركـونـكم إلى أعـدائـكم وعـدوه. »....

المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ج . م .ع. ص ٣٢٧ .

وهكذا .. فى آيه واحده .. وسطر واحـد .. كـان التشـخـيص والعـلاج لكـل تلك الإنهيارات .. والهزائم والخسائر

.. فماذا نحن قائلون لربنا عباد الله عن كل تلك المصائب؟!

وبماذا نحن مدافعون عن أنفسنا يوم لا ينفع مـال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ؟!

وما الذى يسوقه هولاء السياسيون من حجة؟!

وأى حجة مردودة بقول المولى عز وجل :

{ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين }

وصدق الله العظيم

الفصل الرابع عشر

تحديد القدرات النووية العـــراقيــة !!

الفصل الرابع عشر
تحديد القدرات النووية العراقية !!

من أوجه الصراع العديدة بين المعسكر الغربى والشرقى والذى انتهى بانهيار الاتحاد السوفيتى كان الصراع العلمى.. الأمر الذى استلزم من الغرب أن ينشى جهازاً خاصاً مقره «باريس».. ويدعى «الكوكوم».. وهو جهاز سرى الى حد بعيد لايعلم أحد عدد العاملين به.. أوحتى مواعيد اجتماعاته الدورية.. أو جدول اعماله.. ومهمه هذا الجهاز كانت الاشراف على فرض حظر حديدى على المواد والسلع الاستراتيچية والموجهة الى دول المعسكر الاشتراكى.. وقد نجح المعسكر الغربى والى حد بعيد فى الحد من تسرب المعارف التكنولوچيه الى دول المعسكر الشرقى.

كان لذلك الأمر أثره الواضح وحتى على المدى القريب فقد أدى الى فجوة ازدادت اتساعاً بين المعسكرين المتقابلين خاصة فى السنوات الأخيرة.. كان ذلك عاملاً من عوامل الضغط على المعسكر الاشتراكى لاشك فيه.

كان ذلك كله تعبيراً عمليا عن الحقيقة الملموسة والتى تنادى بأن القوة العسكرية العلمية بلفت شأوا افقدها هيمنة القوة السياسية.. والدول الذرية اصبحت تملك القدرة الفعلية على تدمير بعضها البعض وحتى تدمير الآخرين الأمر الذى نشأ عنه صعوبات جمه فى مجال السياسة والعلاقات الدوليه.. وافرز من ثم موازين جديدة..واصبح الأمر اكثر صعوبه من منطلق أن تلك المتغيرات السياسية تحدث نتيجة جهود عمليه داخل حدود ارضية لدول مستقلة لايمكن انتهاك حرمتها قانوناً!!.

قسمت كل تلك الحقائق والمتغيرات المجتمع الدولى الى فريقين: تلك التى لها سند وحق امتلاك الاسلحة النووية.. وأخرى محظور عليها- ومن قبل الفريق الاول- دخول النادى الذرى أو حق طرق ابوابه.

زاد الأمر صعوبة بروز مجموعة ثالثه مثل اسرائيل وجنوب افريقيا تنتج الاسلحة

النوويه ودون أن تعلن عنها وهى تملك العلماء ومراكز العلم ومصادر التمويل والاتصالات والمال وغيره..هذه المجموعه كتب لها النجاح فى طرق النادى الذرى حيث انها تتصل وتكمل استرايتچية المجموعة الأولى.

غير أن التقدم العلمى وطبيعته الانسانية حطمت أيه جهود رمت الى سرية انتاج الاسلحة النووية.. وكان لابد من انتشار الاسرار العلمية خاصه لما تمثله المجموعة الاولى والثالثه من تفوق وهيمنه يهدد وبالضرورة التوازن العالمى الانسانى واستقراره.. ومن ثم نشأ ما يعرف بمجموعة الدول الوشيكه التحول الى دول نووية.. Near Nuclear States .. بل لقد اتسعت دائرة هذه المجموعة رغم الجهود المبذولة والضغوط العنيفه من دول قمة المجتمع الدولى لحجب الاسرار العلمية والتقنية لخطر امكانيه صنع الاسلحة النووية.

من تلك الدول: الهند.. وباكستان.. والارچتين البرازيل.. وحتى ايران!!.

بالنسبه لاسرائيل فجميع الهيئات الدولية والعالمية تقر بأنها دوله ذريه ومتقدمة لها امكانياتها.. هذا رغم أنها ترفض رسميا الاعتراف بذلك.. وترفض ايضا من ناحية المبدأ طرح تلك الحقيقة على بساط التحقيق والمفاوضات وبذا فإن إسرائيل تفصل فصلا تاما بين قضية السلام بينها وبين دول الجوار العربى.. وبين قضيه الاسلحة الذرية التى تمتلكها.. وقد خلق هذا الوضع معياراً غير عادلاً فى نظرة الغرب لقضية انتشار الاسلحة النووية فى منطقة الشرق الاوسط.. فبينما فهى تصر وترى منع هذا الحق تتغاضى عمداً عن القوة الذرية الإسرائيلية والإمتياز النووى عن الجانب العربى.. وبأى ثمن.

كانت حرب الخليج الأخيره تعبيراً عملياً عن أهميه ذلك المعيار العالمى والظالم لتلك القضية الهامة والحساسة.

يذكر كتاب « علاقات خطيرة » لمؤلفه اندرو وولسلى كوكبورن[1]عن مدى العلاقات الخاصة والذرية بين الولايات المتحده واسرائيل فيقول: «إن خمس إدارات

(١) أعتمد المؤلف على وثائق ومعلومات أجهزة المخابرات الأمريكية .

امريكية متعاقبه ساعدت اسرائيل على اخفاء خطه تصنيع الاسلحة النووية الاسرائليه..».. كما يذكر عن كشف ال:«سى.. إى.. إيه» للإدارة الامريكية عن انهماك اسرائيل فى التجسس على المنشآت النووية فى الولايات المتحدة الامريكية ذاتها!!».. ويذكر ايضا أن اسرائيل قد تمكنت من تهريب ١٠٠ كليوا جراما من اليورانيوم المخصب بمساعدة المسئولين فى مفاعل نووى امريكى موجود بمدينه «ابولو» بولاية بنسلفانيا الامريكية!!..».. هذا كما أن لاسرئيل الغاما نووية فى مرتفعات الجولان المحتله.. كما يشير الكتاب الى مدى الترابط والتعاون المتبادل على مستوى المخابرات فى كلا البلدين... الخ. هذا بالنسبه لاسرائيل.

أما بالنسبة للعراق.. فقد كانت الاشارات واضحة.. ولأقصى حد أن من أهم أهداف امريكا من تلك الحرب كانت تحطيم قوه العراق الناشئه النووية[1]. وهذا الهدف أساسى واستراتيجى عالمى.. يستلزم تحطيم قدرات العراق ولن يتأتى ذلك إلا بقيام حرب وتحت أى مسمى وذلك لقوة العراق وحيويتها.

لعل المتتبع لتصريحات ريتشارد تشينى وزير الدفاع الامريكى يستطيع أن يقسم على أن أهم اهداف امريكا الاستراتيجيه كانت تحطيم القدرة العسكرية النووية

---

(١) قبل الحرب.. كثيراً ما أعرب كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية عن قلقهم إزاء إحتمال أن يكون العراق قد إمتلك أسلحة نووية - أو هو فى الطريق إلى إمتلاكها .و أشاروا إلى ضرورة قيام واشنطن بالعمل على تبنى إجرادات دولية تهدف إلى القضاء على القدرات النووية للعراق بعد تسويه أزمة الخليج!! .

هذا - كما ذكر جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية صراحه .. وبلغة مفهومة.. وكلمات لا لبس فيها وذلك فى حديث شبكه A.B.C الأمريكية: « أن العراق يقوم بجهود غير عادية منذ فترة بهدف تطوير قدراته النووية وإن هذا يستلزم الحذر والقلق من العالم كله!! » .

أما ريتشارد تشينى وزير الدفاع الأمريكى فقد ذكر فى مقابلة مع شبكة .N.B.C: « أنه يعتقد من خلال معلومات مصادر المخابرات أن صدام حسين يقوم بشئ ما وإنه يستطيع إنتاج أسلحة نووية ».

... وهكذا .. فعندما قاربت العراق من البوابة الذرية .. أختلقت أمريكا أزمة الخليج بهدف القضاء على قوة العراق .

.. أهم ما فى الأمر حقاً هو الدور العربى المأسوى فى إخراج الأحداث وضد الشقيقة العراق.

الناشئة.. ولما كان هذا الهدف لم يتحقق بصوره تامة وشامله فإن تصريحات وزير الدفاع- بعد الحرب- توضح ايضا أن امريكا لم تغفل ولن تغفل عن هدفها الاساسى من تلك الجريمه.

وهكذا اعلنها ريتشارد تشينى واضحة عاليه في برنامج تليفزيونى بأن: «توجيه ضربه عسكريه- جديدة- ضد القدرات النووية للرئيس العراقى صدام حسين لن يفسد مبادرة الرئيس الامريكى بوش لمؤتمر السلام فى الشرق الاوسط..وقال: « إن دول المنطقة هى المعرضة للخطر إذا احتفظ الرئيس العراقى باسلحة الدمار الشامل.. وامكنه استخدام سلاحة النووى »..

وهكذا ترمى كل التصريحات ايضا الى تثبيت المفهوم والنظرة السياسيه لدول الخليج وهى أن الخطر على تلك الدول إنما يتأتى أساساً من دول الجوار العربى القوية..

من ذلك المدخل يمكن تعميق الخلل العربى.. والنفاذ الامريكى لأهدافه فى المنطقة.

من المنطق ان تكون للاهداف الامريكية مضاعفاتها.. فقد حذر الخبير الامريكى بنيت رامبرج الباحث بمركز الشئون الدولية والاستراتيجية بجامعة كاليفورنيا من ضرب اية منشات نووية عراقية.. وقال: « ان ذلك سوف يودى الى عواقب اخطر مما ترتب على ماساة الاشعاع النووى من مفاعل تشرنوبيل السوفيتى[١] »

ولعل ذلك التقييم العلمى كان له اثره فى اخراج الحوادث وعدم ضرب المفاعلات اثناء الحرب على ان ذلك ام يسقطها وتم تحطيمها هذه الايام بعد اكثر من عام من الحرب.

ورغم ذلك فقد قامت اسرائيل بقصف مفاعل نووى عراقى كان خاضعا لاشراف وكالة الطاقة الذرية الدولية كما قصفت الولايات المتحدة مفاعلين نوويين لم يكتمل العمل بهما اثناء حرب الخليج.

---

(١) الأهرام القاهرى فى ١٣ / ٨ / ١٩٩١ م .

وهكذا تم ضرب الاهداف النووية العراقية سلمية او حربية -وسواء كانت خاضعة ام غير خاضعة لاشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية الامر الذى يشير الى المبدا الاساس.. والنظرة الفعلية للسياسة الامريكية تجاه امتلاك الدول العربية للطاقة الذرية.

الغريب فى الامر حقا ان الدول الغربية اساسا هى التى امدت صدام حسين بالتكنولوجيا العالمية مثل مكثفات التفجيير النووى والمصانع القادرة على صناعة الاسلحة الكيماوية والجرثومية!! .. بل لقد تكاتفت دول الغرب جميعها فقد باعث شركات المانية وفرنسية وايطالية.. وحتى امريكيه كل الخبرات اللازمة لذلك المجال وبمئات الملايين من الدولارات.

الإمر الذى يدعو الى التساؤل والاستغراب عند اعمال أى درجه من المنطق- حتى أدناها- هو كيف نجح الغرب بجهازهم «الكوكوم» فى حجز الاسرار العلمية عن روسيا حتى تم تعجيزها.. فى حين أن الغرب نفسه قام بتمويل وتجهيز العراق بمختلف ما يحتاجه من مراكز ابحاث وآلات ومصانع لطرق النادى الذرى.. ثم وفجأه يصبح العراق خطراً وبؤره للرعب الاسود يجب القضاء عليها وبأيه وسيله.. وتحت أى مسمى..

ومن ثم يستصدر مجلس الأمن قراراً- امريكياً- بأن يقوم العراق من بين دول العالم اجمع بتدمير وإزاله جميع مالديه من اسلحة بيولوچيه وكيميائيه ومعامل ابحاث نووية وقذائف يزيد مداها على ١٥٠كيلومتراً !!... بل وينص القرار ايضا على حتمية فرض الحصار على العراق من قبل دول العالم!!

أدنى منطق يجزم بأن اخراج الحوادث وتسلسلها ومعناها إنما يتأتى من مخرج كبير مهيمن.. وهذا حقه من وجهة نظره.. غير أن اهم ما يثير الاسى وينقصنا هو فهمه وتقيم اهدافه الحقيقة.. ومن ثم التعامل معه بالطريقه السليمة والصحيحة.

★★★

رغم صيحة امريكا بالعمل على الحظر الدولى للأسلحة الى منطقة الشرق العربى

والعراق بصفة خاصة.. فإن الحقيقة الثابته أن ٨٥٪ من مبيعات الاسلحة الى تلك المنطقة امريكية بحتة اضافه الى الدول الدائمه العضوية فى مجلس الأمن.. ومن ثم تأتى اهمية هذا البند الاقتصادى والسياسى والعسكرى.. فهو يغطى العجز فى كثير من ميزانيات هذه الدول.. كما أن سقوط الاتحاد السوفيتى وازمته وتحول جزء كبير من صناعاته الى المجال السلمى يزيد من حصة امريكا من مبيعات الاسلحة- ولاشك.

وهكذا.. وافق الكونجرس منذ عده اشهر على بيع اسلحة لمنطقه الشرق الاوسط قيمتها ١٨بليون دولار.. وذلك تعويضا عن الاسلحه التى دمرت فى حرب الخليج!! ومازالت جهود مبيعات الاسلحه فى تصاعد. هذا فقط فيما يخص بند بيع اسلحه وتعويضها واستبدالها.

تقييم تلك المسأله وبمفردها يستطيع أن يوضح حتميه حرب الخليج من زاوية امريكية.. كما تم توضيح زوايا أخرى عديدة.. الأمر الذى يسلتزم تقييم الموقف من منطلق سياسى واقتصادى عميق.. الأمر الذى يفسر من وجهه نظر العراق حتميه احتلال الكويت.. وذلك لحتميه ضرب العراق..

يؤكد ذلك- وبكل قوة- السياسة الامريكية فى المنطقة بعد حرب الخليج وتحرير الكويت.. فرغم التدمير الهائل فى البنية الاساسية العراقية وكسر البنية العسكرية فإن الادارة الامريكية والاعلام الامريكى والغربى مازال يبذل جهوداً فائقه خاصة لدى دول الخليج والسعودية لترتيب وتأكيد النظرة التى تنادى بأن العراق مازال يمثل خطراً جاثما عليها .. وليس على اسرائيل.. الامر الذى يستدعى اجراءات عده وعقد معاهدات واتفاقيات ملزمة لمزيد من الاستنزاف من ناحية.. وكسبيل لتأكيد الهيمنة البتروليه والاقتصادية على المشرق العربى.

تلك السياسة لن تخدم بالقطع سوى اسرائيل.. وامريكا فى المقام الاول.. وحتى ايران.. وإن كان ذلك يتم بطريقه غير مقصوده..

كانت المساهمة الرسمية والفعلية لاسرائيل فى الاحداث واضحه.. فضلا عن

مساهمة كتابها والمناصرين لها والذين يعلمون فى آلات الدعاية والاعلام الغربية.. فقد لمح هؤلاء «الفرسان» باحتمال قيام اسرائيل بالعدوان على العراق والقضاء على خطرها إذا لم تسارع الولايات المتحدة بالقضاء التام على القوة الناشئة والقدرة التكنولوجيه العسكرية العراقية[1].

والتى تنظر اليها اسرائيل بعين القلق ولاترضى عنها.

وهكذا.. وبعد نهاية الحرب مباشرة نشطت الاجتماعات بين رؤساء وقادة الدول الصناعية الكبرى.. وعلى رأسها امريكا وتم تناول ورقه ضرورة القضاء على ما تبقى من نشاطات العراق النووية والتكنولوجيه.. وكثيرا ما اعلنتها امريكا صريحه واضحة وهددت بضرب العراق مرة أخرى إذا لم تتعاون العراق مع فرق التغتيش.. وحتى الآن مازال هذا التهديد مرفوعا على العراق الوحيد المغبون.

فى اواخر يوليو ١٩٩١م اجتمع ممثلى الدول الخمس الدائمه العضويه فى مجلس الأمن لبحث الاقتراح الذى تقدم به الرئيس الامريكى باعتباره متمماً لعملية السلام.. والاقتراح تضمن ببساطه شديده محاوله صريحه ومكشوفه لفرض نوع من انواع الرقابه على صادرات السلاح الى الدول العربية بوجه خاص لتحديد قدراتها العسكرية الفعليه!!.. وبالطبع لم يتطرق المشروع الى الحديث عن جعبة الترسانه الاسرائيلية الفائقة من اسلحه بالغة التقدم التقنى ومتعددة وفائقة التقدم ومن نوويه الى بيولوچيه الى كيميائيه.

كانت خطه الرئيس الامريكى تتضمن أساساً تجميد إنتاج واختبار وحظر الحصول على صواريخ ارض- ارض من جانب دول المنطقة بهدف إزالة هذه الصواريخ بشكل نهائى من ترسانه اسلحة دول المنطقة.. هذا فى الوقت الذى تتعاون فيه الولايات

(١)غير أن تقريراً أعدته إحدى لجان مجلس النواب الأمريكى كشف أن بيع معدات تكنولوچية أمريكية إلى العراق ساعدته فى تطوير أسلحته الكيماوية البيولوچية.. وأوضح التقرير أن هذه المعدات كانت ضمن عده صفقات بين البلدين تم توقيعها بين عامى ١٩٨٥ : ١٩٩٠م – وتبلغ قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار.. ومع ذلك كله فقد إدعى التقرير أن رخص تصدير هذه المعدات لم تعرض على وزارتى الخارجية .. والدفاع الأمريكيتين ...... باسلام .

المتحدة تقنيا وتكنولوچيا مع الصناعة العسكرية الاسرائيليه فى مشروع حرب الفضاء الامريكى[1].

أهم ما يعنينا على أرض الواقع هو موقف الدول العربية تجاه تلك الساسة الغير عادلة والتى لا تهدف إلا الى كسر شوكة العرب.. فبالنسبه للعراق فقد بادر الرئيس مبارك ينصح الرئيس العراقى اكثر من مرة بالسماح لقوات التفتيش الدولى بحريه الحركه فى العراق ومساعدتهم.. كما ناشد الرئيس المصرى أن تعم نظرة الرئيس الامريكى لكل اطراف المنطقة...وبالنسبه لليبيا فلم تتطور الأمور بعد وتلمس حقيقة الاهداف غير انها وبالتأكيد لا تخرج عن نفس الموقت العالمى تجاه الجهود النووية الليبية[2].

.. اما بالنسبه للجزائر فقد كانت الاحداث الأخيره تعبيراِ عن خوف الغرب من نشاطها النووى- اعتراف بذلك ريتشارد نيكون فى كتابه «انتهزوا الفروصة » Seize the moment[3].

وبالنسبه للنظرة الغريبه تجاه العراق وبعد الحرب فانه من الواضح حرص الطرف الغربى المهيمن على تقسيم العراق مع المحافظة والهيمنة على الجنوب لما فى ذلك من خطورة محققه على موازين القوى والهيمنه الشيعية على المنطقة الغنيه بالبترول..

---

(١) بعد حرب الخليج وبشهر واحد أطلقت إسرائيل صاروخ « هيتنر» المضاد للصواريخ. وحسب المتحدث الإسرائيلى فقد تمت التحربة بنجاح.. وكان ذلك فى حضور مسئولوين أمريكييمن يعملون فى مشروع حرب الكواكب الذى يعتبر صاروخ هيتنر جزءاً نه - وقد شاركت الولايات المتحدة بتمويل عملية تطوير هذا الصاروخ بنسبة ٨٠٪ .. وقد ذكر مسئولون عسكريون إسرائليون أن صاروخ هيتنر يوفر حماية أكبر من تلك يوفرها صاروخ باتريوت الأمريكى.. نجم حرب الخليج - وبعد عده أشهر أطلقت إسرائيل كذلك قمراً صناعياً فى إطار تعظيم قدرات الموساد والإستخبارية..

(٢) يعبر عن ذلك ريتشارد تيكسون فى كتابه فيقول : « إنها مسألة وقت فقط قبل أن تستطيع دول خبيثة مطاردة مثل العراق وليبيا إمتلاك صواريخ ذات مدى عابر للقارات » .. كتاب إنتهزوا الفرصة .. ص ١٣٩ .

(٣) حيث قال : « وقاموا » أى الصين بناء مفاعل نووى فى الجزائر يمكن إستخدامه لتطوير أسلحة نووية» ص ٢٢٨ .. ترجمة حاتم غانم .

ومن ثم كان غاية الامانى بروز قيادة بديله تتولى بلداً متهكاً ينتظر العون.. ومن ثم يمكن احتوائه هوالآخر.

وهكذا يكتمل السنياريو الامريكى.. والذى حقق على ارض الواقع تحالفا امريكيا خليجيا من ست إمارات ودول عربية واسلامية غنيه.. الأمر الذى اعتبره رومان بويادوك أحد مسئولى الادارة الامريكية « أهم اجاز امريكى تحقيق الآن ..

لعل تقدير الغرب لقوة العراق- ومواقف العراق بعد الحرب والتى ظهرت من خلال تحليل مواقف أخرى عالمية مضادة يشير الى مدى الجهد الذى بذله العراق فى تقويه بلده.. الأمر الذى جاء على حساب رفاهيه شعبه.. والأمر الذى حسبه المترفون سلاحاً يرفع فى وجوههم.. وهو الأمر الذى استغله الكبار لتصوير واخراج سيناريو الاحداث الاخيرة..

فأين الخلل ومواطنه بين اطراف الازمة؟!

المدهش أنه وعلى الجانب الآخر الاسرائيلى كانت الحوادث تجرى ولكن بشكل آخر تماما.. ففى حين سجل الكونجرى الامريكى تقريرا عن سباق التسلح فى الشرق الاوسط جاء فيه:

« إن اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الاوسط التى يمكن أن تكون بحوزتها أسلحة نووية وانها تتفوق فى السلاح الجوى والمدرعات والدبابات على الدول العربية.. أضاف التقرير أن اسرائيل لم توقع على اتفاقيه حظر إنتشار الاسلحة النووية الأمر الذى صورته امريكا على أنه يمثل عقبه فى سبيل التوصل الى الحد من تدفق الاسلحة للشرق الاوسط!! »

الشئ المثير للدهشة حقاً هو أنه قبيل إذاعة هذا التقرير فى يونيو ١٩٩١م وافقت امريكا على منح اسرائيل معدات واجهزة عسكريه متقدمه بأكثر من مليار دولار!!.. إضافة الى أن اسرائيل كانت قد أدخلت الى ترسانتها جيلا جديداً من صواريخ «چيتس» لينضم الى الترسانه البعيدة المدى من صوايخ « أريحا ».. بل وتسارعت دائرة التعاون فى المجال الذرى بين اسرائيل وجنوب افريقيا.. ثم تكشف المصادر

المسئولة بهيئة الطاقة النووية المصرية عن قيام وفد صهيون من لجنة الطاقة النووية الاسرائليه بزيادة بولندا بفرض شراء مفاعين نووين من طراز « VVER- 44 » وقدره كل منهما ٤٦٥ ميجاوات كهربى[١].. وهذا كله اعلن عنه.. مع ذلك كله لم تتم ايه مساءلة دولية أو امريكية لاسرئيل من أى نوع.. بل وتستمر اسرائيل فى رفضها التوقيع على معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية.. فضلا عن رفضها المعلن لاى نوع من الاشراف الدولى على نشاطها ومنشآتها النووية.. حتى لقد وصل الأمر الى حد إعلان النخبة السياسية والثقافية والعلميه فى اسرائيل ـ على ضرورة إحتكار اسرائيل للاسلحة النووية فى المنطقة.. هكذا.. وعلانية.

إن ادني تقيم للممارسات والسياسات الامريكية تجاه التسلح التقليدي وفوق التقليدي لدول منطقة الشرق الاوسط يثبت ويشير بأنها سياسة منحازه جهاراً نهاراً الي اسرائيل.. وضد العرب.. بل ولاتتمتع بادني درجة من درجات الاستقامة والعدل.

وليت الأمر مقتصراً على اسرئيل !!.

★★★

فى اواخر شهر مايو ١٩٩١م اجتمع وزراء دفاع دول حلف الإطلنطى لبحث استراتيجية الحلف النووية وذلك بعد أن اتفقوا على قرارات هامة بأجراء تعديلات جذريه على استراتيجيات القوات الغربية التقليدية بانشاء قوة الانتشار السريع وفقا للمتغيرات الجديدة.. بعد انتهاء فتره الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوڤيتى.

بعد اقل من شهرين ظهرت بوادر هذه الاستراتيجية الجديدة فى حملة غربية محمومة ضد ليبيا والجزائر مع تلميحات بحدوث عمل عسكرى ضد بعض المنشآت

(١) صرح ريتشارد ميرفى أن « إحتمال قيام أمريكا بنوع من الضغوط المالية على إسرائيل هى عبارة المستحيل السياسى هذا مع أن هناك إحتمال كبير بصدد تخفيض الأسلحة إلى الشرق الأوسط-فسباق التسليح قد خرج عن حدود الإنضباط!! » .. فى ندوة الجامعة الأمريكية القاهرة عن « النظام العالمى الجديد والسياسة الأمنية بالخليج » .. غير أن الضغط والجهد الأمريكى موجه فقط إلى الجانب العربى من الصراع!! .

المتعلقه بالصناعة الكيميائيه والدوائيه التى تدعى واشنطن أنها تستخدم كمراكز لصنع الاسلحة الكيميائيه فى ليبيا.. وضد المفاعل الذرى فى الجزائر والذى لايقارن بحال بأى مفاعل لدى اسرائيل.. توازن ذلك مع تكثيف استخبارى اسرائيلى ضد ليبيا لخلق هوجة عالمية ضدها مماثلة لتلك التى اثارتها ضد العراق.. اما تشكيل الاحداث واخراجها فإن الغرب اثبت مقدرة فى هذا المجال.. وحرب الخليج ليست ببعيدة عن الاذهان.

وبالنسبه للجزائر فقد تم معالجتها اقتصاديا .. وسياسيا بأحداثها الأخيرة الأمر الذى افقدها- ولو مؤقتا- أى أثر ايجابى على الاحداث.. ونفس الأمر بالنسبه لسوريا والى حد كبير(١).

خلقت الاوضاع والسياسات بعد الحرب وضعاً أتاح لايران فرصة العمر كى تكون الدولة المهيمنة الخليجية وعلى المدى الطويل وذلك نتيجة للخلل العسكرى الطارئ بعد حرب الخليج « .. خاصة أن ايران ورغم خسارتها الحرب الخليجية الاولى وانهيار اقتصادياتها تتميز بوحده عقائدية وايدلوچيه وعنصرية يسهل لها تحديد الهدف ويدفعها دفعا للسعى لتنفيذه.. ومن ثم سارعت ايران باعادة بناء قواتها العسكرية بعد ضرب العراق.. وبسرعه.. هذا كما أن الخلل الاستراتيچى الناشئ فى منطقه الشرق الاوسط رفع من قيمة الحلف الايرانى- السورى اللبنانى الشيعى.. وتوازى ذلك كله مع ازدياد ملحوظ فى القوة الجويه الايرانيه بعد مصادرة ايران لنحو ١٤٠ طائرة عراقية تمثل احداث تكنولوچيا الطيران السوڤيتيه والفرنسيه..» ومن ثم اصبحت ايران اكثر الدول ترشيحاً لاحتلال الضلع الثالث فى مثلث بناء القنبله النووية الاسلاميه بعد الباكستان وليبيا.. خاصة مع محاولاتها الحقيقة لجذب علماء الاتحاد السوڤيتى المنهار.. ثم كان اتجاه ايران لتكوين حلف اسلامى مع تركيا والباكستان والدول الاسلامية السوڤيتيه المستقله وهو حلف استراتيچى هام يجعلها ويرشحها على المدى المنظور القلب المؤثر فى اتجاهات العالم الاسلامى !!.

---

(١) قالها شارون صراحة « إنه طالما أن بالعالم العربى زعماء وأمثال الأسد والقذافى فإن المنطقة لن تشهدا أستقراراً وسياسياً أو أسلامياً » ......وهكذا .

فإذا ما علمنا الاتجاهات العقائديه والمفاهيم الايديولوچيه المسيطره على الشيعة الايرانيه الاثنى عشريه والتى تحدد هدفهم وايديولوچيتهم ونظرتهم للعالم السنى العربى لراعنا خطورة تلك الاحداث وتداعياتها.. وما تنذر به وتشير إليه.. حتى على مستوى المستقبل المنظور.

مع تلك التداعيات والتطورات البالغة الخطورة على مستقبل الأمة العربية المسلمة أعلن الرئيس مبارك عن وقف المشروع النووى.. بدعوى تكلفته العاليه[1]!!.. وكذا تفادياً لمخاطره. ولم يكن ذلك القرار الصعب سوى تسليم لمطالب وضغط البنك الدولى.. الغربى الخليجى !![2].

نعتقد- والرأى شخصى- أنه قد صار من العبث السؤال عن كيفية التخلص من أسلحة الدمار الشامل على مستوى منطقه الشرق الاوسط العربية كما تجرى السياسات المعلنة وذلك لتعدد الاتجاهات والايديولوچيات ووقوفها جميعا على ابواب النادى الذرى.. ونظرتهم الذاتيه لذلك الهدف استراتيجيا وعقائديا.. ومن ثم فمن يخاطر بنبذها اعتماداً على حماية الدول الكبرى قد يصبح لقمة سائغه سهله لإعدائه.. وللدول الكبرى وسياسات العالم الغربى المتغيرة بعد ذلك[3].

كل تلك التدهوات كانت نتيجه مباشرة لضرب العراق واختلال التوازن الاقليمى فى منطقه الشرق الاوسط.

★★★

---

(١) صحيفة الشعب المصرية فى ١٠ / ٩ / ١٩٩١ م .

(٢) حذر نائب رئيس البنك فى ٩ / ١٢ / ١٩٨٥ م رئيس بالحكومة المصرية آنذاك د/ على لطفى فقال: « إن على مصر ضرورة الإبتعاد عن إنشاء المحطات النووية وإلا ستقطع التحويل عن أية مشروعات أخرى ».

(٣) ترفع أمريكا سياسياً ما يمكن أن يطلق عليه « عملية البدائل» .. العدو البديل .. الوضع الأمنى البديل.. الحل البديل .. وهكذا . فقد وضعت العراق كعدو للعرب بديلاً عن إسرائيل.. ورفعت نظرية وضع الأردن كوطن بديل للفلسطين - وقرارات مجلس الأمن تهدف لإقامة نظام أمنى بديل محل النظام العربى .

المدهش فى كتاب المولى الجامع أنه قد اشتمل على توصيات لمختلف نواحى القضية التى نعيشها بعد أربعه عشر قرنا من نزوله.. وياله من كتاب لم يترك صغيره والاكبيره إلا احصاها.. وكتاب المولى عز وجل يحدد حصر المشاكل بين المسلمين على منهجه القويم.

قال تعالى: { وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }

والآيه تحث على النهج الاسلامى وتشدد المسلمين على التمسك به لانه الطريق المستقيم.. ومن يتنادى بالقرارات الدوليه.. والامم المتحدة.. ومجلس الأمن وغيرها فأن الآيه الكريمه تحذر من مغبه التمسك بها والتى سوف تؤدى الى انقسام المسلمين حزباً واشياعا وتبعدهم عن صراط الله المستقيم.

وهذا الأمر فى غاية الأهمية حيث أن المسلمين اخوه.. والتمسك بكتاب الله رحمه.

قال تعالى: { وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون }

وتلك صفه المنافقين.

قال تعالى: فى بيان امره المسلمين وما قد ينشب بينهم من خلاف..

{ انما المؤمنون أخوه فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون }

فالمؤمنون من حيث الايمان وقد جمع بين قلوبهم أخوه.. ومن ثم وجب الصلح عند حدوث خلاف رعايه لأخوة الايمان ووقاية من عذاب الله بامتثال أمره واجتناب نهيه.

أما بالنسبه لموقف الدول العربية من العراق الشقيق فيكفى اشارة المولى لذلك.

{ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان }

ويحذرنا المولى مماحدث فى آيه هى الحكم بين اطراف النزاع وبصورة تكاد تكون شامله

{ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوه انكاثا تتخذون إيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمه هى أربى من أمه إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامه ما كنتم فيه تختلفون }

والآيه الكريمه تحث على التمسك بالايمان فيما بين المسلمين متخذين ايمانكم

وسيلة للتغرير والخداع لغيركم مع انكم مصرون على الغدر بهم لانكم اكثر واقوى منهم أو تنوون الانضمام لاعدائهم الاقوى منهم او لترجوا زيادة القوة بالغدر وانما يختبركم الله.

« هاتان الآيتان تدلان على أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالعهد وأن العلاقات الدولية لاتنظم إلا بالوفاء بالعهد وأن الدول الاسلامية إذا عقدت عهدا فانما نعقده باسم الله فهو يتضمن يمين الله وكفالته.. وتدل الآية على ثلاثه معان لو نفذتها الدول لساد السلم والاسلام

اولا : انه لايصح أن تكون المعاهدات سبيلا للخديعه والإ كانت غشا.. والغش غير جائز فى العلاقات الانسانية سواء كانت علاقات اخاء أم علاقات جماعات ودول.

ثانيا : إن الوفاء بالعهد قوه فى ذاته وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من أسباب القوه فيكون كالحمقاء التى تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه.

ثالثا: انه لا يصح أن يكون الباعث على نكث العهد الرغبة فى القوة- او نحو ذلك» (١).

فان كان العراق قد التزم طريق القوة والعزه على حساب رفاهيه شعبه فقد اتبع تعاليم المولى عز وجل فى قوله:

{ واعدوا لهم ما استطعتم من قوه ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم }

اما موقف العرب من العراق فتشير اليه الآيات العديده.. ورغم إداانتنا لتلك المواقف فنحن لا نستطيع أن ندين موقف الغرب وامريكا فهى قوه مهيمنه لها أن تفعل ما تراه فى صالحها.. وعلينا مواجهته دينياً ومنطقياً..

وبحساب الدين والمنطق والعلم و أى شئ آخر نقد هزم المسلمون انفسهم.

---

(١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .. سورة النحل ٩٢ ص ٤٠١ .

الفصل الخامس عشر

الخطأ الأكبر .. الحصار الاقتصادى على العراق

الفصل الخامس عشر
الخطأ الأكبر .. الحصار الاقتصادى على العراق

كانت استراتيجية الحصار الشامل وتطبيقها على العراق فى حرب الخليج الأخيرة مثال وإشاره الى طريقة تفكير الزعيم الاكبر العالمى .. امريكا الرائدة .. واتزانها النفسى والاخلاقى [1].

كانت الاستراتيجية الامركية فريده .. فقد تصاعدت منذ بدء الأزمة واحتلال الكويت حيث تم حصار العراق بحريا الأمر الذى شاركت فيه بريطانيا وفرنسا .. وسرعان ما تم تقنين الأمر عن طريق مجلس الأمن فى قراره ٦٦١ ثم سرعان ما توالت القرارات الامريكيةمن مجلس الأمن فى تسلسل ونتابع مدهش وسريع .. حتى كان القرار ٦٦٥ .

أوضح القرار ضمنا وصراحة أن فرض الحصار الاقتصادى على العراق انما يأتى تصميما من مجلس الأمن على انهاء احتلال العراق للكويت.. وعلى الفور تم فرض اكبر حصار بحرى برى عرفه العالم منذ الحرب العالمية الثانيه. كان اغرب ما فى الأمر حقا أن وكالات الانباء أشارت فى ١٩٩٠/٩/٨م من نيويورك على اصرار امريكا على منع أية مواد غذائية أو طبيتو الى العراق تطبيقا للخطر الاقتصادى المفروض باسم الامم المتحدة [2]!! .. وتم ذلك فعلا .. ثم تطور الأمر لغرض اول حصار من نوعه فى التاريخ- وهو الحصار الجوى .. صدر هذا القرار من مجلس الأمن .. وقضى بفرض خطر جوى شامل.. وقطع كل طرق الاتصال الجوى بالطائرات بين العراق والعالم الخارجى !! وتم تنفيذ الحصار لعده اشهر قبل الحرب.

---

(١) لعل ذلك يرض كاتبنا الإسلامى خالد محمد خالد.

(٢) غير أن دى كويلار كان قد صرح بأن : الحصار المفروض على العراق لا يشمل الأغذية والمواد الصحية والطبية وما شابه.. وتوافق ذلك أيضاً مع نظرة الحكومة الصينية وفرنسا.. غير أنهم جميعاً تساهلوا أمام الإصرار الأمريكى .

كانت طبيعة المعارك تشير الى حقيقه الاهداف خاصة من الجانب الامريكى المهيمن .. ومن ثم فقد تم ضرب وتدمير ١٣٣ جسرا يربط بين المدن والمحافظات العراقية .. حتى الصغيرة ومع عدم اهميتها استراتيجيا فقد تم ضرب معظمها .. وفى بغداد ذاتها تم تدمير ثلاثة جسور رئيسية وهى جسر الجمهورية .. وجسر الشهداء .. وجسر ١٤ تموز أما بالنسبة للطرق الرئيسية خاصة طرق المرور السريع مثل طريق بغداد - البصره.. وطريق بغداد - الاردن .. كما تم تدمير جميع ابنيةالاتصالات والاذاعة والتليفزيون والمستشفيات بالكامل فى جميع المحافظات خاصةبغداد والبصره.. وفى العاصمة ضربت المطارات وقصر المؤتمرات ووزارة العدل - ووزارة الحكم المحلى .. الأخطر من ذلك كله هو تدمير مخطات توليد الكهرباء على طول العراق وعرضه.. وكذا محطات تكرير المياه وتنظيم المجارى .. ولم تسلم المساجدولا الكنائس ولا حتى العتبات المقدسة فى كربلاء والنجف والكوفة.. وتضررت ضررا بالغا ٢٨ بناية تابعه للاوقاف فى جميع انحاء العراق .

تشير طبيعة أهداف المعركة الى الهدف الاساسى للضرب وهو تحطيم العراق اقتصاديا وتركيعه وإرجاعه الى عصور ما قبل التاريخ كما اشار المعلقون والمحللون.

أهم ما أكد واثبت حقيقة النوايا الغربية - وبما لايدع مجالا لاى شك هو سياسة العالم الغربى تجاه العراق فى مرحلة ما بعد الحرب.. فقد تم الاتفاق بين الغرب على استمرار الحصار الاقتصادى البرى والبحرى والجوى على العراق بعد الحرب.. مع مطالبته بجميع تبعات الحرب .. الامر الذى يهدف اولا واخيرا الى تركيع العراق وتحطيم ذاته .. ونظرته القومية والعربية.

ومازال الحصار بمختلف انواعه ودرجاته مفروضا على العراق حتى وقتنا هذا!!

من المنطلق أن تنطبع تلك السياسة بعد تطبيقها على الشعب العراقى .. وتترك بصمتها على الحياة العامة .. والخاصة .

الأمر الذى أظهره وأوضحه الى أبعد حد واقص مدى تقرير لفريق من جامعة هارفارد عن الصحة العامة فى العراق بعد الحرب .. وهى هيئة محايده الى حد بعيد .. بل وتمثل الغرب الى حد كبير.

استهدفت الدراسة [1]. توثيق الكارثة الصحية والتى وضحت لأفراد البعثة.. وتتلخص فى أن معدل وفيات الاطفال الصغار سوف يتضاعف .. وأن مالا قيل عن ١٧٠ الف طفل دون الخامسة سوف يموتون خلال عام ١٩٩٢م وذلك كنتيجة مباشرة للآثار الناجمة عن أزمة الخليج ..وقد بنى هذا الاستنتاج على ستة عوامل :-

(١) البيانات الخاصة بالوفيات والتى جرى تجميعها خلال زيارة المستشفيات والتى أكدت أن نسبة وفيات الاطفال قد ارتفع بما يتراوح بين ضعفين الى ثلاثة اصفاف[2].

(٢) البيانات المتعلقة بمعدلات إنتشار الأمراض الوبائية والتى تم جمعها خلال زيارة المراكز والمؤسسات الصحية والتى اثبتت إنتشارا مفاجئا فى امراض المعده واوبئة الكوليرا والتيفويد فى عموم العراق فى وقت مبكر من عام ١٩٩١م.

(٣) إن تأثيرات هذه الأمراض والتى تنتقل بواسطة المياه تبلغ اقصى درجة لها فى العادة خلال اشهر الصيف الحارة وبخاصة فى حزيران وتموز .. لذا فإن من المرجح جدا أن الاوبئة التى تنتشر قبل ذلك بعدة أشهر ستزداد سوء! .

(٤) إن سوء التغذية الحاد والذى لم يكن شائعا من قبل ينتشر حاليا وبشكل واسع فى ردهات الاطفال فى جميع انحاء البلاد .

(٥) إن النظام الصحى الان يعمل بجزء ضئيل من طاقته والتى كان يعمل بها قبل ازمة الخليج .. فقد تم اغلاق العديد من المستشفيات والمراكز الصحية المحلية وثمة شحة حادة فى الادوية والمعدات والكوادر الطبية.

(٦) إن البنية التحتية الأساسية الخاصة بتنقية المياة ومعالجة المجارى ومحطات توليد الكهرباء تعمل بمعدلات متدنية جدا..

---

(١) زار العراق فى أواخر نيسان ومطلع مايو ١٩٩١م فريق دولى من جامعة هارفارد مؤلف من ثلاثة أطباء وأختصاص واحد فى الصحة العامة ومحامين أثنين وأربعة طلبه قانون لإجراء مسح للصحة العامة فى العراق .. وكان هذا ملخصة تقريرهم.

(٢) قررت البيئة الطبية لجامعة هارفارد عدد من لاقوا حتفهم من الأطفال منذ نهاية الحرب وحتى يوليو كموز ١٩٩١م بخمسة وخمسين ألف طفل .. ولا تعليق .. فالشاهد منهم .. والمحاسب هو الله .

ولقد تعرضت منشآت عديده كما يبدو للدمار بحيث لا يمكن اصلاحها.. ولابد من اعاده بنائها كلية.

الأمر الجدير الاشارة اليه أن كل تلك النتائج اللانسانية كان نتيجة لإرادة الغرب المتقدم . وتم تحت مظلة الشرعية الدولية .. ليس هذا فحسب بل لقد ظلت الشرعية الدولية فى ارتكاب ابشع جريمه انسانيه معاصره والتى تطاولت الى حد اغتيال شعب باكمله بعد أن نفذت الحكومة العراقيةوقبلت بكل شروط التحالف الغربى فى حرب الخليج – وحتى وقتنا هذا!!

أما الصليب الأحمر فقد أرسلت لجنة دولية إلى العراق بغرض تقييم الموقف.. فذكرت اللجنة فى تقريرها:

« أن نقص مياة الشرب الصالحة فى بغداد يعرض المواطنين لمخاطر الأمراض المعديه .. ولذا فقد تقرر إرسال وحدة متنقله لتنقية المياه الى بغداد..» واضافت اللجنة فى بيان لها : أنه سوف يتم إرسال مهندسين فى الصرف الصحى لمساعده سكان العاصمة العراقية.

أما رابطة « أطباء بلا حدود » .. فقد صرحت بأن الكثيرين من العراقيين خاصة من الأطفال يواجهون خطر الموت وناشدوا المجتمع الدولى تقديم المساعده الطبية العاجلة لهم .. وذكر الاطباء أن المستشفيات فى بغداد تعمل بنسبة ٥ , ١٠٪ بسبب انهيار النظام الصحى فى العراق فى اعقاب حرب الخليج .. واضاف هؤلاء الاطباء أن الامراض الفيروسية تتغشى فى العراق.

غير أن أهم ما يشق على النفس رغم بشاعته هو الصمت المطبق لجامعة الدول العربية .. بل وفى رفع الجامعة لتفسير امريكا المغلوط لمعنى الشرعية الدولية.. وفى اغتيالها الواضح والمتعمد للشعب العراقى المسلم« العربى!! أن مجرد نجدة الدول العربية للعراق عمل شرعى وحق قانونى لها لايتعارض قطعا مع احكام الشرعية الدولية التى لا تحرم العمل فى اطار انسانى .. خاصة بعد أن وضعت الحرب اوزارها..

قال تعالى : { انما المؤمنون اخوه فاصلحوا بين اخويكم } .. وكل المواقف العربية تؤكد

عدم الإلتزام الايمانى بواجبات الاخوة.. ولعل هذا الخلل هو ما يزيد من قيمة وخطورة هذا التحرك المحدود للمؤسسات الدوليه مثل الصليب الاحمر.. ومنظمة اطباء بلا حدود .. وحتى جامعة هارفارد الامريكية !! فهذا التدخل له هدفه والذى يرمى الى تعميق التفرق بين الاخوة الاسلامية لما يلعب عليه من معانى نفسية انسانية مؤثرة واكيده اما المبعوث العام للأمم المتحدة / صدر الدين أغا خان فقد رفع تقريراً طالب فيه بسرعة رفع الحصار الحديدى البرى والبحرى والجوى المفروض على العراق .. والا تعرض العراق لكارثة لن يشهد لها العالم مثيلا(١).

تلك هى الحقوق الانسانية التى يرفعها الغرب .،. ويتغنى بها ،ويتشدق بمعانيها ورموزها.طالما أن ذلك الانسان ليس عربيا .. وليس مسلما .. أو ليست تلك هى الحقيقة الملموسة فى العراق ..كما فى الصومال والسودان وفلسطين .. وحتى البوسنة والهرسك؟!

اشار تقرير البعثة الدولية والتى شكلتها الأمم المتحدة والتى رأسها صدر الدين اغا خان الى عده نقاط هامة نذكر منها فقط وعلى سبيل الاشارة لا الحصر.

يشير التقرير الى النقص فى مياه الشرب النقية حيث بلغ الانتاج ١,٥ مليون متر مكعب يوميا مقابل ٧ ملايين متر مكعب قبل الحرب ..ويرجع ذلك إلى مدى التدمير الشديد الذى اصاب ١٥٠٠ محطة تنقية مياة .. ومن ثم فقد انخفض نصيب الفرد من المياه النقية من٤٥٠ لتر مكعب يوميا قبل الحرب الى اقل من١٠ لترات فقط بعد الحرب !!

ثم يحلل التقرير مدى اصابات حتى الآبار الطبيعية .. وينابيع المياة ..وأثر ضرب محطات توليد الكهرباء وعدم توفر اسطوانات الكلور اللازمة لتنقية المياة.. كما يشير التقرير الى ضرب مواسير التغذية الاساسية لشبكة الامداد والتوزيع للمياة فى بغداد .. وغيرها .. ويثبت التقرير مدى وأثر التدمير الذى شمل المصانع الكيماوية والذى ادى الى نقص مادتى كبرينات الألمونيوم والكلور اللازمتين لمعالجة مياة الشرب.

---

(١) نقلاً عن مصر الفتاة المصرية فى ١٩ / ٨ / ١٩٩١ م .

كل تلك العوامل ادت الى ظهور مخلفات آدميه فى مياة الشرب خاصة فى محافظة العمارة .. وايضا الى تدفق مياة المجارى فى نهرى دجله والفرات مما شكل تهديدا خطيرا الحياة المواطنين ..وعلى صعيد آخر تراكمت تلال القمامة فى شوارع المدن العراقية مما ساعد على انتشار الحشرات والقوارض الناقلة للأرض .

يؤكد التقرير على أهمية احتياج العراق الى ٤٥٠مليون دولار لتوفير الحد الأدنى لمستوى تشغيل المرافق المياة والمجارى حفاظا على حياةالشعب العراقى !!

يستمر التقرير فى توضيح مدى التدهور الكبير الذى اصاب قطاع الخدمات الصحية نتيجة ضرب المستشفيات ومراكز الصحة بطيران قوات التحالف الغربى .. وكذا الامر بالنسبة لقطاع الغذاء والذى حدا بالعراق الى حافة مجاعة حادة .. ونفس اللوضع بالنسبة للخدمات الاساسية كالكهرباء .. وغير ذلك ..

واكد تقرير البعثة الدولية أن العراق يحتاج الى ٦,٨ بليون دولار خلال الاشهر القليلة القادمة وذلك لتقديم الحد الادنى من الخدمات الضرورية للشعب العراقى .

تلك شهادات الاعداء انفسهم .. وقوات البغى والعدوان باقلامهم .

أهم زاوية للاحداث هى تلك التى يشعر بها الجانب الغبون فى ذلك الصراع.. فطبيعة الحصار قبل الحرب وبعد الحرب وحتى الان عربية خالصة ..واسلامية خاصة .. فالعراق . وهذا اعجب ما فى الامر - يعتبر اكبر دوله عربية تشترك فى حدودها مع دول عربية وهى سوريا والاردن والسعودية والكويت .. ودولتان اسلاميتان هما ايران وتركيا ..تمت تلك الجريمة ومازالت مع أن العرب والمسلمين يمتلكون وسيلة كسرها .. وباسهل الطرق واكثرها فاعليةوقبول- مجرد قرار اسلامى .. وتلك المسألة لها بعدها السيكولوجى النفسى والذى يشعر به العراقيون دون شك .. الامرالذى يمثل خطراً على المستقبل العربى وتكاتفه دون شك .. ووحده تطرته القوميه والاسلامية .

فى دراسة جادة لهذا المنعطف المحسوس مستقبلا عقد المؤتمر الدولى الثانى لحل الصراعات تحت رئاسة فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية واساتذة علم النفس والعرب والغربيين ايضا ..وبالاشتراك مع الاتحاد العالمى للصحة النفسية .. والجمعية

الاسلامية العالمية للصحة النفسية ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بأمريكا .. كان هذا المؤتمر فى منتصف نوفمبر ١٩٩١م..

أشارت الدراسات الى أن سرعة البت والتدخل الفورى لحل الصراعات يؤتى غالبا نتيجة طيبة ومؤثرة فى سيكولوجيه الصراع الانسانى .. الامر الذى اسقطته وعمدا الإتجاهات السياسية الامريكية فى إدارتها للصراع الخليجى الأخير .. وحتى أن امريكا مازالت تضرب بغداد .. والجانب الخليجى والغربى مازال يحاصر العراق ويناصبه العداء الصريح..

اما دراسة آثار ذلك الصراع وبصورته التى نعيشها جميعا والتى قاربت عامها الثالث فلم تخطر على بال اى مسؤل عربى - أو اسلامى..

تستمر هذه الجريمة رغم أن الآثار السيكولوجية للصراع الانسانى معروفه ومتفق عليها حتى أن مؤسسى الاتحاد العالمى للصحةالنفسية فى لندن وفى نهاية الحرب العالمية الثانية تقدموا بوثيقة فى ١٩٤٨/٨/٢١ تعكس آمالهم ومخاوفهم من تأثيرات الحرب النفسية على ضحاياها .. وكان عنوان الوثيقة: الصحةالنفسية والمواطنة العالمية .. وبعد ذلك وبحوالى أربعه شهور فقط كان« الاعلان العالمى لحقوق الانسان» والذى اصدرته الامم المتحدة وهى بعد ما تزال فى المهد[1].

اعترف هذا الكيان العالمى «بالكرامة الكامنة»وبالحقوق المتساوية الغير مشروطة لجميع اعضاء الاسرة الانسانية»!!

وبالعائلة الانسانية .. وغير ذلكم من التعبيرات الأنسانية الرقيقة .

(١) أشار د/ أوجهين برودى سكرتير عام الإتحاد العالمى لصحة النفسية فى المؤتمر إلى أنه : «بعد بضع سنوات الأعلان العالمى للأمم المتحدة قام جايت هارون بنشر عبارة مأساة العامة أو الشعوب » . "The tragedy of the common ." ... حيث أشار إلى ضرورة الحفاظ على حقوق الفرد دون إستهلاك الموارد العامة التى تعتمد عليها حياتنا جميعاً!! .. فأين تلك المفاهيم الإنسانية الأساسية مما حدث ومازال يحدث فى العراق؟!!

أمـا على المسـتـوى العـملى .. فـقـد كـانت آخر قـرارات مـجلس الامن عـدم رفع العقـوبات الاقـتـصادية واسـتـمرار الحـصـار على العراق وذلك فى منتصف سبـتـمبر ١٩٩٣م .. بل وتهديد شعب العراق المحاصر والمنكوب بمزيد من التدمير .. وتشديد الحصار الاقـتصادى بل وصل الامر الى حد التهديد بتقسيم وطنه بعد تجويعه لرفضة اغتصاب ثروته تحت دعاوى التعويض المادى لخسائر الحرب .. ومـا شابه .. أهم ما فى الامر كله وعلى شدته أنه لا شعور بأى دنب أو ظلم يمكن إستقراؤه فى سياسات دول العالم ضد العراق.

الحقـيـقـة التى يجب أن تكون مـاثلة على الدوام فى تقيـيمنا أن ذلك الواقع يجب تقييـمه مـن خلال الميزان الحق - والتـحليل السليم ولا يجب أن نحمل الظواهر بأكثر من مـعناها .. فما يحدث من منطقيـه الاشيـاء وطبيعـة الأمور ..وهذا ميـزان الغرب ونظرته للمنطقة العربيـة الاسلامـية منذ أمد بعيد ..وهذا الميزان لة جذوره العميـقة السياسية والاقتصادية والعقائدية وحتى التاريخية .. ومن ثم لا عجب.

الدهشـة والإستغراب تتأتى من مـواقف الدول العربية والاسلامـية حيث أن الدين والتـاريخ والاقـتـصـاد الجغرافيا..وحتى المسـتـقبل المرهون - واحد بالنسـبـة للمنطقة العربيـة كلهـا .. ومـا بين الشعـوب العربيـة اقوى واعـمق آلاف المرات مما بين الحكام والسياسات من عوارض واختلافات..

تلك الحقيـقـة نلمسـهـا فى مـواقف عديده .. ونشـهـد ايضا تقيـمـا غريبا لهـا على معانيها وعلى مؤثراتها.

يجمع الدين الاسلامى بين تلك التـيـارات المتـعـارضة فى سيـاسـات الدول..كـمـا يجمع بين شعوبها فما حكمه فى مثل هذه المواقف؟!

★★★

يذكرنا التـاريخ الاسلامى بمحنة عـصـيبـة اعـتـصرت المسلمون الأول بعد وفـاه ابى طالب عم رسول الله ﷺ فى بداية الدعـوه بمكه - فقد تعرضوا للحصار فى شعب من شعاب مكة..واستمر الحال على هذا المنوال لمدة قاربت على الثلاثة اعوام.. والمدهش أن

شعوراً بالذنب بدا يتنامى فى نفوس أهل مكة - الكفار - مع أنهم المهيمنون آنذاك فقد بدا أنهم يدركون أنهم انما يخاصمون ويحاصرون إخواتهم وأصهارهم وأبناء عمومتهم..ويناصبون العداء اقرب الناس اليهم.. غير أن ذلك كله لا يبيح حصارهم وتجويعهم.

عبر ذلك الشعور عن نفسه في موقف «هشام بن عمرو» من الحصار .. فكان يأتى بالبعير ويحمله بالطعام والبر ويسير فى جوف الليل حتى إذا استقبل فم الشعب خلع خطامه ثم ضرب على جنب البعير .. فيدخل الشعب على المسلمين المحاصرون وعليه الطعام والشراب.

تلك كانت مواقف كفار قريش .. من انصارمحمد ورفاقه المؤمنين المحاصرون.. فقط لمابين الجماعتين من اواصر الصلة والدم والرحم.

قال تعالى : { وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً }

اما القرآن الكريم المنزل فقد اشتمل على تكريم الهى للانسان شمل الكرامات كلها.. واولها الحريات الاساسيةسواءكانت شخصية اواجتماعية اواقتصادية.

قال تعالى : «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلاً»

وقال : هوالذى خلق لكم مافى الارض جميعاً

اما بالنسبة للوضع الحالى للامة الاسلاميةوموقفها من قرار امريكا والغرب بحصار العراق المسلم وبايد مسلمة فان المولى يحذر من طغيان القوى بما يتجاوز حدود الله والمولى عز وجل لايرضى عن المفسدين لسوء اعمالهم .

قال تعالى : { وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره ولاتنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين} .

وقال : { اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هواشد منه قوه واكثر جمعا ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون }

ان من الاساسيات والبديهيات المسلم بها فى الشريعة الاسلامية ان «الحكم لله» .. وان لاسلطان على المسلم الا سلطان الله وامره.. وذلك من مبادئ العقيدة الاسلامية السليمة والقويمة .. بل هي من ابرز واوضح سمات المنهج الفكرى والعملى لبناء الانسان المسلم الصحيح .. وبناء المجتمع الاسلامى وسلامته وصحته من ثم .

قال تعالى : { ما كان لمؤمن ولامؤونه اذا قضى الله ورسوله ان تكون لهم الخيره من امرهم }

وقال : { فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }.

وقال : {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا }.

ذلك هو المنهاج القيم .. وهو قانون الامة الاسلامية افرادا كانوا .. ام جماعات... ام دول وشعوب » ومقتضى ذلك بداهة ان ايه قرارات تصدرها اى هيئه او مؤسسة دولية اوحتى مجلس امن عالمى يجب ان تقاس بمقاييس الشريعة الاسلامية وثوابتها العقائدية والاخلاقيه وحتى السياسة .. وموازنة مقدار انسجامها مع تلك الثوابت .. فلو تعارضت الشرعية الدولة وقراراتها ـ اللاتينيه ـ مع ثوابت الاسلام منذ اربعه عشر قرنا او تزيد من الزمان فلاسلطان لتلك الشرعية على الامة الاسلامية .. وذلك امتحان الذات المؤمنة .. والسياسة الآمنة .. والشخصية الاسلامية المميزة ...إن الانقياد لتلك القرارات فى هذه الحالة يعد خروجاً على الشريعة الاسلامية بمقاييس الايمان ..فهى تعد فى هذه الحاله تحكيم لإرادة كافره جائرة على طرف مسلم شقيق ..وكسر لتعاليم المولى واوامره ....

قال تعالى { يا ايهاالذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا }

وقال رسول الله ﷺ : المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم على من سواهم .

وقال ﷺ : « لايؤمن احدكم حتي يحب لاخيه مايحب لنفسه » .

فماذا بعد ذلك كله عباد الله ؟!

ومـاذا سـوف يـكون دفـاعنا عن مـواقـفنا امـام المولى عـز وجل حيث لاينفع مـال ولابنون إلا من اتى الله بقلب سليم ؟!

وماذاك الاشارة ياامه الاسلام .

امابالنسبـه للعـراق المسلم الابى .. والعـراقـيـون الاخوة النبـلاء فليس.عندنا لهم الا أهم واثمن مانهدية ...

قال تعـالى : { ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون }

تلك سنة الحياة واجهتها مسيرة الانبياء جميعا وحتى مسيرة الاسلام الاولى على درب الجهاد والكفاح من اجل ان تكون كلمة الله هى العليا .. ومن المنطق ان يكون عنف تحدى قوى الشرك لمسيرة الايمان ضرورية هى الاخرى لصقل الجوهرالانسانى الايمانى ...

تلك رسالتى للعراق الحبيب فى محنته الراهنة.

الفصل السادس عشر

المحور الاقتصادى .. محور الصراع الحقيقى

الفصل السادس عشر
المحور الأقتصادى .. محور الصراع الحقيقى

من مسلمات علم السياسة أن علاقته بالأقتصاد علامة وثيقة لا تنفصم.. فالأقتصاد له دوره فى مسببات أى صراع.. وهو أيضاً.. ولذلك يمثل هدفاً ونتيجة لهذا الصراع.. وهو أيضاً ما يمكن وصفه من علاقات السياسة والأقتصاد بدائرة متصلة لا تنفصم ولا تنقطع.. حتى فى حالة السلم فإن التحرك الأقتصادى وقدرته تتأثر وإلى حد بعيد بالسياسة.. ومن ثم فإنه. مثلاً .. لا يتسق الحديث عن التحرر الأقتصادى دون التحرر السياسى الكامل والذى يحترم بدوره كل قواعد العمل الديمقراطى.. ويتيح بالتالى أوسع الفرص للقوى السياسية والإجتماعية.

الحقيقة المؤلمة والتى لمسها المحلل والمدقق هى أن التحاليل العسكرية والسياسة للأحداث أسقطت تماماً الناحية الأقتصادية.. هذا مع إنها الهدف الأساسى للتحرك الأمريكى خاصة والغربى عامة.. هذا رغم ثقل الجانب الأقتصادى فى أزمة الخليج منذ بداية الأحداث.. فالثابت والمتفق عليه أن بداية الزلزال كانت بتقديم فواتير مالية متبادلة بين جوانب الصراع العربية.. فقد تقدمت العراق إلى الكويت بفاتورة بمبلغ ٢,٤ مليار دولار قيمة البترول الذى أخذته الكويت دون وجه حق من حقول بترول مشتركة بينها وبين العراق.. كما طالبت العراق بإسقاط مديونيته للكويت والسعودية رسمياً.. هذا بالإضافة إلى بعض الحقوق العراقية الأخرى فى الكويت.. وكان رفض الكويت والسعودية مساعدة العراق بعد حربها مع إيران لا يعنى فى حقيقته سوى أمراً واحداً هو التكبيل الأقتصادى.. ومن ثم العسكرى للعراق!!.

حتى التحرك العراقى وإحتلال للكويت كان له هدفه الأقتصادى الإستراتيجى.. والذى رأى أن يناور به من أجل تحطيم خطه تكبيله السياسة والأقتصادية - كما أين حق العراق بعد كل ما قدمه من مال وأنفس وشهداء بعد دفاعه المجيد عن الجبهة الشرقية وصده للنفرة الشيعية الخمينية..؟!

أما الدور الامريكى فكان هدفه الأول والأخر أقتصادياً.. هذا رغم أن ضرب العراق أضعف دون شك توازن القوى الدقيق فى منطقة الخليج الأمر الذى أبرز إيران - وبعد هزيمتها مباشره- كقوة هامة وعامل دقيق لا يمكن أغفاله وإهماله فى توازن القوى بالمنطقة. ومن ثم يمكن القول أن الهدف الأقتصادى الأمريكى كان مقدماً على الهدف السياسى.. بل وعلى حسابه - هذا بالنسبة للمنطقة العربية..

وفى أثناء الأزمة ومرحلتها السياسية طلبت أمريكا من أقطاب العالم الأغنياء والمستفيده من نزاع الخليج مساهمات مالية عالية للمعاونة فى تكاليف الحشود العسكرية فى منطقة الخليج.. وبطريقه مستفزة فى بعض الأحيان..

كان موقف اليابان - مثلاً - من تطور الأحداث مثالاً لرد الفعل الذى يتفهم ويعى مجرى الأحداث وغاياتها.. فكما ضغطت الولايات المتحدة وشهرت بها من أجل زيادة حصتها فى حرب الخليج فقد سارعت اليابان بدورها فى رفع أسعار منتجاتها التى تغزو كافه أنحاء العالم بما يزيد أضعافاً مضاعفة عن التكاليف التى تحملتها فى تلك الأزمة.. المباركة!!.

كانت حسابات أمريكا لمكاسب اليابان من أزمة الخليج إقتصاديا .. دافقاً لاستصدار موافقه من مجلس النواب الامريكى بسحب ٥٠ ألف جندى امريكى من اليابان ضمن خطه على مدى بضع سنوات.. مع تحميل اليابان لكافه تكاليف العملية.. .. أما بالنسبة لأوروبا- وبعض المكاسب والتهديدات الأقتصادية الأمريكية لأوروبا المتحدة وخاصة البترولية فقد أشارت أوروبا إلى إحتمال أستصدار ضريبة حكومية على كل برميل بترول مستورد..

تلك مجرد إشارة لمواقف أطراف النزاع. والقوانين التى تحكم العلاقات بينهم هى نفس القوانين التى حددت العلاقة بين جميع الأطراف فى جميع تطورات الأزمة.. ما عدا الطرف العربى!!.

الشئ المنطقى والعلم كان يجزم أن تلك العوامل الثابته فى الصراع هى التى تحدد أهداف الأطراف المتعارضة - ومن ثم تشكل موقفها.. وغايتها.

ولو تناولت القيادة العراقية موقفها من تلك الحقيقة الثابتة لتأكد لها منذ بداية الحوادث أن مصلحة أمريكا فى الحرب لإصلاح مسارها الأقتصادى المتدهور ولمده عده سنوات متتالية.. ولأمور أخرى عديده كان يتيح لها مخرج الحرب وتخريب المنطقة.. فقط من أجل إصلاح مسارها الأقتصادى المتدهور.

ولو تناولت القيادات العربية المختلفة الموقف ودرسته من زاوية العلم والمصلحة والسياسة والأقتصاد وكل شئ لأجابت العراق إلى جميع مطالبه - ليس ضعفاً .. بل مكسباً وقوة بالعراق القوى الذى ضحى أبنائه من أجل صد الغزوه الخمينية.. والذى أضحى أمل العرب والدرع الأول ضد الغزوة اليهودية الأسرائيلية السرطانية.. وأيضاً لمصلحة تلك الدول الفنية العربية الخليجية كما يؤكد أدنى علم بحسابات الأقتصاد والسياسةوالمال.

أكدت تقديرات الخبراء الأقتصاديين فى جامعه چورچ تاون الأمريكية أن خسائر البلدان العربية من جراء حرب الخليج بلغت ٤٣٨ مليار دولار!!.. الأمر الذى يعنى جهوداً ضخمة.. وعلى مدى عده أجيال - لتعويض هذه الخسائر.. فإذا ما تذكرنا مطالب العراق.. ومقابل واجباته - بل هى حقوقه - لرأينا على الفور مدى التباين والخسارة العربية من التدخل الغربى والأستعانة بهم فى تلك الأزمة!!

قال الدكتور / إبراهيم عويس الخبير الأقتصادى ولأستاذ بجامعة چورچ تاون : إن أكبر الخسائر كانت من نصيب الكويت حيث بلغت ما يقارب ٢٤٠ مليار دولار.. أما خسائر العراق فهى لا تقل بدورها عن ١٢٠ مليار دولار[(١)] منها ٥٠ مليار دولار قيمة تدمير مطارات العراق وموانيه.. ومعظم البنية التحتيه والجسور والمرافق المختلفة بالإضافة إلى ٤٠ مليار دولار قيمة الأسلحة العراقية التى دمرت.. أما خسائر السعودية فهى لا تقل وبدورها عن ٦٤ مليار دولار.. ودولة الإمارات العربية ٤ مليارات دولار.. وبالنسبة لمصر فإن ما خسرته - رغم إلغاء بعض ديونها

---

(١) صرح محمد مهدى صالح وزير التجارة العراقى : « أن حرب الخليج كلفت الأقتصاد العراقى خسائر تقدر بحوالى ٢٠٠ مليار دولار» .. ألاخبار القاهرية ١٩٩١/٤/٢١م.

- يقدر حوالى ٣,٥ مليار دولار ..والأردن ٢ مليار دولار.. واليمن ١,٥ مليار دولار .. والمغرب مليار واحد.. والدول العربية الأخرى مليارين من الدولارات.

وكانت مطالبه العراق وفقط ٢,٤ مليار دولار..ثمن بتروله المسروق - والتنازل عن ديون لن يدفعها العراق على أيه حال وبأى شكل .

السذاجة العربية - على أحسن وصف - هى التى ساعدت على إخراج أمريكا للأحداث بهذا الشكل المحزن والقاسى حتى من وجهته الأقتصادية فقط .. فأبطال تلك المأساة من أمريكا ودول الغرب الأوروبية لا يكنون أى أحترام لدول البترول خاصة والمنطقة العربية عامة.. ذلك هو الواقع.. فلا إسقاط بل مواجهة.. هذا لو أردنا فهما ونجاحاً.

وهكذ- لم تستطع السعودية - الدولة البترولية الغنية والمنتصرة - سداد حصتها من بقية نفقات حرب الخليج فى موعدها فبعد سداد مبلغ ٥,٥ مليار دولار قامت أمريكا بإعداد جدولاً زمنياً لسداد ٨ مليارات أخرى وهى تمثل البقية الباقية من حصتها فى حرب الخليج[1]. وهكذا عاشت السعودية فترة بعد حرب الخليج وإنتصارها من أقص وأشد فترات الضغط المادى والعصبى حتى أنه بات من المقرر أن يصل حجم العجز فى ميزانية السعودية لعشرات المليارات!! ومن ثم عرضت السعودية على واشطن سداد بعض هذه الإلتزامات المالية بالبترول الخام.. وليس نقداً ورفضت أمريكا.. فهى ضامنه لهذا الشلال المتدفق.. ولا رأى حتى لصاحبه بعد أن نزلت أرض الإسلام المقدسة والمحرمة ..

بعد عدة أشهر أكتشفت دول الخليج حقيقة أقتصادية غريبة وهى أنها مهما ضخت من بترول فإن تكاليف الحرب الشرهه سوف تبتلع عائدات البترول بل وتزيد.. فمثلاً.. رغم زيادة إنتاج السعودية الهائل من البترول فإن الحسابات أثبتت أن ميزانية المملكة تحتاج إلى ثلاث سنوات للتخلص من أعباء تمويلها لحرب الخليج التى وصل نصيب السعودية فيها ولإعادة بناء ما خربته الحرب إلى حوالى ٦٠ مليار

---

(١) والتى بلغت حوالى ١٧ مليار دولار.

دولار.. هذا فى حين أن مكاسبها خلال نفس الفترة من زيادة إنتاجها للبترول يبلغ وفقط ٤٠ مليار دولار[١].. فقط.

من ناحية أخرى.. فإن الإحتلال الإدارى.. من قبل أمريكا لمراكز إنتاج البترول فى منطقة الخليج ومن ثم ضمان حرية الإنتاج - الأمريكى - وتدفق البترول دون عوائق إلى الغرب أدى وبالضرورة إلى خفض أسعار البترول رغم كل الدمار الذى أصاب منشآت البترول الكويتية والعراقية.. وتوقف الإنتاج العراقى سياسياً.. وحتى الإنتاج الليبى فيما بعد .. الأمر الذى لا يعنى سوى خساره هائلة لدول الخليج والذى سوف يترك بصمته على دول الخليج فى شكل مشاكل أقتصادية عديدة..

أما بالنسبة للعراق فقد وضعت الشروط لبيع جزء من بتروله. على أن لا يتسلم ثمنها!!.. بل وضعت سيدة العالم الجديدة فروضاً وشروطاً.. فجزء منها ثمناً لأطعمه وأغذيه وأدوية لشعب العراق المطحون.. وجزء لتعويضات الحرب وجزء لتحطيم السلاح العراقى ذاته.. ورفض العراق الأبى هذه المهانه.. ولكن إلى متى طالما كان العرب هم من يحاصروه فعلاً وواقعاً؟!.

هذا من ناحية البترول .. الذهب الأسود.. روح الغرب وهدفه السامى.

أما على الصعيد المصر فى .. رمز الأقتصاد الوطنى وصورته فقد شهدت البنوك الخليجية ظاهرة هروب الإيداعات ورؤوس الأموال إلى بنوك الغرب وأمريكا وذلك بسبب المخاوف وعدم الأطمئنان الذى خلفته حرب الخليج .. هذا رغم أنه الطرف المهيمن والمنتصر!!.

أهم أشارة حملت معانى قوية وإشارات جاده إلى الأقتصاد الخليجى كانت فى

(١)حسب تقرير إذاعته وكالة رويتر من دبى - عن الأهرام القاهرى في ١٩٩١/٧/٧.

موقف بنك الأعتماد والتجارة الدولي والذى تمتلك إمارة أبو ظبى ٧٧٪[١] من أسهمه فقد تم أغلاقه الأمر الذى أسفر عن خسائر جمة ضخمة للإمارات العربية .. وهكذا تم توجيه ضربه قوية للبنوك الخليجية الوطنية وتم التشكيك فى قدرتها على أن تكون الملجأ الأمنى المنطقى لرؤوس الأموال العربية .. فى الوقت الذى شهدت فيه منطقة الخليج طفره وزيادة ونشاط فى أعمال البنوك الأجنبية!!

أما من زاوية تصدير السلاح وأهميته الأقتصادية الهائلة فقد أكد تقرير للكونجرس الأمريكى أن الولايات المتحدة قد أصبحت بعد حرب الخليج وتفكك الإتحاد السوفيتى أكبر مصدر للسلاح للعام الثالث، وأن مبيعات السلاح لهذه الدول قد تضاعفت خلال عامى ١٩٨٩ / ١٩٩٠م[٢].. فقد زادت مبيعات السلاح الأمريكى من حوالى ٨ مليارات عام ١٩٨٩م إلى ١٨,٥ مليار عام ١٩٩٠م.. وهو ما يعد رقماً قياسياً.. وأمراً جديراً بالتحليل السياسى والعسكرى معاً. وعلامة هامة مؤثرة على المستقبل العربى.

أما الأمر الذى يشير إلى الهدف الأمريكي ويدينه ويوضح النيه وحقيقة السياسات فيتأتى من التقرير نفسه الذى يشير إلى أن السعودية والعراق!! كانتا على رأس الدول النامية المشترية للأسلحة الأمريكية فيما بين ١٩٨٣ إلى عام ١٩٩٠م.

.. بل وأكدت تقارير أخرى أن إجمالى ما انفقته دول المنطقة على شراء الأسلحة خلال حقبه الثمانينات بلغ أكثر من ٢٠٠ مليار دولار!! وتلك الحسابات تشير إلى حقية بالغة الأهمية وهى قيمة السلاح وتجارته للطرف المصدر دون شك – وقيمته

---

(١) كانت الإمارات العربية المتحدة هى الدولة الخليجية الوحيدة التى حقق عائد البترول زيادة على تكاليف تمويل حرب الخليج.. ومن ثم كانت ضربة دولة الإمارات مصرفيه بنكيه. عن طريق إغلاق بنك الإعتماد والتجارة – حيث بلغت خسارة الإمارات من ذلك الإجراء حوالى ١٥ مليار دولار .. فى خين كانت عائداتها البترولية « أبو ظبى» حوالى ٦,٥ ميليار دولار فقط .

الأهرام القاهري ٢٧/٧/١٩٩١.

(١) الأهرام القاهرى ١٣/٨/١٩٩١م .

أيضاً تزداد للدول الصناعية الكبرى التى يهمها تحطيم هذا السلاح وإستهلاكه حتى لا تنقطع موارد هذا النبع الهائل.. وعليه.. فإن عدم إستقرار المنطقة وتشجيع الصراعات والحروب والإخلال المتعمد فى موازيين القوى أمر فى غاية الأهمية من الناحية الأقتصادية للدول المصدرة للسلاح.. وبمعنى آخر للغرب وأمريكا.. فهل لهذا كله علاقة بحرب الخليج الأخيرة ؟!

المدهش فى الأمر حقاً أن كل تلك المليارات يجب ألا توجه إلى السلاح النووى أو الصواريخ أو الأسلحة البيولوچية أو النووية حيث أن تلك الأسلحة الإستراتيچية من شأنها أن تكسر تلك الحلقة المفرغة والتى تضمن تدفق أسلحة بمليارات الدولارات.. وعلى الدوام إلى جيوب الغرب.. وعلى حساب تنمية المنطقة.. بل وأمنها إستراتيجياً الدليل على ذلك أن إسرائيل والتى تعهدت دول الغرب بضمان بقائها وتفوقها وتقدمها تمتلك ومنذ زمان السلاح النووى والكيميائى والبيولوچى والصواريخ العابرة والمتقدمة وغيرها..

ذلك التقابل يوضح النظرة الأمريكية لأمن المنطقة ومعناه..

لعل ذلك كله يوضح أن من أهم أسباب الحرب الخليجية كانت نظرة الغرب لتنامى قدرة صواريخ العراق البالستيكية وما يعنيه ذلك من إمكانية قوة عربية مؤثرة.. وهو الأمر الذى يفسر الهدف من طبيعة الموقف الأمريكى وتشدده بعد الحرب.. وحتى الآن.. والتى تصاعدت حتى التهديد بضرب العراق مرة بعد أخرى!!

من زاوية سوق البترول وضوابطه.. فإن العلاقة بين المنتج والمستهلك تكون صحيحة بقدر صحة الطرفين وقدرته وإستقلاله فى قراره وسياسته.. ومن المعروف أن منظمة الأويك هى منظمة الدول المنتجة.. والوكالة الدولية للطاقة هى منظمة الدول المستهلكة ومن الطبيعى أن تشير العلاقة بينها إلى مستوى النضج والإمكانية والإستقلاليه أيضاً.

رغم كل تلك الحقائق وبعد الحرب.. ورغم حرائق هائلة شملت ٥٠٠ من آبار البترول الكويتية إضافة إلى مصانع النفط العراقية ومعامل البتروكيماويات والتى أدت إلى تعطيل ٨٠٪ منها فإن المدهش كان فى إنخفاض أسعار البترول إلى أدنى

مستوى ويرجع ذلك إلى الهيمنة الأمريكية على الإنتاج والعرض.. ومن ناحية أخرى لضخ أمريكا ودول وكالة الطاقة لكميات إضافية من النفط فى الأسواق[١].

حتى يزداد الأمر سوءاً فقد تم العمل على إنخفاض قيمة الدولار تجاه العملات الرئيسية الأخرى.. الأمر الذى يؤثر على حقيقة سعر النفط.. وحتى على المستقبل المنظور فإن إلغاء الخطر المفروض على الصادرات البترولية العراقية سوف يزيد من كمية المنتج والمعروض - الأمر الذى سوف يؤثر سلبياً على سعر البترول العالمى .

من الناحية السيكولوچية فإن الإتفاق بين دول الأوبك سيكون أمراً أكثر صعوبة حيث وقعت جميع البلدان العربية البترولية تحت ضائقه مالية نتيجة للحرب الأمر الذى يسهل وإلى حد بعيد سيطرة الدول المستهلكة على أسواق النفط[٢].

المدهش فى الأمر حقاً أن ذلك التداعى المرعب يتمشى ويتوازى مع مرحلة تعمير فى بلدان البترول فى فترة ما بعد الحرب.. وهكذا سوف يتكلف التعمير أضعاف قيمته الحقيقية أو حتى أكثر.. فإذا ما أضعفنا إلى ذلك كله التضخم العالمى والمتمثل فى قيمة أسعار السلع المستهلكة لراعنا الأمر حقاً.. فالتدهور يتسلسل وبسهوله من ناحية الدول المنتجة.. المنتصرة !!! .

★★★

مع نهاية المعارك الحربية.. بدأت حرب أشد وأصعب ضد العراق وهى حرب أقتصادية وإن إتخذت أشكالاً عديده ما زال معظمها سارياً حتى الآن.. فأضافة إلى قرارات مجلس الأمن الأمريكى والتى أوصت بأستمرار الحصار الأقتصادى والعسكرى على العراق فقد كان من شروط المجلس لوقف إطلاق النار أن يمتثل العراق لعده شروط:

---

(١) زاد حجم هذا المخزون بشكل كبير خلال الشهور الخمس السابقة على إندلاع الحرب.. أمر خاطر أساسى يشير إلى نيه أمريكا والغرب الحقيقة فى حرب الخليج.

(٢) تزداد أهمية ذلك كله إذا علمنا أن إحتياطى البترول الأمريكى يكفى فقط من ٥ : ٧ سنوات حتى ينضب ومن ثم فإن الضغط على السوق لحماية إحتياجاتها وإمداداتها كان ولاشك هدفاً من وراء تفجيرها للموقف وإخراج الأحداث على النحو الذى تر تضيه أمريكا.. وفقط.

- من بين هذه الشروط مثلاً أن يمتثل العراق ويدمر جميع محتويات ترسانته من أسلحة الدمار الشامل وأن يتعهد بعدم حيازه أو إنتاج أيه أسلحة نووية.. وأن يخضع جميع مالديه من مواد يمكن إستعمالها فى إنتاج أسلحة نووية للرقابه الحصرية للوكالة الدولية للطاقة الذرية لكى تحتفظ بها لديها وتزيلها!!.. وأيضاً فإن على العراق أن يؤكد من جديد - دون أى شرط - إلتزاماته بموجب برتوكول جنيف لحظر الإستعمال الحربى للغازات الخانقة أو السامة أو ما شابهما ولوسائل الحرب البيولوچية الموقع فى جنيف فى ١٧ يونيو ١٩٣٥ - وأن يصدق كذلك على إتفاقية حظر إستحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوچية وتدمير تلك الأسلحة فى ١٠ إبريل ١٩٧٢م .

- وينص القرار أيضاً على قبول العراق - دون أى شرط -بالقيام تحت إشراف دولى بتدمير وإزالة جميع ما لديه من أسلحة كيميائية وبيولوچية.. وما يتصل بها من مقطوعات فرعية ومكونات وجميع مرافق البحث والتطوير والدعم والتصنيع.. هذا بالإضافة إلى تدمير جميع القذائف التى يزيد مداها عن ١٥٠كم.. والقطع الرئيسية المتصلة بها.. ويوقف إصلاحها وإنتاجها.

- ويوافق العراق - دون أى شرط أيضاً - على عدم حيازة أو إنتاج أسلحة نووية أو مواد يمكن إستعمالها للأسلحة النووية أو أى منظومات فرعية أو مكونات أو أى مرافق بحث أو تطوير أو دعم وتصنيع تتصل بذلك.. وأن يخضع جميع مالديه من مواد يمكن إستعمالها فى الأسلحة النووية للرقابة الحصرية للوكالة الدولية للطاقة الذرية لكى تحتفظ بها لديها وتزيلها، وذلك بمساعدة اللجنة الخاصة .

- ويؤكد القرار كذلك مسئولية العراق عن أيه خساره مباشرة أو ضرر مباشر بما فى ذلك الضرر اللاحق بالبيئة وإستنفاذ الموارد الطبيعية أو ضرر وقع على الحكومات الأجنبية أو رعاياها أو شركائها نتيجة غزو العراق للكويت.. كما يؤكد القرار بطلان تصريحات العراق منذ ٢ أغسطس ١٩٩٠م بشأن إلغاء ديونه الأجنبيه.. ويطالب أيضاً بأن يتقيد العراق بدقه بجميع إلتزاماته بشأن خدمة وسداد ديونه الأجنبية.. وينص القرار كذلك على إنشاء صندوق لدفع التعويضات وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق .

عند التحليل المبدأى لبنود ذلك القرار العالمى الأمريكى فإنه من أول الملاحظات أن بنود ذلك القرار إنما جاءت تعبيراً عن روح ورغبة وهدف الطرف الأمريكى المهيمن.. والى لم تتأثر بحال بطبيعة العراق وخصوصيته وأهميته للكيان العربى الإسلامى.. كما أنه جاء تعبيراً عن إنحياز كامل لمصلحة أمريكا الذاتيه.. ولم يتمثل لدور العراق وأهميته ضد إيران.. وأمام إسرائيل.: الدوله الذرية منذ أكثر من عشرين عاماً .

لم يكن هذا القرار إذا موجها ضد مصلحة العراق الذاتيه .. قدر كونه ضد مصلحة الأمة العربية كلها.

ذلك المحور كان الأساس فى كل المواقف السياسية بعد حرب الخليج..

وأكبر دليل على ذلك هو موقف السياسات الدولية المهيمنة من مصر بعد الحرب.. وهى شريكة فى هذه المرة للجانب الأمريكى والغرب ودول الخليج!! .

★★★

لمصر تاريخها الذى لا ينكر.. ولها بصمتها الذاتيه على الأحداث..

كانت مصر عند إستقلالها دائنة للأقتصاد البريطانى.. وكانت قيمة الجنية المصرى يزيد عن الجنيه الذهب والذى كان ما قيمته ٩٧,٥ قرشاً مصرياً آنذاك.

بعد الأستقلال تحملت مصر أعباء أربعة حروب نيابة عن الأمة العربية.. وكانت مصر الطرف العربى الرئيسى فى تلك الحروب. بعد تلك الحروب أصبح الجنيه الذهبى يعادل ٢٣٠ جنيهاً مصرياً. !! .

فى نفس الوقت.. أدت تلك الحروب إلى أرتفاع سعر برميل البترول من ٢,٧٥ دولار للبرميل إلى ٤٠ دولاراً للبرميل مرة واحدة بعد حرب ١٩٧٣م.. وهكذا تكدست الأموال البترولية.. فى البنوك الغربية!! .. ومن ثم أرتفعت قيمة عملاتها وأستثماراتها فى الخارج إلى أرقام فلكية.. وإنخفض الجنيه المصرى من ٧٠ قرشاً مصرياً للدولار الأمريكى حتى أصبح الدولار الأمريكى يعادل ٣٢٥ قرشاً مصرياً!!

والحقيقة أن مصر قد تلقت بعد هذه الحروب مساعدات من العرب مساهمة وتعضيداً لمصر فى تلك الحروب حتى إتفاقية كامب ديفيد.. ولكن ما قيمة هذه المساعدات بالنسبة لخسائر مصر فى تلك الحروب؟! ...

بل لقد كانت كامب ديفيد مجرد رد فعل طبيعى وإنسانى لذلك الخلل.. المقصود.

قدر بعض الخبراء الأقتصاديون تكلفة هذه الحروب مبدئيا بما يوازى ٥٠٠ مليار دولار لو أن مصر لم تدخل هذه الحروب أصلاً - فضلاً عن دماء مليون مصرى ما بين شهيد وجريح ومفقود ومعوق.

فى المقابل فقد قدرت المساعدات الخليجية العربية لمصر والتى تتدرج تحت بند المنح والهبات فبلغت ما يقرب من ٤,٥ مليار دولار.. أى ما يقرب من ١٪ فقط من قيمة الخسائر المصرية.. هذا فى الوقت الذى بلغت فيه مكاسب دول الخليج وكنتيجة مباشرة للحرب الأخيرة العربية الإسرائيلية إلى يزيد ما عن ١٥٠٠ مليار دولار.

بصيغة أخرى.. فإن المساعدات الخليجية البترولية لمصر كمنح لا ترد كانت ٠,٠٣٪ من قمية الزيادة والإرتفاع فى أسعار البترول!!!

وفى المقابل كانت مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل الأقتصادية فقط تبلغ ١٥ بليون دولار على مدى العشر سنوات[١] الماضيه.. هذا غير المساعدات العسكرية والتى تتدرج تحت بنود متعدده!!

من الواضح أن هناك إختلافاً تقديرياً أساسياً فى فلسفة ومفهوم العمل بين مصر، والدول الخليجية البترولية ..ففى حين يرى أهل البسياسة فى مصر أن النجدة والشهامة والتصدى لمعارك العرب أمور تقع على الكاهل العربى المصرى لا تستلزم شكراً ولا تقديراً.. فإن أهل الأقتصاد فى بلاد البترول الخليجية قد خلعوا بدورهم ومن قاموسهم كل المبادئ العربية الأخلاقية والمثالية .. وحتى العلمية والعملية.

هذا فى حين أن معدل وأستمرار المعونة الأمريكية لإسرائيل يشير إلى أن هذه

(١) إنتهزوا الفرصة .. ريتشارد نيكسون .. ترجمة حاتم غانم ص ٢٧٨ .

المعونة أصبحت دعامة أقتصادية ثابتة فى الكيان الأقتصادى اليهودى .. لا غنى ليهود إسرائيل عنه.

كان ذلك الخلل بين دول الجوار العربى فى المستقبل الواحد أوضح ما يكون فى حرب الخليج الأخيرة.

فى حين تقاضت أمريكا وأتباعها أجراً عالياً رهيباً لجيوشها التى حشدتها لمعركة الخليج.. ومع أن هذا الأجر كان هدفاً ثابتاً من أهداف الحرب.. فإن تلك الدول هى هى التى سارعت فى الأستحواذ على أعتمادات التعمير والتى أجتهدت دون شك فى توسيع رقعتها وزيادة مساحتها.. وهكذا دخلت تلك الدول الحرب ظافرة.. وخرجت غنيه رابحة..

أما بالنسبة لمصر فقد كان الأمر عجباً.. أو منطقياً .. وكلا تعبيران سليمان :

كان دور مصر فى تلك الحرب على الساحتين العسكرية.. والإعلامية واضجاً قوياً ومؤثراً.. وعلى الساحة الأقتصادية كانت الخسائر فى حدود العشرين مليار دولار.. هى جملة الخسائر فى مجالات السياحة.. وقناه السويس.. وعائد العمالة الخارجية فى العراق والكويت.. وغيرها.. فبعد أزمة الخليج عاد إلى مصر أكثر من مليون مواطن مصرى.. بعضهم فقد كل مد خراته.. وقدرت تلك الخسائر بحوالى ١٥ مليار دولار.. الأمر الذى أدى بدوره إلى ضروره تدبير أموال لإستثمارها فى تدبير فرص عمل لهؤلاء المواطنين.. وكانت فى حدود ١٠ مليار جنيه.. وذلك لنحو ٥٠٠ ألف مواطن مصرى.. فقط .

فماذا كان العائد لمصر بعد دورها فى حرب الخليج؟! وما هى حسابات مكاسبها ؟!

تنازلت أمريكا عن ديونها العسكرية لمصر والتى قدرت بنحو ٧ مليارات دولار[١] - تنازلت دول الغرب الأوروبية عن بعض ديونها العسكرية كذلك.. أما

---

(١) نمت الديون العسكرية الأمريكية على مصر من ٤,٤ مليار دولار ليصبح ٧,١ مليار دولار - وبفائدة قدرها ١٤٪ سنوياً وكان ينتظر أن تبلغ ٢٦ مليار سنة ٢٠٠٦م وكان القسط السنوى لعام ١٩٨٩ : ١٩٩٠ لخدمه ذلك الدين ٨٠ مليون دولار يرتفع سنوياً ليلتهم كل المساعدات الأقتصادية الأمريكية لمصر - الأمر الذى لم يكن يعنى فى حقيقته سوى مصادره حقيقة للقروض الأمريكية مقابل الهيمنة الأمريكية على السياسة والأقتصاد المصرى

الدول الخليجية والسعودية فقد تنازلت هى الأخرى عن حوالى ٧ مليارات من الدولارات كانت تدين بها مصر..

وكان لابد للسياسة العالمية من أن تعادل تلك المتغيزات فى الموازين الأقتصادية للهيمنة على دول المشرق خاصة مصر.. كان ذلك من أوضح مظاهر السياسة العالمية للخلاف الأخير بين مصر وصندوق النقد الدولى الذى نجح فى فرض تصوره وسياسته..ولعل تلك السياسة من أخطر مراحل مصر الأقتصادية.. وأخطر شواهدها أنها غير واضحة.. وغير مقرؤه ومجهوله المستقبل من ثم ولعل معاناه الشعب الأقتصادية حتمية لذلك كله.. وصورة من صور تلك السياسة.. والمدهش أن صندوق النقد الدولى أوضح بجلاء إلى حتمية المعاناه الأقتصادية لمصر.. ولأعوام طويلة قادمة.. ولمزيد من الضرائب - وإنخفاض فى فرص العمل الحكومية حتى يتسنى لنا قدر من التوازن الأقتصادى ...

- غير أن ذلك كله يحمل وفى طياته - رغم صحته العلمية - إشارة وإثبات إلى أن المردود الأقتصادى لدور مصر فى حرب الخليج كان ضئيلاً بالنسبة لدورها.. وهذا الثمن كان مقصوداً لخدمة السياسة العالمية.. والخليجية أيضاً.

إن تكاتف الجانب العربى البترولى مع السياسة العالمية على وضع مصر فى هذا الخندق الأقتصادى الضيق قبل الحرب.. وحتى بعدها يجعل الطريق صعباً على المصريين فى تحمل المضى فى طريق التضحيات العربية إلى مالا نهاية[1]... الأمر الذى يمكن إستقراؤه بسهولة فى القرارات والتوجهات المصرية السياسية حالياً.. والخوف كل الخوف أن يتعذر على مصر أقتصادياً وسيكلوچياً - بعد فترة - الإستمرار فى دورها الذى فرضته نتائج حرب الخليج الأخيرة .. والذى لا غنى للعرب عنه فى المرحلة القادمة والتى تستهدف أية دولة عربية ذات تطلعات.

أوضح مثال لذلك هو موقف مصر من أزمة ليبيا الحالية ..

---

(١) كانت تلك هى نفس الإستراتيجية التى عانى منها العراق بعد حرب الخليجة الأولى.. وهى نفس السياسة الأمريكية والعالمية تجاه المنطقة العربية ككل.

حقيقة فإن السياسة المصرية تتحمل جزءاً من مغبة ذلك التدهور.. فقد كان يجب عليها أن تطالب وتصمم على حقها الشرعى فى مال الأخوة أصحاب البترول.. وليس فى ذلك إستجداء ولا يحط من الشهامة والأخلاق العربية قدر ما هو ضرورى وحق لمصر وأساسى لقوة التحمل والإستمرار فى ثبعات الزعامة والعطاء.

ثم لنتسائل بهدوء.. هل كانت لتلك الحقائق الأقتصادية بصمة على موقف مصر من أزمة الخليج الأخيرة؟! ..

.. كما أن لنتائج الحرب بصمة واضحة ظاهرة فى الخلافات العربية المتشابكه والملموسة؟!

الحقيقة الواضحة للجميع أن هناك خللاً واضحاً فى التضامن العربى الأقتصادى .. وخاصة بالنسبة لمصر.. وذلك فى مقابل التضامن المصرى ومسئوليته القيادية رغم متاعبه الأقتصادية.

ليس فى الأمر من عجب حيث أن الولايات المتحدة هى التى تقوم برسم الخطوط العامة للسياسة الأقتصادية للمنطقة وفى حرب الخليج الأخيرة كانت هى التى كتبت الفوائد المتبادلة والحسابات والإستحقاق بالنسبة لأطراف النزاع.. ومن ثم هى التى حددت حدود المكاسب والخسارة من أزمة الخليج.

★★★

حتى تكتمل حلقة الإحتواء الأقتصادى للمنطقة.. أشترطت الولايات المتحدة أن تعمر ما سوف تخربه الحرب.. أو تخربه أمريكا.. وثم عقد معظم الإتفاقيات فى شهر ديسمبر ١٩٩٠م .. هذا فى حين أن الحرب قد أشتعلت بعد منتصف يناير ١٩٩١م .. وقطعت بذلك السياسة الأمريكية الطريق على أى دور مصرى[1] رئيس لمرحله ما بعد الحرب.

(١) أسندت إلى الشركات الأمريكية ٨٥٪ من حجم عمليات التعمير فى الكويت. هذا رغم تصريح عبد الرحمن العوضى وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الكويتى والذى قال فيه: إن الجهد المصرى سيشارك بالخبرات المصرية فى إعادة تعمير الكويت خاصة بعد الخبرات الكبيرة التى أكتسبتها مصر فى إعادة تعمير مدن القناة! .... ولا تعليق.

لعل ذلك الواقع الثابت كان من أهم عوامل حتمية الحرب وأهميته بالنسبة لأمريكا.. ولعلنا نتفهم الآن سبب الرفض الأمريكى للإنسحاب العراقى المشرف من الكويت رغم ضمان وتأكيدات الإتحاد السوفيتى لتلك الخطوة.

بعد الحرب سارعت وزارتى الكهرباء والتعمير المصرية برئاسة المهندس / حسب الله الكفراوى للسفر إلى الكويت وحاولت الحصول على تعاقدات ومشاركه دول العرب فى تعمير الكويت العربى المسلم.. وفشلت البعثة فى الحصول على أيه تعاقدات ذات قيمة.. وحاولت البعثة الحصول على تعاقدات - من الباطن - مع الشركات الأمريكية والبريطانية.

كانت نتيجة الجهود المصرية ضعيفة لدرجة أن بعض مرافقى الوزير أشاروا برفض العملية التى نجحوا فيها وذلك لتفاهتها وضعفها من الناحية الأقتصادية.. هذا من جانب.

من جانب آخر فإن تلك المواقف توازت مع ضغط أمريكى ودولى شرس على مصر فى محادثاتها مع صندوق النقد الدولى والذى أشترط على مصر تبنى سياسة التحرر الأقتصادى وفق المفهوم الأوروبى والأمريكى. الأمر الذى يستلزم الأمتناع الحكومى عن التدخل فى أيه إجراءات معوقه لسياسة التحرر الأقتصادى، وهى فى نفس الوقت تحت إشراف قوى الصندوق الدولى ذاتها.. هذا رغم أن هذا التدخل لا يستهدف أساساً إلا مستويات المعيشة للطبقات الدنيا والوسيطة.. وهى تمثل القطاع العريض من الشعب المصرى .. المطحون.

المدهش حقاً أن ذلك كله تلازم مع القضاء على الشركات الوطنية الإسلامية رغم أنها شركات حرة.. وتبلغ قيمة أصولها بالبلابين.. وعرضت تلك الشركات للبيع بأبسخ الأثمان.. هذا مع أن تقارير رسميه أكدت أن أصول تلك الشركات تعادل رأسمالها!! الأمر الذى يصعب معه أى تبرير لتصفيه تلك الشركات ذات الموازنة الجيدة..

هذا كما أن شركات وطنيه وحكومية أخرى عديدة بيعت.. وبأثمان منخفضة للغاية!!.

الأعجب أن يكون ذلك كله شرطاً للمجموعة الأستشارية التى نظمها البنك الدولى للإتفاق على قروض جديدة!!.

وهكذا تتشابك الحلقات أو تتكامل وبشكل لا يجد المحلل لها هدفاً سوى تخريب الأقتصادى الوطنى.

توازى ذلك كله مع إنخفاض ملحوظ فى إستثمارات الولايات المتحدة فى مصرنا المنكوبة فقط أصبح ٣٪ بعد أن كان ٥٪ فى نهاية ١٩٨٧م .. هذا مع الأهمية والرعاية التى تعطيها الإدارة المصرية لأيه إستثمارات أمريكية خاصة توازى ذلك مع توجه نشاطات الإستثمار الأمريكى إلى دول أوروبا الشرقية أثر تحررها وسقوط روسيا الكبرى .

إضافة إلى ذلك كله فإن أقتراضات الدولة موجهة الحالية وبشكل أساسى إلى البنية الأساسية للدولة والخدمات كالطرق والمياه والكهرباء والصرف الصحى والتليفونات وغيرها.. وهى جميعها مجالات غير منتجة- وإن كانت أساسية – ومع ذلك فهى تكبد الدوله أعباء دون إنتاج أو مردود أقتصادى الأمر الذى يجعل باب الإستدانه مفتوحاً.

ومن ثم تكتمل الحلقة الشيطانية للهيمنة والتكتيف الأقتصادى للدولة.

قد تختلف النظرة الأقتصادية لكل تلك العوامل الأقتصادية وأثرها القريب والبعيد وذلك تبعاً لتعدد مدارس الأقتصاد وزوايا المناولة وأهميته.. غير أن الفيصل يأتى من دراسة الواقع اليابانى الذى لم يقبل فى أى مرحلة من مراحل بعثته ونهوضة أن يرهن حركته ومستقبله وعائد عملة ومجهوده بالديون – حتى وهى تحت الإحتلال المباشر الأمريكى – أو أن يسيطر الأجانب على السياسة الإدارية للشركات الوطنية اليابانية.. ومن ثم يمكن توجيه نشاطاتها وتحديد مسارها.

لعل تلك الحقائق من البداهات.. فسياسة صندوق النقد الدولى لم توجه لمعالجة مشاكل العالم الثالث قدر ما هدفت إلى إستنزافه أقتصادياً .. وتكبيله سياسياً من ثم ..

من ذلك المنطلق الأساسى تسطيع الآن أن نتفهم مغزى سياسة الصندوق الموجهة نحو مصر خاصة.. والمنطقة العربية عامة.. فصندوف النقد والذى تهيمن عليه السياسة الأمريكية بنسبة مشاركتها الأعلى من المنطق ان يوجه سياسته لخدمة أهداف الولايات المتحدة والتى ترى منذ مدة أن أهم أهدافها هو فرض سياستها الأقتصادية على معظم أنحاء العالم الثالث وذلك من أجل السيطرة على مقدرات الأقتصاد العالمى.. خاصة مع دول منطقة الشرق الأوسط.. وإزدادت أهمية تلك السياسة مع تدهور الأقتصاد الأمريكى فى السنوات السابقة على حرب الخليج والتى تميزت بتواليها وتصاعدها.

ما يؤيد ذلك كله هو الإقتراح الأمريكى الخاص بتغريز الصادرات الأمريكية من الأسلحة عن طريق ضمانات الصفقات الأسلحة بمبلغ عده بلايين من الدولارات لحساب الدول الصديقه.. عن طريق البنك الأمريكى للتصدير والإستيراد وذلك بغية تحسين قدره الصناعات الحربية الأمريكية على المنافسة فى الأسواق العالمية.. إذ أن ذلك سوف يؤدى إلى مزيد من إستيراد السلاح خاصة فيما يتعلق بمناطق المنازعات والحروب فى العالم الثالث.. وبصفة خاصة منطقة الشرق الأوسط .

.. يحدث ذلك رغم التيار الإعلامى المنادى بالعمل على إستتباب السلام فى منطقة الشرق العربى !!

.. لصعوبة الأمر وأهميته القصوى نترك تفصيله لعلماء الأقتصاد.. فهم الأجدر والأولى بتوضيحه دون شك فهذا أمر تخصص لكنه واجب خاصة فى مرحلتنا الراهنة.

مع ذلك نؤكد أن كثيراً من الظواهر تجزم بتعارض المصلحة الأقتصادية القومية للمنطقة العربية مع أهداف حركة الغرب الأمريكية وحتى الأوروبية الأقتصادية والمهيمنة.. الأمر الذى بدت ظواهره واضحة فى كل الإتجاهات فى مرحلة ما بعد الحرب..

فى إجتماع « قمة الأرض » الذى يعقد تلك الأيام فى « ريودى جانيرو » تسعى الدول الصناعية لفرض ضريبة إستهلاكية على كل برميل بترول ..

تلك أيضاً من نتائج حرب الخليج .. يتحملها الطرف الخليجى مكافأة له على موقفة من العراق!!

★★★

بعد عده أشهر من نهاية حرب الخليج ظهرت وعلى نطاق واسع ظاهرة العملات المزيفة والتى غمرت المشرق العربى خاصة العراق.. وتؤكد الحكومة السويسرية أن تجارة العملة المزيفة فى تزايد مستمر كل يوم.. وأن المشكلة تتطور إلى الأسوأ وأن عمليات طبع وطرح العملات المزيفة قد زادت وبشكل مكثف.

ما زاد الأمر صعوبة هو التطور المذهل الذى طرأ على عملية التنزيف الأمر الذى بات يشكل صعوبة حتى على الخبراء والمتخصصين للتمييز بين العملة المزيفة والأصلية.

وهكذا أصبحت منطقة المشرق العربى منذ نهاية حرب الخليج واحده من أكبر الأهداف لسوق العمله المزيفة.. خاصة وأن قوانين التهريب والإجراءات الجمركية فى هذه الدول ليست حازمة وقوية مثل الدول الأخرى .. ويزيد الأمر صعوبة نقص الخبرات المدربة على أكتشاف العملات المزيفة .. الأمر الذى يشجع ويساعد وإلى حد بعيد على تهريب العملات ودخولها إلى منطقة الشرق بكل سهوله ويسر.

كانت تلك الظاهرة من أوضح ما يكون فى بلدين أساسيين .. العراق .. ومصر !! وهو أمر فريد وذلك لتعارض وتنافر الإتجاهات السياسية بين البلدين الشقيقتين فى المرحلة الراهنة.. لكن النظرة للبلدين كانت واحدة من جهات التخريب والحرب الأقتصادية والإستخبارية العالمية .

بعد توقف الأعمال الحربية إنتشرت فى العراق ظاهرة الدينارات المزيفة.. والتى دخلت البلاد من الجنوب والشرق وبصراحة وتحديداً من الكويت وإيران .. وأصبحت الظاهرة قوية وشاملة وخطيرة حتى أن أيه عملية شرائية فى أسواق بغداد لا تتم حالياً إلا بعد الكشف عليها بجهاز تم تصنيعه محلياً - وإنتشر إنتشاراً مذهلاً - وذلك فى محاوله لمواجهة تلك الظاهرة التى تمثل أقصى تهديد لقيمة العملة العراقية ومكانتها.

- ويمكن تفهم العوامل والدوافع لتلك الظاهرة اللاشرعية الخطيرة فى توجهها للعراق وإلى أقص حد ما وأبعد مدى.

أما بالنسبة لمصر فإن الأمر قد يحتاج لبعض التوضيح..

فقد إنتشرت ظاهرة الدولارات المزيفة فى مصر.. وكانت منافذ العبور فى هذه المرة عن طريق الحدود الشرقية ومنافذ العبور فى طابا ونويبع على وجه الخصوص.. وبالطبع فإن أصابع الإتهام تشير أول ما تشير إلى إسرائيل.. والأهداف الإسرائيلية لا تخرج عن محاولة إرباك وإرهاق السوق الأقتصادية المصرية وبث روح الشك فى سلامة السوق المصرية وصحتها.. هذا رغم حالة السلم المعلنة.. ورغم نجاح سلطات الأمن ومباحث الأموال العامة فى مواجهة تلك الظاهرة وإلى حد ما ..

ورغم صدور قرارات تحديد سعر الصرف للدولار فإن ظاهرة غمر السوق المصرية بالدولارات المزيفة ما زالت وحتى وقتنا هذا فى تنامى وتعاظم كبيرين[(١)].

من زاولة أخرى فإنه ومنذ عقد السبعينات ظهرت على السطح التقلبات الحادة فى صرف العملات الدولية الرئيسية وفى مقدمتها الدولار الأمريكى. بعد فترة وضح أن هذه التقلبات مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بأسعار البترول بالدولار.. الأمر الذى يحتم وضوح وتفسير ظاهرة العلاقة العكسية بين سعر صرف الدولار وسعر برميل البترول الخام.. فعند إرتفاع أسعار النفط ينخفض الدولار .. والعكس صحيح.

أساس هذه العلاقة أن الدولار بأت يمثل سعر تقويم النفط. الأمر الذى يفسر مدخل السياسة الأقتصادية الأمريكية للهيمنة على أسواق النفط وقيمته الحقيقية.

والهدف الأمريكى من لعبه تقييد سعر البترول بالدولار قائم على جعل منفذ الأرباح والخسائر الناتجة عن تحريك أسعار البترول لا قيمة له من ناحية المضمون العملى والحقيقى. ولنضرب لذلك مثالاً..

---

(١)صرح العميد / رجاء الدواخلى بادارة مباحث الاموال العامة بأن معظم هذه الاموال يقوم بتهريبها اسرائيليون رغم تشديد الاجراءات الامنيه لمنع محاولات التهريب من منفذى طابا وتويبع لاغراق السوق المصرى بالدولارات المزيفة"

نقلا عن جريدة «مصر الفتاة» فى١٦/٣/١٩٩٢ م.

فإذا كان الدولار يساوى ٢٢٠ يناً فإن برميل البترول عند سعر ٢٠ دولاراً يساوى ٤٤٠٠ يناً يابانى - كان هذا سعر صرف الدولار للين فى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات.

غير أن سعر الدولار إنخفض للين بعد ذلك .. وإلى نحو ١٢٠ يناً للدولار.. وزاد سعر برميل التبرول إلى ٣٠ دولاراً .. ومن ثم فإن سعر برميل البترول أصبح ٣٦٠٠ يناً فقط!!

وهكذا إنخفضت قيمة برميل البترول الفعلية بالنسبة لليابان فى منتصف الثمانينات.. هذا رغم إرتفاع سعر البرميل رسمياً من ٢٠ إلى ٣٠ دولاراً !!!.

وهكذا .. وبلعبه حسابية بسيطة فى أسعار صرف العملات إنخفضت فاتورة البترول بالنسبة لليابان إلى حد كبير جداً.. رغم إرتفاعة الظاهرى.. فإذا ما إنخفض سعر الصرف للبترول .. أو سعر البرميل فإن حجم الخساره يكون بالغ الضخامة وعظيم التأثير.

كانت تلك السياسة الأقتصادية أو لعبة أسعار الصرف هى الوسيلة التى أمتصت تراكم الفوائض المالية التبرولية للخليج .. وهى أيضاً أسباب الأزمات والإنهيارات المالية والعالمية الأمر الذى وصل ذروته يوم الأثنين الأسود ١٩/١٠/١٩٨٧.. والإنهيار المروع لبورصة الأوراق المالية فى نيويورك.. وما تلاه من إنهيارات مالية على إمتداد البورصات العالمية.

بلغت خسائر تلك الأزمات أرقاماً فلكية ١٥٠٠ مليار دولار!! .. كانت خصائر دول الخليج مئات المليارات ومثلوا فى الحقيقة الجانب الخاسر والأساس فى تلك المؤامرة الأقتصادية.. الرهيبة.

وقبل ذلك كانت أزمة سوق المناخ فى الكويت.. وبلغت خسائر الكويت فى تلك المؤامرة وحدها ١٥٠ مليار دولار فقط - لاغير !!.. ثم كانت خسائر البنوك العربية الدولية والتى تصل تقديراتها إلى نحو ٢٠٠ مليار دولار!!.. المحزن فى الأمر حقاً أن هذه الخسائر كانت لسياسة تلك البنوك العربية!!.. التى وجهت جل نشاطها إلى

مجال التنمية فى أمريكا اللاتينية.. وبالطبع على حساب التنمية العربية والمستقبل العربى .. وبمئات المليارات!!

كانت آخر حلقات تلك السلسلة البغيضة قضية إفلاس بنك الأعتماد والتجارة وخسارته التى بلغت ١٥ مليار دولار فقط!! .. وقطعاً لن تكون الأخيرة .

لعل المحور الأقتصادى الذى أفرز كل تلك الحوادث هو أيضاحاً ماأخرج أحداث الخليج على النحو الذى تميزت به من تدمير واسع للبنية الأساسية للكويت والعراق معاً. .ولعل ما ساعد على تلك الكوارث إهتزاز الثوابت من مبادئ التكامل والتنسيق العربى فى المجالات الأقتصادية كما فى غيرها .. مع أستمرار النزيف الحاد للموارد العربية.. والهيمنة الغربية حتى على فوائض الإيداعات العربية وتفاعلها بالأحداث.

.. كانت أسباب أزمة الخليج ومحور إنفجارها مطالبة العراق بحقه فى بترول أغتصبته الكويت.. وأعترف بذلك المسئولين الكويتيون وبقيمه لا تتعدى ٢,٤ مليار دولار فقط!! ولا تعليق..

فماذا كسبت دول الخليج؟! .

***

الأمر الذى يؤكد أهمية المحور الاقتصادى للحوادث هو كتابات قادة تلك الدول ومفكريها أنفسهم.. وتحليل تلك الإتجاهات الفكرية هام حيث أنه يوضح الأهداف الأمريكية إلى أبعد مدى ...

يقول ريتشارد نيكسون ثعلب السياسة الأمريكية والرئيس الأمريكى السابق موضحاً أهمية البترول الأقتصادية لأمريكا « أن توقف وصول البترول أو الموارد الأخرى لها أهميتها لأمننا القومى .. إن مصيرنا الأقتصادى يمكن أن يصبح رهينة عن طريق حكام معادين ومتقلبين مثل صدام حسين »[1].

(١) انتهزوا الفرصة . ص ٢٥٨ ... ترجمة غانم .

ثم يعبر الرجل عن معنى الرخاء فى بلاد العالم الثالث وتقييمه له فيقول:

« إن الرخاء الأقتصادى الضخم فى بلاد العالم المتخلف يعنى نقوداً فى جيوب العاملين الأمريكان. » (١)

فهل يفسر ذلك السياسة الأقتصادية لصندوق النقد الدولى تجاه مصر؟! .. وتجاه الخليج العربى؟! وإذا ما تعارض رأى أو فلسفة لذلك كله فلنرجع للنبع الحق والرأى الصدق.. لكتاب المولى عز وجل.. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

يفصل المولى فى كتابه الكريم فى تحديد نظره أهل الكتاب والمشركين إلى المسلمين فيقول عز من قائل :

{ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينّزل عليكم خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء الله ذو الفضل العظيم }

والآية الكريمة تنص على أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين لا يرجون إلا ضرر المسلمين ولا يودون أن ينزل على المسلمين خير من ربهم (٢) ».

وإكد المولى عز وجل ذلك المفهوم فى قوله:

{ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائآ ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون عى الهل الكذب وهم يعلمون }

فنظرة أهل الكتاب إلى المسلمين نظرة كلها إسقاط .. « فهم ينظرون إلى المسلمين كأميين. لا يرعى لهم حقوق.. بل ويدعون أن ذلك حكم الله.. وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى. » (٣)

---

(١) انتهزوا الفرصة ـ ص ٢٥٨ . ترجمة حاتم غانم

(٢) المنتخب فى تفسير القرآ الكريم ص ٢٤

(٣) أيضا ص ٨٢

ويقول عز من قائل :

{ إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط } .

وفى تفسير الآية الكريمه: { إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمه تحزنهم وإن تصبكم مساءة كجدب وهزيمة يسروا بأصابتكم وإن تصبروا على أذا هم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر} (٣) .

فمن لم يستمسك بتلك العروة ويشد عليها كتب الله عليه الخسران المبين.

{ وإذا علم من آياتنا شيئا إتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مبين . ومن ورائهم جهنم لا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما إتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم }

فذلك المنهاج القيم للسياسة والأقتصاد الإسلامية سبيل القوة ودون ذلك الخسران المبين فمن تمسك بها غنم ومن تخلى عنها بفلسفة أو إدعاء فعلية وزرة وتبعات عملة وموقفة .

{ يدعوا من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير }.

وقال عز وجل:

{ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون }

ولنراجع جميع المواقف بسلبياتها - فلا إيجابيات - هل خرجت عن ذلك المنهاج القويم؟!

ولله الأمر من قبل .. ومن بعد .. وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسه يظلمون.

وصدق الله العظيم وعيده.

---

(١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ص٩٠

الفصل السابع عشر

المؤتمر الدولى للسـلام

الفصل السابع عشر

المؤتمر الدولى للسلام

كان من السهولة للمتتبع لتطورات الأحداث أن يلمح شعارات جذابه وتعهدات هزت وجدان المسلمين العربى : حيث تعالت اصوات الاطراف العالمية الكبرى بضرورةحل المشكلة الفلسطينيه حتى قبل أندلاع حرب الخليج الأخيرة.. وكانها كانت ترمى الى طمأنه الجانب العربى من جهة..وهى تبنى فى نفس الوقت خططها نحو المنطقة فى فترة ما بعد الحرب .من ناحية أخرى ..، وعلى ذلك تعالت الاصوات – قبل الحرب- بفكرة مؤتمر دولى« لتسوية التراع العربى – الأسرائيلى.

بعد كارثة الخليج واهتزاز الموازين رفعت امريكا مبدأ إقرار السلام كضرورة أساسيه فى الشرق الأوسط..ولم تنادى بفكرة المؤتمر الدولى .. وفى المقابل رفعت اسرائيل فكرة « المؤتمر الأقليمى» بديلاً عن فكرة المؤتمر الدولى وذلك كأساس لتسوية مأمولة للنزاع العربى الاسرائيلى.

وعلى الجانب الثالث.. وبعد مداولات وأسفار واجتماعات وافقت الاطراف العربية المؤثرة فى المنطقة – مصر وسوريا والسعودية – على مبدأ المؤتمر الاقليمى.

من الواضح قانونيا أن فكرة المؤتمر الأقليمى لا تستلزم ضرورة الأمم المتحدة ولا قراراتها كأطار شرعى للتسوية الأمر الذى يفسح المجال للتنصل من قرارات الشرعية الدولية.. وبالذات قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ م ٢٣٨ ..

وبالتالى إستبعاد مبدأ مبادلة الأرض بالسلام كأساس للتسوية بين اسرائيل والعرب .. وهذا الوضع ايضا يسمح من ناحية أخرى بتطويع المواقف من أجل مفاوضات باشرة تجريها اسرائيل.. مع كل دوله عربية على حده لمناقشة وإثارة مشكلاتَ اقليمية .. وذلك كله يعرض القضية الأساسية للضياع بعد احتلال القدس وغزة والضفة المحتلة .. والجولان.

كانت مقابلات بيكرو شامير المتكرره الأساس الذى تم بعده الاطار المتفق عليه فى المفاوضات المأمولة بين العرب واسرائيل (١).

وهكذا قبلت امريكا مبدأ المؤتمر الأقليمى!! وتخلت عن مظله الشرعيه الدوليه للأمم المتحدة.. مع أنها هى التى رفعت بل وطوعت تلك الشرعية لخدمة اهدافها فى حرب الخليج!!.. وقبلت مصر والسعودية وسوريا مع أنهم جميعا قد رفعوا تمسكهم بمبدأ الشرعية الدوليه لتبرير موقفهم من حرب الخليج .. أما بالنسبة للقدس.. فيبدو أن الأمر يختلف!!.

كان الاعلام المصرى والعربى من القوة والهيمنة حتى أنه نجح فى تبرير موقفة وتخليه عن الشرعية الدولية فى موقف أوضح بكثير من أزمة الخليج.. موقف يتفق العالم كله على أنه يختص باحتلال اسرائيل لاراض عربية شاسعة بعد حرب ١٩٦٧ وسعيه الجاد والعملى لضم هذه الاراض..وبصورة نهائيه.

من الأمور التى شجعت على هذا التدهور كان التحالف الذى أفرزته أزمة الخليج الأخيرة بين الاطراف العربيه وغيرها حيث وفجأة شاهدنا تحالفا خاصا فى المنطقة العربية ضمت فى ناحية امريكا وحلفاؤها الغربيين.. ومجموع دول الخليج والسعوديةومصر وسوريا.. ومع هذه الاطراف جميعها كانت اسرائيل وعلى الدوام الشريك الحاضر الغائب فى كل مراحل الأزمة بشكل أو بآخر .. وفى ناحية أخرى كان العراق المغبون وعلى استحياء وقفت معه بعض الاطراف العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية .. وهكذا فإن سياق الحوادث وتوجيهها لمحاولة حل المشكلة اليهودية العربية لم يكن يعنى فى حقيقته إلا سهولة تحييد وتقييد حرية للاطراف العربيه المؤثرة والخليجية الفنية.. مع إتاحه كل حريه للحركة الاسرائيليه.. وفى اى اتجاه تريده.

كان لهذا التباين اثره ولاشك على مواقف الاطراف.

---

(١) فى إحدى هذه المشاورات كرر شامير : « إنه بيتر يده قبل أن يقر مبدأ مبادلة الأرض بالسلام».. فعلام كانت تلك المفاوضات من الأساس؟! .

رفعت اسرائيل من ناحيتها تصورها للمحادثات وكأنها مفاوضات لحل مشاكل الجوار العربية الإسرائيلية مثل حسن الجوار ومشكلات المياه والعلاقات الثنائيه وحرية التجارة وفصلت ذلك كله عن المشكلة الفلسطينيةوالاراض العربيةالمحتلة!!..
فصلت ذلك كله عن القدس.

وفيما يختص بالمشكلة الفلسطينية فقد كان اول شروط لمجرد بدء الحوار استبعاد منظمة التحرير من أيه مفاوضات وذلك بوصفه ليس مطلبا رئيسيا يهوديا فقط.. بل وايضا كتعبير عن رغبه الاطراف العربية المعينة !!!(*).

المدهش فى الأمر حقا أن كل هذه الأطراف العربية - المعينة - تعترف رسميا .. كما يعترف مجلس الأمن ويقر - بأن تلك المنظمة هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى.

تمثل كل تلك المتعارضات وتشير الى مدى وقوه وايمان الاطراف العربية بقضيتهم الاولى.. قضية القدس الشريف.. وايضا الاراض العربية المحتله.. قضية الاسلام.. ومحنته.. هذا من ناحية.

من ناحية اخرى فإن أية نظرة تحليلية للموقف الامريكى يوضح نية الغرب الامريكى ونظرتهم الى المنطقه .. بل وتبين كذلك مدى مصداقية امريكا والتى رفعت شعار الحق والشرعيه فى حرب الخليج.. فالتحرك الامريكى كان يجرى فى فترة انفراد قيادى وهيمنه على السياسة العالمية اوضح حقيقه النيات بعد أن أضحت مسعوره بشعور الهيمنة والقوة.

وبرغم التراجع النسبى لمكانه اسرائيل فى الاستراتيجية الدولية الغربيه تجاه

(*) علقت إسرائيل قبولها لحضور الممر بثلاثة شروط وهى :
(١) أستبعاد المنظمة المعترف بها عربياً ودولياً كممثل شرعى ووحيد الشعب الفلسطينى .
(٢) عدم حضور أى طرف فلسطينى من خارج العاصمة المحتلة .
(٣) عدم إشتراك أى فلسطينى من مدينة القدس.. ثم أشترطت إسرائيل بعد ذلك كله موافقتها على تشكيل الوفد الفلسطينى بعد ذلك كله.. ورض العرب بكل تلك الشروط الإسرائيلية .. اللهم لا أعتراض .

المنطقه بعد زوال الاتحاد السوفيتي فإن الموقف الامريكي لفظ وبصراحة ممجوجه الالتزام بالشرعيه الدولية.. والحقوق العربية.

بعد فترة من المشاورات والاجتماعات انحصر الموقف الامريكي في التوسط للتقريب بين وجهات النظر بين الاطراف العربيه والاسرائيلية المتعارضةدون ادنى تميز بين غاصب ومحتل ..بين معتد ومعتد عليه .. وعليه.فلا ضغط بأى صورة على الجانب لااسرائيلى.. والذى أملى بدوره مدى هيمنته العسكرية المطلقه بعد حرب الخليج !!

كان الخلل في ميزان القوى بين الاطراف المتعارضة واضحا على مواقف الاطراف ومدى قوتها التفاوضيه..غير ان الغريب أنه بعد مده اقتربت المواقف الامريكية من الافكار الاسرائيلية وعليه فسرعان ما تبنت امريكا فكره الفصل بين القضية الفلسطينية وبين العلاقات العربية الاسرائيلية !! .. بل وسرعان ما تأكدت النيات عندما وافق الطرف الامريكي على مسأله استبعاد منظمة التحرير كذلك عن اى مشاركه عملية..

أمام ذلك كله لم يكن للعرب أيه مطالب.. وليس لديهم ادنى مقابل.

كان المبدأ الاساسى الذى رفعه الرئيس الامريكي قبل الحرب وجميع المسؤلين معه هو مبدأ الارض مقابل السلام.. وعندما رفضت الحكومة الاسرائيلية هذا المبدأ من ناحية الاساس واعتبرته من الشروط المسبقة التى لا يمكن لاسرائيل القبول بها تراجعت امريكا خطوات ورفعت السياسة الامريكية شعاراً مؤداه إن تحقيق التسوية انما يتوقف على رغبة اطراف الصراع!! وهكذا تم رفع شعار بعد آخر.. وضاع العرب وضاعت مقدساتهم وارضهم.

.. رغم ذلك كله كان ولابد أن يتعارض الموقف الامريكي مع الموقف الاسرائيلى للاستقلاليه الذاتيه لكل منهما.

كان الموقف الذى انفجر فيها لتعارض يمس فى صميمه محور الصراع الانسانى وهو الاقتصاد الامريكي ذاته!!.

فبينما امريكا تبتسم لنتائج حركتها فى الخليج وتعد مكاسبها اذ تظهر اسرائيل رغبتها فى معونه امريكية لخدمة الاستيطان فى الاراض المحتلة !! وبمبلغ يصل الى عشرات المليارات من الدولارات لاقامة مستوطنات للمهاجرين الجدد اليهود من روسيا.[1].

ورغم مكاسب امريكا فإن هذا الطلب لم يكن فى حساباتها مع اهتزاز الاقتصاد الامريكى الذى انفق فى عام فقط ١٩٩٠م ماقيمته ١٥٠ مليار دولار لخدمة ديونها!!! وكان لذلك الواقع اثره على الشعب الامريكى ذاته وعلى السياسة الامريكية حيث ولد قدرا ضئيلا من التسامح إزاء اتباع أية سياسةقائمة على التزامات خارجية باهظة التكاليف.. أو ذات نهاية مفتوحة.. بل لقد وصل الامر الى حد أن الاقتصاديين الامريكيين باتوا يرون ضرورة تخفيض التزامات الدوله فيما وراء البحار رغم فخرهم واعتزازهم بهيمنتهم العسكرية.

العجيب والغريب أنه رغم وضوح هذا العامل ولأقص حد بين الامريكين فان شامير - وله خبرة بمطبخ السياسة الامريكية صرح فى ذروه رفضه لمقترحات بيكر وبوش فقال:

«إن المساعدات الامريكيةلاسرائيل ستمضى فى طريقها ولن تتوقف ولا يمكن لأحد أن يتصور أن الولايات المتحده ستتخلى عن اسرائيل[2].

المحير فى الأمر حقا أن هذه التصريحات بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ومن ثم تراجع النزاع العربى - الاسرائيلى من الارتباط بمنطقة كانت النزاعات الاقليمية فيها

---

(١) تستعد إسرائيل لأستقبال مليون مهاجر يهودى سوڤيتى خلال الخمس سنوات القادمة .. وهى خطوة أساسية وهامة بالنسبة للهدف اليهودى - البروتستانتى الأمريكى البريطانى فى أقامة إسرائيل الكبرى.

(٢) ذكر المستشار بريجنسكى مستشار الأمن القومى السابق فى كتابه « خطة اللعبة» : « إن أمريكا فى عهد حكومة ريجان لم تكن لها سياسة للشرق الأوسط.. أى أن كل ما تتظاهر به من إعلان لمبادرات وخطط وإرسال مبعوثين وأستقبال مسئولوين هو لمجرد الإيجاد بأنها مهتمة الايحاء حل .. لكن ليس هناك شئ من هذا »...

فى خدمة الاعتبارات الدولية والتوازن الدولى الاستراتيجى بين العملاقين.. غير أنه بزاول الاتحاد السوفيتى اصبحت غير ذات تأثير على السلام العالمى أو الهيمنة الامريكية. الحقيقة تستلزم أيضا أن ذلك الواقع الجديد لا يسقط بصورة كاملة أهمية اسرائيل بالنسبة للاستراتيجية الامريكية لتلك المنطقة وحتى لغيرها .. فاسرائيل مازالت تلعب دورا مؤثرا بل وأساسيا فى الاستراتيجية الامريكية وتكفى الاشاره لدور اسرائيل فى احداث اثيوبيا والتى ادت الى انهيار الحكم الشيوعى هناك ..كما أنه لايمكن اسقاط دور المخابرات الاسرائيلية المؤثر خاصة على صعيد العالم الثالث ..هذا كما أن اسرائيل تعتبر مخزنا للسلاح الامريكى المتطور.. وميناء على البحر المتوسط يتيح لامريكا حرية الحركة التي يمكن من خلالها أن تطول اية بقعة افريقية أو اسيوية أوحتى اوروبية .

من ناحية اخرى فإن فرصة الانشغال بانتخابات الرئاسة الامريكية فى بداية عام ١٩٩٢م اتاح نوعا من الضغط الصهيونى وذلك نظر القوة وفاعلية اللوبى اليهودى بالكونجرى الامريكى.

من الواضح من هذه الاشارة البسيطة أن العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة علاقة عضوية متداخله ومترابطة الى حد بعيد .. ومن ثم نستطيع أن نؤكد أن تلك العلاقة سوف تستمر على ميزان السياسة وقوانينها... اى مادام يحقق للطرفين اكبر قدر من المكاسب.. الأمر الوحيد الذى يستطيع هز هذه العلاقة هو قانون السياسة الأبدى وميزان العلاقات الدوليه الابدى الا وهو ميزان المصلحة .. لعل هذا المنظار هو ما يصور المواقف الامريكية من وجهة نظرنا على أنه على تناقض مع نفسه ومصلحته .. مع عدم التزام أخلاقى واضح ..هذا فى حين أن نفس المواقف فى لغة السياسة الدوليه ليست الا تعبيراً عن انسجام فى التصرف مع حنكة سياسيه.. الخ.

فى ظل قانون السياسة كان يمكن للعالم العربى أن يكون ذا ثقل كبير وملحوظ من ناحية المصالح الدولية والعالمية الأمر الذى كان من الممكن أن يمثل ثقلا ذو وزن وقوة ضغط موثرة على السياسة العالمية .. لكن الظواهر تجمع كلها على العكس تماما..ويرجع ذلك اساسا الى خسارة المواقف العربية لذاتها الاسلامية وبصمتها الشخصيه المستقله..لكل تلك الحقائق بدات مفاوضات الصلح.. دون ضمانات[١].

(١) أكد بوش – بعد الحرب – أكثر من مرة : أن التسوية لن تفرض على أحد!!

غير أنه للأحداث والمقادير أيضا دورها.. وهذهٌ بداية القصة.

كان من أوضح واظهر نتائج نهاية الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو فتح باب الهجرة امام اليهود والسوفيت ..وتزامن ذلك مع أزمة الخليج الأخيرة..وفوجىء العالم العربى بفتح موسكو ابواب الهجرة امام اليهود السوفيت ورفع القيود والسدود أمام نشاط العناصر اليهودية المؤيده للصهيونية العالمية . وهكذا شهد النصف الاول من عام ١٩٩٠م موجة عارمة من الهجرة اليهودية السوفيتية الى ارض فلسطين المحتلة ...ولتوجيه هذه الموجات الى غايتها اغلقت امريكا ودول اوروبا أبوابها امام المهاجرين اليهود السوفيت .. كان معدل الهجرة الى اسرائيل ١٥٠٠ مهاجر يهودى يوميا الامر الذى كان يعنى زياده عدد السكان فى اسرائيل بنسبة نصف - أو - واحدفى المائة شهريا ..وهى نسبة هائلة جدا دون شك .. ومن المنطق أن يستلزم ذلك استيعاب تلك الاعداد الرهيبة وبسرعة وجد .. فهى بشرى اسرائيل الكبرى ومن ثم فقد سارعت اسرائيل فى سياسة الاستيطان والتوسع الكبير فى اقامة المستوطنات لهؤلاء المهاجرين.كانت اسرائيل من جانبها قد اعلنت عن رفضها تطبيق اتفاقية جنيف الرابعه على الأرض المحتلة .. ومن ثم فقد اعطت اسرائيل لنفسها حقا - غير مشروعا - فى بناء المستوطنات على الاراض العربية المحتلة والتى تنطبق عليها نصوص اتفاقية جنيف [1].. وهكذا خلقت الأحداث فرصة العمر امام اسرائيل لتحقيق حلمها الايديولوجى بإقامة اسرائيل الكبرى !!.. وهكذا كانت اسرائيل تنظر الى الأمر وبناء المستوطنات وكأنه واجب قومى ودينى.وبشره ايديولوجيةغير أن حجم الهجرة كان يشير الى حجم المستوطنات والعمل وتكلفته.. ولم تكن امام اسرائيل سوى امريكا لمعاونتها..

صرح أفى بزنر مستشار شامير الإعلامى بأن : إسرائيل لن تتأثر بأيه ضغوط أقتصادية محتملة ن تغير موقفها تحت أى نوع من الضغوط تخطئ الولايات المتحدة بممارستها على إسرائيل ».. الأهرام القاهرى فى ٢٥ / ٦ / ١٩٩١ م .

وعليه فقد طمعت اسرائيل فى عشرة مليارات من الدولارات.. ولم تراعى ظروف امريكا الاقتصادية [1].

كان ذلك كله فى وقت لمست فيه امريكا باب الامل فى توازن اقتصادى لميزانيتها المتآكله بعد حرب الخليج .. ومن ثم كان طبيعياً أن تكون حريصة فى قرارها .. خاصة أن اسرائيل قد طمعت فى أمر قد يطيح بكل مكاسب امريكا فى حرب الخليج .. فلمست الخط الاحمر ولم يعد هناك مفر من التفاعل الايجابى نظراً للتعارض والتقابل فى المصلحتين ..وعلى الفور تحولت الثوابت الامريكية إلى متغيرات.. اما إخراج الأمر وبصوره تخدم اغراض اطرافها فأمرهين ويسير .

ورغم أن هذا الخلاف يشترك فيه الطرف العربى وترتفع أناته صعوداً وهبوطا فإنه بسيط بلغة السياسة الامريكية .: وسوف يتم اخراجه فى شكل لقاء فى منتصف طريق المصالح بين الطرفين الحيويني فى ذلك الصراع الامريكى - والاسرائيلى ..وبالشكل الذى يحافظ على احلام واهداف وضوابط كلا الطرفين ..وعلى حساب الطرف العربى السلبى منذ بداية الجهودالاستسلامية.

والامر الجدير أن نشير اليه هو طبيعة الموقف العربى المتهالك والذى قبل بكل شروط اسرائيل الاستفزازية وذلك حتى ترضى ببدء المناقشات حول المؤتمر الاقليمى ..وكل ذلك طمعا فى وقف بناء المستوطنات الإسرائيلية.. فهل هذا الموقت السلبى مؤثر بشكل أو بآخر فى موقف عقائدى له اهميته بالنسبة لاسرائيل .. وحتى امريكا ؟!

توضح مفارقات المواقف والمبادىء الاساس لاطراف النزاع الى وضع جديد بات يحكم حاله الصراع وهو أنه .قد حدث تبادل فى مواقع معادلة الصراع الشرق اوسطى

(١) فى عام ١٩٧٥م أصدر مجلس الأمن قراراً أيدته الولايات المتحدة والذى كان نصه : أن مجلس الأمن يؤكد أن إتفاقية جنيف تنطبق على كل الأراض التى تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م ... وفى عام ١٩٨٨م وافق مجلس الأمن بالإجماع على أن اتفاقية جنيف تنطبق على الأراضى العربية المحتلة !!! .

.. فقد تحول اسرائيليوا اليوم الى عرب الامس الرافضين للتسوية السلمية من ناحية المبدأ .. هذا فى حين تحول عرب اليوم الى اسرائيلى الامس والذين طالما رفعوا غصن زيتون هلل لها العالم الغربى المتحضر آنذاك !!

لاشك وأن اسرائيل تعتمد أساسا فى موقفها رغم معارضته لأدنى مبادىء قانونية أو حتى آخلاقية الى قوة توويه هائلة وترسانه فى غاية التقدم من السلاح المتقدم..

أما الأعجب فهو موقف قوى العالم الغربى المهيمن والتى توحدت أهدافها الى حد بعيد .. فهو الى جانب عجزه السياس تجاه تلك الاطماع الواضحه نراه وقد تناس دور القاضى المهيب الجرىء المتمكن فى حالة تراعه القريب مع العراق!!

ثم يتزكر ذلك الموقف بعد ذلك كله مع ليبيا !!

لايمكن تفسير هذا التناقض المخل والواضح الا بتوضيح نظرة العدل الامريكى تجاه المنطقة ككل.

يؤكد ذلك وبكل وضوح عملية «النبى سليمان» والتى تم فيها نقل يهود الحبشة الى اسرائيل والتى شاركت فيها الولايات المتحدة وغيرها!!..وذلك باسم الدين اليهودى وتلبيه لنداء الكتاب المقدس.

كانت العملية من الخوارق حتى أنه تم نقل اكثر من عشرين الفا من اليهود الأثيوبيين الى فلسطين المحتله فى عشرين ساعة فقط.. رغم حالة الأمن الغير مستقره فى اثيوبيا آنذاك!!.

كان كل ذلك إشارة للخلل الاستراتيجى بعد ضرب العراق.كان التطبيق العملى والفعلى الغربى لاحترامه لحقوق الانسان متمثلا فى أن يسمح ويشارك فى قدوم ونزول اليهود الروس والاثيوبيين واليمنيين فى أرض فلسطين العربية.. فى الوقت الذى لايعنى ذلك على المستوى المنطقى والعقلى.. والعملى ايضا الا أن يطرد العرب خارج ارضهم مع قتلهم ونسف دورهم..الأمر الذى يتعايش معه العالم السياسى والامم المتحده.. منذ سنوات وسنوات.

يقولون فى الغرب خاصة بعد سقوط الاتحادالسوفيتى أن العالم يشهد مرحلة

نهاية التاريخ[1].. بمعنى أن النظام الرأسمالى الغربى قد أحرز إنتصاراً نهائيا..وأن على العالم كله ان يكيف نفسه ليعيش فى ظل هذا النظام والى الأبد..والمدهش أن ذلك المعنى يردده فى بلادنا بعض الساسة والمفكرين المحترمين!!.. ويأمل هذا الطرف المنتصر فى حل المشكلات الدوليه سلميا وبطريقه جماعية مع معاملة عادلة للشعوب[2] ورفع مبادىء الديمقراطيه ورعاية حقوق الانسان... الخ..

وهكذا صور الاعلاميون والفلاسفة وكأن المستقبل العالمى قد تمت مصادرته و الى الأبد الى ناحية الغرب وحضارته دون منازع!!.. هذا رغم أن النزاعات قد تطورت بعد حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتى حتى غمرت النزاعات الاقليمية والايديولوجيه كل اوروبا الشرقيه.. وهددت اوروبا..ووصل الأمر الى حد أن رفع الاسكندلنديون رغبتهم فى الانفصال عن بريطانيا العظمى!!.

الحقيقة المؤلمة حقا أن من يرفع شعار التحدى لتلك الهيمنة الغربية من الجانب الاسلامى هو الجانب الايرانى الشيعى... ومن ثم تنامت شعبية ذلك الجناح حتى بات يمثل خطراً محققاً على الاراضى المقدستوالتى هى من ضمن اهدافه الرئيسية.. فى حين لم يجد الطرف المهيمن فى الجناح السنى سوى الارتماء فى حضن تلك الهيمنة الغربيةوالتى تأمل هى الأخرى فى نهب ثروات المسلمين.. وإقامة مملكه اسرائيل الكبرى انتظاراً لعوده المسيح.. فما هو مستقبل الاسلام السنى وسط ذلك التخبط؟!

سؤال نخشى إجابتة ...

---

(١) إستخدام « هيجل» هذا التعبير وقصد به أن حركة التاريخ تتضمن بالضرورة صراعاً ين أكثر من طرف.. وعندما ينتهى هذا الصراع فإن الصراع يصل إلى نهايته.. وفى سنة ١٩٨٩م كتب « فرانسيس فوكوياما » وهو أمريكى من أصل يابانى كتابا بهذا العنوان بشرفية بإنتصار نهائى للرأسمالية الليبرالية.. ومع ذلك فإن الحروب قد إندلعت فى كل مكان من هذا العالم بعد حرب الخليج .. وسقوط الإتحاد السوفيتى .. وإلى آلآن .. جتى فى أوروبا ذاتها!! .

(٢) لعل أهم أشكال ذلك العدل ما أشارت إليه دراسة أمريكية من أن الأمريكيين هم أكثر شعوب العالم إقبالاً على اللحوم .. وأن إستهلاك الفرد ٤٥ كجم سنوياً .. بينما إستهلاك المصرى يصل فقط إلى ٢ كجم فى العام وهو أدنى إستهلاك طبقاً لهذه الدراسة »

... نقلاً عن الأخبار القاهرية ٢٤ / ٤ / ١٩٩١ م.

★★★

الحقيقة المؤلمة والواقع يؤكد أن العرب جديرون بما يقع لهم.. فهم الى تلك الساعةلم يرفعوا شعار الدين فى منهاجهم وحركتهم التاريخية.. فبدأوا بسلخ العروبة عن الاسلام.. ورفعوا العروبه.. وركنوا الإسلام.. ثم بعد حرب الخليج لفظوا العروبه وارتكنوا الى الشرعية العالمية الغربية.

غير أن كل المواقف والآطراف تؤكد على تعددها وتشعبها إرتكاناً الى رصيدها الايديولوجى.. وليس ذلك بمستغرب.

عندما دخل «اللنبى» القدس الشريفه افصح الرجل عن مكنون شعوره وخفايا قلبه فهو لم يشعر بذرة خجل فقال قولته: «الان انتهت الحروب الصليبية».

وعندما دخل «جيرو» دمشق العروبةوالاسلام كان الرجل اوضح شعورا وأقل حياء فصاح أمام قبر صلاح الدين: «هاقد عدنا ياصلاح الدين».

إن أهم الأمور التى يسقطها عمدا كافة المحللين والسياسيين هى الأصول الدينية المشتركة بين البروتستانيته واليهودية فى نظرتهم العقائديه لمنطقةالشرق العربى.. ارض فلسطين العربية..والقدس خاصة.. وهو أمر شرحه يطول.. غير أنه يجزم أن المسيحية وخاصة البروتستانتيه لن تحارب اليهودمن أجل المسلمين تحت أى ظرف..ولن تضغط عليهم..ولن تخلخل احلامهم.. بل ان العكس هو الصحيح.. فالرباط البروتستانتى اليهودى يستتبع من ناحيته الدينيه اقامة مملكه اليهود الكبرى.. وانتزاع القدس الشريف من المسلمين..وهزيمتهم. امام تلك الثوابت ليس هناك من مفر من الاعتماد واللجؤ الى الاسلام الصحيح كرباط يجمع العرب ويوحد بينهم.. فعندما كان الدين رباطاً ورايه رفض الخليفة - التركى - أن يسمح لليهود بالهجره الى فلسطين.. كان هذا فى حاله من اضعف اوقات دولة المسلمين الواحده..

وعندما نشأت القوميات وتعارضت وخفت قبضة الدين على السياسة ضاعت فلسطين.. ثم القدس.. ثم غيرها .. بل واعترف الترك انفسهم باسرائيل.. وحتى مصر!!

والخوف انه إذا استمرت مكانه الدين ثانويه... فإن امر اسرائيل الكبرى لن يبقى حلماً.. فالنصر من عند الله.. اذا اخلصنا له..

قال تعالى: { من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخره فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ } .

وقال: { إن ينصركم الله فلا غالب لكم } .

ويحذر المولى عز وجل من خطوره ارتكان المسلمين الى غير مولاهم العلى القدير.. والارتكان الى غير ما يأمرهم به قرآنهم الكريم.

قال تعالى: { أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن } .

فمن هذا الذى هو قوه لكم يدفع عنكم سوى الرحمن؟!.. فما الكافرون سوى غرور بما يتوهمون. فإن كانت كل تلك الاوامر والنواهى واضحة فعلام الضياع إذا ؟!

{ فمن ينصرنى من الله ان عصيته }

وصدق الله العظيم

ولاحول ولاقوه الا بالله العلى العظيم.

الفصل الثامن عشر

المستقبل العربى فى ظل التدنيات .. نظرة ذاتية

الفصل الثامن عشر

المستقبل العربى فى ظل التدنيات .. نظرة ذاتية

كانت أزمة الخليج الأخيرة بمثابة ورقة التوت والتى كانت تخفى ورائها العديد من عوامل التناقض والتنافر العربى ويرجع ذلك أساسا إلى قرب النفسية العراقية العربية من النفسية الغربية الخليجية ..ومن ثم فإن استقراء المواقف والأهداف كان واضحاً جليا منذ بداية الاحداث .. كما كان تفهم النفسية والاهداف واضحا بين الطرفين العربيين.. الأمر الذى لم يتوفر بكامل ابعاده للشخصية المصرية .. رغم الخبرة المصرية بعد حرب ١٩٧٣ . والأمر الذى ادى فى نهاية الحرب الى صلح كامب ديفيد ..وتأخر الأنقلاب والزلزال بعض الوقت.

كشفت أزمة الخليج ايضا عن عجز وشلل النظام العربى الراهن..وكذا عن ضعف التركيبة السياسة والاجتماعية والاقتصادية وحتى الايديولوجية التى رفعتها جامعة الدول العربية منذ عام ١٩٤٥م.

كشفت الأحداث وتطوراتها ايضا عن خلل أساسى فى الرؤية المشتركة للأحداث .. مع عدم وجود موقف ثابت أمام القضايا الأساسية ذات الطابع القومى أو الدينى..الأمر الذى يعكس عدم ثبوت وحده الهدف بل تباينه وتعارضه بين الدول العربية خاصة بين الدول الفنية والفقيرة.

لعل من اوضح اسباب الخلل فى العلاقات العربية هو غياب المنهج الاساسى فى التفكير والتقييم سواء كان دينياً أو حتى علمياً.. ومن ثم فقد فقدت الاطراف المتعارضةأية معايير موضوعيه واضحة تشير الى نوع من الوعى والمسئولية بين اقطاب العالم العربى المتنافر وحكامه.. اما على مستوى الشعوب فإن الاخوه كانت واضحة ومؤثرة الى حد ما..غير أن الاعلام الموجه استطاع أن يحد بقوته من هذا العامل المؤثر القوى.

وإذا ما ارتكن قادة وامراء وملوك دول الخليج الثرية على كل تلك النقائض لتبرير

موقفهم فكيف يفسرون موقفهم عقائديا واقتصاديا وحتى سياسيا ؟! فهم ايضا الخاسرون.

انتهت حرب الخليج بتحطيم الجزء الاكبر من أقوى جيش عربى حديث – الأمر الذى ادى الى خلل واضح فى موازين القوى فى منطقه استراتيجية هامة .. هى بواية الشرق العربى المضطرب والهائج بصمت حاليا ..ومن ثم كانت التداعيات والنتائج بعد الحرب تعكس مدى وحقيقة الخلل فى الميزان الاستراتيجى الامنى العربى ككل.

فى المقابل كانت الاطراف الرابحة من تلك الكارثة عديده.

امريكا والغرب .. وايران وتركيا..واسرائيل ..

وكانت الاطراف الخاسرة من تلك الكارثة عديدة ايضا.. جميع البلاد العربية ..واكثرها خسارة العراق والكويت والسعودية.. والإمارات الخليجية .. وحتى سوريا.

هذا رغم أن الاحداث عربية اسلامية أولا وأخيراً !!

بعد تلك الكارثة ارتفعت معدلات الانفاق العسكرى الامريكى حتى تحافظ على هيمنتها وقيادتها ودورها العالمى كالدولة الاولى العالمية عسكريا وقوة .. وظهرت نداءات لدور اوروبى مشترك عالميا بعد الحرب وموثر وقادر على إرسال قوات عبر البحار– حتى اليابان اتجهت لنفس الهدف .. وتوازى ذلك كله مع اتجاهات المحللين وكتاب وإعلام لأحصر لهم تطالب بتخفيض معدلات الانفاق العسكرى والتوجه بالاقتصاد الى ناحيه السلم والرفاهية !!

وشذت عن ذلك القوى المجاورة المؤثر –مثل اسرائيل التى زادت هى الاخرى من ميزانيتها العسكرية لهذا العام والى درجة كبيرةمع توجهها النشط لبناء مستوطنات فى كل الاراضى العربية المحتلة.

اما ايران فقد زادت هى الاخرى من توجهها العسكرى وزادت من مشترواتها العسكرية حتى اكدت الانباء عن نجاحها فى شراء اسلحه نوويه وحذت تركيا حذو اصحابها..

رغم علم الجميع بذلك كله إلا أن احداً لم يحلل ويبسط معنى المواقف واهدافها على المستوى المتطور واللامنظور .. تموج تلك التيارات العاصفة تحت السطح مع جهل مطبق عن مطبخ التآليف السياسى والاقتصادى العربى فكل مواقف العرب حتى الان عبارة عن ردود افعال مؤقتة .. لا ضرر منها.. ولا تأثير .. ولا معنى سوى تعبير واضح عن فقدان الذاتية الاسلامية .. وحتى القومية.

بعد الحرب بأكثر من عام تعلن امريكا عده مرات عن حقها فى ضرب العراق الصامد من جديد لنسف اكثر من عشرين موقفا تدعى امريكا انها مواقع نووية يجب تدميرها.. ولم يبلغ عنها العراق..

أو ليس هذا تهديدا بحرب جديده فريده .. وهى فى هذه المره ضد بلد عربى شقيق مخطم ومدمر لاماء فيه ولا مجارى ولا خدمات ولابنية اقتصادية ولا اساسية.. ولم يستنجد أحد بأمريكا هذه المرة أو بغيرها .. ولم يشتك أحد من العرب العراق للأمم المتحدة .. أو غيرها..

ولا اظن حتى أن عدوانا وقع من أى شكل على السعودية أو الكويت.

وإذا رفع احد حجته بأن صدام كان يجهز لاعداد قنبلة ذرية فما ظن العالم كله شرقةوغربه.. عربه وعجمة باسرائيل الذرية القويه ومنذ مالا يقل عن عشرين عاما .. وايران الذرية حديثا ؟!

قام الموقف من ليبيا فى حقيقته على نفس الأسس الاستراتيجية .. فتم حصارها والتهديد بضربها علنا مع أنها لم تحتل أيا جيرانها .. ولم تغتصب ايا من جيرانها..

كان رد الفعل الليبى إنسانى ومتوقع.. فالحصار عربى.. والعداء حتى عربى فى اكثره.. وهكذا كادت ليبيا الشقيقة أكثر دوله عربيه راغبة فى الوحده العربية أن تكفر بالعروبه والاخوه.

فما بالنا برد الفعل العراقى الانسانى والمتوقع بعد أن تتوازن وتعبر محنتها ؟!

.. وما بالنا برد الفعل السورى بعد أن وقف بجانب الجبهه الامريكية العربية..

فوضعتها امريكا فى مصاف الدول المؤيده للأرهاب.. واعلنت اسرائيل على الجميع أنها لن تعيد الجولان بأى صوره وتحت اى ظرف أيا كان؟!

وما بالنا برد الفعل الشعبى للجزائر الشقيقة حيث باركت الدول العربية الانقلاب على الشرعية الوطنية والشعبية تلك التى تجرأت ورفعت شعار الاسلام ومبادئه ديناً لها وديدنا فنالها تصيبها وما بالنا برد فعل السودان الشعبى من موقف بعض الدول منها ومن أزمتها العنيفة الدينيه والسياسية والتى تعيش دوامتها منذ بضعه سنوات طالت وأسودت ؟!

فهل اتضحت الصورة بعد أزمة الخليج؟!

المسألة فى حقيقتها إذا لاعلاقة لها بأيه حقوق سياسية دولية .. أومظاهر إنسانية ولا تمت بأية صلة لما تبثه وسائل الاعلام فى كتب تباع .. وما نشتيات تقرأ .. واخبار تذاع.

ولا صلة لها البته بأمن وامان الكويت أو السعودية أوحتى قطر.

مفصل ومحور الأمر كله هو أن العراق كان يمثل بادرة بعثه عربيةقويه واسلاميه التوجه ومن ثم نشط أصحاب القوة العالمية المهيمنة واجمعوا على ضرورة التخلص من ذلك الشبل العربى اللاصيل وضرورة تحجيمة والتخلص من قوته.. وتم إخراج الأمر على أتم وجه.

أشد ما يؤسف فى الأمر حقا أن يتم هذا الهدف الاستعمارى الجديد بمعاونة بعض الاطراف العربية .. ومؤازره البعض الآخر.. وشراء البعض.

كان كل ذلك لخدمة الاطراف العالميه المهيمنه .. وعلى حساب المستقبل العربى كله.. غنيه وفقيرة الم يكن ذلك كله من نتائج حرب الخليج التى اتفقنا عليها ؟!

غير أن هناك نقطه تستدعى العجب.. فإن ادنى تحليل لنتائج وتداعيات حرب الخليج يجمع ويؤكد على أمر يصعب تحقيقه حتى على المستوى الفكرى والنظرى.. ألا وهو خسارة جميع الاطراف العربية..وعلى جميع المحافل والمستويات!!

لعل أهم واقوى إشارة لتلك الحقيقة الماثلة تتأتى من التقييم الحق للموتمر

الاقليمى للسلام .. وتكفى الاشارة لاشتراط اسرائيل لقبولها حضور ذلك المؤتمر الاقليمى قبول العرب للصهيونية كحركة تحرير وطنى»!! هذا مع الغاء حق منظمة التحرير الفلسطينية فى التمثيل المباشر كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى.

عند تقييم تلك المنعطفات الاساسيه ودراسة أسبابها ونتائجها فإن العامل المجروح فى كل هذه المتغيرات هو الذات العربية الاسلامية .. ورغم أنه من الصعب أن يقدم الانسان تعريفا لذاته فإن تلك الذات هى الامل المتبقى لعبورنا كل تلك المحن.. خاصة أن تلك المحنة على شدتها وخطورتها لاتقارن بانهيار الاتحاد السوفيتى زعيم الكتله الشرقية سابقاً والتى ضمت فى وقت من الاوقات اكثر من ثلثى سكان العالم .. والتى تعاطف معها جانب اخر اكبر من سكان المعمورة .. سقطت تلك الكتله حتى دون مقاومة .. ودون اطلاق رصاصة واحدة عندما فقدت ذاتيتها هى الاخرى.

ذلك المحور هو الامل ..وهو الذى سوف يحدد شكل المنطقة العربية الاسلامية لفترة قادمة من الزمن..ورغم عظم التحديات وثقل المسئولية فالامل دائما هناك.

الم تكن حرب الخليج ومواقف العراق الايجابيه تعبيرا ذاتيا عراقيا عن رفضة الاحتواء والانكسار ؟!

ومع الامل يستلزم دائما أن نتوقع الضغوط على تلك الذات الحره المسلمة وبكل عنف فى المرحلة القادمة.. فالآحرون يتحركون بعلم وحساب وعلى مختلف المستويات وفى كل اتجاه.

كانت مواقف العرب التفاوضيه تشير الى ذلك التفاعل بين الضغوط الغربية .. والذات العربية اعلن الرئيس مبارك إلغاء المقاطعه مع اسرائيل.. ووافق الخليجيون على مدهم بالبترول والانفتاح عليهم ووعدوا بالاعتراف بهم.. ويرد شامير على كل ذلك : لن افرط فى شيء!!

ذلك الشيء هو ارض العرب .. وكرامتهم .. ومسجدهم الاقص الشريف ثالث الحرمين.

إن ابسط مجهود لتقييم الموقف الاسرائيلى الصهيونى إنما يجب أن يوجه لمعرفه اهميته للجانب الاسرائيلى من جوانبه الايديولوجية والسياسية والاقتصادية .

أهم مظاهر الموقف الصهيوني دون شك هو الاصرار على بناء المستوطنات رغم المشكلات الاقتصادية الاسرائيلية ورغم الموقف الامريكى .. ورغم الوعد العربى بالغاء المقاطعه العربية الاسرائيل.. وهذه المسألة من أهم احلام اسرائيل حيث يجب علينا أن نعترف بقدرة وكفاءه اليهودية العالميه على استغلال السوق العربية الواسعة والضعيفة أصلا . والتى تمثل ما يزيد عن ٢٠٠ مليون نسمة .. فلا شك فى قدرة وكفاءه الادارة الاسرائيلية واليهودية العالمية عبر الشركات متعدده الجنسية فى الهيمنه على السوق العربية الضعيفة الإدارة والمفككة الاوصال ..

والأمر الذى يمثل حلما صهيونيا .

لا معنى لموقف اسرائيل سوى أن الواعز العقائذى لديهم له الاولوية عن الواعز الاقتصادى!!

نفس النتيجة نصل اليها عند تحليل الموقف الايرانى من الاحداث ودراسه دوافعه النفسية مبعث طاقته الذاتيه .. ومحدد حركته رغم صعوبتها ..فهى ايديولوجية اولا واخيراً.

اما المواقف العربية فهى دون ذلك.. وبكثير .

لعل تلك المؤاشرات تشير ايضا الى أن نهاية الصراع فى تلك المنطقه بعيد بعيد.

ليس فى ذلك كله ما يستدعى الخوف والرعب.. بل هى طبيعه الحياة .. صراع بين الحق والباطل.. المنقذ الوحيد .. والأمل الاكيد وسط تلك الاعاصير هى مناولة تلك التحديات وبايجابيه على خطورته وتعدد اطرافه وتباين اهدافه من منطق عقائدى سنى ..فالدين لايوازنه سوى دين ..والعقيدة لا تحاربها سوى عقيده .. وليس ذلك ادنى تطرف أوتعصب حيث أن الاطراف الطامعة والمهيمنه امريكا والغرب .. واسرائيل وايران تنطلق جميعها من نظرةعقائديه بحته تحدد نظرتها للمنطقه .. ولا شبهة فى تلك الحقيقة مهما تغلفت المواقف بمظاهر السياسة .. وعوامل الاقتصاد والجغرافيا .. أو غيرها.

والقرآن الكريم يوضح كل تلك الحقائق وبكل وضوح وتفاصيل ودون شبهة.

والقرآن الكريم يلزم الجميع بالمنهاج..فهو قادر على لم الشتات.. وتنظيم الشعاث

كل ذلك تحمله العراق المغبون . وحده ..

وكل ذلك نال من العرب جميعهم ولم يفرق بين سعودى وعراقى .

تحيه الى العراق .. ودعاء للعرب .. فهى الذراع للجسد..

ولاحياه إيجابيه لأحد دون الآخر.

وصدق رسول الله ﷺ فى قوله :

﴿ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا﴾ .

الفهـــــــرس



حريق آبار البترول .. تقييمه .. ومغزاه
أزمة الأكراد .. تركيا والحزام الأمنى
الهيمنة الإسرائيلية - والتوازن المفقود
الموقف الإيرانى - السورى
الموقف الأوروبي .. أبعاده بعد الحرب
أمريكا وإسرائيل : المنتصران المهيمنان
حسابات النصر والخسارة